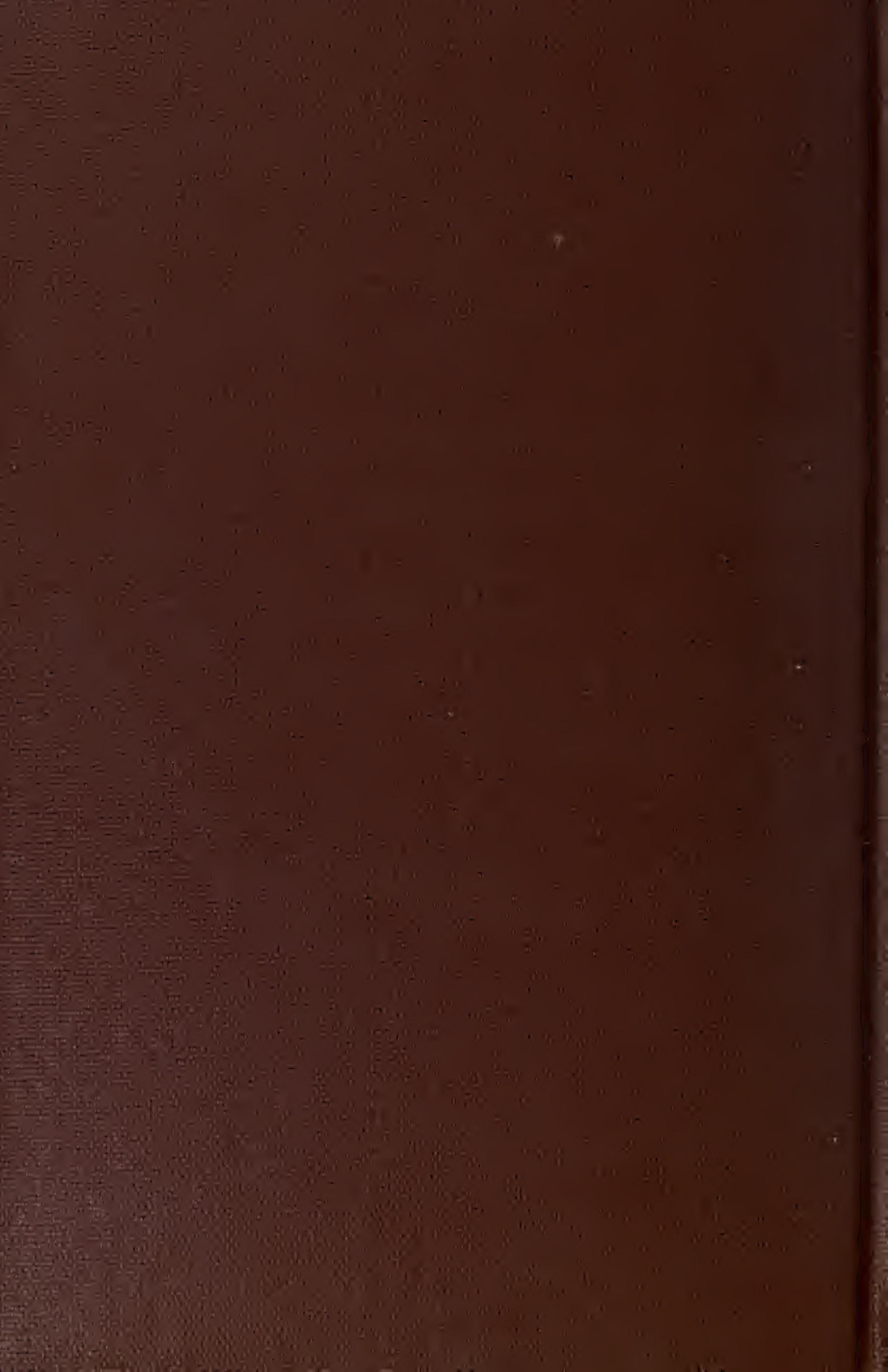
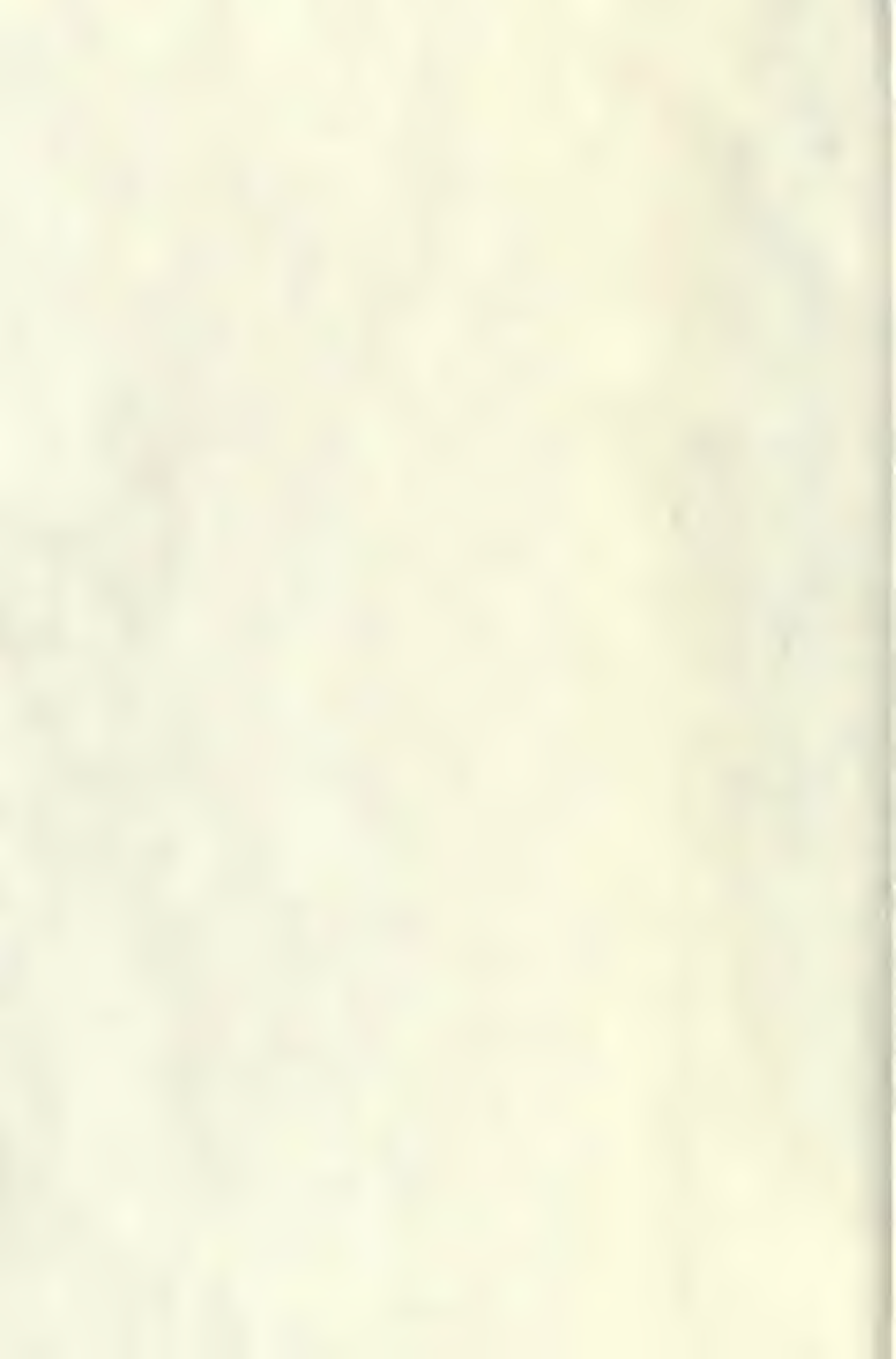
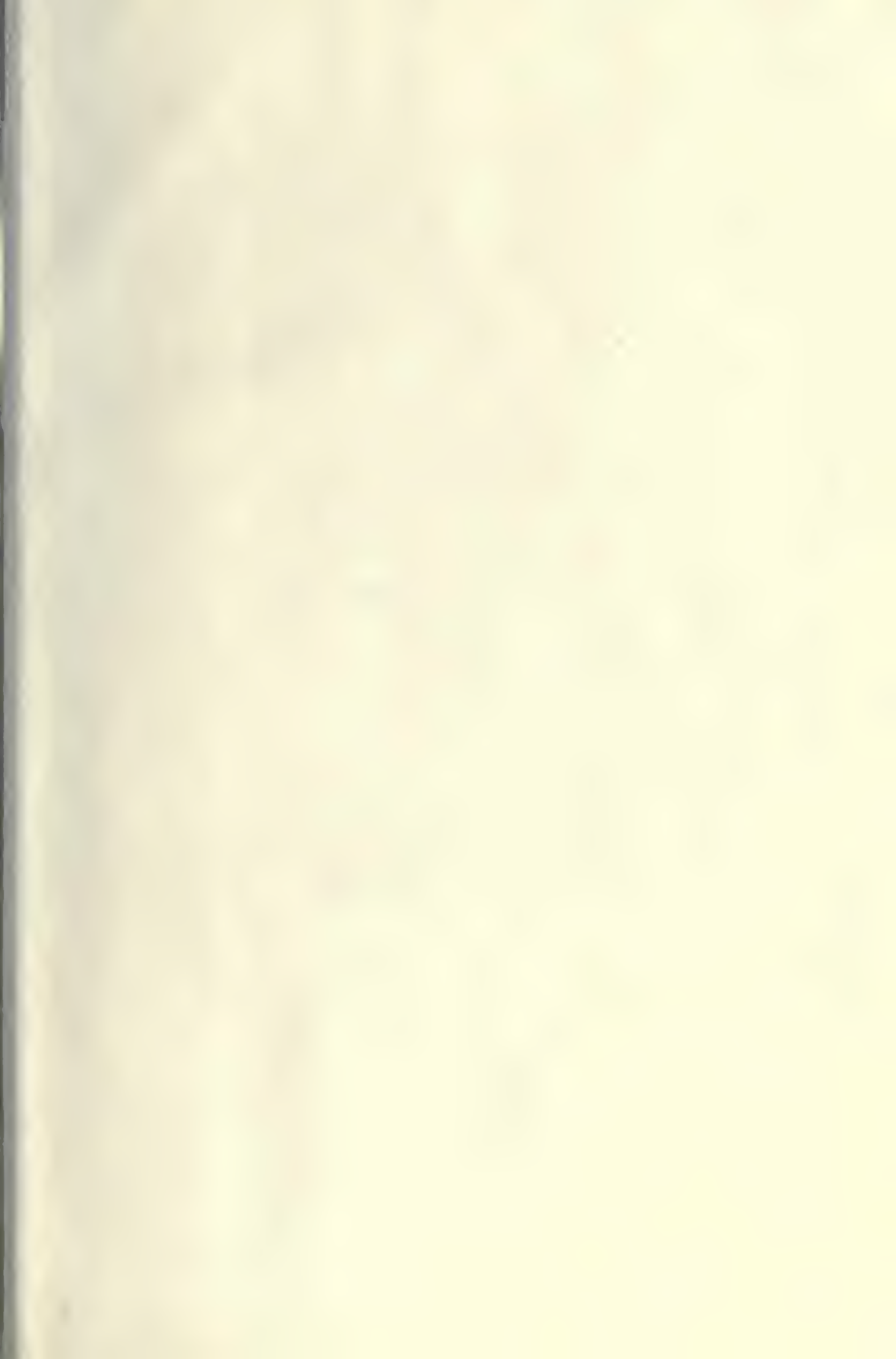












(فهرسة ريحانة الالبا)

صحيفه

٨ القسم الاول فى محاسن أهل الشام ونواحيها

٨ احمد العناياتى

١٤ محمد الصالحى الهلالى

٢١ حسن بن محمد البورينى

٢٧ أبو المعالى درويش بن محمد الطالوى

٤١ محمد بن قاسم الحلبى

٥١ الامير أبو بكر الحلبى

٥٢ ابراهيم ومحمد ابنا احمد الحلبى المعروف بالملا

٥٥ يوسف بن عمران الحلبى

٥٨ سرور بن سنين

٥٩ حسين بن أحمد الجزرى الحلبى

٦٦ أبو بكر تقى الدين التاجر المعروف بابن الجوهرى

٦٧ شمس الدين محمد المعروف بابن المنقار

٦٨ ابنه عبد اللطيف

٦٩ شيخ الاسلام عماد الدين الحنفى الشامى

٧٢ بدر الدين بن رضى الدين الغزى العامرى الشامى

٧٦ أبو الصفاء مصطفى العجمى الحلبى

٧٩ تقى الدين بن معروف

٨٢ محمد بن الرومى المعروف بماماى ابن اخت الخيالى نزيل دمشق الشـ

٨٥ زين الدين الاسعافى

٨٦ أبو بكر الجوهرى الشامى

٨٧ شمس الدين محمد بن ابراهيم الحلبى المعروف بابن الحنبلى

٨٨ أبو الفتح بن عبد السلام المالكى المغربى نزيل الشام

٩٦ علاء الدين بن مليك الحموى

٩٩ القاضى محب الدين بن تقى الدين الحموى

صحيفه	
٩٩	شهاب الدين الكنعاني الشامي
١٠٠	معروف الشامي
١٠١	نجم الدين بن معروف
١٠٢	محمد بن محمد الحكيم المعروف بابن المشنوق
١٠٢	فتح الله بن بدر الدين محمود البيلوني الحلبي
١٠٣	القاضي ظهير الدين الحلبي
١٠٣	بهاء الدين بن الحسين العاملي
١٠٧	خضر الموصلي
١١١	المولى عبد الرحمن بن عماد الدين الشامي الحنفي
١١٤	احمد بن شاهين الشامي
١١٦	الامير محمد بن منجك
١٣٠	الفاضل أبو الطيب بن رضي الدين الغزي نزيل الشام
١٣٢	عبد الحق الشامي
١٣٥	أبو الوفاء بن عمر بن عبد الوهاب الشافعي الفرضي الحلبي
١٣٧	أخوه محمد بن عمر الفرضي
٣٩	عمر بن عبد الوهاب الفرضي
١٤٠	صلاح الدين الكوراني الحلبي
١٤١	السيد احمد بن النقيب الحلبي
١٤٢	القسم الثاني في محاسن العصريين من أهل المغرب وما والاها
	مولاي احمد أبو العباس المنصور بالله
١٤٧	أبو بكر اسماعيل بن شهاب الدين
١٥١	محمد القشتالي
١٦٤	محمد بن ابراهيم الفاسي
١٧٤	الوزير عبد العزيز الثعالبي الأديب
١٧٧	العلامة محمد دكروك المغربي
١٧٩	حسام الدين بن أبي القاسم الدرعي المغربي

صحيفه	
١٨٠	عبد العزيز الفشتالي
١٨٠	عبد السلام بن سوسن المغربي
١٨١	السيد عبد الخالق الفاسي
١٨٢	السيد يحيى القرطبي
١٨٥	ذكر مكة المشرفة ومن بحماها
١٨٧	ذكر الدولة الحسينية ومن بها من بقية العلماء والشعراء والاعيان
١٨٨	أبو نمي بن بركات
١٨٨	شهاب الدين أحمد الفيومي
١٨٩	السيد حسن بن أبي نمي
١٩٢	أخوه السيد ثقبة
١٩٣	أبو طالب
١٩٦	أبو المحاسن حسن بن أبي نمي بن بركات
١٩٨	قطب الدين المكي النهرواني أصلا ومحتدا
٢٠٣	جمال الدين بن صدر الدين بن عصام الدين العلامة الاسفرايني
٢٠٧	أخوه علي العصامي
٢٠٨	أحمد المدني المعروف باليتيم مصغرا
٢٠٨	سراج الدين بن عمر الاشهلي المدني
٢٠٩	عبد الرحمن وعلي ابنا كثير المكان
٢١١	محمد بن أبي الخير بن العلامة ابن حجر الهيتمي المكي منشأ وموطنا
٢١١	العلامة شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمي نزيل مكة شرفها الله تعالى
٢١٢	علاء الدين بن عبد الباقي
٢١٢	القاضي حسين المالكي المكي
٢١٣	شيخنا العلامة علي بن جار الله المكي الحنفي الخطيب مفتي الحرمين الشريفين
٢١٣	علي الكيزواني المغربي نزيل مكة المشرفة
٢١٤	معين الدين بن البكا نزيل مكة المكرمة المعظمة شرفها الله تعالى
٢١٥	العلامة عبد الرحمن الخياري نزيل المدينة المنورة على ساكنها

أفضل

صحيفه

افضل الصلاة والسلام

٢١٧ نفحة من نفحات اليمن ومن بلغنا خبره فى هذا الزمن ممن بقى بها من الفضلاء والشعراء وكان قريب العهد

٢١٧ عبد الله بن شمس الدين بن مطهر اليمنى

٢٢٠ السيد حسين بن مطهر اليمنى رحمه الله تعالى

٢٢٠ عبد الهادى السودى صاحب الديوان المشهور وفى نسخة عبد الوهاب

٢٢١ اسماعيل بن ابراهيم بن اسماعيل بن عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد ابن يوسف بن عمر بن على العلوى الزبيدى من ذرية اليمنى

٢٢٢ القسم الثالث فى مصر وأحوالها وسبب العودة لرسومها واطلالها

٢٢٤ محمد بن يس المنوفى

٢٢٧ عبد الوهاب المحلى الحنفى

٢٣٠ عبد المنعم المحلى الطريني

٢٣٢ محمد بن الخياط المحلى

٢٣٣ القاضى تقى الدين التميمى

٢٣٥ يوسف المغربى

٢٣٨ يحيى الاصيلى

٢٤٢ شمس الدين محمد النحريرى الحنفى البصير

٢٤٣ محمد الحنفى المفتى المعروف بالذئب

٢٤٤ شيخ الاسلام على بن غانم المقدسى

٢٤٦ محمد الدمياطى الحنفى تلميذ شيخنا المقدسى المفتى بمصر بعده

٢٤٧ شيخ الاسلام سراج الدين الحانوتى الحنفى المفتى

٢٤٨ السيد عبد الرحيم العباسى

٢٥١ سراج الدين عمر الفارسكورى

٢٥٢ تقى الدين بن عمر الفارسكورى

٢٥٤ محمد بن أحمد الحناءى

صحيفه

صحيفه	
٢٥٥	شيخنا العلامة ابراهيم العلقمى وأخوه شمس الملة والدين
٢٥٥	ابراهيم العلقمى
٢٥٦	احمد بن على العلمقى نزيل الخانقاه السرياقوسية
٢٥٧	شمس الدين البصير
٢٥٨	عبد الله الدنوشرى
٢٦٠	عبد الواحد الرشيدى
٢٦١	رمضان الهوّى
٢٦١	احمد بن عبد السلام
٢٦٣	محمد بن بدر الدين الزيات
٢٦٣	صفى الدين بن محمد العزى
٢٦٤	احمد بن على العزى
٢٦٤	عمر العزى
٢٦٤	رجب الشنوانى
٢٦٦	القاضى بدر الدين القرافى المالكى
٢٦٧	احمد بن عواد
٢٧٠	عبد الرحمن بن محمد الحميدى شيخ اهل الوراقة بالقاهرة
٢٧١	الرئيس داود الحكيم
٢٧٢	محمد بن بدر الدين القوصونى الطبيب
٢٧٣	ابراهيم بن المبلط
٢٧٤	بدر الدين بن الازهرى شاعر العصر
٢٧٥	محمد الابيارى القبانى
٢٧٦	يحيى بن الخطيب القبانى
٢٧٧	شهاب الدين أحمد السنفى المعروف بقعود
٢٧٩	محمد البلبيسى
٢٨٠	محمد الأسيوطى التاجر
٢٨٠	القاضى احمد المحلى المالكى

صحيفه	
٢٨١	سرى الدين بن الصائغ الحنفى
٢٨٢	منصور البلبيسى
٢٨٢	عبد النافع الطرابلسى نزيل مصر
٢٨٢	صاحبنا عبد المنعم الماطى
٢٨٤	حسن ابن الشامى
٢٨٥	اسماعيل بن الحسين كاتب السر الخزرجى
٢٨٥	محيى الدين الغزى
٢٨٥	احمد الغزى
٢٨٦	عبد القادر الطورى
٢٨٧	على بن الخزرجى شيخ الشيوخ بالسيوفيه الضرير
٢٨٨	زين الدين محمد الانصارى الخزرجى الحنبلى
٢٨٩	نور الدين بن الجزار الشافعى
٢٩١	محمد الفارضى
٢٩٣	العلامة شهاب الدين احمد بن محمد المقرى المغربى المالكى نزيل مصر
٢٩٧	القاضى احمد بن الجيعان
٣٠٥	نور الدين على العسيلى
٣١١	السيد على وفاء وأولاده المعلق على عاتق السيادة نجاده
٣١٣	شيخنا أبو المكارم وأبو الاسعاد قدس الله سره
٣١٣	العلامة ناصر الدين
٣١٣	العلامة منصور
٣١٤	السيد محمد وأخوه عبد الله
٣١٥	الاستاذ أبو الحسن البكرى
٣١٥	الاستاذ محمد بن أبى الحسن
٣١٦	الاستاذ زين العابدين
٣١٦	الاستاذ الامام أبو المواهب البكرى

صحيفه	
٣٢٩	على بن الحناءى بن أمر الله الحميدى
٣٣٩	عبد الباقى
٣٤٠	فخر الزمان سعد الدين بن حسن خان
٣٤٢	عبد الكريم بن سنان
٣٤٢	السيد محمد بن برهان الحميدى
٣٦١	بيان حالى فى خبر المبتدا وسبب اقتداءى بالهجرة النبوية وما عدى فيه ابدا
٣٦٢	أشياخ المؤلف
٣٦٧	مؤلفات المصنف
٣٦٧	المقامة الرومية
٣٧٥	الفصول القصار
٣٨٢	مقامة الغربية
٣٨٧	فصل فى فوائد تتعلق بهذه المقامة
٣٨٩	المقامة الساسانية
٣٩٣	مقامة عارضت بها مقامة الوطواط
٣٩٨	المقامة المغربية
٤٠٠	فصل فى بيان ما فى هذه المقامة من الفوائد
٤١٣	خاتمة
٤١٤	فصل اعلم أن البلغاء طبقاتهم العليه الخ
٤١٥	طبقات الشعراء
٤٢٥	تتمة وفائدة مهمة فى الكلام على الاغراق

هـذا كـتاب ريحانة الالبا وزهـرة
الحياة الدنيا للاريب الكامل والاديب
الفاضـل شهاب الدين محمود
الخفاجي نفـعنا الله
بعــــلومه

آمين

مولف هذا الكتاب هو الشهاب احمد بن محمد بن عمر قاضي القضاه الملقب
بشهاب الدين الخفاجي السرياقوسي المصري الحنفي المتوفي يوم الثلاثا
ثاني عشر شهر رمضان سنة تسع وستين والف وقد اتى فاغنى عن التعيين
كما في خلاصة الاثر بتاريخ القرن الحادي عشر وما كتب اعلاه بان اسمه محمود
فهذا خطأ صريح وجهل ممن وضعه والشهاب محمود غير صاحب هذا
الكتاب ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ينسب لهذا الكتاب لعدم
معرفة في خمسمايه نسخة طبعت منه ونشرت على الجهات كتبه عبد الحميد نافع

هذا [illegible]
١٢٠٣



حمدا لمن سرّح عيون البصائر فى رياض النعم * رياض زهت فيها رياحين العقول وتفتحت بنسيم اللطف انوار الحكم * فاجتنت منها ايدى المنى فواكه الارواح * واقتطفت شقيق الشقيق من بين اقاحى الصباح * والندى طرّز برد النسيم بلاله * لما رأى مجامر الزهر تحت اذياله

من قبـل أن ترشف شمس الضحى * ريق الغوادى من ثغور الاقاح

وأشكره شكرا يطوّق جيد البلاغة نظيم عقوده * وينسج ببنان البيان على منوال البراعة رقيق بروده * على نعم لا تفنى من معادن الوجود جواهرها * ولا تذوى من خمائل الفصاحة ازاهرها * ونهدى صلات الصلاة لناظم عقد الدين بعد نثره * المؤيد بآيات لا يزال يتلوها لسان الدهر ولو طار نسر السماء من وكره * وكلت دونها ألسنة أسنة الطاعنين * وحميت حديقتها بشوكة الاعجاز فلم تلمسها يد أفكار المعارضين * فصار السابقون فى حومة البلاغه * الماهرون فى صناعة الصياغه * ما بين ساكت ألفا * وناطق خلفا * ومشمر ذيله * ومدّرع ليله * نسر بل سابغة دجى * فتيرها نجوم ليل دجا * حتى اشتفت

نفس

نفس الاسلام من دائهم * وزال كلب الكفر بما اريق من دمائهم * فبيوتهم خاويه * ونفوسهم على اثر تلك البيوت قافيه * وعلى آله الذين تفتحت لهم كمائم المعاقل عن زهر النصر * وتحلى بعقود عهودهم جيد كل عصر

لجنوا لهم ثمر الوقائع يانعا * بالغزمن ورق الحديد الاخضر

لازالت سحب الرحمة المطنبة بالقطر مخيمة على مراقدهم * ولا برحت تحايا المزن مهيمنة بلسان الرعد على معاهدهم * ماسقى غدير المجرة روضة السماء * وزها نرجس النجم تحت بنفسج الظلماء * هذا واني كنت قبل ان تشيب مني الخطوب الذوائب * وتصبح كبدي وأحشاءي بلظى النوائب ذوائب * والزمان ربيع * وروض الشباب مريع * اعدّ الادب عنوان صحائف الشمائل * وبيت القصيد في ديوان المآثر والفضائل * انفق نقد عمري في اقتنائه واقتناص شوارده * وأملأ صدف المسامع مما يستخرج غواص الافكار من فرائده * وأشيم بارقة السحر من نفثاته * وأشم عبير السرور من أردان نسماته * وأرتشف من طبعي ما ينم على سر الزجاجة * واشتف منه ما اسأرته الجدود من ذؤابة خفاجه * صبابة مجد لم يكدرها في جام المشارب * ورد الخطوب وازدحام الشوائب

فاني من العرب الاكرمين * وفي اول الدهر ضاع الكرم

ومازلت على هذا الحال * مذ فارقني الحال * لادأب لي الا تلقي وفوده لاستهداء تحف الاخبار * التي هي ألطف من دمع الطل في وجنات الازهار

ومن يسأل الركبان من كان نائيا * فلا بدّ أن يلقى بشيرا وناعيا

من أحاديث يشتفى بها الغليل * ويصح مزاج النسيم العليل * تتفتح منها في رياض المسامره * من أجفان الكمائم عيون أنوارها الزاهره * ويحسو فم السمع منها ماء حياة يطيل عمر المسرّه * وتكتحل منها المآثر بما هو لعيونها قرّه * من كل من هو لتشييد المجد اكرم باني * حتى تكفل الثناء له بعمر ثاني * يشيب في وجه السماء حاجب القمر هلالا * ويشتعل منه رأس الشمس شيبا ولم نر له مثالا

اذا ماروى الانسان اخبار من مضى * فتحسبه قد عاش من اوّل الدهر
وتحسبه قد عاش آخر دهره * الى الحشر ان ابقى الجميل من الذكر

قوله وعلى آله الاليق بسابقه أن يقول ولا آله اهـ

فقد عاش كل الدهر من عاش عالما * كريما حليما فاغتنم أطول العمر

وسواء تلفت المريض للطبيب * وفرحة الاريب بلقى الاديب * لاسيما اهل العصر * الهاصري أغصان المنى ألطف هصر * القائلين في غياضها * الواردين غير حياضها * فقد سرت كلماتهم مسرى الارواح في الاجساد * وأثنى عليها ثناء نسيم الرياض على العهاد * وقد انتصر لكل عصر من أحيا ميته * وعمر من دارس عهوده بيوته * كصاحب اليتيمة وقلادة العقيان * والدمية والذخيرة وعقود الجمان * وحمية المرء لعصره * وقيامه على منابر نصره * من آيات الفتوه * التي هي على لسان الحمية متلوه * فليس منا من لم يغتذ بدر المجد في مهاده * ولم يفتخر في المحافل باستاذه واسناده * الا أن الادب في هذه الاعصار * قد هبت على رياضه ريح ذات اعصار * حتى أخلقت عرى المحامد * واسترخى في جريه عنان القصائد * وتقلصت أذيال الظلال * وخطب البلاء على منابر الاطلال * وعفا رسم الكرام * فعليه مني السلام

ومما أعان على الزمان * عفاف يدي وعلو الهمم

والرؤساء شعراء لا ينظمون ولا ينثرون * وليس فيهم من صفات الشعراء الا انهم يقولون ما لا يفعلون * واذا كذب مادح أحدهم اهتز وطرب * وجازى من سراب وعده بكذب على كذب * وبالوعد الفطير لا يخمر الخبز * وبا حسنت لا يباع الشعير * وبرعد الوعد * لا يسقى غرس الحمد

فلا تلوموه في وعد يردده * في وقت مدحي له علمته الكذبا

ومع هذا فكم هبت لهم أنفاس معطرة بالنجاح * مزرية في وقتها بأنفاس الصبا في الصباح * يهزها السماح هيف معاطفه * وينشر تحت أقدامها الزمان بساط عواطفه * تمسك كف الشمال بأذيالها * وتتفيأ العشاق في هجير الاشواق صافي ظلالها * وترد صافي زلالها * من كل حديث تليد وطارف * له وشي على كاهل المجد ولا كوشي المطارف * تزهو به الطروس على صفحات الخدود المحسنات بالسوالف * في كل ورقة منها خمائل * تسوغ مياه فصاحتها في لهوات الجداول

تكاد يدي تندى اذا ما لمستها * وينبت في اطرافها الورق الخضر

من

من كل من ألحق المتأخر بالمتقدم فى تطبيق مفاصل معانيه * واخراج محباآت عطره من جونة مبانيه * وان تأخر عصره فلا باس * فى تأخر النتيجة عن القياس * والخدم تتقدم بين يدى الساده * والسنن أمر بتقديمها على الفروض فى العبادة * وتقدم الآحاد * يرقى مرتبة الاعداد

اوما ترى أن النبى محمدا * فاق البرية وهو آخر مرسل

فيا ادلاء الهدى انى آنست من جانب الطور نارا بها تهتدون * أو آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون * فان لم يترك الاول شيأ للآخر * نخبر من الكثير الغائب القليل الحاضر * ويا من هم فى محيا الايام حسنة * لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة * فلا يزرى بالنور تأخره عن غراس أغصانه * ولا يكل مضاء السنان كونه فى أطراف مرانه * على انه قد تتساوى الاصائل والبكر * وتتشابه طرر العشيات والسحر * وليس الا الحسد رغبة الطبائع * عن محاسن لاهل العصر هى ملء الافواه والمسامع

وما شكرهم للميت الا لانه * بما حل فى أيديهم غير طامع

ولله در ابن رشيق فى قوله

أولع الناس بامتداح القديم * وبذم الجديد غير الذميم
ليس الا لانهم حسدوا الحى فرقوا على العظام الرميم

والحى آن حل تيهاء باديه * فستغدو محاسنه على رغم الخمول باديه * ولنا فى ذمة الدهر ديون بأوقاتها مرهونه * فاذا جاء ابانها فك الزمان رهونه * على انى استغفر الله من دهركات فيه مرهفات الطباع * ونفضت الآمال فيه يدها من غبار الاطماع * وافنيناه على الهرم * وقد قلع ضرس الندم * بعد ما اكل باكورة الكرماء * وشابت بالاصباح لياليه الدهماء * ودب خرفا على عصا الجوزاء * وكنت لما ذبل بالنوى عيشى النضر * وليت سياحة الآفاق فصرت خليفة الخضر * تهادتنى التنائف * وقذفتنى الامانى فى لهوات المخاوف * كانى قذاة بأجفان الدهر * اوسفاة بوجه نهر * أوكرة لاعب * أو سهم محارب * طورا أشق قلب الشرق كانى افتش على الفجر * وتارة امزق كيس الغرب حتى كانى اريد أن أخرج منه دينار البدر * افلى لمة ليل دجا * شاب فوقها فرق ابن جلا * يخيل لى أن البلاد مسامع أنافيها امر الملام * أو فكر بليد اتاحواله

معنى دق أن تتصوره الاوهام * غريب فى عيون الظنون * كأنى بيت حسان الثابت فى ديوان سحنون * أو مصحف فى بيت زنديق * أو عابد فى صومعة بطريق * أو بكر معنى سار فى مثل * أو غض عمر جرى خلفه رائد أجل * أو خبر لم يصح له سند * فلم يقبله من الثقات أحد

كان له دينا على كل مشرق * من الارض اوثارا على كل مغرب

أرد موارد الحوب * مكدرة بغصص الخطوب * فلم أرب بدو ولا حضاره * كأننى من الشهب السياره * وقد قيل تنزل الالقاب من السما * فلكل من اسمه نصيب انحط أو سما

وطنى حيث حطت العيس رحلى * وذ راعى الوساد وهى مهادى

فكل جولى بين ابراق وارعاد * وأمانى فى مهامه الحيرة بين اتهام وانجاد * والزمان بضمر سلب ما أولاه بخلا ان جاد * وألسنة أبنائه عن الاجابة صمت * وآذانهم عن صريح الاستغاثة صمت * فقد خلا من المكارم مغناها * وأصبح لا يجاوب البوم الاصداها * لكننى مع أهواله ودروس رسوم السرور فى اطلاله * وان توسدت ذراع الهم فى دياجيها * وقطعت ظلمة الشدائد فى سنى بدر أمانيها * أتعلل بأن السيف لا يقطع فى قرابه * والليث لا يصل لغرض الفرائس فى غابه * ولولا مفارقة القوس ما أصاب سهم * ولولا بعد الدر عن الصدف لم يظفر من الغيد بأوفى سهم * فلذلك اضاحك مباسم الامانى * وأغازل عيون الآمال والتهانى * وأنزه طرفى فى رياض الدفاتر * ولم أقل مع السرور الا فى ظل طائر * فزمان مسرتى أقصر من عمر الكرام * وفؤادى لم يهتد الى طرق سلوة المدام * فى أوقات أثقل من السؤال * وأطول من عمر الآمال * أشأم من وجه خناس * وأثقل من غريم ملح على افلاس * ولم يكف الدهر ما ورثنيه من الحرمان * حتى ابتلانى بعد الاثبات بالنفى كأنى نكت اتم الزمان * وأنا استغفر الله جل وعلا * ولا أرتضى بعرة أبى العلا * فى قوله

اذا ما ذكرنا آدما وفعاله * وتزويجه بنتيه لابنيه فى الخنا

علمنا بان الناس من نسل فاجر * وان جميع الخلق من عنصر الزنى

فانه كفر من وسوسة الشيطان * وغلو منه فى خلعه ربقة الايمان * بل أقول

ما

ما قال ابن عنين

انفوا المؤذن من بلادكم * ان كان ينفى كل من صدقا

وللحسين بن أبى عقابة فى الرد عليه (اى على ابى العلاء)

لعمرى أما فيك فالقول صادق * وتكذب فى الباقين من شط أودنا

كذلك أقرار الفتى لازم له * وفى غيره لغو كذا جاء شرعنا

فلا سمير لى أجالسه * ولا نديم لى أوانسه * سوى أوراق كنت خلعت عن منكب الاقبال بردها الخليع * وجعلتها كبيت العروض ادخارها للتقطيع * فوجدت فيها نبذة من المحاسن أسرها الدهر فى خاطره * شاهدة لقول معدن الحكم امتى كالمطر لا يدرى الخير فى أوله ام فى آخره * ممن جر عليه الزمن اذيال الفناء * واسكنه تحت اطباق الثرى * فحل مخيم البلا كانه سر فى صدره * ومن باق على هامة الليالى تعبق أنفاس الرواة بذكره * ممن ركبت لرؤياه مطايا امّ عمرى * أو نابت عنى فى مشاهدته أهل عصرى * فاجتلوت محياه * أو رأيت من رآه * حتى طربت على الاستماع * وعلمت أن الذكرى طيف الاجتماع * واذا كان الحب ممنوع * فالصب قنوع * يتعالل ببارقة سنيه * وتكفيه لمحة اشارة أو تحيه

فان تمنعوا ليلى وطيب حديثها * فلن تمنعوا منى البكا والقوافيا

فهلا منعتم اذ منعتم حديثها * خيالا يوافينى على النأى هاديا

فجمعت منها ما هو لطرف الدهر حور * ولجيد الادب عقد يتبسم منظومه هزؤا بعقد الدرر * ولكاس الادب ختام * ولعقد حبابه نظام * تذكر العهود والموده * وتطلع فى وجنة الوفاء ورده * وتندب من ألقى للبلاء قياده * وتلبس عليه وجه الطرس حداده * وتسيل فى عاتق المحاسن غواليا * وترق فلا يدرى ألفظ رق أم دمع ترقرق جاريا * وتسجد الاقلام فى محراب طرسها الذى هو للمحاسن جامع * ويود كل عضو اذا تليت أحاديثها لو أنه مسامع * وهى وان كانت عقدا ينتثر دره * وأفقا تبدد بيد الصباح زهره * ونورا انتشرته كف الشمال * فانتظم على ترائب الماء السلسال * فلربما نثر العقد المفصل * ليعود أحسن فى النظام واجمل * فهذه ذخائر من خبايا الزوايا * فيما فى الرجال من البقايا * تنفس الدهر بها عن نفحة عنبريه * وهبت بها أنفاسه الندية نديه *

تنفس الروض فى الاسحار * عن أفواه النور والازهار

بسرى على ريحانها نفس الصبا * سحرا فيوهم انه ذكراها

فلذا اسميتها (ريحانة الالبا وزهرة الحياة الدنيا) فانى شممت بها روائح الشباب * ونظرت فى مرآتها وجوه الاحباب * وتذكرت غابر الايام * اذ العيش غض والزمان غلام * من أعلام شم الانوف ان دعى بهم بنو الصغار تشمخ * فى غرر أيام تقام بها مواسم الدهر وتؤرخ * وجعلت مسك الختام * ذكر سادة من العلماء الاعلام * فانه بصبا أنفاسهم ينقشع غمام الغمه * وبذكرهم فى نادينا تتنزل الرحمه * فان عذبت مواردها * فلتقرن بالدعاء فرائدها * فان عثر منها على كبوه * فليبذل لها اللبيب عفوه

على اننى راض بأن أحمل الهوى * وأخلص منه لا علىّ ولا ليا

وها أناذا امتع الاسماع * بربيع أحوى الظلال ألمى التلاع * فاذا رأيت كلاما لاهل العصر لم تترنح أعطافه لهذا النسيم * فتمتع من شميم عرار نجد فما بعده من شميم * فليس من ليلى ولا سمره * ولا مما يهدى النساد من الادب باكورة ثمره * فكم من اشعار * للبخيل فيها أعذار

تالله ما بخل الكرام وانما * لبرودة الاشعار قد جمد الندا

فما كل مرتفع نجد * ولا كل واد ينبت الشيح والرند * وما كل سوداء تمره * ولا كل صهباء خمره * ولا كل بيضاء شحمه * ولا كل حمراء لحمه * ولا كل نبت يعلو بنمائه * ولا كل برق يجود بمائه * اللهم بحرمة سيد الانام * كما يسرت الابتداء يسر الختام * صارفا عنا سوء القضاء * ناظرا الينا بعين الرضاء

(القسم الاول)

فى محاسن أهل الشام ونواحيها * ومن برز من سرة رباها وبطن واديها * وتغذى بنسيمها * وتربى فى حجر رياض نعيمها * وقال فى ظلال أغصانها المتعانقة هوى وودا * وتعطر بأنفاس شمائلها التى صارت للند ندا * وطعم من مائها العذب * وروى بذوب لؤلؤها الرطب * وهو ماء الحياة فى سائر الصفات * الا انه فى نور التقديس وهو فى الظلمات

(احمد العنايانى) صديق الصدق وخدن الصلاح * شقيق الندى وترب السماح * روض سجيته غض ناضر * لو رآه المتنبى لقال ما هذا

(احمد العنايانى)

الاساحر

الاماحر * خلب الاسماع بنفاثاته * ونسج على منوال الرقة حلل عناياته * ذو حسب تليد * وباع فى المجد طويل مديد * لم يسطر مثل محاسنه فى كتاب الزمان * ولم تملأ بأنفس من جواهره حقاق الآذان * فيالها جواهر اذا شاهدها مفتقر الى البيان * أغناه ياقوتها وجوهرها عن خرائد جمعت له بين الحسن والاحسان * مخبرها بطيب * ومنظرها كبدر على قضيب * تغرد على قضب يراعته براعة حمائمها * وتفوح أنوار بلاغته اذا فضت الطروس عنها صحف كمائمها * طلعت شمس الادب من افق أشعاره * وتفجرت ينابيعها من خلال آثاره * وهو الآن فى جبهة الشام غرّه * وفى حدائقها النضرة زهره * وفى سماء كمالها الزاهية زهره * وقد حلى بحلل الزهد كماله * ورأى برأيه الصائب أسماله أسمى له * لم يحتفل بأمر غد * قانعا بظل الخمول نكدا أم رغد * قائلا فى شمائله الرحاب * عف السريرة طاهر الاثواب * لم يشبرق بسؤال * ولم يغص بندامة الآمال * ولم يألف سكنا * ويتوطن مسكنا * كما قيل

ومن عجب ان أكون شاعرا * وليس لى فى الناس بيت يعرف

كما وصف زيه فى قصيدته الزائية بقوله

اذا لم أعز فمن ذا يعز * وفقرى وقنعى كنز وحرز
لبست من اليأس فى الناس ثوبا * عليه من العقل والفضل طرز
ولست أرى الذل الا اذا كا * ن فى الحب والذل فى الحب عز
ومثلى حر غناه عباه * اذا استعبد الناس خز وبز

(ومن غرره قوله)

قلبى على قدّك الممشوق بالهيف * طير على الغصن أم همز على الالف
وهل سويداؤه خال بخدك أم * خويدم أسود فى الروضة الانف
وهذه غرة فى طرة طلعت * أم بدر تم بدا فى ظلمة السدف
تخفى النجوم بنور البدر وهو بنو * ر الشمس وهى بنور منك غير خفى
يابدر قلبى وطرفى فيك منتصف * بالوصل منك وهذا غير منتصف
القلب واصلت فيه وصل ممتزج * والطرف صدّيت عنه صدّ منحرف
ظبى تألفت منه غير ملتفت * غصن تعطفت منه غير منعطف
شفاء حر غليلى برد ريقته * والبرء من دنفى فى لحظه الدنف
ويلاه من ورد خد غير مقتطف * منه ومن خمر ريق غير مرتشف

عـذلت عاشق عـذلى فى محبته * فاعجب لذى شغف يلحى على الشغف
يظن أن سواه منـه لى خـلف * أساء بى الظن هل للروح من خلف
عذرى عشقى عذرى فيه متضح * كوجهه وهو مثل الشمس فى الشرف
فنيت سقما بخصر منـه مختصر * فيـه وطـرفى ونومى غـير مختلف
يطـير قلبى الى ألحاظه شغفا * فاعجب له كيف يرمى السهم بالهدف
ياأيها الرشا الضارى على مهج الاساد بالسيف من جفنيه لم يخف
بما بحسنك من تيه ومن صلف * وما بعشقى من ذل ومن كلف
الله فى كبد للوجد فى كمد * اليك أسرف فيها الشوق فى السرف
ومغرم ماله من مسعف اعبث * به اللواعج لعب الريح بالسعف
أشفى محاق الضنا لما هجرت به * على التـلاف ولو واصلته لشفى
ياباخـــلا بلقاه باذلا لدمى * فالوعـد يخلف منـه والوعيد يفى
حزت الجمال ألا تولى الجميل فقد * يصادف الحسن بالاحسان فى الصدف

(تتمة) اعترض على هذا المطلع بأنه لا وجه لتشبيه القلب بالهمز واجيب بان له وجها هو أنه وقع تشبيهه بالطائر لخفقانه وهـم قد شبهوا الطير على الغصن بالهمز والغصن بالالف ولما شاع هذا شبه به القلب وقد الحبيب وهذا فى باب التشبيه كالمجاز على المجاز والكناية على الكناية كما قيل فى وصف قصيدة همزية

والقوافى اليك حنت حنينى * فتأمل فهمزها ورقاء

وقوله والبرء من دنفى الخ معنى مشهور كقول ابن مطروح

اشتكى سقمى الى أجفانه * ومتى يشفى سقامى يسقم

وقوله

ورنى الى بطرفه فكأنما * أهدى السقام لمدنف من مدنف

وقول ظافر الحداد

مريض لحاظ الطرف لولا جفونه * لما كنت أدرى السقم كيف يكون

وأصله قول المتنبى

أعارنى سقم عينيه وحملنى * من الهوى ثقل ماتحوى مآزره

وقوله فاعجب له كيف يرمى السهم بالهدف نوع من البديع يسمى العكس بديع فى بابه وهو كقول الذهبى

يطير فؤادى لالحاظه * غراماوشوقاوفيهاالتلف
فيامن رأى قبلهااسهما * يطيراشتياقااليهاالهدف

ونحوه قول ابن نباتة المصرى

صيرت نومى مثل عطفك نافرا * وتركت عزمى مثل جفنك فاترا
وسكنت قلباطارفيك مسرة * أرأيت وكراقط أصبح طائرا

ومماأنشدته له قوله أيضامن قصيدة

ياأيها الملأ الملاح افتونى * من ذا اباح لكم دم المفتون
من كل أسمرسن قتل محبه * بسنان أحورطرفه المسنون
قرله فى القلب أشرف منزل * انّ المكان مشرّف بمكين
روض نضير لم يرده ناظر * الاورد عيونه بعيون

العيون جمع عين بمعنى الباصرة وبمعنى الجاسوس

يحمى بنرجسه أقاحى ثغره * ويصون وردالخدّ بالمرسين
وحياته وهى اليمين وانها * وحياته عندى أبرّ يمين
ماخنته انى وشخص جماله * حيث اتجهت على مثل امين
قرن الودادله فؤادى بالاسى * اكذا يجازى ودكل قرين
فاترك حديث شجون من قتل الهوى * قبلى وخذمنى حديث شجونى
قسمالوان العامرى معمر * ماجن الامجبا بجنونى
والعقل منى ضاع فى ثغرله * فيه الثنايابين ميم سين
ياذاالملاحة والذى بجبينه * فى كل ليل ملامة يهدينى
لايطرقنّ اللوم باب مسامعى * وعليه من صدغيك كالزرفين
ياالائمى لك فى الملامة دين الـ * ـسواهى كالى فى الصبابة دينى
لم يخطرالسلوان عنه بخاطرى * الاوردّ من الجوى بمكين
كم خضت بحرالموت دون وصاله الـ * ـغالى ولم ال قانعابالدون
وشفيت حرّالوجد من بردالما * علمابان الماء لا يشفينى
متعجبا من خده بالماء ير * وينى أسا وبناره يوربنى
وبخط عارضه أساوراقا * منه فأقرأ منه مايرقينى
ويظننى حاشاه أسلو حبه * والله من ظن العذول يقينى

وهى عرائس قصيدة الرئيس أبى منصورعلى ابن الفضل الكاتب المعروف

بصدر در

أكذا يجازى ودّ كل قرين * أم هذه شيم الظباء العين
قصوا على حديث من قتل الهوى * انّ التأسى روح كل حزين
ولئن كتمتم مشفقين فقد درى * بمصارع العذرى والمجنون
فوق الركاب ولا أطيل تشبها * بل ثم شهوة أنفس وعيون
هزت قدودهم وقالت للصبا * هزوا أعند البان ميل غصون
ووراء ذيالك المقبل مورد * حصباؤه من لؤلؤ مكنون
أما بيوت النحل بين شفاههم * منضودة أو حانة الزرجون
ترمى بعينيك الفجاج مقلبا * ذات الشمال بها وذات يمين
لو كنت زرقاء اليمامة ما رأت * من بارق حيا على جيرون
شكوال من ليل التمام وانما * أرقى بليل ذوائب وقرون
ومعنف فى الوجد قلت له اتئد * فالدمع دمعى والجفون جفونى
ما نافعى ان كان ليس بشافعى * جاه الصبا وشفاعة العشرين
لا تطرقن تجلا للومة لائم * ما أنت أول حازم مغبون
أأسومهم وهم الاجانب طاعة * وهواى بين جوانحى يعصينى
دينى على ظبياتهم لا ينقضى * فبأى حكم يقبضون رهونى
وخشيت من قلبى الفرار اليهم * حتى لقد طالبته بضمين
كل النكال أطيق الاذلة * ان العزيز عذابه بالهون
يا عين مثل قذا الرؤية معشر * عار على دنياهم والدين
لم يشبهوا الانسان الا انهم * متكونون من الحما المسنون
نجس العيون فان رأتهم مقلتى * طهرتها فنزحت ماء عيونى
انا ان هم حسبوا الذخائر دونهم * وهم اذا عدوا الفضائل دونى
لا يشمت الحساد أن مطامعى * عادت الى بصفقة المغبون
ما يستدير البدر الا بعد ما * أبصرته كالضمر فى العرجون
هذا الطريق اللعب زاجر ناقتى * واليم قاذف فلكى المشحون
فاذا عميد الملك حل بربعه * ظفرا بفأل الطائر الميمون

قوله أأسومهم وهم الاجانب طاعة البيت هو من قول البحترى

ولست أعجب من عصيان قلبك لى * عمدا اذا كان قلبى فيك يعصينى

ومنه

(وبعده)
ان اذا ما العزم حث جياده
مرحت بأزهر شامخ العرنين

ومنه قول الشريف الرضى

اروم انتصافى من رجال أباعد * ونفسى أعدى لى من الناس أجمعا

اذا لم تكن نفس الفتى من صديقه * فلا يحدثن من خلة الغير مطمعا

وأصله من قول بكر بن حارثة

قلبى الى ما ضرّنى داعى * يكثر أسقامى وأوجاعى

كيف احتراسى من عدوى اذا * كان عدوى بين أضلاعى

وقوله ياعين مثل قذا الرؤية معشر الخ هو معنى بديع وقد سبق اليه قال الثعالبى اتفق لى فى زمن الصبا معنى بديع لم أسبق اليه وهو

قلبى وجدا مشتعل * وبالهموم مشتغل

وقد كستنى فى الهوى * ملابس الصب الغزل

انسانة فتانة * بدر الدجا منها خجل

اذا زنت عينى بها * فبالدموع تغتسل

وقد سبقه ابن هند فى قوله

يقولون لى ما بال عينيك مذ رأت * محاسن هذا الظبى أدمعها هطل

فقلت زنت عينى بطلعة وجهه * فكان لها من صوب أدمعها غسل

قال أبو على الفارسى لست أعجب من توارده وانما أعجب من قوله لم اسبق اليه وقد قال أبو الطيب فى الحمى

اذا ما فارقتنى غسلتنى * كأنا عاكفان على حرام

وقد سلم من شناعة ذكر الزنا * ومافى قبح لفظه من الخنا * فمعنى ما قاله أصح لانه ذكر فى هذا الشعر من نفسه وزائرته ذكرا وانثى جرى بينهما ما يقتضى الغسل وان قيل ان قوله عاكفان على حرام من لغو الكلام وهما ذكرا زانيتين اثنين ولو قال زنى ناظرى أو لحظى كان أحسن قلت هذا كله كلام ناء عن حسن الادب وهو سخف ولكن أى الرجال المهذب ومع ذلك فقد وقع هذا فى كلام من تقدمهم ومعناه أفصح * وديباجته ألطف وأوضح * كقول يزيد بن معاوية

وكيف ترى ليلى بعين ترى بها * سواها وما طهرتها بالمدامع

أجلك يا ليلى عن العين انما * أراك بقلب خاضع لك خاشع

ثم مشى على أثرهم الناس وولد وامعانى لاتحصر كقول السراج الوراق

يانازح الدار من نومى يعاودنى * فقد بكيت لفقد الظاعنين دما
أوجبت غسلا على عينى بأدمعها * فكيف وهى التى لم تبلغ الحلما

(محمد الصالحى الهلالى)

همام بعيد الهمه * قريب منال مياه الجه * له درارى شيم هى غرر دهم الليالى * وبنات أفكار لم ترتضع غير در المعالى * فلا أقسم برب المشارق والمغارب * انها شموس لم تزل طالعة من سماء المناقب * وهى الآن شامة فى وجنات الشام * وروضة تفتحت أنوارها بثغور ذات ابتسام * ومن سنته الاعتزال عن الناس * وتقديم الوحشة على الاستئناس * منقطعا لاقتطاف ثمرات العلوم * يمد لقرى الاسماع موائد المنثور والمنظوم * فى زهد متحل بخلاله * تدق صفات المدح عن معانى جلاله * بعزم هو أبو العجب * لو قدح زنده لهب له لهب * وخط تسر به النفوس * وتوشى بديباجه الطروس * (شعر) *

خط زهت أزهاره * كالروض ينبته السحاب

وشعر هشقيق الرياض * المطردة الحياض * تستخرج الجواهر من بحوره * وتحلى لبات الطروس بقلائد سطوره * لم يصرفه لمدح كريم * ولا تغزل بمليح كريم * ولعمرى انه قطع منه ميدانا لم يصل اليه الكميت * ونقى ألفاظه وهذب معانيه فلم يقل فيه لو ولاليت * وبالجملة فهو فى عصره امام الادب المقتدى به * والبليغ الذى لا تثمر أغصان الاقلام الافى رياض آدابه * ولما قدم القاهرة أفاض على لباس مودة لم تبل عهودها * الاحبذا أخلاقها وجديدها * وورق الدنيا خضر * وعود الشباب غض نضر * والادب لم يعف مناره * ولم تخبأ ناره وأنواره * لا كاليوم اذ حام قوم حول حماه * فوقعوا فى ظلمات ليس فيها عين الحياه * وهو اذ ذاك استاذ وملاذ * تذوق أفهامنا من موائد فوائده أنواع الملاذ * فأتحفنى بطرف أشعاره * ونزه احداق فكرى فى حدائق آثاره * فاسكر سمعى بسلافة ادارتها كؤوس بيانه * وتقلدت بمذهب البحترى فى اجتناء الورد من أغصانه

واسمعه ممن قاله تزدد به * عجبا فحسن الورد فى أغصانه

* (محمد الصالحى الهلالى) *

طالعت له فصلا فى ديوانه الذى سماه صدح الحمام * فى مدح خير الانام * ذكر فيه نبذا من صفاته * ومعاهد انسه ولذاته * ومسارح آرام تربه ولداته * هو انى لما نشات بمكة المشرفة * والاماكن التى هى بالجوزاء ممنطقة وبالثريا مشنفة * وكسانى الزمان قشيب بروده * وطفقت أرفل ما بين عقيق الجاوز وروده * وغصن الصبا بأيام السعادة مورق * وبدر الشباب فى سماء الكمال مشرق * لادأب لى الا توسم وفود العلوم فى سوق عكاظها * ولاشغل لى الا استكشاف وجوه المعانى المخبأة تحت براقع ألفاظها * ثم لما بطلت حركة الدور * وتنقل الزمان من طور الى طور * أعملنا حروف النجائب تنص بنا البيداء فى سراها * واطمنا خد الارض باخفافها الى أن براها السرى فى براها * فكم جاوزنا جبالا شوامخ زاحمت بمناكبها أكناف السحائب * وذرعنا بأذرع الناجيات شقة قفر لم تطوالا بأيدى الركائب * فكم من راسلته وراسلنى برائق شعره وسجعه * وأدار وأدرت كؤوس قوافى شعرى على أفواه سمعه * وزففت عليه عرائس أفكارى استجلابا لوداده * وتلوت عليه غرائب أسمارى استقداحا لوارى زناده

وهن عذارى مهرها الود لا الندى * وما كل من يعزى الى الشعر يستجدى

انتهى فهذه نبذة من نثار نثره * وسأقرط سمعك بجواهر شعره * وكنت كتبت له قصيدة تائية ملغزا من شعر الصبا * الذى يحسد مهلهل برده فى رقته نسيم الصبا * لا كما قال الباخرزى هو التمر باللبا * فهو باكورة ثمرات الاداب * بل الروض الاريض الذى سقى بماء الشباب * فأجاب وأجاد * وصفى من قذى الكدر موارد الوداد * وها هى كواكبها المشرقة فى دياجى نقسه * وثمراتها الزاهية فى رياض طرسه

طالت وقد قصرت عنها العبارات * وحازت الحسن هاتيك البراعات
غراء فائقة باللطف رائقة * تحلو الخلاعات فيها والصبابات
اخت الغزالة اشراقا وملتفتا * لها لدى السمع لذات ونشات
نسيبها اطرب الاسماع موقعه * ومدحها ماله فى الحسن غايات
كان حر معانيها ورقتها * فى لفظها الخمر تجلوه الزجاجات
يحلو المكرر من ألفاظها ولكم * مل المكرر طبعا والمعادات
أتت الى وبدر الفكر منخسف * وماله فى سما الادراك هالات

وللهموم اطراد فى الفؤاد كما * صمت عتاق المذاكى الجرد حلبات
أسامر النجم فى الليل الطويل ولا * اغفو وكم اعيون النجم غفوات
فقمت فى الحال اجلالا لها وسرت * عنى الهموم وزارتنى المسرات
وظلت منتصبا لما ارتفعت بها * وكان عندى بذل النفس كسرات
قبلتها ألف ألف ثم زدت فلم * أحسب وكم لكثير العد غلطات
وكان افق زمانى مظلما فبدا * فيه شهاب لنا منه انارات
شهاب علم ولكن نوره أبدا * بالذات ما عرضت فيه الاضا آت
غذى بدر لبان الفضل مذ زمن * فشب كالنار لا تعروه فترات
شيخ العلوم ومفتاح الفهوم وغلاب الخصوم اذا عنت ملاحاة
تاهت به أرض مصر وازدهت فلذا * قد كاد أن تحسد الارض السموات
قد شاد بيت العلا فوق السهى وله * من فوق ذاك مقامات عليات
تستن أقلامه فى الطرس من مرح * كأنها عند نفث السم حيات
فيها النقيضان من نفع ومن ضرر * ذاك الامانى اذ ذاك المنيات
مهما اغتدت طوع باريها ملازمة * للخمس تغدو لها فى الطرس سجدات
أشعاره الغر مثل الدر قد نظمت * منها عقود ولكن لؤلؤيات
ما ان حسا كاس سمعى من سلافتها * الا اعترتنى لفرط السكر نشوات
لله أحجية منه أتت فسرت * منها الى السمع نفحات ذكيات
واذكرتنى بان القد من سكنى * وبان بالبان من شكواى ميلات
والورق رقت لما ألقاه ساجعة * كأنها فوق غصن البان قينات
وأنت يا أفضل العصر الذى اجتمعت * فيه العلوم وفى الدهماء اشتلت
سامح اذا هفوة للذهن قد عرضت * فكم لمثلى بالتقصير هفوات
فسيف فكرى لا لاقيت فيه صدى * وكم له عند ما أجلوه نبوات
والجسم فى غربة والقلب فى وطن * لم تدنه منه أيام وليلات
والبال فى قلق والنفس فى شجن * يعتادها لفراق الالف زفرات
فأى شخص بهذا الوصف متصف * تطيعه من قوافى الشعر أبيات
بقيت مفرد علم للهدى علما * يجلى به الجهل عنا والضلالات
ودمت طود حجى فى الجود بحر ندا * تأتى اليه المعالى والكمالات
مالاح نجم على الخضراء متقد * ومارعته الجياد الاعوجيات

قوله منها الى السمع الخ فى نسخة
ن عودها الرطب

قلت

قلت فى قوله رعته استخدام لعوده الى النجم بمعنى الكوكب على ملاحظة معنى النبت وقد يتعدد ذلك كقول ابن الوردى

ورب غزالة طلعت * بقلبى وهو مرعاها
وقالت لى وقد صرنا * الى عين قصدناها
بذات العين فاكحلها * بطلعتها ومجراها

وقد يكون الاستخدام بالضمير من غير استتار أيضا كقوله تعالى وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره وقد يكون بالضمير المستتر فى حال ونحوها كقوله

بذات العين جارية * مكحلة وطالعة

وقد يكون بالتمييز من غير ضمير كقوله فى هذه القصيدة

اخت الغزالة اشراقا وملتفتا * وقد يكون باسم الاشارة كقولى
رأى العقيق فأجرى ذاك ناظره * وقد يكون بالاستثناء كقول البهاء زهير

أبدا حديثى ليس بالـ * منسوخ الا فى الدفاتر

فذكر النسخ بمعنى الابطال واستثنى منه بمعنى الكتابة وهو استثناء غريب يحتاج الى نظر دقيق فى ادخاله فى أحد نوعيه وله من قصيدة

فتجردت بيض الصفاح والبست * علق النجيع كحلة حمراء
والسمر مذ سقت الدماء زجاجها * أضحت ثمارا ارؤس الاعداء

(وله من اخرى)

كأنما الخيل فى الميدان أرجلها * صوالج ورؤس القوم كالاكر

ومن رسالة لابن عبد الظاهر أصبح الاعداء كأنما جزر أجسادهم جزائر يتخللها من الدماء السيل * ورؤسهم اكر تلعب بها صوالجة الايدى وارجل الخيل * وله من اخرى

سقى طللا حيث الاجارع والسقط * وحيث الظباء العفر ما بينها تعطو
يزيد همول الودق مرتجس له * بافنائه من كل ناحية سقط
ولو أن لى دمعا تروى رحابه * لما كنت أرضى عارضا جوده نقط
ولكن دمعى صار اكثره دما * فأنى يرجى أن يروى به قحط

(ومنها)

كأن انسياب الرمح فى الدرع سالخ * من الرقش فى وسط الغدير له غط

قوله والبيت الثالث هكذا فى النسخ والصواب الرابع

والبيت الثالث كقول مهيار

بكيت على الوادى فحرمت ماءه * وكيف يحل الماء اكثره دم

وقول الابيوردى

سقى الله ليل الخيف دمعى والحيا * أريد الحيا فالدمع أكثره دم

والاخير كقول المعرى توهم كل سابغة غديرا * فريد يشرب الحلق ادخالا

(وله من اخرى)

بالاح فى افق المحاسن اذ سرى * الا احمدت بليل طرته السرى
عقد الازار على كثيب من نقى * فغدا اصطبارى وهو محلول العرى
لاتذكر الغزلان عند كناسها * معه فان الصيد فى جوف الفرا

(وله ايضا)

الى كم أمنى القلب والقلب مولع * وازجر طرف العين والطرف يدمع
وحتى متى أشكو فراق أحبة * عفا بالنوى منهم مصيف ومربع
واستعرض الركبان عنهم مسائلا * عسى خبر عنهم به الركب يرجع
تصبرت عنهم وانثنيت اليهم * ولم يبق فى قوس التصبر منزع
أراعى نجوم الليل أرقب طيفهم * وكيف يزور الطيف من ليس يهجع
ومازلت أبكى لؤلؤا بعد بينهم * الى أن بدا مرجان دمعى يهمع
وما كان تبكى العين لولا فراقهم * عقيقا ولايشفى الفؤاد طويلع
فلا حاجر بين الاحبة حاجر * ولا لعلع مذ فارق الحى لعلع
غربن شموسا فى بدور أكلة * فليس لها الا من الخدر مطلع
وشابهن غزلان النقى فى نفارها * ولكنها بين الترائب ترتع
لها من مهاة الرمل عين مريضة * وجيد كجيد الظبى أغيد اتلع
ومن قضب البان الرطاب معاطف * تكاد عليها الورق تشدو وتسجع
وتغدو سيوف الهند لما تشبهت * بألحاظها فى الحرب تفرى وتقطع
ذكرتهم والقلب بالهم طافح * لبينهم والبحر كالليل أسفع
وما تنفع الذكرى لمن حبهم قلا * ووصلهم قطع وفيهم تمنع
ولا عجب فالبخل فى الغيد والدمى * طبيعة نفس ليس فيها تطبع
كما العلى كل جود وسودد * سجية ذات ليس فيها تصنع

(وله من اخرى)

وركب طلاح صاحبوا النجم فى السرى * ترامى بهم فى السير بيد وتعنف
يخوضون بحر الآل يطفو عبابه * طفو دياجى الليل والليل مسدف
كأن المطايا والأكلة فوقها * سفين بايدى الارحبيات تجدف

وكان له نديم أحدب يسمى أبا الخير يعده عيبة أسراره * وجهينة أخباره * وهو يدير عليه شمول وداده * ويجنى اليه من كل واد ثمرات فؤاده * وينشده ترجمان لسانه * عن محجب جنانه

ولقد جبلت على محبة وده * ما الحب الا للامام الصالح

جميع اخوانه اليه يلجاؤن * ومن كل حدب الى جرثومته ينسلون * خفت روحه فألقت بدنه خلفه ظهريا * واتخذت ماسواه شيأ فريا * كأنه خاف الخطوب * فهو متجمع حذر الوثوب

وما الدهر فى حال السكون بساكن * ولكنه مستجمع لوثوب

وله به عز أقعس * فى ربوة المعالى يغرس * وطبعه بالظرف ربيع أخصب * وفى أمثالهم أظرف من أحدب * فهو سنام اللطف وغاربه * وبحر أحدب الامواج بدائع بدائهه عجائبه * ولم يزل يعتام وداده * حتى قبضت جواهر عمره يد الدهر النقاده

كل ابن انثى وان طالت سلامته * يوما على آلة حدباء محمول

قلت ولم أسمع فى وصف أحدب ألطف من قول ابن المنجم فى ابن حصينة المصرى

يا أخى كيف غيرتنا الليالى * وأطالت ما بيننا بالمحال
حاش لله أن أصافى خلا * فيرانى فى وده ذا اختلال
زعموا انى نظمت هجاء * معربا فيك عن شنيع المقال
كذبوا انما وصفت الذى حزت * من الفضل والبها والكمال
لاتظنن حدبة الظهر عيبا * وهى فى الحسن من صفات الهلال
وكذاك القسى محدودبات * وهى انكى من الظبى والعوالى
واذا ماعلا السنام ففيه * لقروم الجمال أى جمال
وأرى الانحناء فى منسر البا * زى لم يعد مخلب الريبال
كون الله حدبة فيك ان شئـ * ـت من الفضل أو من الافضال
فأتت ربوة على طود علم * وأتت موجة ببحر نوال

ما رأتها النساء الا تمنت * لو غدت حلية لكل الرجال
وأبو الغصن أنت لاشك فيه * وهو رب القوام ذو الاعتدال
* عد الى ودنا القديم ولا تصـ * ـغ لقيل من الوشاة وقال
* وتذكر لياليا حين ولت * أودعت حسنها عقود اللآلى
* أترى بالدعاء يجمع شملى * أم رجائى مخيب وابتهالى
* واذا لم يكن من الهجر بد * فعسى أن تزورنا فى الخيال

وعلى هذا النمط نسج ابن دانيال قوله فى رجل أحدب يسمى حسانا

قسما بحسن قوامك الفتان * يا أوحد الامراء فى الحدبان
أنت الحسام زها برونق حدبة * فزها على الخطية المران
يا مخجلا شكل الهلال بقده * حاشاك أن تعزى الى نقصان
ومماثلا قد القضيب اذا مشى * من حدبتيه يميس كالريان
ماعاب قامتك الحسود جهالة * الا أجبت مقاله ببيان *
هل يحسن الجوكان الا أن يرى * مع أكرة فى حلبة الميدان
أوهل يزين المتن الا ردفه * حسنا فكيف بمن له ردفان
والعود أحدب وهو ألهى مطرب * ولقد سمعت بنغمة العيدان
وكذا سفين البحر لولا حدبة * فى ظهره لم يقو للطوفان *
واذا اكتسى الانسان قبل تمثلا * فى المدح قامت حدبة الانسان
ومدبر الاكسير يدعى أحدبا * فى علمه للقسط فى الميزان
يفديك فى الحدبان كل مكربح * يمشى الهوينا مشية السرطان
متجمع الكتفين اقنص قد بدا * فى هيئة المتجمع الصفعان

ومن بدائع ابن خفاجة الاندلسى فى ساق أحدب أسود قوله

وكاس انس قد جلتها المنى * فباتت النفس بها معرسه
* طاف بها محدودب أسود * يطرب من يلهو به مجلسه
* نخلته من سبج ربوة * قد أنبتت من ذهب نرجسه

ولعبد الله بن النطاح فى أحدب

قصرت أخادعه وغاص قذاله * فكأنه مستوقع أن يصفعا
وكأنه قد ذاق اول صفعة * واحس ثانية لها فتجمعا

واذ جرنا ذيل البيان * وسحبنا برد سحبان على الحدثان * فنقول قوله واحس ثانية الخ كقول ابن دانيال متجمع الكتفين الخ وهو معنى بديع فى بابه لان متوقع الضرب يتضاءل من خوفه ونظيره من يريد الوثوب يتجمع ليثب فهيئته كهيئة من يريد السكون ولقد أجاد صالح البشنتريني من شعراء المغاربة فى قوله

قوله البشنتريني فى نسخة الشير... فحرر

تحاذر احداث الليالى وقلما * خلا من توقيهن قلب أديب
ونرتاب بالايام عند سكونها * وما ارتاب بالايام غير اريب
وما الدهر فى حال السكون بساكن * ولكنه مستجمع لوثوب

وهو مأخوذ من قول الآخر

سكنت سكونا كان رهنا لوثبة * تنور كذا الليث للوثب يلبد

وقول الآخر

قد قلت ياقوم ان الليث منقبض * على براثنه للوثبة الضارى

وفى المثل الدهر ارود ذو غير قال الجوهرى أى يعمل عمله فى سكون لا يشعر به ويقال تلبيد خير من التصبى يقال لمن يتشاجع ويضرب مثلا للفرار كما قاله الاصمعى وفى معناه قولى

أقول للائم العقلاء جهلا * تنبه كم فساد فى صلاح
وكم رجع الزمان عن الرزايا * رجوع التيس أقعى للنطاح

(حسن بن محمد البورينى)

❁(حسن بن محمد البورينى)❁ ديباجة الدنيا ومكرمة الدهر * ونكتة عطارد التى يفتخر بها الفخر * حسنة اعتذر بها الدهر عما جنى * ودوحة فضل غضة الانوار والجنى * وزهرة الدنيا التى أنبتها الله تعالى برياض الشام نباتا حسنا * فجعل الادب لروض فضله سياجا * وأنار بدره فى سماء الكمال سراجا وهاجا * ولم تزل مسائلة الركبان تحفى بهدايا أخباره * ونسيم المسامرة يهب معطرا بنفحات آثاره * وأنا أومل اجتلاء بدره المنير * وهو على جمعهم اذا يشاء قدير * فمن نفحاته وغرر لمعاته قوله

يقولون فى الصبح الدعاء مؤثر * فقلت نعم لو كان ليلى له صبح
فيا عجبا منى أروم لقاءه * وفى جفنه سيف ومن قده رمح
وانسان عينى كيف ينجو وقد غدا * يطول له فى لج مدمعه سبح
وان كان يوم البين يسود فحمة * ففى نفسى نار وفى مهجتى قدح

وليس عجيبا أن دمعى أحمر * وفى كبدى قرح ومن مقلتى رشح

وفى البيت الاول معنى حسن قال انه ترجمه من الفارسى مع انه مشهور فى كلام العرب قديما وحديثا كقول ابن شبيب

هوى صاحبى ريح الشمال اذا سرت * واهوى لنفسى أن تهب جنوب *
يقولون لو عزيت قلبك لارعوى * فقلت وهل للعاشقين قلوب *

ومثله قول ابن أذينة

قالت وابثثتها سرى فبحت به * قد كنت عندى تحت السر فاستتر
ألست تبصر من حولى فقلت لها * غطى هواك وما ألقى على بصرى

وتابعه الباخرزى فقال من قصيدة

قالت وقد فتشت عنها كل من * لاقيته من حاضر أو بادى
أنا فى فؤادك فارم طرفك نحوه * ترنى فقلت لها وأين فؤادى

(وللبهاء زهير)

جعل الرقاد لكى يواصل موعدا * من أين لى فى حبه أن أرقدا

(وللعربجى)

وزعمت أن الدهر يعقبنى * صبرا عليك وأين لى صبر

وفى معناه قولى

يقولون لى لم تبق للصلح موضعا * وقد هجروا من غير ذنب فمن يلحى
صدقتم وأنتم للفؤاد سلبتم * ومالى قلب غيره يطلب الصلحا

(وقلت أيضا)

مذ أودعوا قلبى سر الهوى * خافوا من الواشى على حبى
فانتهبوا قلبى ولم يقنعوا * بالقلب حتى أخذوا لبى

عودا على بدء وله أيضا

وكنا كغصنى بانة قد تألفا * على دوحة حتى استطالا واينعا
يغنيهما صدح الحمام مرجعا * ويسقيهما كأس السحائب مترعا
سليمين من خطب الزمان اذا سطا * خليين من قول الحسود اذا سعى
ففارقنى من غير ذنب جنيته * وأبقى بقلبى حرقة وتوجعا

عفا الله عنه ما جناه فانني * حفظت له العهد القديم وضيعا

(وله أيضا)

أحوّل وجهى حين يقبل عامدا * مخافة واش بيننا ورقيب
وفى باطنى والله أعلم أعين * تلاحظه فى أضلع وقلوب

وهذا مما تداولوه كثيرا كقول ابى عبادة

أحنو عليك وفى فؤادى لوعة * واصد عنك ووجه ودى مقبل

وقوله أيضا

حبيبى حبيب يكتم الناس حبه * لنا حين تلقانا العيون قلوب
يباعدنى فى الملتقى وفؤاده * وان هو أبدى لى البعاد قريب
ويعرض عنى والهوى منه مقبل * اذا خاف عينا أو أشار رقيب
فتنطق منا أعين حين نلتقى * وتخرس منا ألسن وجنوب

ولابى تمام

ولذاك قيل من الظنون جلية * علم وفى بعض القلوب عيون

وأحسن منه قولى

تنازع فيه الشوق قلبى وناظرى * فاثر فيه الطرف والقلب واجب
وتنظره من قلبى الصب أعين * عليها لحنى الضلوع حواجب

وله فى ترجمة معنى من الفارسية

ورق الغصون دفاتر مشحونة * مملوءة بأدلة التوحيد

وله أيضا قوله

الناس نحو معادهم ومعاشهم * يسعون فى الاصباح والامساء
وأنا الذى أسعى للذة نظرة * من وجهك المزرى ببدر سماء
والناس يخشون الصدود وانما * أخشى سلمت شماتة الاعداء

وأحسن من هذا قولى فى رباعية

ما بى مهما رضيت عنى باس * والصبر بمرهم لجرحى آس
لكننى أختشى اذا طال نوى * أن يشمت فى الرجا منى الناس

(وله أيضا)

أما ينقضى هذا الغرام من القلب * أما ينطوى هذا الملام من الصب

الاحاكم بيني وبين عواذلي * فيسألهم ماذا يريدون من عتبي
الاراحم في الحب أشكو ظلامتي * اليه فقد زادت يد البين في حربي
الاساءة أخلوبه فانه * لواعج نيران أقامت على قلبي
أماني الورى من فيه رقة رحمة * فيبدى له حالي ويوصله كتبي
لقد ضاقت الدنيا على لبعده * على رحبها من غاية الشرق للغرب
اذا لاح تبدو وقفة في تلفظي * واغدو لما ألقاه أحير من ضب
فما في افصاح ولا فيه رحمة * فيسأل عن حالي ويفرج عن كربي
ولا أنا ذو فكر صحيح يدلني * على سبب التأنيس أو سبب القرب
واني الى مولاى أنهيت حالتي * فغاية شكوى العاجزين الى الرب

(وله أيضا)

الهي أدم حاكم الحب فينا * مطاعا وكل البرايا أسارى
الهي وزد ذلك القد لينا * واشرب سقيم الجفون العقارا
الهي على ضعف أهل الهوى * أنل لحظه في القلوب اقتدارا
الهي جنود الهوى اعطها * على قوة الصابرين انتصارا
الهي على الحب ألقيت صبرا * وعن حسنه ما أطقت اصطبارا
الهي أجبت رسول الهوى * ولم ألق منذ دعاني اختيارا
الهي رضيت بما ترتضي * بسري وسلمت أمري جهارا
الهي لي الجبر فيما ترى * وان ظنه العاذلون انكسارا
الهي اعد ليل هجرانه * بصبح الوفا والتلاقي نهارا

أقول هذا اسلوب من أساليب الفصاحة لطيف كما بيناه في كتابنا المسمى بحديقة السحر وهو نقل الكلام من طريق الى آخر كاستعمال ما عهد استعماله في الدعاء والمناجاة في التغزل كما هنا ومثله لابن الوكيل

يارب جفني قد جفاه هجوعه * والوجد يعصي مهجتي ويطيعه
يارب قلبي قد تصدع بالنوى * فالى متى هذا البعاد يروعه
يارب في الاظعان سار فؤاده * ياليته لو كان سار جميعه

ولم يزل يكرر يارب حتى أتم القصيدة ومنه استعمال ما ورد في الرسائل والمكاتبات في غيره كقول الشاب الظريف ابن العفيف

أعز الله أنصار العيون * وخلد ملك هاتيك الجفون
وأسبغ ظل ذاك الشعر يوما * على قد به هيف الغصون

ومن شعر صاحب الترجمة قوله

لها فى ربى قلب المحب مقيل * وظل باحناء الضلوع ظليل
وان ظمئت فالورد من ماء دمعه * يبل به عند الهجير غليل
فكم ألفت هذا النفار كأنما * فؤاد المعنى بالسقام نحيل
أجل ان عفا من بعدهم فكأنما * يجر عليه للجنوب ذيول
منازل هذا القلب كن أواهلا * وها هى من بعد الفراق طلول
لك الله يا ابن الاكرمين أيشتفى * فؤاد لبين الظاعنين عليل
وياظبى هل بعد النفار تألف * ويابدر هل بعد الافول قفول
ويامنزل الاحباب أين ترحلوا * وهم فى فؤادى ما حييت نزول
يميلون عنى للوشاة وانتى * اليهم وان طال الصدود أميل
أيجمل فى أحباب قلبى غدرهم * بغدرى وما غدر المحب جميل
على انهم حفظ الوداد وان جنوا * وليس الى نقض العهود سبيل
وظنى أراد العاذلون سلوه * وأبعد شئ ما أراد عذول
وقد ضاع قلبى مذ رأيت جماله * فهل لى عليه فى الانام دليل
وما هاجنى الا ابن ورقاء سحرة * له فوق افنان الرياض هديل
يردد فى صحف الرياض قصائدا * من الشوق يمليها لنا ويميل
تخيل أن البين آذى فؤاده * وكيف ولما ينأ عنه خليل
ولم تحتكم فيه الليالى ولم يبن * عليه لبين رقة ونحول
أما والهوى لو ذقت ماذقت فى الهوى لما ازدان بالاطواق منك تليل
على انه ما فارق الالف دهره * ومالى الى وصل الحبيب وصول
تسنم غصنا فى رياض اريضة * تهب عليها شمأل وقبول
يصفق جذلان الفؤاد كأنما * تدار عليه فى الكؤس شمول

وانشدنى له بعض الادباء رباعية هى

ياقلب الى متى عداك النصح * كم تمزح كم جنى عليك المزح
كم جارحة عداعليها الجرح * ماتشعر بالخمار حتى تصحو

قلت ليست هذه له فانها فى ديوان محمد بن على كما ذكرناه فى ديوان الادب ومن شعر صاحب الترجمة

الا سامح أخاك اذا تعدّى * والق اليه فى الحرب السلاحا
فمن يعتب على الخلان يتعب * ومن لزم المسامحة استراحا

(وله أيضا)

صاحبى من يودّنى بالفؤاد * لاقريبى فى حلتى وبلادى
ليت شعرى اذا تنا ءت قلوب * أى نفع لصحبة الاجساد

(وله أيضا)

خبأتك فى عينى لتخفى عن الورى * لذلك قالوا ان فى العين انسانا

وأحسن منه قولى

خبأتك فى العين خوف الوشاة * وكم شرف الدار سكانها
ومن غيرة خفت أن يفطنوا * اذا قيل فى العين انسانها

ومن فوائده انه سئل عن قول صاحب الهمزية

شمس فضل تحقق الظنّ فيه * أنه الشمس رفعة والضياء
فاذا ما ضحى محا نوره الظل * وقد أثبت الظلال الضحاء
فكأن الغمامة استودعته * من أظلت من ظله الدفقاء

فذكر ما للشارحين فيه من الكلام الذى لامحصل له نخالفهم فيما قالوه من أن الدفاء بفائين واظلت فيه بالظاء المشالة وذكر كلاما لاطائل تحته بناء على ان أضات بالضاد من الضلال بمعنى الاضاعة والدفاء بمعنى جماعة مسرعين من الجيش أوالملئكة وفيه خبط وخلط والذى عندى فيه انه تحرف عليهم أجمعين وانما هو هكذا

فكأن الغمامة استودعته * مذ أظلت من ظله الدقعاء

فاستودعته وأظلت مبنيان للمفعول بصيغة المجهول ومذ بميم مضمومة وذال معجمة والدقعاء بدال مفتوحة مهملة وقاف وعين مهملة ثم مد بمعنى الارض وترابها كما هو مصرّح به فى كتب اللغة والمعنى أن الغمام أظله لئلا يمس ظله الارض فلذا أخذه وديعة عنده ليصونه عن مس التراب وهذا معنى بديع يعرفه من ذاق حلاوة الشعر وعرف مغزاه وفى قوله مذ أظلت الخ معنيان

احدهما

أحدهما منذ مس ظله التراب والآخر منذ صارت الارض كلها في حمايته لانه ظل الله وفي معناه رباعية لي

ماجر اظل أحمد اذيال * في الارض كرامة كما قد قالوا
هذا عجيب وكم له من عجب * والناس بظله جميعا قالوا

وفي التائية المنسوبة للسبكي التي نظم فيها معجزات النبي صلى الله عليه وسلم وشرحها بعض المتأخرين

لقد نزه الرحمن ظلك أن يرى * على الارض ملقى فانطوى لمزية
وأثر في الاحجار مشيك ثم لم * يؤثر برمل حل ببطحاء مكة

قال شارحها قيل انه عليه الصلاة والسلام كان لا يقع ظله على الارض لانه نور روحاني

ما لطفه رأى البرية ظلا * هو روح وليس للروح ظل

والنور لا ظل له وكذا الروحانيات كالملائكة لانها أنوار مجردة قيل ولهذا أظهر الاتيه لئلا يقع ظل يده على اسم الله لو كتبه ولا يخفى ما فيه وقيل لم ير ظله لان الغمام يظله وقيل هو تكريم له لئلا يقع ظله على الارض فيوطأ محله ونقل ان بعض اليهود كان يطأ ظل المسلمين اهانة لهم فصين لئلا يمتهن وقيل غير ذلك وأما كون قدمه الشريف يؤثر في الحجر دون الرمل فكان في ذهابه لغار ثور مع أبي بكر كان يقول له ضع قدمك موضع قدمي فان الرمل لا ينم عليه لارادة الله تعالى لاخفاء أثره عمن يطلبه من المشركين ولان له الحجر اظهارا لانه لا يستعصي عليه ولتكون فيه سمة ينجو بها من النار التي وقودها الناس والحجارة ودلالة على شدة قسوة قلوب الكفرة الخ

﴿ أبو المعالي درويش بن محمد الطالوي ﴾ وحيد له الحزم ترب واللطف قرين * وماجد ماله في قصب السبق رهين * وريق قضب المروه * فاتح حصون الملمات عنوه * سليل المعالي والكرم * رقيق حواشي الطباع والشيم * فكم في علاه مسرح للمقال * ومجال لمضمرات الاماني والآمال

اذا أعجبتك خصال امرئ * فكنه تكن مثل ما يعجبك
فليس على المجد من حاجب * اذا جئته زائرا يحجبك

ابو المعالي درويش بن محمد الطالوي

حسان عصره * وأبو عبادة دهره * له فى المجد زندورى * وللاسماع من مورده العذب شرب ورى * نور محياه فى ظلمة الخطوب هادى * وصيت كرمه لركائب الآمال حادى * وبحر فكره المديد سريع * ونسج طبعه أبهى وأبهج من وشى الربيع * اذا حلى اجياد الغصون بعقود در الغمائم * وألبس هامات الربى من النبت مخضر العمائم * فكأنه بسحر البيان * أعدى عيون الغيد الحسان * نجيم تجلى عليه المعانى صورة قصوره * وتتلى عليه آيات الفضل سورة بعد سوره * واذا كاتب بألفاظه الرقيقه * ودّ السحر لو كان قنه ورقيقه * فكم سرح طرف طرفى فى رياض المنثور * نجنى من حدائقه بيد الفكر غض الزهور * ففاح نشر بلاغته فى ليل حبره * ولابدع للمنثور اذا عبق فى عنبر الظلماء عبير نشره * فحليت لسانى بعقود انشائه الدرّية * وأشرق علىّ من فلك المسامرة كواكبها الدرّية * ورأيت سبج سطورها فى يد المجد * وخيلان نقطها تزين من وجه الطرس صفحة الخد * فسبحت عجبا من درّ لونه السواد * ومن رياض كافور تنبت مسك المداد

فكأن اسطره غصون حديقة * ومن القوافى فوقهن حمام

وهو فرع من شجرة آل طالو الذين فاقوا فى رتب العلا وطالوا

ان حاربوا ملأ والبلاد مصارعا * أوسالموا عمروا الديار مساجدا

طلعوا فى ربى الجياد غصونا مورقة بالسلاح * فبسقت فروعها من بيض الصفاح وسمر الرماح * صيروا اكفهم للمكارم معدنا * وأبوابهم لوفود السعادة موطنا * فكم من راكب محل استوقفته فوقف * وأهدى الىّ من آثاره تحفا بكل طرفة تحف * حتى ورد علىّ بالروم فقربه نظرى * ولم تسمع اذنى بأحسن مما قد رأى بصرى * فطار غراب البين من وكر العنا * ونثرت علىّ قوادم يمنه نثار السنا * وأنا ثمت غريب الوجه واليد واللسان * وليست الفرقة فقد الاهل بل فقد الاحبة والخلان * فدار بينى وبينه كؤس محاورات تسكر الاذهان * ويحتسى حمياها فكر كل لبيب بأفواه الآذان * ويوسم بها عقل الدهر * وتغضى حياء منها عيون الزهر * فما كتبته اليه لاستمطر سحائب طبعه الغرّ * واستجدى كرما من رقيق خلقه الحرّ *

واستمرى

واستمرى منه ماء الحياة على غلة * قطرات لو وقعت فى بحور الاشعار لم يكن فيها علة * قولى

قبلت مصطبحا شفاه الاكؤس * والصبح يبسم لى بثغر ألعس
حتى غدت منه الغزالة واختفى مسك الدجى عند الجوارى الكنس
والنهر سيف والنسيم فرنده * وله حمائل من خمائل سندس
أو صدر خود فتحت أطواقها * أو شققت للوجد حلة أطلس
والطير تشدو والغصون رواقص * فى وشى ديباج الربيع السندسى
وعلى الخلاعة ليس جيدى عاطلا * من حلية المجد العزيز الانفس
ولو احظ مرضى بها اعتل الصبا * والصب بالسقم المبرح مكتسى
فتنت بأنفسها ففيها علة * من وجدها وفتور مهجور نسى
فلكم قطفت ثمار لهو أينعت * وغفلت عما قد جنى الدهر المسى
وطردت آمالى براحة عفتى * ان التمنى رأس مال المفلس
رام التماس بذل شعرى برهة * فطرحته كصحيفة المتلمس
وكحلت طرفى بالسهاد صبابة * ووهبت نومى للعيون النعس
ونظرت خد الورد لما احمر من * خجل وقد بهتت عيون النرجس
وأظن خجلته لخد الطرس اذ * أمسى بوشى عذار شعرى مكتسى
يا عقد جيد الدهر غرة نجره * وطراز ما حاك العلا من ملبس
بل كعبة حجت لها آمالنا * فدنت الى حرم الكمال الاقدس
من آل طالوقتية طالوا الورى * بذرى أشم من المعالى أقعس
بمنا قب تليت لنا آياتها * عنها يكاد يبين نطق الاخرس
ورياض فكر بالفضائل أثمرت * فغدت تحدثنا بطيب المغرس
أسكرتنا بسلاف شعر لفظه * كأس له فكرى بسمعى محتسى
وسرت نسيمات سحيرا أرقصت * طربا بها عقل اللبيب الاكيس
فاعجب لها من اكؤس ما برزت * الا رآها الذوق نقل المجلس
وسهام أقلام له تصمى العدا * وتظل بين مسدد ومقرطس
ناجيته وظلام فكرى قد دجا * وصباح صفوى عنه لم يتنفس
فجلا السرور له بثغر باسم * طلق الجبين كوجه يوم مشمس
فاليكها من قوافى دوحها * زاه يغير يد النهى لم يمس

بكرا الى كفؤ تزف ومهرها * نقد الجواب براحة المتأنس
لازلت فى حلل المسرة رافلا * ما أحدقت ليلا عيون الخنس

(فأجاب)

خد تورد من لهيب تنفس * أم قد معسول المراشف ألعس
من ريم وجرة أوجاذر جاسم * لبس الشباب الروق أحسن ملبس
متوشحا خطى قامته فان * ماست فيا خجل الغصون الميس
فاذا رنا فاللحظ منه بابل * هاروت منه نطقه كالاخرس
أم عقد غانية الحسان زهت به * تيها على زهر الجوارى الكنس
أم لؤلؤ رطب توائم زانه * حسن النظام بجيد ظبية مكنس
أم روضة غناء غنت فى ذرى * أغصانها ورق بلحن مونس
حاكت لها أيدى الجنوب مطارفا * وكست معاطفها غلائل سندس
مابين أصفر فاقع أو أحمر * قان وأبيض ناصع وموريس
أم غادة هيفاء أذكرت الصبا * صبا تناسى العهد منه ومانسى
وافت وأفراس الصبا قد غربت * والقلب أقصر عن هواه وماأسى
وافت وفى بقية الهوى بها * من شرخى الماضى تعلة مفلس
من ماجد وشهاب فضل ثاقب * حلو الشمائل بالفضائل مكتسى
فظننت ريعان الشباب اعيد لى * حتى الوصال من الحبيب المؤنس
فطفقت أهصر بانة من قدها * والقلب بين توجس وتهجس
حتى اطمأنت فاجتليت بوجهها * قمر السماء بليل شعر حندسى
لما بدا خفيت له شمس الضحى * فى ثوب غيم ترتديه وتكتسى
نطقت مناطقها فأخرس دونها * نطق الفصيح وحار فكر الكيس
لم لا وناظمها الشهاب من اعتلى * شهب العلا بكمال فضل أقعس
فرع نماه الى خفاجة محتد * والفرع ينبئ عنه طيب المغرس
وافت لنا منه حديقة روضة * خجلت لبهجتها عيون النرجس
طرس به زهر النجوم كأنه * صبح وهن به بقايا الحندس
لثمت شفاه الغيد قدما نقسه * فغدا له فيه حياة الانفس
انى لا عجب من شهاب قد سما * متبوأ العلياء أرفع مجلس
والشهب تطلع فى السماء وحدها * فلك الثوابت وهو فوق الاطلس

لازلت فى حلل الفضائل رافلا * متوشحا برد الشباب الانفس
خذها وان كانت مقصرة فمن * شأن الكرام قبول عذر من مسى
شامية يعنو لباهر حسنها * وجه الغزالة والغزال الالعس
وانعم بها لازلت ترشف سمعنا * من راح نظمك مترعات الاكؤس

ومما أنشدنيه قوله من قصيدة له

يراعك أمضى من شفار الصوارم * ورأيك أجلى من بروق المباسم
مضاء يقد المرهفات وعزمة * لها فى ضرام الخطب فعل الضراغم

(ومنها)

بسيارة مثل النجوم طوالع * قواف لعمرى أفحمت كل ناظم
تساقط فى الاسماع لؤلؤ لفظها * تساقط طل فوق زهر الكمائم
بقيت لهذا الملك تحمى ذماره * بسمر يراع الخط لا بالصوارم
جنابك محروس وبابك كعبة * لبطحائها حجى وفيها مواسمى

(وله أيضا)

كفى به جائرا فى الحكم ما عدلا * لو كان يسمع فى أحبابه عدلا
وراح يضمر سلوانا بخاطره * عن مائسات قدود تخجل الاسلا
بل كيف يصحو غراما أو يفيق هوى * من بات بالاحور العينين مشتغلا
فما الهوى غير اجفان مسهدة * تهمى بقلب بنيران الاسى شعلا
ولا الغرام سوى وجد يكابده * الى الحمى يا سقى الله الحمى نهلا
حمى دمشق سقاها غير مفسدها * صوب الغمام وروى روضها علا
حتى تظل بها الارجاء باسمة * ويضحك النور فى أكمامه جذلا
وخص بالجانب الغربى منزلة * لبست فيها الشباب الروق مقتبلا
مغنى الهوى ومغانى اللهو حيث به * مهما اذا طلعت بدر السما أفلا
تلك المنازل لا شرقى كاظمة * ولا العقيق ولا شعب الغوير ولا
ديار كل مهاة كم أقول لها * والصبر يحل فى جسمى كما نحلا
بما بعينيك من سحر صلى دنفا * يهوى الحياة وأما ان صددت فلا
الله يعلم انى بعد فرقتها * فارقت شرخ الصبى واللهو والغزلا

(تضمين)

ما كنت لولا طلاب المجد أهجرها * هجر امرىء مغرم بالراح كأس طلا
ولا تخيرت أرض الروم لى سكنا * ولا تعوضت عنها بالصبا بدلا
ولا امتطيت عتاق الخيل رامية * بى الموامى تجوب السهل والجبلا
من كل طرف يفوق الطرف سرعته * وسابح مثل سيد الرمل ما عسلا
اذا تطلع من لج السراب يرى * بدرا غدا بهلال الافق مشتعلا

(ومنها)

متى أتى بى أرض الروم منتجعا * روضا اريضا وماء باردا وكلا
وقال بشراك روض الفضل قلت له * روض ابن بستان مولانا فقال بلا
هو الجواد الذى سارت مواهبه * تدعو العفاة الى نعمائه الجفلى

(ومنها)

وها كها من بنات الفكر غانية * شامية الاصل مهما سائل سالا
غريبة فى بلاد الروم ليس لها * كفؤ سواءك فانقد مهرها عجلا

وكتب له بعض أحبابه قصيدة هزت بنسيم عتبها عطف آدابه فأجابه بقوله عفا الله عنه

توشحت كالنجوم الزهر فى الظلم * سمطين من لؤلؤ رطب ومن كلم
وقلدت جيد آرام النقاد دررا * بزت بهن درارى الافق بالقلم
وأقبلت فى مروط الزهر رافلة * بجر تيها فضول الريط من أمم
جيداء مصقولة القرطين مائسة الـ * ـعطفين مخضوبة الاطراف بالعنم
كأنها حين وافت والفؤاد بها * صب صبابة شرخ مر كالحلم
فالرياض بكاها القطر ليلته * بكاء طرف قريح بات لم ينم
شوقا لطيف خيال بات يرقبه * من ناقض العهد والميثاق والذمم
يضاحك المزن فيه الاقحوان ضحى * عن ثغر مبتسم بالدر منتظم
فالورق صادحة والروض ضاحكة * ثغوره بين منهل ومنسجم
تجاذب الريح أطراف الغصون بها * فتنثنى والهوى ضرب من اللمم
يوما باحسن مرأى من شمائلها * وقد أتت بعتاب من أخى كرم
مهذب القول الا انه أذن * يصغى الى قول واش بالنفاق سمى
لا يعرف الود الا مذ قساعته * والشاهد العدل ما يتلوه من قسم

هيهات

هيهات ما الود ممن كنت أعهده * باق وقد حال عن عهدى ولم يدم
فياله من عتاب لم يفد أبدا * بمثله أحد فى سالف الأمم
سوى امرء ساء ظنا فى صنائعه * فساء ظنا بخل غير متهم
وشاتم العرض فيما قيل كن فطنا * من بلغ القول لا من ذاك عنه نمى
لا يعزبن ذاك للاحسان والنعم * بل ذاك يعرى ابهم القاع والنعم
كم من أخ صارم وذى صبرت له * حتى ارعوى وودادى غير منصرم
يامن تعمر منه بيت باطنه * وظاهر الامر أن البيت لم يرم
يامن له من ودادى كل خالصة * أصفو بها صفوة الاخلاق من شيمى
اصخ لى القول واسمع ما أقول فلى * صبر له ركن رضوى غير منهدم
قد كنت ريحانة العيش التى بسقت * أغصانها فى حمى المعروف والكرم
فصوحت وذوى الغصن الرطيب فلا * دار بحزوى ولا ربع بذى سلم
ولا معاج على سقط اللوى وبه * جآذر قد كحلن الود بالسقم
ولا على طلل دمع يراق ولا * يؤرق الجفن ذكر البان والعلم
خذها عقيلة فكر بنت ليلتها * وشاحها النجم عقد غير منفصم
واسلم على حالتى ود وصدق ولى * ما زان عقد نظام جوهر الكلم

وكان له غلام تعصر من شمائله سلافة اللطافة * قد عمته فى خدمته خفة النشاط الا أردافه * أحلى من ظفر غانى * وألذ من حديث الامانى * لو قيل للحسن تمن المنى تمنى انه مثله * لشغفه به سلم له قلبه فسرى به ربطه وحله * فسلبه منه الزمان أبو البدائع * وما كل خرق اذا وهى له راقع * فكتب الى الشريف أمير الشام يستعديه على أعدائه * وأقسم عليه بالحمية الهاشمية الموروثة من آبائه * بقوله

يا لله يا نشر العبير * سرى بروضات الغرى
طاف المشاهد وانثنى * نشوان من كأس روى
وأقام بالزوراء منتهيا * فى رباض الحائرى
متنزل الآى الكريم * ومهبط الوحى السنى
ان جئت ربع الشام فاقصد * ساحة الشرف العلى
أعنى الشريف ابن الشريف * ابن الشريف الموسوى

متحملا عنى السلا * م كمسك دارين الذكى
لجناب مولانا الوزيـ * ـر ولى مولانا على
ثم اشرحن من حال مو * لاه المحب الطالوى
ماذا لقى فى ثغر صيـ * ـدا من دروزى غوى
دين التناسخ دينه * لابل يدين بكل غى
ويرى الطبائع أنها * فعالة فى كل شى
وافى بمكتوب الشريـ * ـف اليه من بلد قصى
يوصيه فيه كأنما * أوصاه فى أخذ الصبى
فسقاه يوم فراقه * لا كان بالكاس الردى
وغدا الحشى من بعده * يبكى بدمع عندمى
فى غربة لا يشتكى * فيها الى خل وفى *
لا جار يحميه ولا * يأوى الى ركن قوى
الا الى ركن الشريـ * ـف الطاهر الشيم الزكى
حامى حمى الشرع الشريـ * ـف بكل أبيض مخذمى
مولاى لى حق عليـ * ـك تجد به من غير لى
بولاء حيدرة الوصى أخى النبى الهاشمى
لا تهملن من أخذ ثا * رى من كفور بالنبى
وابعث اليه مقانبا * فيها الكمى على الكمى
لو حاربت جند القضا * ءثنت سراه عن مضى
بجرافة لم تبق فى * اطلاله غير النؤى
وأشيعت ينعى الديا * ر مع ابن داية فى النعى

قلت هذا بردسابرى * أو سحر سامرى * تجرى منه مياه الفصاحة * وتزهو من محياه أنوار الملاحة * وفيه نفحة علوية وشكاية من ابن سيفاء وهو من الطائفة الملحدة القائلين بالتناسخ على رأى الحاكم بأمر الله ويقال لهم درزية نسبة لحسين الدرزى وهو صاحب دعوة الحاكم ومعنى الدرزى الخياط وقوله الوصى هو على رضى الله عنه زعم الشيعة أن النبى صلى الله عليه وسلم أوصى له بالخلافة حين تآخى معه فى غدير خم وهو أمر مخالف لاهل السنة

الا أن ممدوحه كان يقول بذلك فجرى فى شعره على معتقده والله أعلم بالسرائر وقوله لو حاربت غلو كان ينبغى تركه والغرى موضع بالكوفة دفن فيه على كرم الله وجهه والنؤى بضم النون والهمز جمع نؤى وهو ما يحفر حول الخباء حتى لا يدخله المطر والمراد بأشيعث تصغير أشعث وهو الوتد لانه يشعث اذا دق وابن داية كنية الغراب والمراد أنه لا يبقى لهم أثرا ومما أنشدنيه قوله وقد أرسلها من الروم الى الشام

أنسمة الروض المطير * بالعهد فى زمن السرور
وأنيق أيام الشبا * ب وعيشه الغض النضير
ووثيق أيام التصا * بى يا لمعهدها الخطير
ومعاهد كان الشبا * ب وشرخه فيها سميرى
هومت فيه فصاح بى * داعى الصباح المستنير
فطفقت أنظر منه فى * أعقاب برق مستطير
قد كان حسان المرا * بع فيه حسان البدور
أيام غصن شبيبتى * ريان من ماء الغرور
وذوائبى شرك المها * وحبالة الظبى الغرير
حيث الشبيبة روضة * غناء صافية الغدير
* فنناء رائدها المها * ة الرود من ريم الخدور
من كل مخطفة الحشا * كاخى الرشا أخت القرير
طلعت بليل ذوائب * أبهى من القمر المنير
* بيضاء وشحت الترا * ئب والنحور من الثغور
فكسى معاطفها الشبا * ب الروق حسان الحبير
تمشى أناة الخطو فيـ * ـها روعة الظبى النفور
قويت على قتلى وفى * الحاظها ضعف الفتور
وبما جرى يوم النوى * من در مدمعها النثير
كالعقد أسلمه النظا * م من الترائب والنحور
وبوقفة التوديع والانفاس تصعد بالزفير
وبد الفراق تشب فى الاحشاء نيران السعير

الأسريت مع الصبا * يا نسمة الروض المطير
فأجبرت من أرض العرا * ق على الخورنق والسدير
ووقفت بالزوراء وقـ * ـفة زائر أو في مرور
وحملت للكرخ التحيـ * ـة من أخي شجن أسير
ونزلت من نهر الأبلـ * ـة والصراط على شفير
وأتيت في شط الفرا * ت بملتقى العذب النمير
وسمعت هينمة الريا * ض وصوت جائشة الخرير
وجذبت في تلك الحدا * ئق طوق ساجعة الهدير
حفت بسرو كالقنا * ن تلفعت خضر الحرير
ولثمت خد الروض فيـ * ـه نبات ريحان طرير
ومددت عطفك والصبا * ح يكاد يؤذن بالسفور
وأتيت بابل فاصطحبـ * ـت بمثل مصباح منير
يغنيك متهمة ومنجد ة شتاها عن خفير
ثم انبريت مع الجنو * ب وحدت عن مسرى الدبور
حتى نزلت على الارا * كة أو رسيت على ثبير
فسقطت من أرض الحزا * مى والبشام على الخبير
وطلعت نجدا والدجى * يستل من أثواب قير
ومشيت فوق عرارة * ما بين حوذان ونخير
وهبطت غور تهامة * والشهب مائلة للغوير
ونزلت في سفح الارا * ك رشفت زاهية الغدير
وسلكت من وادي العقيـ * ـق منابت النجم الشكير
وأملت قمة ذوائب الأغصان من طلح نضير
وهصرت بانات النقا * هصر الروادف للخصور
فحملت منها من غوا * لي المسك فاغمة الزهور
وعبرت دارين العطا * ر وشمت غالية العبير
وازددت من أرج الكبا * وورنده عند المسير
وجزعت وادي النحر ليـ * ـلا وانثنيت مع البكور

والصبح

والصبح يخطر فى الدجى * كالوحى يخطر فى الضمير
والنسر فيه واقع * خوف الصباح لدى الوكور
وكواكب الجوزاء ممـ * ـسكة الاعنة عن مسير
خافت سهيلا فانتضت * سيفا من الشعرى العبور
والنجم يهوى للغرو * ب كأنه كف المشير
فهبطت ربع الشام دا * ر اللهو بل مغنى السرور
ونزلت بالوادى المقـ * ـدس شاطئا غير الشطير
وخطرت من بطحاء وا * دى النيرين على الصخور
ووقفت فى تلك الربى * ما بين روض أو غدير
وقرأت سكان القصو * ر بها السلام بلا قصور
لاسيما شيخ العلو * م مفيد أرباب الصدور
شمس الهداية والدرا * ية شيخ جامعها الكبير
كشاف أسرار البلا * غة عمدة الفتح القدير
معلى منار الشرع مغـ * ـنى المعتفى كنز الفقير
ورئيسها قاضى حما * ة بها الحكم فى الامور
الفاضل اللسن المفو * ه والمنزه عن نظير
أعنى به القاضى محب * الدين ذا الرأى المنير
مولى أراع براعه * قلب الطروس مع السطور
ببديع وشى مخجل * وشى البديع أو الحريرى
وأبو الصفا حسن حليف * الفضل والادب الغزير
عجبا له فاق الاوائل * وهو فى الزمن الاخير
أدب يروقك مثل زهـ * ـر الروض غب حيا مطير

(منها)

ومشيدى أركانها * أمراء معلمها الخطير
منهم جناب الطالوى سليل أرتق ذى السرير
محيى مكارم حاتم * بين الانام بلا نكير
والمنجكى محمد السامى على الفلك الاثير

فهو الامير ابن الامير * ابن الامير ابن الامير
ذكرتهم الانواء ذكرى بالعشى وبالبكور
وكساهم خلع الشبا * ب الروق مقتبل الدهور

وقد عارض بهذه القصيدة ما فى الحماسة وللناس على منوالها قصائد كثيرة أحسنها ما للشريف الرضى وهى

نطق اللسان عن الضمير * والسر عنوان الصدور

وعلى منوالها لابى بكر الخوارزمى قصيدة مطلعها

ان الاولى خلف الخدور * هم فى الضمائر والصدور
وقع الغبار عليهم * فغدا يتيه على العبير
لما مشين على الثرى * تاه التراب على الاثير
ياسائلى من فى الهوا * دج والبراقع والستور
فيها الرضاع من المنيـة والفطام عن السرور

وأنشدنى من قصيدة اخرى له

ذكر العقيق فسال من أجفانه * فاشتفه وجدا الى سكانه
واشتم فى ريح الصبا أرج الصبا * فصبا حليف جوى الى أوطانه
وشجاه مسجور الفؤاد الى الحمى * ورق سواجع هجن من أحزانه
تملى من الورق الغرام وطالما * ذرست فنون العشق من أفنانه
فيهن سالمة الحشى من لوعة * لم تذر طعم الوصل من هجرانه
تمسى وتصبح فى ارائك ايكها * مع الفها والعمر فى ريعانه
ترتاد أرض الشام أخصب منزل * حيث العرار صفا الى حوذانه
حيث المغانى مشرقات بالدمى * والغانيات يطفن حول معانه
فى ظل منبجس اللجين جرى به * ذهب الاصيل يسيل من عقيانه
أحوى الظلال كان سمرته لى * عذب المراشف نقد عن غزلانه
بينا تردد فيه من عذب الى * عذب يتوق الى العذيب وبانه
مع صفو عيش اذ رمتها نية * للروم فاجتها بسود رعانه
هبطت بها الاقدار أرضا لم يكن * فيها نزول الوحى مع فرقانه

سوداء مظلمة الرحاب كأنها * قلب الحسود عليه ظلمة رانه
فغدت تنوح على البلاد بمدمع * سح يبارى الغيث فى تهتانه
ماسورة القلب المعنى من جوى * مسجورة الاحشاء من نيرانه
تبكى اذا ذكر الحمى حيث الحمى * روض تغرد فى ذرى أغصانه
تنفك تنثر لؤلؤا من أدمع * كالدر ينظم فى عقود جمانه
حتى ترى روض الحمى أو تجتلى * وجه ابن بستان وحيد زمانه
ذو رتبة فى المجد رام بلوغها الـ * ـفلك المحيط فلج فى دورانه
سبقته فاستعدى علينا طاويا * لصحائف الاعمار فى سرعانه

(وله من اخرى)

لى فيكم كدرارى الافق سائرة * هى اللآلئ الا انها كلم
من كل شامخة العرنين تحسبها * فى الشعر ليشالها من نفسها أجم
تبقى على صفحات الدهر خالدة * كالانجم الزهر عقدا ليس ينفصم
أو غادة حسنها قيد النواظر فى * ألحاظها سقم فى انفها شمم

(وله من اخرى)

حمى الشام جاد الغيث ما حل تربه * مغانى الهوى فيها معان أحبتى
وباتت بأعلى النيرين مع الصبا * تطارحها ذكرى عهود بربوة
على نهر حصباؤه الشهب قد جرى * خلال سما روضاته كالمجرة
يجاوب سجاع الحمام خريره * فتصغى له الورقاء من فوق أيكة

ولله در أبى الحكم فى قوله فى هذا المعنى

وتحدث الماء الزلال مع الحصى * فجرى النسيم عليه يسمع ما جرى
فكأن فوق الماء وشيا ظاهرا * وكأن تحت الماء سرّا مضمرا

(وقوله من اخرى)

بياض طرس جرى ذوب النضار على * لجينه للآل حيرت فكرى
كاللؤلؤ الرطب الا انها فقر * غير الاديب اليها غير مفتقر

(ومنها فى السفن)

ركائب ليس ترضى بالجديل أبا * لكنها من نبات الماء والشجر
شم العرانين دهم ما بها وضح * الا نجوم الليالى موضع الغرر

مازلت أجدف طوفان الخطوب بها * واتقى حادث الايام والضرر

(ومنها)

خذها فدتك نفوس الشعر قاطبة * فقد علته بمدح فيك مبتكر
طائية الاصل الا انها نشأت * بربوة الشام فى روض على نهر

ورأى نيلوفرة صدفا لدر السحاب * وحقة لجوهر الندا المذاب * كأنها بوتقة أذاب بها الجو نضاره * أوكأس فى يد مصطبح يداوى بها خماره * أومقلة صب كئيب * قد فجأه على الغفلة الرقيب * بعد ما امتلأت بدمع الهوى * وتردد فيها الدمع من حيرة النوى * وقد طفا عليها الماء الزلال * فبلغ حافاتها وما سال * بل لخشية فراقها * تشبث بأهداب أوراقها * فقال مضمنا وأجاد

ونوفرة كعين الصب شكرى * بجسم الماء خشية أن يراقا
ذكرت لها النوى يوما ففاضت * وصارت كلها للدمع ماقا

وشكرى بشين معجمة بمعنى ممتلئة وهو من قصيدة للمتنبى وأولها
نظرت اليهم والعين شكرى * فصارت الخ وأنشدنى له أيضا

شام برق الشام بالروم خدوعا * فانبرت أجفانه تذرى الدموعا
هب من عليا دمشق موهنا * هبة المصباح فى الليل ذريعا
جزع الآفاق فى هبته * وأتى الروم سرى الايم جزوعا
خفقت راياته فى افقه * خفقان القلب قد أمسى مروعا
وقعت شعلته وسط الحشا * وسناه طار فى الجو رفيعا
ليس يدرى وقعها غير شج * فارق الاوطان مثلى والربوعا
أو معنى بهوى تيمه * من غزال راح للوصل منوعا
يخجل الشمس سناء وسنا * ومهاة الرمل جيدا أوتليعا
أسهر الجفن خليا عن كرى * مقلة لا تطعم النوم هجوعا
كيف يكرى ناظر فارقه * ناضر العيش من الليل هزيعا
وشباب شرخه مقتبل * كان للصب لدى الغيد شفيعا
لم يكن الا كحلم وانقضى * أو خيال فى الكرى مر سريعا
ازمعت حسرته لا تنقضى * آه ما أسرع ما ولى زميعا

لست

لست أرضى منه بالسقيا له * وسحاب الجفن يسقيه النجيعا
والذى هاج الهوى قمرية * بالضحى تهتف بالأيك سجوعا
كلما ناحت على أفنانها * هاجت الصب غراما وولوعا
واذا غنت له غنت له * ذكر الشام فزادته صدوعا
ياسقى الله حماها وابلا * مسبل الطرف من الغيث هموعا
حيث ربع اللهو منه آهل * والغوانى فى مغانيه جميعا
كل رود لبست شرخ الصبا * وهوى ان تدعه لبى مطيعا
كم لنا فيهن من بهنانة * ولع القلب بها خود اشموعا
لست انسى ساعة التوديع اذ * وقفت فى موقف البين خضوعا
وهى تذرى لؤلؤا من نرجس * فوق ورد كاد طيبا أن يضوعا
علقت ذيلى وخانتها الهوى * فانثنت من وقفة البين صريعا
وأفاقت وبها حر الجوى * ثم قالت وشكت دهرا خدوعا
لا رعى الله المعالى مطلبا * كم نرى صبا بها مغرى ولوعا
كنت لى بدرا منيرا فاختفى * فى سرار بعد ما سرى طلوعا
وشبابا لاح برقا عندما * أشعل الرأس سنا راح سريعا
أيها الظاعن والقلب على * اثره مذ سار مازال هلوعا
لاتكن للعهد بعدى ناسيا * ياحياتى واعطفن نحوى رجوعا

وهى طويلة ذكر فيها تغربه بالروم واشتياقه للشام

* (محمد بن قاسم الحلبى) *

۞ (محمد بن قاسم الحلبى) ۞ يتيمة الدهر وبيضة البلد * ممن نزلت فضائله بين العلياء والسند * أخ لمن تجنبه الدهر شقيق * حر العرض على انه عبد الصديق * فكم له من يد خضراء * تنبتها يد بيضاء * كما اخضرت الهضاب * من أبيض نسج خيوط السحاب

تمد على الافاق بيض خيوطه * فتنسج منها للثرى حلة خضرا

وله شعر راق بجيد الدهر عقده * وعذب على لسان الدهر المحلى بالفصاحة ورده * وزهى فى يانع الرياض البهية شقيقه ووروده * مع فضل حلا فى أفواه الليالى ثناؤه * وأضاء فى دجى المشكلات سناه وسناؤه

له صحائف أخلاق مهذبة * منها الحجى والعلا والفضل ينتسخ

وكانت أخباره تغدو على مسامعى * فتتشوق الى لقياه أجفان عيون مطامعى * حتى لقيته بالروم فاهتزت به أعطاف المسرة * ونلت به ماهو للروح قوت وللطرف قرة * وعود الدهر المورق يختال فى غلائله * وفينان روضه كأنما سرق الحسن من بعض شمائله * بطبع أرق من برد النسيم هلهلة الشمال * وأصفى من ريق مدامة صفقها العذب الزلال * فدارت بيننا شمول آداب ظل لها ثغر الانس باسما * وانتظمت عقود عهد كان لها كف المودة ناظما * ولما لم يرض مقامه بحلب * وقطع أمله مما أدر الدهر له بها وحلب * لأن زامر الحى لا يطرب * وما كل حاملة اذا انتجت تنجب * سار عنها وسلك الطريق * حتى نزل بين وادى العذيب والعقيق * فلما أخذ الله كريمتيه * وعوضه جنة عدن لديه * تربعت أقدام اقدامه وقد سقط فى يديه * فقعد ينتظر دعوته حتى تلقاه * وان كان مع الركب اليمانين هواه

على المرء أن يسعى لما فيه نفعه * وليس عليه أن يساعده الدهر

فمما دار بيننا من كؤوس الادب * ما كتبته اليه وقد قدم من حلب

حتام يغزونى صدوده * والصبر قد كثرت جنوده
سكران من ألحاظه * قامت على قلبى حدوده
وسقيم طرف لم تزل * أبدا لواحظنا تعوده
برقت بوارق وصله * والهجر قد خرست رعوده
غصن تميد به الصبا * فى كثب أرداف تؤوده
لم أدر فاتر جفنه * والخصر أسقم أم عهوده
نشوان يعبث بى كما * عبثت بآمالى وعوده
لولا مياه الحسن جا * لت فيه لاحترقت خدوده
كالصب لولا دمعه * يهمى لاحرقه وقوده
يخفى الهوى وعيونه * بغرامه المضنى شهوده
بشهادة ليست ترد * فليس ينفعه جحوده
فسقى رياض الحسن من * دمعى حيا يهمى مديده
زمن بجيد اللهو قد * نظمت على نسق عقوده

اذ

اذ دوح انسي يانع * بكؤوسنا نفحت وروده
والكأس نجم لاح في * فلك المسرة لي سعوده
يصفو فيحكي ذكر من * قد زين الدنيا وجوده
ذاك ابن قاسم الذى * مازال فى تعب حسوده
رقت به حلل العلا * وزهت بطلعته بروده
ما زال يسقى من ميا * ه الفضل حتى اخضر عوده
فيكاد يورق بالسعا * دة مثمرا منها وفوده
قد كان دهرى عاطلا * حتى تحلى منه جيده
مجد طريف بغرق الافكار اذ يبدو وتليده
يا مالكا رق القلو * ب فكلها حبا عبيده
بل جنة فيها بطيب * ثنائنا أبدا خلوده
فى الشعر ليس ببالغ * أدنى بديهته وليده
قد كان فكرى صائما * حتى طلعت وأنت عيده
فاليكها عقد الجيـ * ـد الدهر زينه نضيده
بكرا يروم جوابها * مهرا تروق لها نقوده
ولئن تكن قيد النهى * فالحب تستحلى قيوده
فالبس لباس مسرة * فى الدهر لا يبلى جديده

(فأجاب وأجاد)

للظبي لفتته وجيده * والورد ما أبدت خدوده
والدر يزهو بالذى * فى ثغره منه نضيده
وبوجهه شبرك العقو * ل فأى عقل لا يصيده
فى كل يوم للهوى * من حسنه معنى يزيده
روض سقاه الله ما * ء الحسن فاحمرت خدوده
يستوقف الابصار حتى * لا يسوغ لها وروده
ملك تحكم فى الجما * ل فنال منه ما يريده
وجرى بأسرار الهوى * للناس من دمعي بريده
ما زال يسطو فى الورى * من فعل مقلته جنوده

حـــتى ظننا انه * بالاجر آثره شهيده
يبدى الصدود وكلما * صانعته عنه بعيده
أتراه يجحد ما لقيـ * ـت به وهل يغنى جحوده
وهو النهار اذا بدا * من نفسه قامت شهوده
كضياء مولانا شها * ب الفضل اذ طلعت سعوده
ما زال يسمو فى سما * ء المجد زينها وجوده
حتى تقطعت المطا * مع عنه واستعفى حسوده
وقاد فكر أى خطـ * ـب ليس يطفئه وقوده
كرمت له همم الى * غير العلا ليست تقوده
يزهو على جيد الزما * ن بما ينمقه فريده
من كل سجع من مزا * يا الحسن قد نظمت عقوده
واذا ذكرت الشعر فهـ * ـو كما سمعت به لبيده
قد كنت أجهد فى ابتغا * ء لقاء أيام تفيده
حتى وفت لى بالذى * قد كان فى أملى وعوده
فلقيته البحر الخضـ * ـم يفيض للعافين جوده
متدفقا بالفضل تخـ * ـشى ان يفرقها وفوده
مولاى عذرا انها * من خاطر قد جف عوده
بعدت بقول الشعر فى * عهد الصبا حيناً عهوده
لبى دعاك وأى مو * لى لا تلبيه عبيده
ماضره عبد نأى * مادام من لقياك عيده

ومما أنشدنيه قوله

متعنا يومنا بصحو * ليس على السر منه ستر
كأن فى الجو منه كنزا * سال على الارض منه تبر

وقوله فى مليح مصفر العذار * كأنما خاف الدهر على ذهاب حسنه فقيده بسلاسل النضار * أو ملك الجمال بلغ كماله * فدلمشكاة صدغه سلسلة الغزاله *

لما التحى تمت محا * سن وجهه وصفت طباعه
وغدا بلطف عذاره * قمرا أحاط به شعاعه

ومما

ومما رويناه في معناه قول الخطيب الخطيري

وأشقر الشعر من لطافته * يجرح لحظ العيون خديه
فان بدا من يشك فيه فلي * شاهد عدل من لون صدغيه

(وله أيضا)

كأن صدغيه في احمرارهما * قد صبغا من مدام وجنته

(وله أيضا)

ما أحمر شعر حبيبي أن وجنته * سقته من صبغها خمرا ولا خجلا
وانما لفحت خديه من كبدي * نار فدبت الى صدغيه فاشتعلا

ومما أنشدنيه قوله من قصيدة

قد دعاه الهوى وداعي التصابي * لادكار الاوطان والاحباب
فأتت دون صبره من أليم الـ * ـوجد نار شديدة الالتهاب
فذوى غصنه الرطيب وجفت * من رياض الصبا مياه الشباب
شعر المرء نسخة العمر والايـ * ـام فيها من أصدق الكتاب
فاذا تم منه ما كتبته * تربته من شيبه بتراب
لست آسى على الصبا انما اذ * كرحقا لاقدم الاصحاب
قد سقتني عهوده العيش صفوا * وكستنيه مونق الجلباب

(ومنها)

بحر فضل لو قيس بالبحر كان الـ * ـبحر في جنبه كلمع السراب
مزج الفضل بالسخاء كما ماز * ج ماء الغمام صفو الشراب
واذا قيل خلقه الروض اضحى الـ * ـروض طلقا بذلك الانتساب
ما عسى أن أعد من مكرمات * ضبطها قد اعيي على الحساب
واذا ما الافكار أمعن فيها * غرقت من بحارها في عباب
أنت من ناظر الزمان سواد الـ * ـعين والناس منه كالاهداب

قوله شعر المرء نسخة العمر الخ معنى بديع ونحوه قولي

لعمري ان الدهر خط بمفرقي * رسائل تدعو كل حي الى البلا
أرى نسخة للعمر سودها الصبا * وما بيضت بالشيب الا لتنقلا

ونحوه قول الارجاني

وقد علت غبرة الشيب الشبيبة لي * فبت للاجل المكتوب مكتئبا

كتاب عمرى الليالى تربته وما * أدنى المترب أن تلقاه منطويا
وللامير العاصمى وهو شاعر معاصر للصاحب وان لم يذكره فى اليتيمة
تعجبت حين راع شعرى * من بعد نضوى الخضاب حالى
قالت أهذا الذى أراه * غبار طاحونة بدالى
فقلت لا تعجبى فهذا * غبار طاحونة الليالى
قلت لولا مشاكلة الطاحونة الاولى ودوره معها لقبحت هذه الاستعارة جدّا
وللغزى
مسحت عارضى وماذاك الا * أنها ظنت المشيب غبارا
قال العماد تشبيه الشيب بالغبار حسن وكنت أظن انى ابتكرته فى قولى
ابل الشباب تولى * والشيب صبح تألق
ما الشيب الا غبار * من ركض عمرى تعلق
قال وشبهته أيضا بالتتريب فى قولى
أصدودا ولم يصد التصابى * ونفارا ولم يرعك المشيب
وكتاب الشباب لم يطوه الشوق ولامس نقشه تتريب
(ولمجد القيسرانى)
لاتنكرى وضحا لبست قتيره * ركض الزمان أثار هذا العثيرا
وقوله كنت أظن انى ابتكرته عجبت منه مع قول ابن المعتز
صدت بريرو ازمعت هجرى * وصفت ضمائرها الى الغدر
قالت كبرت وشبت قلت لها * هذا غبار وقائع الدهر
وهو مسطور فى ديوانه وقد تابعه عليه كثير من الشعراء وتطفل عليهم العماد
لكنه طفيلى وقد حذا حذوه فى قوله
اذا كتب الشباب سطور مسك * وأتربهن كافور المشيب
فماأسفى وماأسفى وحزنى * سوى طى الصحيفة من قريب
وعلى ذكر التتريب فما أحسن قول الطغرائى فى وصف كتيبة من قصيدة له
عليها سطور الضرب تعجم بالقنا * صحائف يغشاها من النقع تتريب
(وللمهذب الموصلى)
تردى الكتائب كتبه فاذا غدت * لم تدر أنفذ عسكرا ام اسطرا

قوله بريرفى نسخة شريربدل برير

لم يحسن التتريب فوق سطورها * الا لأن الجيش يعقد عثيرا

ومن انشاء ابن الاثير صدر هذا الكتاب والفتح غض طرى لم تنصل حمرة يومه * ولا غمدت سيوف قومه * فسطوره تترب بمثار عجاجه * ممثلة بضرب خطيه واعجام زجاجه * وقلت مع زيادة حسن التعليل

جيش كأن الارض من تحته * صحف غدت أقلامهن الرماح
مذ سطر الجند على وجهها * تربها النقع فلاح الفلاح

وأصل هذا ما رواه جابر عنه صلى الله عليه وسلم انه قال اذا كتب أحدكم كتابا فليتربه فانه أنجح للحاجة رواه أبو داود وقد تكلم الناس فيه وقيل انه موضوع وفى النهاية معناه ليجعل عليه ترابا وقال الطيبى ليسقطه على التراب حتى يصير أقرب الى المقصد اعتمادا على الله فى ايصاله اليه وقيل معناه التواضع فى خطابه والمراد بالتتريب المبالغة فى التواضع انتهى ومما أنشدنيه

ياربع سقاك كل مزن غادى * قد كنت محل انسنا المعتاد
هل يحظى الزمان بالاسعاد * يوما فتعود فيك لى اعيادى

(فائدة) قال السيوطى فى شرح السنن الاسعاد المعاونة فى النياحة خاصة وفى غيرها المساعدة وأصله من وضع الساعد على الساعد انتهى وعلى هذا فالاسعاد هنا ليس مستعملا فيما وضعته العرب وان صح على انه مجاز مرسل فى مطلق المعاونة لكن الفصحاء يستقبحون مثله وقد بيناه فى كتاب قرض الشعراء المسمى بحديقة السحر فانظره ثمة ومما أنشدنيه أيضا قصيدة فى تهنئة بختان واخترت منها قوله

أعلامة الوقت مولى الموالى * وقرة عين العلا والكمال
تبوء من المجد أعلا مقام * وضع نعل مسعاك فوق الهلال
فقد أيقن المجد أن المجىء * بمثلك فى الدهر عين المحال
فبشرى لكم بالختان الذى * به لبس المجد ثوب الجمال
هو الشمع ان قط لا غرو أن * أنيرت به حالكات الليالى
وظفر بتقليمه لا تزال * أكف المكارم منه حوالى
وتشمير ذيل لدى الاستباق * لنيل الامانى وكسب المعالى
وما للبراع اذا لم يقط * فضل يعد على كل حال

ومن بعد برى الغصون أزدهت * عليها اسنة سمر العوالى
فلا برحت من مزاياكم * بجيد الزمان عقود اللآلى

وفى معناه للقاضى الفاضل الحمد لله الذى أطلعه بثنيات الكمال * وبلغه غايات الجمال * ويسره لدرجات الجلال * ونقله تنقل الهلال * وشذبه تشذيب الاغصان * وهذبه تهذيب الشجعان * وأجرى فيه سنة سن لها الحديد فنقصه للزيادة * واستخلصه للسيادة * ودربه للاصطبار * وأدبه للانتصار * وألقى عنه فضلة فى اطراحها الفضيلة * وقطع عنه علقة حق مثلها أن لاتكون بعده موصولة * فلم يزل التقليم منوها بالاغصان * ومنبها للثمر الوسنان * ومبشرا بالنماء * وميسرا للنشء والانتشاء * ولابن فضل الله فى ختان الملك الناصر

لم يروع له الختان جنانا * مذ أصاب الحديد منه حديدا
مثل ماتنعش المصابيح بالقطف فتزداد فى الضياء وقودا

وأصله قول الغزى

تمالك وذى حين قلت رأسه * قياسا على الاقلام والشمع والظفر

(ولابن مطروح)

لقد سرت البشائر والتهانى * الى الثقلين من انس وجان
ويصغر كل مبتهج اذا ما * مانسبناه الى هذا الختان
تود الزهرة الزهراء فيه * لو اتخذت به احدى القيان
وأن البدر طار فى يديها * وان مراسليها الفرقدان
وتستملى من الأفلاك لحنا * فما قدر المثالث والمثانى
وتسقى بالثريا فيه كأسا * ولا أرضى لها بنت الدنان
ولكن من رحيق سلسبيل * بأيدى عبقريات حسان
ويصغر خادما بهرام فيه * على مافيه من بأس الجنان
فلولا انه فرض علينا * لما مدت لخاتنه يدان
وقطع الشمع يكسبه ضياء * وقطع الظفر زين للبنان

(وللصنوبرى أيضا)

أرى طهرا سيثمر بعد غرس * كما قد تثمر الطرب المدامة

وما

وما قلم بمغن عنك الا * اذا ما ألقيت منه القلامة

قال الطهر بالضم والطهور بالفتح والتطهير كنايات عن الختان استعملها المحدثون كقولهم للاعور ممتع كما ذكره الثعالبى فى كتاب الكناية وفى كتابه المسمى بمرآت المروآت وغيره ومن شعر صاحب الترجمة

ما كنت أحسب أن يكو * ن كذا تفرقنا سريعا
قد كنت انتظر الوصا * ل فصرت انتظر الرجوعا

(وله أيضا)

والله لولا حصول معنى * فى خاطرى منك لا يزول
ما كان بالعيش لى انتفاع * ولا الى مطلب وصول

(وله)

قد كنت أبكى على من مات من سلفى * وأهل ودى جميعا غير اشتات
واليوم اذ فرقت بينى وبينهم * نوى بكيت على أهل المودات
فيا حياة امرء أضحت مدامعه * مقسومة بين أحياء وأموات

(وله)

وبى من المعرض لا قسوة * لكن لاقوال العدا والوشاه
ما لاح للعين سنا وجهه * الا وفيها من رقيب قذاه

(وله مضمنا)

صب على الشنب المعسول ذاب اسى * وبات من حر نار الشوق فى شعل
كالشمع يبكى ولا يدرى أعبرته * من صحبة النار أم من فرقة العسل

وكتب الى فى مرض اعتراه فلم أعده لمرض أصابنى فعتب على ولم يدر ما عاقنى عن العيادة * سيدى ومولاى يعلم أن القلوب وهى حصون المودة لا تفتح عنوه * والدهر لم يبق للصلح موضعا تتمسك منه يد الأمل بعروه

ووداى كما عرفت ودادى * وفؤادى كما عهدت فؤادى

وصاحب البيت أدرى بالذى فيه * وان للبيت ربا يحميه * وقد عرض من السقم ما عاق عن العيادة * وأقعدنى عن القيام بأمرها وهى عبادة * وكيف يصح بدن روحه سقيمه * فلذا أنشد لسان حال المودة السليمه

رأيت الفضل فى الدنيا غريبا * ضعيفا فى معالمها نحيفا

فلما أن سألت الدهر عنه * أجاب ملاحظا معنى لطيفا
وقال لى ابن قاسم المفدى * وعين الفضل قد أمسى ضعيفا
فقلت له حمى الله المعالى * بصحته وآمنه المخوفا

وكتبت مع ذلك شعرا عرضته عليه وهو قولى مضمنا

يزيد اشتياقى نحو مصر وأهلها * كما زاد مد النيل حتى تفجرا
أذاب النوى صبرى وأفنى مدامعى * فقالوا سلا عن حبنا وتسترا
ولم يبق لى الا التفكر نيلها * ولو شئت أن أبكى بكيت تفكرا

(وقولى)

ان وجدى بمصر وجد قديم * وحنينى كما ترون حنينى
لم يزل فى خيالى النيل حتى * زاد عن فكرتى ففاضت عيونى

وقولى ناسجا على منوال شعر الزمخشرى المشهور

وقائلة ماهذه الابحر التى * جرت من مآقيه ولم تك غائضة
فقالوا لها أنهار مصر التى ثوت * بخاطره أمست من العين فائضة

ثم عن لى معنى آخر حال الكتابة وهو

يا كوثرا ان سد عنه مسمعى * تلقاه فيه قد جرى بخريره
لحديث نيلك مصر أضحى مصغيا * حتى يخوضوا فى حديث غيره

(فأجاب أبقاه الله)

أتتنى رقعة من ذى ولاء * وفى فشنى امرء ادنفا ضعيفا
أبانت منه معذرة بسقم * ألم به وصار له حليفا
وشاطرنى السقام ولم يزل بى * على طول المدى برا روفا
وذاك ابر فى سنن التصابى * وأوفى من عيادته الوفا
تقيه السوء نفسى فهو من لم * يزل يكسى به الفضل الشنوفا
شهاب ثاقب محت الليالى * بطلعته من الدهر الصروفا

مولاى فكرى الكليل عليل * والاستقصاء فى مجارات سيدى ماإليه سبيل * وسلامتكم غاية المسئول * والعذر عندكم ان شاء الله تعالى مقبول * والسلام

(وقال جوابا عن كتاب)

ورد

ورد الكتاب مبشرا بقدوم من * ملأ النفوس مسرة بقدومه
فطربت بالاسجاع من منطوقه * وتملت بالجريال من مفهومه
وسجدت شكرا عند مورده على * اسعاد هذا العبد من مخدومه

(وقال أيضا)

قال لى العاذلون لم ملت عمن * بمحياه يخجل الاقمارا
قلت كان الفؤاد عشاله اذ * كان فرخا وحين ريش طارا

(وقوله رباعية)

يا جيرتنا فى حلب الشهباء * من يوم فراقكم سرورى ناءى
قدمت لبعدكم غراما وأسى * لقد غلطبا أعتد فى الاحباء

(الأمير أبو بكر الحلبى)

(الامير أبو بكر الحلبى) المعروف بابن حلالا أمير جيشه الهمم * وبحر تغترف منه الديم * تسكر من ألفاظه المدام * فاذا ساقط الحديث سقاط الدر أسلمه النظام * أو بدا روض أدبه قامت له الأغصان فى الرياض على الأقدام * رحيب ساحة الصدر * وصليب قناة الصبر * لم يعقد حبوة رايه الا بيد الحزم * ولم يحل الدهر ما عقده الا براحة العزم * فلا يدخل الطيش حلمه * ولا تحل يد النوائب حزمه * أدبه أرق من دمع السحاب * وأصفى من ماء الحسن فى رياض الشباب * الا انه اقتصر عليه * وجعل جملة متاعه فى يديه * والادب روضة ذات أفنان * لا تزهو الا اذا كانت ذات أنواع وألوان * فلذا قل ماروي شعره من ماء النضاره * واكتسى غصن لفظه ورق الغضاره * ولم يحضرنى منه الآن غير قوله

أبابحرا غدونا من نداه * نقدم بعض أنعمه لديه
كذا البحر ينشأ منه غيث * وبعض سحابه يهدي اليه

وهذا معنى مشهور وفى معناه قول البديع

أهدى لمجلسك الشريف وانما * أهدى له ماحزت من نعمائه
كالبحر يمطره السحاب وماله * من عليه لانه من مائه

وقد ضمنه بعضهم ونقله من الجد الى الهزل فقال

يتبادلان فينصفا * ن وليس بينهما ارتياب
فمصيب هذا ماء ذا * كالبحر يمطره السحاب

وقد حضرني في معناه ما كتبته مع سمك أهديته

أهديت حوتا نحو من * فانت عزاءه السماك
فاقبل بحقك عذر من * أهدى الى البحر السماك

ومن الفصول القصار * المهدد لمن فوقه مهدد للبحر بالشرق وللحوت بالغرق

(ابراهيم ومحمد بنا أحمد الحلبي المعروف بالملا) هما من دوحة الكمال غصنان * بل روضان أنبتهما مرجان * ولا أقول نهران فهما بحران * يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان * كل منهما جواد يفرغ الخزائن بجوده * فيملأ بالغيظ قلب حسوده * طويل الباع * عذب الموارد اذا ظمئت الاسماع * مرهف فكره صقيل الطبع * وبحر كرم متموج بهبوب نسيم ذلك الطبع * رقيق حواشي المجد * أرق من عبرات أسالها الوجد * وضاح المحيا * تحمر خجلا منه خدود الحيا * صفا وألفا * ولاحا كغصني بانة قد تألفا * نشأ في حجر الفضل والحسب * وبقا في روض النجدة والأدب * في زمان شمت فيه الجهل بالفضل * ورقي صهوة عزه كل قدم نذل * نجمان بأيهما اقتديت * في طرق المعاني اهتديت * فهما في مغرس الكرم صنوان * وثمراتهما صنوان وغير صنوان * وروضا محامد * يسقيان بماء واحد * ووالدهما همام ألف وأفاد * وعذبت موارد افادته للوراد * له تآليف كثيرة منها شرح مغني اللبيب طرز بتحريره حواشيه * ودخل جنته من أي باب شاء من أبوابه الثمانية * فما أنشدته لمحمد ابنه

في الليل وفي النهار حرى كبدي * مقتول ضني بجائر ليس يدي
ترشي عيني جواهر الدمع على * لقياه تظن أنه طوع يدي

وهو معنى مترجم من الفارسية ومثله قول صاحبنا محمد القاسمي

لقياك سرور قلبي المحزون * والوحشة من هواك لا تعدوني
ياويح عيوني خشيت شقوتها * مني فاتت بدرها ترشيني

وقريب منه قول ابن الرومي

وهبت له عيني الهجوعا * فأثابها منه الدموعا

وأحسن منه قول الارجاني

ابراهيم ومحمد بنا أحمد الحلبي المعروف بالملا

لولا طروق خيال منك منتظر * يلم بى راقدا ما سا انى سهرى
كأن جفنى اكراما لزائره * أمسى على قدميه ناثر الدرر

ولابراهيم من قصيدة قرظ بها شعر اليوسف بن عمران

أطرسك هذا أم لجين مذهب * وتظمك أم خمر لهمى مذهب
وتلك سطور أم عقود جواهر * وزهر سماء أم هو الروض مخصب
وتلك معان أم غوان تروق للـ * ـعيون وباللحن المسامع تطرب
فياحبذا هذى القوافى التى بمن * يعارضها ظفر المنية ينشب
لقد أحكمتها فكرة ألمعية * فكدت لها من رقة النظم أشرب
فكم غزل قد هز ذا سلوة الى التـ * ـصابى فأضحى بالغزال يشبب
فيابحر فضل فائضا بلآلئ * لها فكرك الوقاد مازال يثقب
ظننت بانى للخطاب مؤهل * فأرسلته شعر النظمى يخطب
فعذرا فان الفكر منى مشتت * وعقلى بأيدى حادث الدهر ينهب

وكان العماد بينه وبين أحمد مودة صافية وفى بعض الاحيان تجرى بينهما مداعبات واحماض فكتب له مرة وقد رأى ميله لمعذر كان من جملة خدامه يستفتيه فى رأى أهل الموصل

ما تقولون ياذوى الافضال * وأولى العلم والحجى والكمال
فى أناس يرون فى حلب الشهـ * ـباء رأى الهوى وحب الجمال
قد تحيرت فى هواهم زمانا * فاكشفوا لى عن شبهتى وسؤالى
أى ذنب للأمرد الناعم الخد الذى فاق رية الخلخال
بجميل مثل الغزالة حسنا * وبطرف ازرى بلحظ الغزال
وبصقول وجنة قد تسامت * بصفاء على بديع اللآلى
فلماذا أعرضتم عن هواه * لذقون كأنهن المخالى
من نتيف محفف ذى اعتلال * ناقص الحسن مصدر الأفعال
أفلا تنظرون مرآة وجه * لاح بدرا مكملا بالدلال
دون ذى لحية كسته ظلاما * خارجا عن مطالع الاعتدال
فاكشفوا شبهتى فانه داع * لاتباع الهدى وترك الضلال
لابرحتم فى نعمة وسرور * ناجحى القصد بالغنى الآمال

(فأجابه بقوله)

ياهماما سما بروج الكمال * واماما حوى فنون المعالى
وأديبا أتى بكل بديع * من نظام أزرى بعقد اللآلى
وعلى أصله المكارم جادت * بثناء يفوق ريح الغوالى
ولعمرى ان العماد امام * فاق أقرانه بحسن الخصال
باله فاضلا وأحسن مولى * فى صحيح الهوى خلا عن منال
هذبته أيدى الليالى الى أن * رق طبعا ففاق صفو الزلال
قد أتى منه لى لطيف سؤال * ببديع الفنون أصبح حالى
نمقته أيدى القريحة حتى * حاز لطفا قد تم بالاعتدال
جاء فى طيه بنشر ذكى * دق عن ذوقه فهوم الرجال
سائلا عن معاشر من بنى الحب بشهبا تنا رضوا بالمحال
عدلوا عن هوى صقيل المحيا * من بخديه جال ماء الجمال
وله بهجة بوردى خد * ولحاظ تروى عن الغزالى
ناعم الوجنتين معسول ثغر * ويح قلبى من قده العسال
فلماذا أعرضتم لسواه * من ذقون كأنهن المخالى
تارة تنحون حب نحيف * ناقص أجوف الحشى ذى اعتلال
واذا الامرد الجميل المفدى * لاح لم تقصدوا هواه بحال
وطلبتم منى الجواب وانى الآن والعهد ليس لى من مجال
كيف والفكر فى خمول وهم * والحشى فى تحرق واشتعال
غير انى أقول قولا وجيزا * وعلى الله فى القبول اتكالى
اننى مغرم بكل جميل * حسن الوصف والثنا والفعال
أمردا كان أوفتى ذا عذار * فاق فى الحسن ربة الخلخال
سيج المسك ورد خديه لما * خاف أنا نصيبه بالنبال
وتجلى من هالة فى عذار * وجهه البدر ذو البها والجمال
ذا غرامى ومذهبى واعتقادى * انه مذهب من القدح خالى
اذ رأينا من تقدم قوما * قد رقوا فى العلا ذرى الآمال
سلكوا فى هوى الفريقين سلما * وأتوا بالبديع من كل قال

وطباع

وطباع الورى تخالف فالنا * زل فيهم وفيهم كل عالى
ها جوابى ولست أزعم أنى * ذو صواب فارقت نهج الضلال
فعلى الفاضل الاديب مليك الـ * فضل من جاءنا بهذا السؤال
الامام العماد نشر اعتذارى * وقبول يقاد من غير قال
دام فى نعمة وأرغد عيش * ونعيم وبهجة واعتدال
ما انتحى المرد والمعذر صب * عادم الصبر واجد البلبال

(يوسف بن عمران الحلبى)

(يوسف بن عمران الحلبى) أديب نظم ونثر * فأصبح ذكره جمال الكتب والسير * أكثر من الرحلة والنقله * على تيقظ لا تطمع فيه الغفله * ففاضت عليه سحائب من الثناء سكوب * من جهار ياح الشكر مما يسحبه الصبا والجنوب * الا انه فى أواخره داست ساحته النوب * فأحاط به الفقر لما أدركته حرفة الأدب * فأصبح بعد النعيم المقيم بؤسه أبا العجب

لو كان يدرى المرء أن ابنه * يحرم بالآداب ما أدبه

وقد صحبنى فرأيته بشعره معجبا طروب * اذا سنح له معنى فكأنه قميص يوسف فى أجفان يعقوب * فمدحنى بعدة قصائد * وأهدى الى منها ما هو على آدابه شاهد * وطلب منى يوما تقريظ شعره فقلت بديهة

لشعر ذا الحبر يجرى فى تموجه * يهدى لاسماعنا روحا وريحانا
ذو منطق ساحر مطرفوا عجبا * للسحر ينشئه وهو ابن عمرانا

وكان من خزائن الادب نهابا وهابا يطرب بالحانه * وان رجح على من سواه بأوزانه * فمن عذب خطابه * وقلائده المنتظمة فى جيد آدابه * ما أنشدنيه من قصيدة له

أثار باحشاءى البنان المطرف * رسيس هوى يقوى اذا الصبر يضعف
وأرقنى من حى سلمى حمائم * غدت فوق أغصان المعاطف تهتف
وثغر اذا ما افتر يبدى ابتسامه * بروقا بها أبصارنا تتخطف
وخد سقى ماء الشباب رياضه * بألحاظنا منه جنى الورد يقطف
ودينار خد كامل الوزن حسنه * على حبه روحى النفيسة تصرف
وجسم صفا حسنا يكاد أديمه الـ * منعم من فرط الطراوة يرشف

(وقوله من اخرى)

حذار تروم الوصل من ساحر الجفن * فكم مشرفي دونه سل من جفن
واياك من خطى عامل قده * فكم أثخن الاحشاء طعنا على طعن
ألا أيها الريم الذى بات برنعى * حشاشة نفس الصب لا روضة الحزن
بخديك مافى مهجتى من لظاهما * بجسمى المعنى مابخصرك من وهن

(ومنها)

لثمت له جيدا طلى الظبى دونه * وثغر الماء العذب أحلى من المن
وألصقته بالصدر عند عناقه * كما ضمت الأحلام جفنا الى جفن
وهذا كقول القاضى الفاضل

فيا جفنى فاعتنقا انطباقا * وبانومى قدمت على السلامة

(وله من اخرى)

كأن زهور الروض حين تساقطت * لتقبيل اقدام الأحبة افواه

(وله من اخرى)

ربيع عدل به أيامه اعتدلت * فالشاة والذئب فى أيامه اتفقا
لا تختشى الطير من ملقى الشباك لها * ولوا ليها بألنى مقلة رمقا
وفى معناه قولى من قصيدة

فديتك يامن بالشجاعة يرتدى * وليس لغير السمر فى الحرب يغرس
فان عشق الناس المها وعيونها * من الدل فى روض المحاسن تنعس
فدرعك قد ضمتك ضمة عاشق * وصارت جميعا أعينا لك تحرس
ومما أنشدنيه أيضا قوله

ماان عصبت العين بعدهم سدى * الا لأمر طال منه سهادى
لما قضى نومى بأجفانى أسى * لبست عليه العين ثوب حداد
وقد كنت لما ذكر لى هذا ذكرت له تتفانى معناه فأعجبته فنها

لا تنكروا رمدى وقد أبصرت من * أهوى ومن هو شمس حسن باهر
فالشمس مهما ان أطلت لنحوها * نظرا تؤثر ضعف طرف الناظر
ولقد أطلت الى أحمرار خدوده * نظرى فعكس خيالها فى ناظرى

(ومنها)

رمدت جفونى عند مافارقت من * قد كان كحلا فى نواظر عبده

وسرقت حمرة ناظرى وسقامه * عند النوى من مقلتيه وخده

(ومنها)

حين خبرت أن فى الطرف منه * رمدا زاد فى ذبول المحاجر
جئت كيما أزور من وجه بدرى * كعبة الحسن تحت سود الستائر

(ومنها)

ما احمر طرف العين ضعفا ولا * نرجسه بدل منه الشقيق
لكنه من حمرة الخد قد * أصبح سكرانا فلا يستفيق

(ومنها)

انظر الى أجفانه الرمد * تبدل النرجس بالورد
تحمرلا من علة انما * تأثرت من حمرة الخد

(ولابن المعتز)

قالوا اشتكت نرجسنا طرفه * قلت عداه السقم ما كانا
حمرة ورد الخد أعدتهما * والصبغ قد ينفض أحيانا

وكتب ابن الحجى الى اليعمورى وهما أرمدان .

ابشرك يا خليلى أن عينى * غدت رمدا آء تجرى مثل عين
حديثا أنت تعرفه يقينا * لانك قد رمدت وأنت عينى

(فأجابه)

كفاك الله ما تشكو وحيا * محاسن مقلتيك بكل زين
وانى من شفاءى فى يقين * لانك قد شفيت وأنت عينى

(ومما قلته أيضا)

اشكو اليك جفونا قد رمدن وقد * فارقن مرآك يا من فقده حينى
والقلب منقلب عن راحة وهنا * والعين مثل اسمها معتلة العين

ولنقصر عنان الاختيار فقد طال والشئ بالشئ يذكر ومما أنشده لى أيضا قوله فى بخيل

بخيل لو بيوم منه جادت * أنامله لغالته الندامة
ولو فى النار ألقى ألف عام * لما عرفت له يوما سلامة
ولو صادت بسفرته رغيفا * بكى لما بدت حتى القيامة

(وقوله)

أفدى حبيبا تفوق البدر طلعته * لانها لغريب الحسن قد جمعت
خال الجمال عذارا فوق وجنته * غزالة الصبح فى اشراكه وقعت

وأنشدنى لنفسه فى معناه

ظننت الصبا لما على النهر قد جرت * وعكس ذكاء لاح فيها المرتقب
شباكا بها صاد النسيم غزالة * ألست تراها دائما فيه تضطرب

ومما يعجبنى هنا قول القائل

غدوت مفكرا فى أمر افق * أرانا العلم من بعد الجهالة
فما طويت له شبك الدرارى * الى أن أظفرتنا بالغزالة

وقول الشهاب محمود فى عقاب

ترى الطير والوحش فى كفها * ومنقارها ذا عظام مزالة
فلو أمكن الشمس من خوفها * اذا طلعت ما تسمت غزالة

(وللمعمار)

انظر الى النهر فى تطرده * وصفوه قد وشى على السمك
توهم الريح صفوه فغدا * ينسج فوق الغدير كالشبك

(وأحسن منه قولى)

ما الغصن مال على الانهار جعدها * مر النسيم فألقى فوقها حبكا
بل مد منه يدا لما رأى سمكا * من صفوه طرحوا من فوقه شبكا

(سرور بن سنين الحلبى) شاعر سمح السجية * له أنفاس ندية ندية * كانت نسمات المسامرة تهب بنفحاته * وأفواه الاسماع تحتسى فى نادى الأدب سلافة أبياته * ونور روضه يتبسم فى الاكمام * فترى منه ما هو ألذ من نظر معشوق فى وجه عاشق بابتسام * فتستعذب فى مذاق الأدب * وتلقى بضائعها من الركبان القادمة من حلب * ثم رأيته لما ورد الروم * الا انه لم يطل مكثه بها لفقد ما يروم

وآفة للتبر ضعف منتقده

فرجع قائلا لكل يوم غد * ولكل سبت أحد * فلم تر عين أمله سرورا * ولم يذق كأسا كان مزاجها كافورا * ولم يلبس برد العمر قشيبا * حتى احتضر

(سرور بن سنين) فى نسخة سنين

غصنا رطيبا * فمما أنشدني من شعره قوله من قصيدة

وليل هدت نافيه غر الفراقد * لحاجات نفس هن أسنى المقاصد
وقد صرفت زهر الدراري دراهما * تمد الثريا نحوها كف ناقد
وباتت تناجيني ضمائر خاطري * تقرب نيل المطلب المتباعد
لحى الله طرفي ماله الدهر ساهرا * لمكتحل الاجفان بالنوم راقد
حبيب كأن البعد يهوى وصاله * معي فهو لا ينفك فيه معاندي
أخذت الهوى من لحظه وابتسامه * بما قاله الضحاك عن مجاهد

وقوله حبيب الخ كقول أبي الطيب

كان الحزن مشغوف بقلبي * فساعة هجرها يجد الوصالا

(وقول المعري)

لئن عشقت صوارمه الهوادي * فلم تعدم بما تهوى اتصالا

(وفي معناه ماقلته)

لك الله من دمع كشمل مبدد * وطرف بنعسان الجفون مسهد
لئن عشق التسهيد أجفان مقلتي * لهجرك فلينعم بوصل مخلد

ومن تقريظ له على شعر ابن عمران

حملت الينا يا ابن عمران روضة * من النظم يسقيها الحجى صوب وكفه
خميلة شعر يزدري البدر نورها * ويناى عن الشعرى العبور بعطفه
كأن غصونا أودعت في سطورها * لها ثمر يلتذ سمعي بقطفه
اذا ما مشى ليل المداد بطرسها * نهارا زهت فيه كواكب وصفه
فكانت كما زارت معطرة اللما * مبردة من حر قلبي ولهفه
ووافى الى الصب الكئيب شويدن * لوجرة أحوى فاحم الشعر وحفه
فاحبب به عبل الروادف خصره * يجوع اذا غص الازار بردفه

(حسين بن أحمد الجزري الحلبي) أديب له أوصاف حسنى * ومناقب هن الوشي بهجة وحسنا * اذا أصغت له اذن أديب * حلت منه بواد خصيب

سحر من اللفظ لو دارت سلافته * على الزمان تمشى مشية الثمل

رأيته بالروم وهو شاب * يجرر داءى شباب وآداب * وهلاله مشرق في افق

حسين بن أحمد الجزري الحلبي

ثمائه * وغرة صبحه تؤذن بوجه ذكاء ذكائه * وقد سلك للمجد طريقة غير مطروقه * بهمة غير همة وخليقة غير خليقه * والدهر فيه عدات يرجى انجازها * وحلل منشورة سيلوح طرازها * فلم ينبسط بردها حتى انطوى * ولم يورق قضيبه الرطيب حتى ذوى * والدهر يقول والنجم فى مطلع العمر هوى

أبكى اناء شبيبة * فى وقت ما امتلأ انكفى

فمما أنشدنى فى صديقه سرور السابق ذكره

وحقك ماتركتك عن ملال * وبغض أيها المولى الامير
ولكن مذ ألفت الحزن قدما * أنفت مواضعا فيها سرور

وهذا من قول المتنبى

خلقت ألوفا لو بعادونى الصبا * لفارقت شيبى موجع القلب باكيا

ومنه أخذ البهاء زهير قوله

والوفا لو أفارق بؤسى * لتوالت لفقدها حسراتى

وقد أجاد القائل فى متابعته

ألفت الضنى من بعدكم فلوانه * يزول اذا عدتم حننت اليه
وصار البكى لى عادة فلو انه * تغيب عن عينى بكيت عليه

(ومما قلت فى المعنى)

مذ هجرتم هجر الطيف ولى * ناظر لم يدر ماطعم الوسن
فى هوا كم ألف الحزن فلو * لم يجده مات من فرط الحزن

وله ديوان بليغ طالعته فاخترت منه قوله من قصيدة

اعطى سرائرك النحول اللوما * والحب ليس بممكن أن يكتما
ووشى ونم عليك دمعك عندما * وشى بعندمه الخدود وعنما
أفرمت تبهم واضحا من سره * والدمع متضح به ما أبهما
أم خلت ان أسالت تمحوه الاسى * كلا ورب جراحة لن تحسما
ان المحبة محنة لا منحة * ومن الغرام يرى المحب المغرما
وشكيتى شاكى السلاح جفونه * مر العذاب لشقوتى عذب اللمى
ظبى ظبى لحظاته بمضائها * أنا موقن لاشك تردى الضيغما

اخشى الهلال توهما من بأسه * ولربما هلك المحب توهما
وأظل صادى القلب خيفة صده * ولوانه بنعيم وصل أنعما
واذا منعت الماء اول مرة * ووردته اخرى تذكرت الظما
بأبى وان كان الأبى وبى رشا * قدّ الغصون رشاقة وتقدما
كالصبح فرقا والغزالة طلعة * والبدر وجها والثريا مبسما
يزداد ورد خدوده وجوانحى * من نارهن تضرجا وتضرما
صافى الأديم ترى ترافة جسمه * ماء ويابى الماء أن يتجسما
كيف الهداية لى وفاحم فرعه * قد ظل يجهد أن يضل ويفعما
كالافعوان على قضيب كثيبة * لا يرتجى اسليمه أن يسلما
أنا من أباح يد الغرام زمامه * تمشى به أنى يشاء ويمما
فعسى الحبائب أن تخفف عبأها * فلقد حملت من النوائب أعظما
فى كل يوم روعة أولوعة * والقد تقعده الحوادث توأما
شيبا تناست بآمن عقباهما * أن تصحب الدنيا وتدنى الأرقا
فلا بلغن نهاية فى قدحها * ان لم تبلغنى الا بر الأكرما

(ومنها)

ولوان ادراك المنى بيد النهى * وطئت نعامة أخمصى الأنجما
ومتى يصح سقيم جد آخى الحجى * يوما اذا كان الزمان المسقما
فالحق أليق والخداع موافق * والمكر أرفق ماترافق منهما
أبناء دهرك بالنفاق نفاقهم * افيرتضونك بالهدى متكلما
مالم تنافق فاتخذ نفقا به * ترجو السلامة منهم أوسلما
لا يفقهون وشر من صاحبته * أن تصحب الاعمى الاصم الابكما
ولقد ملئت تجاربا وتجاربا * لم تلقنى الا اناء مفعما

(ومن قصيدة)

لا تلحن الاقدار فى اعرابها * قد ترفع الأسماء بالتقدير
مكسورة قد حاولت اكسيرها * من جابر والجبر للمكسور

(وله من اخرى)

وليل كان الصبح فيه مآرب * نؤمل ان تقضى وخل نصادقه

(وله من اخرى)

ولم أنس ليلا ماتبلج صبحه * ولالاح فى يافوخه وخط شائب
عدمت ابتسام الفجر فيه كأنه * سلو فؤادى اووفاء حبائبى

(وله من اخرى)

فاسلم بدهر عصمت منه به * وعش بعلياك عمر أعصمه
فاسوا برؤياك ما أساءنا * لايصلح القرح غير مرهمه
فان هذا الزمان محسنه * كفارة من ذنوب مجرمه

(وله من اخرى)

وبى مضاضة عيش مسنى لغب * منها وساورنى فى كرها سغب
حتى تصورلى منها على ظما * أن المنية فى ثغر المنى شنب

(ومن اخرى)

عسى شمس هذا الدهر تأتى بوفق ما * نرجى وشمس الوفق فى شرف الشمس

(وله يطلب فرسا)

أبثك أن لاطرف لى أقتضى به * ديونى وأعيانى الغريم بمطله
فجدلى بما أرجوه ان شئت ملجما * وان رمت تعجيل العطا فبجله

(وله من اخرى)

ورب غبى كنت أحسن وده * وتقبح لى أقواله والفعائل
تغافلت عن أشياء منها وربما * يسرك عن بعض الأمور التغافل

وهذا كقول بعض الحكماء الكرم مكيال ثلثاه التغابى ولابى فراس

ليس الكريم بسيد فى قومه * لكن سيد قومه المتغابى

(ومما قلته أنا فى نحوه)

كم قد سعيت للمعالى جاهدا * فزاد فى سعيى اليها الغبى
ولست فى فهمى غبيا أبدا * وانى ان عن سوء لغبى

(وله من اخرى)

ولاعيب فيهم غير أن صلاتهم * تغرق امال العفاة بحورها
وأن سيوف الهند فى كل معرك * بأيمانهم حاضت دماء ذكورها

(وله من اخرى)

يلبيك من قبل السؤال نواله * ويأتيك دون الانتظار نضاره

(وله من اخرى)

وقبلك صاحبت الزمان وأهله * فما شاقنى خل ولاراق موضع
يقدمنى عزمى وحظى مؤخرى * ويوصلنى حزمى ودهرى يقطع
ولاذنب لى الا الفضيلة انها * من الجهل فى الايام أشنى وأشنع
وهمى من الدنيا المعالى ونيلها * وما هيم قلبى الرقمتان ولعلع
ولا نسمة سحرية شجرية * ولا بارق من بارق وهو يلمع
ولاعذب ماء للعذيب على ظما * يمض بجرعاء الحمى يتجرع
ولارشأ أحوى ولاصوت قينة * ولاقدح فيه الرحيق المشعشع
ولكنه لدن وأجرد سابح * ومسرودة زغفى وأبيض بسطع
واتلاف ماأحوى على طلب العلا * وهذا طريق للمكارم منبع
وانى من خلى بأيسر وده * أسر وأسرى مادعانى وأسرع
قليل مودات الرجال كثيرة * وأيسرها عند النوائب تقنع
أبرك من يلقاك بالبشر وجهه * وواساك فى الضراء من يتوجع
ولكننى لم ألف غيرك وافيا * وأكثر من تلقى يخون ويخدع
تحاولت أن ألقى المنايا أو المنى * لديك وعرنين العدا بك أجدع
تملكت منى جانبا لاأضيعه * لغيرك فى الدنيا وغيرى المضيع
لسانا طريا بالمديح وأنملا * سحائبها من نقشها لاتقشع
وقلبا على حفظ المودة عامرا * ولكنه ان سمته الضيم بلقع
وصيرتنى عبدا لأمرك طائعا * وانى الالك الانام أضيع
ولى رتبة فوق الثريا محلها * ودون ثرى فيه نعالك توضع
وسلسال لفظ سائغ الورد عذبه * له مشرب صاف نمير ومشرع
وماقصدت الالك قبل قصائدى * ولم يرها قوم سوالك ويسمعوا
منمقة تزهو على زهر الربا * وتشرق كالزهر السوادى وتطلع
لواعتبر الرائى مواقع لفظها * تيقن أن السحر فى الشعر يجمع
وغيرى طفيلى القوافى وأشعب الـ * ـمعانى له فى كل ماعن مطمع

(وله من اخرى)

ان خصنى بالبؤس دهرى دائما * دون الورى فأنا بذلك أفضل
هذى عقاقير العطارة كلها * لم يحترق منهن الا المندل

(وله من اخرى)

أرى اليأس عزا والرجا ذلة الفتى * وطول المنى عجزا وحب الغنى فقرا
فلا تضجرن من حالة مستحيلة * كما انتها عسرا ستتركها يسرا
وان الفتى كالغصن مادام نابتا * فآونة يكسى وآونة يعرى

(وله من اخرى)

اذا ما كنت مصطنعا جميلا * فحاول من يروقك بالصنيع
ولا تكرم به الا كريما * رماه الدهر عن مجد رفيع
ولم أر نعمة تسدى فتزرى * بمسديها سوى رفع الوضيع

(وقوله)

غير بدع اذا ظلمت بدهر * رزق الغمر فيه حظا عظيما
فالهواء الصحيح يدعى عليلا * واللديغ المصاب يدعى سليما

(وقوله)

ما سمت الزمان الا حرما * ن كريم فيه وحظ لئيم
وترآى اللئيم أقبح في العينين مرأى من افتقار الكريم

(وله)

ومستخبر عني بغير جهالة * يراني وفي عينيه عن حالتي عمى
تنكر من تابا ولم يدر أنني * شهدت مذاق العيش شهدا وعلقما
اذا ما استرد الدهر مني هباته * فسيان ان أعطى كثيرا وأحرما

(وله)

لا يضر الكريم قلة مال * لا ولا باللئيم يجدي الثراء
فشبا مرهف الجبان كليل * وبصيد بدها تقد العصاء

(وله)

لا تحسب الارزاق تقسم باطلا * كلا لقد ساوى المهيمن بينها
فاذا رزقت الجهل أدركت المنى * واذا حرمت الجد أعطيت النهى

(وله)

حاذر عداك الاقربين من الورى * فاضرها القرباء والقرناء
وبوق من كيد الحقود ولين ما * يبدى فقد يصدى الحسام الماء

(وله)

أبعد ما يطلب ادراكه * نيل المنى بالفضل انسان

وكل شئ وله غاية * وغاية العرفان حرمان

(وله)

رويدك ان بعد الضيق مخرج * وصبرك عنده أبهى وأبهج
وكم من كربة عظمت وجلت * وعند حلولها الرحمن فرج

(وله)

كفى حزنا أنى أراك قريبة * ويفصلك عنى نابثين أمور
أراك ولكن لا سبيل الى اللقا * وكل يسير لا ينال عسير

(وقوله)

اسقنى قهوة بن * وامزج القهوة عودا
فهى للصفراء والبلـ * ـغم تمحو وهى سودا

(وقوله)

وأغيد أورثنى بعده * ثوب الضنى فيه وفرط السقام
رثى لى العاذل فى حبه * حتى اذا خط عذاره لام

(وله)

مذ خط ايات عذاره له * نقطها من مسك شاماته
ولاح فى اصداغه وجهه * كأنه البدر بهالاته
وارسل اللحظ نذيرا وقد * كلم قلبى بمناجاته
لم أستطع كفرانها اننى * آمنت بالله وآياته

(وله فى الصيف)

قد هجم الصيف وولى الشتا * منهزما تتبع آثاره
مبتدعا يسلب أثوابنا * ويخرج المالك من داره

(وله)

أراك بسر مستودعيك سرا * مخافة أن تسر الى مريب
أتم من السؤال على عديم * ومن درن السفار على غريب

(وله)

لا اشتكى الحب تصمينى مصائبه * ولى من اللوم فيه اذن أطروش
فلست أول من ألقاه ناظره * فى صبوة شوشته أى تشويش

وغاديها * وأقلام الفتوى مثمرة من شمس افادة له ارتفعت * فيالها من قضب أثمرت بعد ماقطعت * ونور فضله بادى * وموائده ممدودة لكل حاضر وبادى

كالشمس فى كبد السماء ونورها * يغشى البلاد مشارقا ومغاربا

ولم يزل ثاويا فى فلك السعاده * حتى كسفت شمس حياته فلبس الدجى عليه حداده * فمن نفحات أسراره * ولمعات أنواره * قوله للقاضى محب الدين وهو بمصر

من يوم بينك كل طرف دامى * لم تكتحل أجفانه بمنام
لما رحلت ممتعا بسلامة * ومصاحبا للسعد والاكرام
خلفت بعدك كل خل هائما * يجرى الدموع حليف فرط غرام
سكران من كأس الفراق معذبا * ياصاح بالهجران والآلام
يشدو بذكرك من نوالك اذا رأى الـ * ـعشاق فى ركب لكل مقام
مولاى بعدك قد تفرق شملنا * وضياء نادينا انمحى بظلام
قد كنت واسطة لعقد نظامنا * حتى انفردت فحل عقد نظامى
وضياء وجهك فى النهار اذا بدا * فالشمس تستر وجهها بغمام
هذا وعبدك ضاع بعدك صبره * فاسلم ودم فى السعد والانعام
وعلى جمالك من المحب تحية * لاتنتهى وعليك ألف سلام
وسقى الاله ديار مصر وأهلها * انواء سحب من يديك عظام
لما حللت بها تضاحك نورها * فرحا وبدل نقصها بتمام
لازلت ترفل فى ثياب سيادة * وتجر ذيل العز فوق الهام
ماتمق المشتاق طرس رسالة * بحديث أشواق وبث غرام

* (ابنه عبد اللطيف) *

ولما ارتحلت عن مصر فارقت أترابى ولداتى * ومن بها من ذخائر آمالى وكنز حياتى

وطير بلاد أرضعتنى بمائها * وأنفاس نسماتى ومهد ديارى

مررت بدمشق الشام * فرأيت من بها من الكرام * كان ممن نعمت بلقياه * ووقفت على هضبات علاه * هذا الاديب الحسيب * والروض

الاريض

* (ابنه عبد اللطيف) *

الاريض والمربع الخصيب * فحياني بأنفاس من أنفاس الخزامى أندى * وهبت منه نفحات أنس كنفحة روض من قبيل الصبح بلتها الاندا * فعطر بفضائله الجامع * وفكه بثمرات آدابه المسامع * وأهدى الى فى مشرفة قصيدة حيانى بها وهى

بأفق دمشق قد طلع الشهاب * أضاءت منه هاتيك الرحاب
همام جد فى طلب المعالى * فأحرز شأوها منه الطلاب
ومولى شأنه تحرير علم * وتقرير المباحث والخطاب
حواشيه منقحة المعانى * ومن فن البيان بها اللباب
فبدر علاء مكتمل منير * يفيض بدرها منه العباب
ففى التفسير مجتهد وفيما * نحاه رأيه أبدا صواب
فلا يلفى له فيه نظير * وليس له سوى التحرير داب
أتى من مصر مجتازا فطابت * بمقدمه معالمها الرحاب
وعادانى دمشق وهو ثان * عنان العزم واقتبل الاياب
فقلد جيدها بعقود فضل * ووشى روضها ذاك الجناب
ونادر بى دمشق وساكنيها * بصيب سيبه الهامى سحاب
فقرت أعينا وسمت مقاما * وقد راقت مشاربها العذاب
وغنت لى قيان الطير بشرا * فكان من القبول لها جواب
وماست غادة الروضات زهوا * فألقى عن محياها النقاب
وقد بسمت ثغور النور فيها * وأسكر من ثناياها الرضاب
وكأس الورد فى راح الروابى * طفى فيه من الانداحباب
فنعم الوقت وقت جاء فيه * وخير الدهر عيش مستطاب
فدام ممتعا فى ظل عيش * لطيف لايكدره الذهاب
وعمر بنيه فى الدنيا طويل * يتيه بعده فيه الحساب
له منى ثناء كل وقت * جزيل أو دعاء مستجاب

شيخ الاسلام عماد الدين الحنفى الشامى

﴿شيخ الاسلام عماد الدين الحنفى الشامى﴾ ماجد طويل النجاد * له بيت كرم رفيع العماد * من غير قدح فيه وارى الزناد * ممن رفع فوق هام السماك مهاده * اذا شيد بيت الشعر وعمر ربع الأدب فهو عماده *

واذا بدا ربيع طبعه نشر على البقاع وشائع * يحيى دارس الفضل فيصبح وهو مشهور بها وشائع * وجواد قريحته ملآن العنان * سباق الى مغارس قصب الرهان * بعذب مشرب كأنه جنى النحل ممزوبا بماء الوقائع فما ريح الشمال وما الراح الشمول * وما وجنات الورد خمشتها راحة القبول * له لطف خلق يسعى اللطف لينظر اليه * ورقيق محاسن يقف الكمال متحيرا لديه * ألذ من أغفاءة الصباح * وأحلى من مذاق الظفر من ثمرات النجاح * وأنا وان لم تقع لى عليه عين * فسماع الاخبار احدى الرؤيتين * على أنى ان لم أرا الاسد فقد رأيت شبله * وسيأتى ما بينى وبينه من المحبة والخلة * لما قلت بظل الشام فى روضة أظلت على نهر تفتر * مباسم النور فيها عن لآلئ المطر * وكان صدرا لكل ناد * حتى قرض الدهر منه رفيع العماد

وزهرة الدنيا وان أينعت * فانها تسقى بماء الزوال

وللطالوى فيه مدائح وبينهما محاورات منها قوله

عهد السرور وريعان الهوى النضر * سقاك عهد الحيا رقراق منحدر
وجاد ربعك وسمى تكرره * ريح الصبا بين منهل ومنهمر
وغردت برباك الورق واشكرت * بلحن معبد تتلو طيب الخبر
ولا برحت مغان للحسان ولا * رمتك أيدى النوى بالحادث الغدر
ولا أغبتك أرواح النسيم ولا * عدت مغانيك أخلاف من المطر
كم لى بها وشبابى الغض مقتبل * من منزل آهل بالشوق والذكر
كم اجتليت بدورا من مطالعها * قد لحن تحت سماء من سنا قمر
من كل رعبوبة تهفو بمصطبرى * قد زانها الحسن بين الدل والخفر
رود كستها يد الايام ثوب صبا * وصيرتها الليالى فتنة البشر
هيفاء صب الصبا ماء الشباب على * أعطافها وكساها حلة الخضر
قامت تعانقنى عند الوداع وقد * قلدتها من دموعى رائق الدرر
تقول والبين تغشاها ركائبه * بمدمع فوق روض الخد منهمر
لا تعتب الدهر ان حالت خلائقه * فصفو رونقه لم يخل من كدر
وان ترم تتقى من صرفه نوبا * فالجأ لظل عماد الدين تستتر

مولى غدا الأمن منه للمروع كذا * جنابه ظل ماوى الخائف الحذر
لازال يسمو الى العلياء مرتقيا * بسودد مجده عالى على الزهر
حتى امتطى صهوات المجد سامية * يختال فى حلل الاوضاح والغرر
بهمة تجتلى كالليث ذا أشر * وعزمه كمضاء الصارم الذكر
مافاضل قط جاراه الى أمد * فى البحث الا انثنى بالعى والحصر
أقلامه السمر فى بيض الطروس اذا * سمت ارتك فعال البيض والسمر
له سجايا كزهر الروض غب ندا * وقد توشح بالانهار والغدر
يلقاك طلق المحيا وهو مبتسم * بمنطق ورده أحلى من الصدر
ماالروض جادت له الانواء بالبكر * فكللت دوحها المخضل بالزهر
جاد الغمام له سحا بوابله * وقد كسته الصبا من رقة السحر
تخال زهر الأقاحى فى خمائله * زهر المجرة صينت عن يد الغير
بشدو الحمام على أغصانه سحرا * فتبعث الشوق فى أحشاء مستعر
يافاضلا قد جلت أبكار فكرته * غر المعانى بها فى أحسن الصور
ياابن الكرام ومن شادوا بعزمهم * ركن العلا ساميا فى سالف العصر
وياعمادا لبيت الفضل يرفعه * وكان من ضعفه يلفى على خطر
الى ذراك انتمت فاقبل على دخل * نسيجها بارتيس البدو والحضر
لازلت فى نعمة تسمو بسوددها * هام السما كين حيث النسر لم يطر
ماناح بالأيك قمرى وماسجعت * ورق الحمائم بالآصال والبكر

(فأجابه بقوله)

أحلى حوراء أم عقد من الدرر * أم زاهر الزهر أم زاه من الزهر
أم الحباب على راح مرققة * أم نفثة السحر ذى أم نسمة السحر
أم نظم درزهت آيات منطقه * فأعجزت كل ذى نظم ومنتثر
ياناف السحر من فيه بمعجزة * عقدت ألسن أهل البدو والحضر
ويامديرا سلافا من بلاغته * هلا ترفقت بالالباب والفكر
ويا ابن طالو وان طال الزمان فما * لنا بلوغ الى علياك فاقتصر
أخذت فص المعانى من معادنه * وغصت فى أبحر الآداب للدرر
وحزت جمع المزايا وانفردت بها * ولم تدع للسوى شيأ ولم تذر

وجئت من كل معنى رائق حسن * بكل ما قد حلا فى الذوق والنظر
كأنه ضرب قد شابه شنب * أو عاتق عابق من ريحه العطر
وقد شهدنا بما أوتيت معجزة * جمع الفضائل فى فرد من البشر
أهديت لى غادة جلت محاسنها * وقد تجلت لنا فى أحسن الصور
رعبوبة من بنات البدو مذ خطرت * قلبى بها صار من وجدى على خطر
حيت فأحيت بألفاظ منمقة * وغازلتنا بلطف الدل والخفر
واسفرت عن سنا برق وعن شفق * وعن ضياء وعن شمس وعن قمر
زارت على حين أشواق ابهجتها * ومتعتنا بذاك المنظر النضر
وضاع نشر شذاها عندما برزت * مسكا وعطرت الاقطار بالقطر
سألتها قبله أطفى بها حرقا * شبت بقلب شديد الوجد مستعر
فأومأت بشتيت زانه شنب * وأنعمت بلذيذ الورد والصدر
ونادمتنى بلبل قد سررت به * لكنه ساءنى والله بالقصر
وبت أنشد مدحا فى محاسنها * ما قاله شاعر فى سالف العصر
يا نزهة النفس يا من زان منطقها * قس بن ساعدة المشهور فى السير
خذها اليك وان كانت مقصرة * فشأن مثلك ستر العيب بالستر
وان تكن أوجزت فى المدح واختصرت * فالعذب يهجر للافراط فى الخصر
وان تكن من بديع القول عاطلة * فقد تحلت بعقد من مديح مرى
فاعذر فانى تركت الشعر من زمن * لشاغل عنه غنى مقلة الفكر
لازلت تسمو على الأقران مرتديا * ثوب البلاغة فى أمن من الحصر
ما طرز الطرس تنميق اليراع بما * يزهو على الروض او يعلو على الزهر
أو شبب المادح المطرى بمدحك فى * بيت من الشعر فى روض على نهر

﴿ بدر الدين بن رضى الدين الغزى العامرى الشامى ﴾ فريد الدهر واوانه * وابن عباس فى زمانه * وسلمان آل بيته * وحسان قصيدته وبيته * صاحب الفنون * وغيث الافادة الهتون * جمال الكتب والسير * سيد أهل الحديث وعين ذوى الأثر * ممن حازت به أقطار غزه * شرفا باذخا وعزه * وابن مشبل الاسد * ذوو آراء الصائب الأسد * وفرند نصله المصقول الحد * وهما كركبتى البعير فى كل معنى صادم * أو كالحلقة

بدر الدين بن رضى الدين الغزى العامرى الشامى

المفرغة أو كعذارى صارم * وبدر طلع من أفق كمال والده مبتدرا * وكرع من بحر فضله البر ماء الحياة قبل أن يبدو نبات عارضه خضرا * وتحيط بمشارق أنواره * فى ابان طلوعه هالة عذاره * حتى أمد شمس الفضل بما يحيى النفوس * فهل سمعت ببدر تستمد من أنواره الشموس * فتكلف البدر اذ حكاه * وضاهى سناءه وسناه (ولا عجبا للبدر أن يتكلفا) وله من شعر العلماء ما صدحت من أقفاص سطوره الحمائم * وتحملت الصبا نشره فتلقته الزهور بثغر باسم * ولم يزل مشرقا فى منازله البدريه * حتى ألم بسنا عمره سرار المنيه * لازال ثاويا فى قصور الجنان * وضريحه مطاف وفود الرحمة والغفران * فما لمع من نور كماله * وسطع من نجوم أقواله * قوله

اذا كان حمد العبد مولاه انما * يكون بالهام من الله للعبد
وذلك مما يوجب الحمد دائما * فلا حمد حقا من سوى ملهم الحمد

(وقوله)

لنا أمير فريد فى خلائقه * كم من كرائم أموال لديه حوى
له التفات لرزق الناس معتنيا * يرى الفقير لديه والغنى سوا

(وقوله)

من رام أن يبلغ أقصى المنى * فى الحشر مع تقصيره فى القرب
فليخلص الحب لخير الورى * المصطفى والمرء مع من أحب

(وقوله)

بالحظ والجاه لا بفضل * فى عصرنا المال يستفاد
فكم جواد بلا حمار * وكم حمار له جواد

(وقوله)

يقبل الارض حماها الذى * ألثمها أفواه أهل العلا
عبد اذا كاتبته ثانيا * يزداد رقا لكم أوولا

وكتب اليه الفاضل النحرير عبد الرحيم العباسى ملغزا بقوله

يا اماما له الفضائل تعزى * وهماما أضحى لراجيه كنزا
ما بسيط حروفه ليس تحصى * وهو حرفان لا سوى ان تجزا
كل جزء منه استوى القلب فيه * جاء معنى أو جاء للفظ يعزى

نصفه ربعه ولا ربع فيه * وسوى الجس منه ماتم اجزا
واذا ماتصحف البدء منه * فهو وصف الكامل نال عزا
أضمر القلب غادة ان تصحف * آخرا فهو قولها حين تهزا
وعلى حمل صخرة ذو اقتدار * ثم عن حمل ابرة نال عجزا
هاكه واضحا بدون خفاء * لغزه ظاهر وان كان رمزا
دمت فى رفعة وحفظ الهى * لك دوما حصنا حصينا وحرزا

(فأجابه البدر)

زادك الله بالدراية عزا * فلقد قمت للهداية كنزا
يابديع الالفاظ عذب المعانى * صار منك البيان للدهر طرزا
من يجاريك فى العلوم يجارى اليم والجد من تجربه يهزا
ان لغزا أرسلته فاق بدر الـ * تم حسنا واورث الفكر عجزا
من يفتش فليس يلفى له ثم نظيرا فقد تفرد رمزا
ثم من يبتغى مضاهاته لا * تسمع الاذن منه فى ذاك ركزا
وتراه وقد تحير مما * نابه للفرار يجمز جمزا
من يطق يلمس السماء ويأتى * بالدرارى حتى يحاكيه لغزا
قلت لما أجبت عنه اذا ما * ابل لم تكن لدى تعزى
غيرانى بالستر منه وثيق * فاليه كل الفضائل تعزى
دام فى نعمة وظل سعود * ما أمال النسيم غصنا وهزا

(وقوله)

ان ألطاف الهى * لى قالت خل عنكا
لا تدبر لك أمرا * أنا أولى بك منكا

(وقوله)

من أطلع الاحمق فوق السهى * ينزله للمنزل السافل
وغير بدع فعله حينما * يقابل الباطل بالباطل

وأنشده بعضهم

مافى زمانك واحد * لو قد تأملت الشواهد
فاشهد بصدق مقالتى * أولا فكذبنى بواحد

قلت ليس له وهو من شعر أبى عامر الجرجانى أحد شعراء اليتيمة وفى معناه قول ابن حيوس

قد مات فى دهرنا الكرام ومن * يعرف قدر الثناء والمدح
فان شككتم فيما أقول لكم * فكذبونى بواحد سمح

ومما أنشده الخوارزمى مما يشبه هذا وان لم يكن من جميع الوجوه

أمسى بلا عظم لديه تعاظم * فكأنه أير الحمار القائم
ويقول ان الناس كلهم أنا * والناس كلهم لديه بهائم

(ولابن تميم)

أيا معشر الاصحاب مالى أراكم * وذم جميع الناس جل مناكم
لئن كان ذم الناس أضحى شعاركم * فما الناس الا أنتم لا سواكم

(ومما قلته فى معناه)

تفردت فى ذا العصر بالفضل والنهى * بزعمك يا من زاده علمه جهلا
فابق انا فى الدهر غيرك عالما * يصدق ذا الدعوى ويعرف ذا الفضلا

(ومن شعر والده)

ان خلا مل منا * خلشا بالله منه
هو لا يسأل عنا * مالنا نسأل عنه

وللتقى السبكى رباعية فى هذا المعنى وهى

يا قلب من الغرام قد زدت وله * من خانك خنه أو تعوض بدله
فالنفس عزيزة على من هى له * لا يصلح لى من كنت لا أصلح له

(ولابن الوردى)

اذا كرهت منزلا * فدونك التحولا
وان جفاك صاحب * فكن به مستبدلا
لا تحملن اهانة * من صاحب وان علا
فمن أتى فرحبا * ومن تولى فالى

ومما أنشدته له

ان تسل عن حال الذين اجتباهم * ربهم عاجزا وتطلب قربا
أحبب الله والذين اصطفاهم * تبق معهم فالمرء مع من أحبا

(وللحافظ ابن حجر العسقلانى فى المعنى)

وقائل هل عمل صالح * أعددته ينفع عند الكرب
فقلت حسبى خدمة المصطفى * وحبه فالمرء مع من أحب

وكنت قلت قبل أن أسمع هذا

وحق المصطفى لى فيه حب * اذا مرض الرجا يكون طبا
ولا أرضى سوى الفردوس مأوى * اذا كان الفتى مع من أحبا

واعلم انه وقع فى حديث صحيح عن عائشة رضى الله عنها أن رجلا أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله أنت أحب الى من نفسى وأهلى ومالى وانى اذا ذهبت لدارى لا تطيب نفسى حتى آتيك وأراك فاذا مت أنت كنت فى أعلا مقام فاخشى أن لا أراك فلم يجبه الرسول صلى الله عليه وسلم فنزل عليه جبريل عليه السلام بقوله عزوجل ومن يطع الله ورسوله فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم المرء مع من أحب وقلت فى معناه رباعية

حبى لمحمد حبيب البارى * فى طينة خلقتى وروحى سارى
والمرء ومن أحب فى الخلد معا * طوبى لى ان غدوت عبد الدار

ابو الصفاء مصطفى العجمى الحلبى

(أبو الصفاء مصطفى بن العجمى الحلبى) روض وريق أغصان المروة * ريان من ماء المكارم والفتوة * فارس الشهباء نبلا وأدبا * طبعه أخو ابنة العنب صفاء وطربا * أردان شبابه باللطف مذهبه * وكؤوس آدابه المجلوة للقلوب محببه * اذا ابتسمت عقود ألفاظه كسد نظيم الجوهر * وخيل انها وقتها من خدود الغيد تعصر * أقبلت على شعره الفصاحة بوجه جميل * وقصر عن ادراك لطفه النسيم وهو عليل * مع صباحة محيا يهزأ بالروض الوسيم * اذا عطرت مجامر نفحاته أذيال النسيم * نفحت فى برود الدهر نشرا * وعبثت بمباسم النور الضاحكة بشرا

ثمل من سلافة الطل فى الزهر * وناهيك طيبها من كاس

ولم تزل كؤوس أدبه على الندامى مجلوه * حتى ورد موارد الموت فبدلت بالكدر صفوه (وأى صفاء لا يكدره الدهر) فقطفت زهرة شبابه * وقد سقتها دموع أحبابه * فمن شعره ما أنشدنى له الطالوى من قصيدة اخترت منها قوله

ما اجتاز بارق ذاك الثغر مبتسما * ولا النسيم بأخبار الحمى نسما
الا وعاوده من وجده طرب * حتى كأن به ما يشبه اللمما
متيم لعبت أيدى الغرام به * فغادرته كأنفاس الصبا سقما
تبيت منه على الأحشاء كف شج * تضم صدرا خفوق القلب مضطرما
أيا خليلى لا زالت مجللة * من البوارق تهمى فى عراصكما
حتى تظل لها الارجاء باسمة * تبث من سرها ما كان مكتتما
أما ومبسمه الزاهى بمتسق * يزرى مفلجه بالدر منتظما
ولفتة تذر الآرام شاردة * أيدى سبا وترد الفكر منقسما
لاحلت عن حبه الأشهى الى كبدى * من الزلال وكادت أن تذوب ظما
ولا تبدلت انسانا سواه ولو * أضحى وجودى كصبرى فى الهوى عدما

(منها)

لله ما أنت فى الآفاق تنثره * وهى اللآلئ ظنتها الورى كلما

(ومنها)

من كل زاهية الألفاظ زاهرة * لا ترتضى الشعر أن يعزى لها شمما

(وله من قصيدة رثى بها العماد)

عظيم مصاب مقعد ومقيم * له كمد بين الضلوع مقيم
وقادح خطب حارب الصبر والكرى * فأصبح كل وهو عنه هزيم
وحكم أذل الفضل عند اعتزازه * واوهى عماد الدين وهو قويم
الا انما عين المعالى غضيضة * وان فؤاد المكرمات كليم

(ومنها)

أقامت على قبر له عاطر الثرى * سحائب رضوان فليس تريم
الى أن يعود القبر أنضر روضة * بها الروض شتى يانع وهشيم

وكان له بحلق أصدقاء تسكر بشمول شمائلهم الراح * وتهتز طربا بذكرهم معاطف الاريحية والسماح * فتخفق على هامات مجدهم ألوية الحمد * وتضىء فى سماء معاليهم كواكب المجد * من كل مصطبح بكاسات المسرة مغتبق * ولولا نداه كاد من نار الذكاء يحترق * فلما ارتحل الى الشهباء غلبه

الشجن ونافسته الشجون * وفى ذلك فليتنافس المتنافسون

(وكتب اليهم)

يقبل الأرض صب مغرم علقا * بكم وذلك من تكوينه علقا
حلف الصبابة أما قلبه فشج * من الفراق وأما جسمه قلقا
يشتاقكم كلما هبت يمانية * ولا محالة أن يشتاق من عشقا
به من البين ما لو حل أيسره * يوما بأركان رضوى هد أو طفقا
فهل تعود أويقات بكم لفتى * دموعه خددت فى خده طرقا
الله يعلم ما ان عن ذكركم * الا تناثر در الدمع واستبقا
ولا تغنت على غصن مطوقة * الا أهاجت لى الاشجان والأرقا
ياليت شعرى والايام مطمعة والدهر فى عكس ما يهوى الفتى خلقا
هل لى الى عود أيام بكم سلفت * رجا فأظفر أحيانا بما افترقا
لله أيامنا والشمل مجتمع * أيام لافرقة أخشى ولا فرقا
واذ بكم كان عيشى أخضر انضرا * وأسود الليل منكم أبيضا يققا
ياصاحبى فلا روعتما بنوى * وعنكما ظل جفن الدهر منطبقا
ان جئتما الجامع الزاهى برونقه * سقاه من غاديات السحب ما غدقا
ميمين له عوجا كذا كرما * لنحو قبته الشماء وانطلقا
فبلغا لى سلاما من محبته * لم تبق لى منذ حلت مهجتى رمقا
وخبراه بما ألقى بعيشكما * من فرط لاعج أشواق أتت نسقا
انى الى ذلك المعنى المشوق كما * أشتاق صحبى اخوان الصفا خلقا
لاسيما الاروع المحمود سيدنا * المسكت اللسن المطرى اذا انطقا
طورا تراه بكأس الحمد مصطبحا * وتارة من سلاف المجد مغتبقا
ياغائبين فما ودى بمنتقض * منكم ولا حبل عهدى واهنا خلقا
تحدوه ريح الصبا وهنا لارضكم * يزرى شذاها بريا مسكه عبقا

فأجابه أبو المعالى الطالوى بقصيدة أنشدنيها وهى

وافت فأرجت الأرجاء والافقا * أمنية من شذاها قطرنا عبقا
راح كأن الصبا باتت تعللها * بالسحر بين رياض طلعها بسقا
أم نفحة من ربا دارين عاطرة * أهدت لنا أرجا جنح الدجى عبقا

هيفاء تزهو بقدزانه هيف * كخوط بان غضيض مثمر بنقا
ترنو الى بطرف كله حور * مهما انبرت بفؤاد هام أو عشقا
لو شاهد ابن عنين حسن طلعتها * لا ذكرته زمانا يبعث الحرقا
أو انبرت للبيد وهو ذو لسن * أزرت به وكذا سحبان ان نطقا

قوله للبيد فى نسخة لحبيب

يا حسنها حين زارتنا محبرة * قد نظم الدر فى لباتها نسقا
أهدت تحية ودمن أخى ثقة * يزرى شذاها بريا المسك ان عبقا
لا غرو أنى مشوق فى الانام له * فالحر يشتاق اخوان الصفا خلقا
اشتاق رؤيته الغراء ماطلعت * شمس النهار وأبدى صبحه شفقا
وكلما سحرا هبت شآمية * بسفح جلق أو برق الحما برقا
أحبابنا والذى أرجوه مبتهلا * بأن يمن على مضناكم بلقا
ماان تذكرت معنى راق لى بكم * الاورحت بدمعى جارعا شرقا
ولا شدت بغياض الفوطتين ضحى * ورقاء تندب الفا نازحا شفقا
الاوغاض اصطبارى أووهى جلدى * ففاض من مقلتى الدمع وانطلقا
اذ جانب العيش غض رائق بهج * والدهر قد غض عنا الجفن فانطبقا
تلهو بكل كحيل الطرف ساحره * يزرى بغزلان عسفان اذا رمقا
لاسيما ان غدا بالكأس مصطبحا * أوراح من وله بالطاس مغتبقا
ليت الزمان الذى فينا الغداة قضى * بشت ملومنا والدهر ما خلقا
فهل أويقاتنا اللاتى بكم سلفت * تعود يوما فأحظى منكم بلقا
عليك منى سلام الله ما بقيت * صبابة تبعث الاشجان والحرقا
تهديه ريح التصابى نحو أرضكم * كمسك دارين يزكو كلما انتشقا

﴿تقى الدين بن معروف﴾ سماء فضل باطلاع نجوم الكمال معروف وشموس معارفه لا يعتريها كسوف * ورياض علمه أنيقة * ودوحة مجده وريفة الظل وريقه * اذا مس الاقلام سجدت فى محاريب الطروس شكرا * ومادت من مدام مداده هائمة سكرا * فكم لليل حبره المسكى الا نفاس * يد بيض الله بها محيا القرطاس (تخبر أن المانوية تكذب) وله فى علم الفلك أنظار تنم باسرار كواكبه * وان كتم قلبه على لسان أسرار صاحبه * بوأه الله منه مكانا عليا * فتلا لمن رامه سواه أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا *

﴿تقى الدين بن معروف﴾

فكم صعد له بخطوات فكره وسما * واتخذ خطوط جداوله للعروج اليه سلما * فكلما طارت حمائم النجوم من بروج أقطارها * جعلها بطاقة تطير فى الآفاق لتبليغ أخبارها * فلو كان لعطارد الخيار كان يدنانير الدرارى له مشترى * ولو أراد مدحه أطراه بقول ابن الرومى غير مفترى

أعلاكم فى السماء مجدكم * فلستم تجهلون ما جهلا
شافهتم البدر بالسؤال عن الامر الى ان بلغتم زحلا
لم تدركوا اقط بالحساب بل الأحساب علما الكم ولا عملا

ولم يزل متقلدا بصارم القضا * فانعامن معشوقته الدنيا بحالتى الصد والرضى * حتى أراد أن يجدد لاستاذنا رصدا * وانا لاندرى أشر أريد بمن فى الارض أم أراد بهم ربهم رشدا * غافلا عن حركات الفلك * حتى قيل له يهلك الله ما أغفلك * فدارت دوائره على مدارها * وصارت زاوية قبره حادة بعد ما كانت منفرجة فى أقطارها * وشكل العروس من زخرف الحياة له أطماع * وهو لمن تأمله شكل قطاع (والموت للانسان بالمرصاد) وقد طالعت له رسائل فلكيه * وبعض تحريرات هندسيه * تدل على علو كعبه فيها * ورقيه من حضيض الخمول الى سماء معاليها * وله شعر وسط * ونثر غريب النمط * كقوله فى مدح العلامة أبى الفتح المالكى

يا كعبة يؤمها اولو النهى * وسدرة الفضل اليها المنتهى
لأنت فى العالم فرد علم * بل أنت كل الخلق علما وهدى
والفضل لما قال ان مالكى * بالشام كل قد أقر بالولا
رفعت قدرا وعلوت رتبة * وفزت بالتقديم حال الابتدا
وفقت أهل الارض بالعلم الذى * أوتيته مولاى من رب السما
يصرف اب المرء نحو لفظه * اذ يعرب الفضل على هذا البنا

وقوله من قصيدة فى مدح استاذى سعد الدين الشاعر

صباح الأمانى فى صباح مكارم * تجلت على عرش الجلالة والحمد
مطالع مازالت طوالع بالسنا * تعم آفاق المكارم بالسعد

(فائدة مهمة) سئلت عنها فى حال تحريرى هذه الريحانة وهى انه منع بعض المالكية من الالقاب المضافة للدين كسعد الدين وعز الدين فقلت قال

العارف

العارف بالله ابن الحاج فى كتابه المسمى بالمدخل الذى استقصى فيه أنواع البدع مانصه * من ارتكب بدعة ينبغى له اخفاؤها لقوله صلى الله عليه وسلم من ابتلى منكم بشئ من هذه القاذورات فليستتر والعالم يجب عليه التستر أكثر من غيره لانه ربما يقال ان عنده علما بجواز ما ارتكبه فيقتدى به غيره كما قال أبو منصور الدمياطى فى قصيدة له

أيها العالم اياك الزلل * واحذر الهفوة فالخطب جلل
هفوة العالم مستعظمة * ان هفا أصبح فى الخلق مثل
وعلى هفوته عمدتهم * وبه يحتج من أخطا وزل
فهو ملح الارض مايصلحه * ان بدا فيه فساد أو خلل

فمما ينبغى التحفظ عنه من البدع الأعلام المخالفة للشرع المضافة للدين لما فيها من تزكية النفس المنهى عنها كما صرح به القرطبى فى شرح أسماء الله الحسنى وللفضل بن سهل قصيدة فى ذمها فمنها قوله فيمن لقب بعز الدين ونخر الدين

أرى الدين يستحيى من الله أن يرى * وهذا له نخر وذاك نصير
فقد كثرت فى الدين ألقاب عصبة * هم فى مراعى المنكرات حمير
وانى أجل الدين عن عزه بهم * واعلم أن الذنب فيه كبير

فمن نادى بهذا الاسم أو أجاب به فقد ارتكب مالا ينبغى لأنه كذب وفى الحديث عليكم بالصدق فانه يهدى الى البر والبر يهدى الى الجنة والكذب فجور والفجور يهدى الى النار الحديث فاذا قال أحد محيى الدين يقال أهذا الذى أحيى الدين فاذا أخذ صحيفته وجدها مشحونة بالكذب ولما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أم المؤمنين زينب قال لها ما اسمك قالت برة فكره صلى الله عليه وسلم ذلك وقال لاتزكوا أنفسكم وسماها زينب ولا يقال انها خرجت عن أصلها بالنقل الى العلمية لانه لو كان كذلك ما كرهوا تركها مع مافيها من التشبه بالعجم المنهى عنه وهذه التسمية أول ماظهرت من متغلبة الترك مضافة الى الدولة وكانوا لا يلقبون أحدا الا باذن السلطان وكانوا يبذلون عليه المال ثم عدلوا عنه بالاضافة الى الدين ونقل عن النووى انه كان يكره من يلقبه بمحيى الدين ويقول لا جعل الله من دعانى به فى حل ولذا تحاشى عنه بعض العلماء وهذه نزغة شيطانية من أهل المشرق ولما كان فى أهل المغرب

من التواضع كانوا يغيرون الاسماء لما هو منهى عنه أيضا فيقولون لمحمد حمود ولاحمد حمدوس وليوسف يوسو ولعبد الرحمن رحمو ونحوه انتهى أقول أما كون هذه بدعة حدثت بعد العصر الاول فلا شبهة فيه وأما كونها ممنوعة شرعا أو مكروهة فلا وجه له وما تشبث به أوهى من بيت العنكبوت وما نقله عن النووى وغيره من السلف لا أصل له وكذا ما نقل عن شيخ والدى ناصر الدين اللقانى أنه كان يكتب فى الفتاوى ناصر لهذا وقد غرنى ذلك مدة ثم رجعت عنه لعدم ثبوته وكونه كذبا يكتب فى صحيفة مجازفة لا ينبغى أن يقال مثله بالرأى وهذا لم يضعه الانسان لنفسه وانما سماه به أبواه فى صغره وعدم تكليفه وكونه تزكية لنفسه أيضا غير صحيح لان الاضافة تكون لادنى ملابسة فهو مضاف للسبب تفاؤلا فعز الدين بمعنى يعزه الله بالدين وكذا محيى الدين بمعنى يحيى نفسه بالدين فقياسه على برة قياس فاسد مع الفارق ولو صح هذا منع أحمد ومحمد وحسن وهو محمود وقد قال المحدثون اذا اشتهر اللقب جاز وان كان ذما كاعرج وأعمش وما ذكر تضييق وحرج فى الدين وفى هذا الكتاب كثير من هذا النمط فاياك والاغترار به والاعلام انما تدل وضعا على الذات والتفاؤل بالامور المستحسنة مستحب لقوله فى الحديث كان يحب الفأل ويكره الطيرة ويحمد قائله لا يعتقد ثبوت ما يقال به وانما سمى به فلا كذب والاعلام لا تجرفيها والتشبه بالعجم فيما لا يزاحم الشرع غير منهى عنه الا للعصبية المذمومة بدليل حديث الخندق ويدل على ما ذكرناه حديث تسمية النبى صلى الله عليه وسلم بمحمد وأما حديث برة ان صح فانما فعله صلى الله عليه وسلم لكونه من أعلام الجاهلية أو لمعنى آخر بدليل انها كانت برة فى نفسها اه

قوله يوسو فى نسخة يسو

(محمد بن الرومى المعروف بماماى ابن اخت الخيالى نزيل دمشق الشام)

محمد بن الرومى المعروف بماماى ابن اخت الخيالى نزيل دمشق الشام

شاعر توقدت جمرات أفكاره * وتوردت فى رياض الشام وجنات أزهاره * وابتسمت فى ناديه ثغور أنواره * لكنها خدود لم يترقرق عليها دمع القطار * ومباسم لم ترشف الشمس منها ريق الامطار * فلله دره من فصيح * لم يعلل بمياه عروق القيصوم والشيح * ولم يغذ بلبان العربية * ولم يتفكه بثمار العلوم الجنية * لانه من بنى الاصفر * وممن قاسى الفقر الاسود وهو الموت الاحمر * الا أن للبقاع * تأثيرا فى الطباع * فلما تغذى طفل

جبلته

جبلته ماء الشام ونسيمه * وبزغ هلاله فيه بعد ما أميطت عنه هالة التميمه * انصقل طبعه المرهف * فانبرت شمائله أرق من الشمال وألطف * لاسيما وأبو الفتح ماشطة عرائس فكره * وملء شعث لمة نظمه ونثره * اذا أنس طبعه لحنه * أوطرق طرق ذهنه طيف هجنه * وقد طالعت ديوانه فرأيته يعتريه علل وفتور * ويدخل فى معانى مغانيه وبيوته القصور * فمن شعره الذى اخترته قوله

سمعت لسان الحال من قهوة الطلا * يقول هلموا واسمعوا نص أخبارى
فباسمى تسمت قهوة البن فى الملا * ولكنها لم تحك أصداغ خمارى
فمن كذبها قد سود الله وجهها * وعذبها بعد الاهانة بالنار

(ومنه قوله مضمنا)

قد قالت القهوة الحمراء وافتخرت * كم قد ملكت ملوك الأعصر الاول
وقهوة القدر ان قدرا على علت * لى اسوة بانحطاط الشمس عن زحل

(ومنه قوله)

جليت عروسا فى عقود حبابها * وفديت ظبيا بالسرور حبابها
طلعت عروسا تجتلى فى كأسها * وكفى كفوف الغيد نقش خضابها
بكر اذا باكرتها لك ولدت * بشر السرور لدى حضور جنابها
أخذت من العقل النفيس جواهرا * مهرا لها والنفس من خطابها
راح حلالى شربها فى جنة * والنص فى الجنات حل شرابها

وهو مأخوذ من قول الارجانى

كأس من السحر الحلا * ل بشربها للقوم سكر
فى مجلس هو جنة * ولذا فيه تحل خمر

(وقوله)

يقول حبيبى مالطرفك أحمرا * كأنك ياحيران فى نشوة الزبه
فقلت له اشراق خدك قد بدا * وقابله طرفى فخيله فيه

قوله فى نشوة الزبه فى نسخة نشاة بدل نشوة

واحسن منه قول الامير مجير الدين بن تميم

اقول للصحب لما انكروا أثرا * من احمرار بدا فى باطن المقل
عاتبت الحاظ عينى عندما نظرت * الى سوى الحب فاحمرت من الخجل

(وقوله)

ولما انقضى شهر الصيام بفضله * تجلى هلال العيد من جانب الغرب
كحاجب شيخ شاب من طول عمره * يشير لنا بالرمز للأكل والشرب

وهو مأخوذ من قول العقيلي

قم هاتها وردية ذهبية * تبدو فتحسبها عقيقا ذابا
أوما ترى حسن الهلال كأنه * لما تبدى حاجب قد شابا

الا أن قوله من طول عمره تكميل حسن ومما قلته فى بعض الرسائل شاب شاب حاجب الهلال وما داناه كمالا * واشتعل رأس الشمس شيبا ولم ترله منالا ومما يضاهى هذا ما قلته لما رأيت قول الثعالبى فى مدح قصر بناه الصاحب ابن عباد

لله قصر ترى كل الجمال به * واسعد الدهر تبدو من جوانبه
كأنما جنة الفردوس قد نزلت * الى خوارزم تعجيلا لصاحبه

ورأيت ما فيه من الغفلة فان تعجيل الدخول لها انما يكون بالموت ففيه ايهام لا يليق بمثله فقلت فى هذا المعنى وأتيت فيه بنوع من الاحتراس سميته بالتهذيب

بنى دارا يحار الوصف فيها * وتهواها المحاسن والمسرة
كأن الجنة اشتاقته حتى * له نزلت أطال الله عمره

وقد يقال فى قوله نزلت احتراس تام لكنه خفى والمقام يأباه ومن ديوانه قوله أيضا

كيف السبيل الى كتم الغرام اذا * كاتبتكم واردت السر ينكتم
وقد غدا الطرس بالوجهين مشتهرا * وباللسانين أمسى يعرف القلم

(وقوله)

وقد مرض الجهول له فعدنا * ونحن اذا اناس راحمونا
فظن بأننا عدناه خوفا * فان عدنا فانا ظالمونا

(وقوله أيضا)

اذا دفن الانسان فى الرمس برهة * وعاودته تلقاه باد ثناياه

وما ذاك الا انه متبسم * على كل مغرور بأحوال دنياه
ومما يضاهى هذا أن المولود يولد باكيا مقبوض الكف فاذا مات فتحها فقال
الحكماء انه اشارة لحرصه حيا وانه خرج منها بغير شئ كما قيل

وفى قبض كف الطفل عند ولاده * دليل على الحرص المركب فى الحى
وفى بسطها عند الممات اشارة * ألا فانظرونى قد خرجت بلا شى

وكم فى الكون من اشارات * فهو بجميعه ناطق بالعظات * ولكن لمن يسمع
ويبصر وأنشدنى له بعض شعراء الشام

رأيت الكائنات خيال ظل * محركها هو الرب الغفور
فصندوق اليمين بطون حوى * وصندوق الشمال هو القبور

وليس له فانى رأيته منسوبا للشيخ ابن عربى وهو معنى مشهور لكنه تصرف
فيه عباءة ورده ديباجة وأصله من قول الآخر

رأيت خيال الظل أكبر عبرة * لمن هو فى علم الحقيقة راقى
شخوص واشكال تمر وتنقضى * وتفنى سريعا والمحرك باقى

ومنه ولد ابن الوردى فى الحمام قوله

وما أشبه الحمام بالموت لامرء * تبصر لكن أين من يتبصر
يجرد من أمواله ولباسه * ويبقى له من كل ذلك مئزر

(ومما قلته فيه)

ان يكن يحكى خيال الظل فى * فعله دهر لنا يبدى العبر
فعساه عن قريب مظهرا * صورا أحسن من هذى الصور

(وقلت أيضا)

هى الدنيا خيال الظل تحكى * يحركها القضاء كما يقدر
ولولا الستر ممدود عليه * من الغفلات ما ألهى وما سر

(زين الدين الاسعافى) فاضل لين العود ماجد الأعراق * حلو
الشمائل عذب الأخلاق * له آثار على أكف القبول مرفوعة *
وكلمات كثمرات الجنان لا مقطوعة ولا ممنوعة * صحبنى وهو يقطف نور
التحصيل * وللفضل الى معاليه انتظار وتأميل * فتجاذبنا أهداب
المذاكرة * وجررنا ذيول المناشدة والمحاورة * فما أنشدنيه من شعره

(زين الدين الاسعافى)

قوله

كنت وأفكاري وحقك مزقت * كما قد بدت في الحب كل ممزق
ولو حم لي التوفيق كنت تركته * ولكنني أصبحت غير موفق
اذا قيل أشقى الناس من بات ذا هوى * فلا تنكرن هذا المقال وصدق

(وهذا كقول الآخر)

سألتها عن فؤادي أين مسكنه * فانه ضل عني عند مسراها
قالت لدي قلوب جمة جمعت * فأيها أنت تعني قلت أشقاها

(أبو بكر الجوهري الشامي) شاعر عذب الكلمات * حسن الذات والسمات * عرائس أفكاره صباح * وجواهر نفثاته صحاح * ورد الى مصر مرتديا حلل الشباب * مطرزة بطراز أخلاقه العذاب * متعاطيا للتجارة صار نقالها انقد عمره

اذا كان راس المال عمرك فاحترس * عليه من الانفاق في غير واجب

فمن جواهر كلماته الصحاح * التي هي أرق من نفس الصبا في الصباح * قوله في مليح اسمه داود ورقيب له اسمه عمرو

أفدي غزالا له خال بوجنته * مع عارض شبه واو العطف ممدود
كأنما الخال فوق الخد يحرسه * حذار سرقة عمرو واو داود

(ولابن لؤلؤ فيمن اسمه داوود)

قد كنت جلدا في الخطوب اذا عرت * لا تزدهيني الغانيات الغيد
وعهدت قلبي من حديد في الحشا * فألانه بجفونه داوود

(وللملك الناصر في داوود)

مني بطيفك بعد ما منع الكرى * عن ناظري الدمع والتسهيد
ومن العجائب أن قلبك لم يلن * لي والحديد ألانه داوود

(ومما قلته فيما قاله)

وحاسد يرسم في صحيفة * فضلي ويخفي الذكر اذ بطرئ
فاسمي لديه واو عمرو ولذا * يكتب في الخط ولا يقرأ

(وأصله قول أبي نواس)

أيها المدعي سليمى سفاها * لست منها ولا قلامة ظفر

(أبو بكر الجوهري الشامي)

انما أنت من سلمى كواو * ألحقت فى الهجاء ظلما بعمرو

(شمس الدين محمد بن ابراهيم الحلبى المعروف بابن الحنبلى) والسماء والطارق وما أدراك ما الطارق * هو فى ميدان الفضل وحلبة الشهباء سابق وأى سابق * وعصره كان مسك ختامها * وسحر لياليها وأصيل أيامها * نورت حدائقها بغوادى شمائله * وتحلى معصم مجدها بسوار فضائله

حيث التقى أنفاس الأقاحى والصبا * وترنم الحسناء والورقاء
وجرى النسيم يجر فضل ردائه * نشوان يعثر فى غدير الماء

درس فيها وأفتى * وطمى بحر فضائله فترك الحساد يضربون الماء حتى * وله نظم كما انتظمت درارى الزهر * ونثر كما نثرت يد الشمال على وجنات الرياض لآلئ القطر * وله تصانيف جمة تزينت بها البلاد * وأمست تمائمها منوطة بأجياد الأجواد * فهو نسيج وحده آثاره فى حلل الفضل طراز مذهب * واسد فى مجادلة العلماء لا يذكر عنده ثعلب * وله محاضرات لو ذكرت للراغب لسعى لها راغبا * أو لسحبان ظل لذيل الخجل على وجه البسيطة ساحبا * فما هبت به صبا أسحاره * وغردت به على كراسى الربا حمائم أخباره * قوله

يلومونى فى ترك ضم قوامه * ولا اذن للنساك فى الضم واللثم
نعم بيننا جنسية الود والصفا * ولكننى لم ألفها علة الضم

(وقوله)

يقولون لى والشيب لاح بمفرقى * عناقك عذراء الحى غير جائز
أعن نار خديها التى هى منيتى * أميل واستغنى ببرد العجائز

(وله)

قوامك يا بدر النحاة كأنه * قنا أو قوام السرو أو ألف الوصل
وعينك فاقت كل عين بكحلها * فما أنت الا زيد مسئلة الكحل

(وقوله)

لكم هيم نلتم برمى شباكها * مرامكم لما قطعتم بها البيدا
وعدتم الى المضنى بما نلتم وقد * توليتم ضدا فكان لكم صيدا

شمس الدين محمد بن ابراهيم الحلبى المعروف بابن الحنبلى

قوله ختامها أى حلب المعلومة من سابق الكلام ولاحقه

(وقوله)

كما سمعنا باوصاف لكم كملت * فسرّنا ما سمعناه وأحيانا
من قبل رؤيتكم نلنا محبتكم * والاذن تعشق قبل العين أحيانا

وهو لبشار وأوله (ياقوم اذني لبعض الحي عاشقة) وفي معناه قول الحلي

وهويتكم قبل اللقاء كما * تهوى الجنان لطيب الاخبار

ولصاحب الترجمة أيضا رباعية وهي

طرفاك كلاهما ضعيف وعليل * مثلي وأنا العليل من أجل عليل
من ضعفي قد صرفت ميلي لهما * والجنس الى الجنس كما قيل يميل

قوله والجنس الخ من أمثال مولدي العجم ومثله قولهم الجنسية علة الضم وهو كما قيل

(ان الطيور على أجناسها تقع)
(وشبه الشئ منجذب اليه)

وله من أبيات المعاني في مليح من بني تميم

ومهفهف الأعطاف قلت له انتسب * فاجاب ماقتل المحب حرام

(وله مضمنا)

حمى ثغره الضحاك صمصام جفنه * كما صين بالتعذير خد مورد
أخد حبيبي لا تزد زرديه * فحسبك والضحاك سيف مهند

والضحاك اسم ملك معرب لكنه وافق صيغة المبالغة من الضحك ومثله من نوادر العربية ومن فصوله القصار انما تلقى المخاصر * الى كريم العناصر * لا تجعل الدنيا للآخرة ضره * ومن ينكح أمة على حره * ما أخس الكلب العواء * وان صعد الى السماك والعواء * الصحة رأس المال * وربحها حسن الأعمال * تذكير المواعظ صابون * لمن هم عن دنس الاخلاق صابون * اذا كان الندى مات * فالسؤال من أعظم الندامات

(أبو الفتح بن عبد السلام المالكي المغربي نزيل الشام) نادرة الفلك وهدية الزمان * ونكتة عطارد المدونة في صحف الامكان * وبرهان من قال من الحكماء بتعدد نوع الانسان * وليس الغريب من تناءت داره * بل من فقد من الكرام نظراؤه وأنصاره * وهو غريب في فضله ومجده * وان

أبو الفتح بن عبد السلام المالكي المغربي

ملك من الأدب ما كالا ينبغي لأحد من بعده * ولما أشرقت بالمغرب شموس علمه وآدابه * وزها نورها اذ جرى فى عوده ماء شبابه * أسفر وجه صباحه * وجلاله الظفر غرة نجاحه * فحل عقد عزيمته بالشام * كما حل الربيع نقابه عن منظر بسام

والريح تجذب أطراف الغصون كما * أفضى الشقيق الى تنبيه وسنان

فألقى بها عصا تسياره * ونفض عن برد همته غبار أسفاره * وبنى أمره على السكون وماضى حاله على الفتح * وقد شدت ورق فصاحته بها بأطرب ترنم وصدح * فضى زمن ونور الأدب لا يجتنى الامن رياض كلامه * وسورة الفتح بمحاريبها لا تتلى بغير ألسنة أقلامه * واثمد مراودها كحل البصائر * وتحف آثاره يتلقى ركبانها كل باد وحاضر * حتى فى نادى القضاء تربع واحتبى * وأصبح طراز مذهب مالك به مذهبا

وصار فيهم غريب الفضل منفردا * كبيت حسان فى ديوان سحنون

فأنار ليله الحالك * وتصرف فيه تصرف مالك * بأخلاق تعصر منها شمول الشمائل * وفضائل جمة المآثر سحبان عندها باقل * الا أنه مع تملك جواهر العلوم * وتقلد جيد كماله بعقود المنثور والمنظوم * عاداه دهره * وصافاه فقره * فظل يعترى صبابة عيش لو أنها نوم ماشعرت بها الأحداق * ويتحمل من أثقالها ما يوهن ويوهى القوى والأعناق * ولم يزل كذلك حتى غار ماء حياته * وانغلق على الفتح باب قبره عند مماته * فانفتحت له أبواب الجنان * فسقاه الله رحيق غفرانه بين روح وريحان * ونزه عيون رجائه وأمله فى رياض الجنان بين الحور الحسان * فمن نظمه الذى حشى الاسماع سحرا * وملأ أفواه الرواة درا * قوله

بأبى العس المراشف ألمى * مايس القد ناعس الأجفان
سرق الجيد واللحاظ من الظبى ولين القوام من غصن بان
عطفته الصبا الى ومالى * بالصبا بعد ما تراه يدان
فتحاشيت لثمه خيفة الاثم * وأطلقت مقلتى ولسانى
آه لولا التقى ومعترك الشيب لطاوعت فى الهوى شيطانى

(وله من قصيدة)

حاز الجمال بأسره فحبه * فى أسره لم يرض حل وثاقه
قسما بصبح جبينه لو زارنى * جنح الدجا وسعى الى مشتاقه
لفرشت خدى فى الطريق مقبلا * بفم الجفون مواطئ استطراقه
وصفحت عن زلات دهرى كلها * وعناده فيما مضى وشقاقه

وقوله بفم الجفون الخ كقوله أيضا فى ارجوزته المشهورة

تكاد من عذوبة الألفاظ * تشربها مسامع الحفاظ

وهذا نوع من البديع غريب بيناه فى حديقة السحر وله نظائر كثيرة وهو على نهج قوله تعالى وتصف ألسنتهم الكذب كما أشار اليه فى الكشاف وقد أوضحه الغزى بقوله فى بعض قصائده

ان لم أمت بالسيف قال العذل * ما قيمة السيف الذى لا يقتل
وتغير المعتاد يحسن بعضه * للورد خد بالانوف يقبل

ومنه ما أنشده لنا صديقنا الطالوى لنفسه

أرود بلحظى ورد خديه والذى * جنى لحظه ورد الخدود فما أخطا
وأرشف بالالحاظ خمرة ريقه * لأنى امرؤ آليت لا ذقت اسفنطا

وهذه الخمرة لا يليق بها غير نقل البحترى فى قوله

تفاح خد اذا احمرت محاسنه * مقبل بجنى اللحظ معضوض

وقوله معضوض بدل من قوله مقبل وهو غيره وليس بدل غلط فانظره فانه من سحر البلاغة ومما نحن فيه قول ابن الرومى

بدر كأن البدر مقـ * ـرون عليه كوكبه
عذبت خلائقه فكا * د من العذوبة يشرب

(ولابن هند فى عود البخور)

رأيت العود مشتقا * من العود بايقان
فهذا طيب آناف * وهذا طيب آذان

(ولابن المعتز فى فرس)

يكاد لولا اسم الاله يصحبه * تأكله عيوننا وتشربه

(وللشريف الرضى)

فاتنى ان أرى الديار بطرفى * فلعلى أرى الديار بسمعى

ومنه

ومنه أخذ القاضي الفاضل قوله

مثلته الذكرى لسمعي كأنني * أتمشى هناك بالأحداق

واجاد أيضا حيث قال

الجود أمدح ممن قام يمدحه * فالناس ما نطقوا الا من النظر

وقول ابن خفاجة المغربي الاندلسي وهو من رماة الحدق

وأهيف قام يسعى * والسكر يعطف قده
وقد ترنح غصنا * وأحمرت الكأس ورده
وألهب السكر خدا * أورى به الوجد زنده
فكاد يشرب نفسي * وكدت أشرب خده

(ولناصح الدين الأرجاني)

ورشفنا مدام نظم ونثر * من كؤوس تذاق بالآذان

(وقلت أنا)

نرجس الروض قد زها العيون * لا أرى المشي فيه للطراق
قلت لما أتيته لخليلي * امش ياصاح فيه بالأحداق

والشيء بالشيء يذكر هذا في معنى قولي قديما مضمنا

ياصاح ان وافيت روضة نرجس * اياك فيها المشي فهو محرم
حاكت عيون معذبي بذبولها * ولاجل عين ألف عين تكرم

قوله الحناءى في نسخة الحنائي وحرر

ولصاحب الترجمة من قصيدة مدح بها العلامة عليا الحناءى وعاتبه على قطع مرتب له

ان قطع السيد عن عبده * ما كان قد رتب من رفده
فالعبد لم يقطع دعاءله * رتبه كالجزء من ورده
ولاثناء حسنا نشره * كالمسك والعنبر في نده
اوكرياض راضها وابل * فابتسم اليانع من ورده
وانتظمت من نثر ازهارها * جواهر الانداء في عقده
وهو غني عن ثناء امرئ * ظل كليل الذهن من فقده
اذ مهد الحق له رتبة * عظيمة مذ كان في مهده
ونال ماشاء من المجد لا * بسعي انسان ولا كده

فهو على لا بمدح الورى * له ولكن بسنا سعده
وانما أوجب مدحى له * تتابع النعماء من عنده
وما حباه الحق سبحانه * من العلا الزائد عن حده
والعلم والتحقيق والفهم والـ * ـتوفيق والتدقيق من قصده
والشكر للمنعم فرض به * يأمن ذو الايمان من طرده
وفيه لاشك مزيد لمن * لازمه والكل من عنده
هذا وان العبد يبغى الرضى * فى قربه الأقرب أو بعده
وماله فى غيره رغبة * والعبد مجبول على قصده
وليس ذا حزن لما فات من * دنياه قد سيق الى رشده
سيان فقر وغنى عنده * لما هو المعهود من زهده
وما تصدى لصدى آلة * قبيحة تفضى الى صده
سوى لزوم البيت مستوحشا * من الورى حتى ذوى وده
مشتغلا بالعلم مستغرقا * أوقاته فيه وفى سرده
قد لزم العزلة لكنه * لصحبه باق على عهده
أقسم لا يبرح من بيته * حتى يوارى فى ثرى لحده
ان مات لم يترك له درهما * يحوزه الوارث من بعده
ولا أثاثا لا ولا ملبسا * يصلح للبيع سوى برده
وفروة جرداء من عتقها * أضلاعه ترعد من برده
وطيلسان خلق دمعه * من عتقه يجرى على خده
ولم يكن يترك شيأ اذا * فارقه يأسى على فقده
غير بقايا كتب رثة * أكثرها قدمات فى جلده
يباع فى تجهيزه بعضها * والبعض وقف لا على ولده
هذا لعمرى عرض حالى على * من أجمع الناس على حمده
لا برحت أعتابه قبلة * يؤمها العافون من وفده
ما همات أنمله بالندا * من راحة كالبحر فى مده

تكملة فى قوله مستغرقا الخ فوائد منها أن الاستغراق أصل معناه طلب الغرق ثم استعمله الناس فى أخذ الشئ وتحصيله ومنه قول العامة استغرق

قوله لة فى نسخة حالة

فى الضحك اذا أطاله وهو غلط وصوابه فى الضحك استغرب لا اغترب أيضا كقول البحترى

وضحكن فاغترب الأقاحى من ندا * غض وسلسال الرضاب برود

قال الآمدى فى كتاب الموازنة قوله اغترب يريد الضحك والمستعمل استغرب فى الضحك اذا اشتد فيه وأغرب أيضا أخذا من غروب الأسنان وهى أطرافها وغروب كل شئ حده اذ المعنى امتلأ ضحكا انتهى والسرد أصله نسج الدرع وتتابع الكلام وتعداد الاشياء والعامة استعارته لتتابع نعاس الجالس وليس بعربى وهو الذى أراده هنا وهو كقوله

لداود من برش كساء سفاهة * مطرزة من صفرة الوجه والخد

ومازال ذرع الكيد للصحب ناسجا * ولو ناعسا أمسى يقدر فى السرد

وقوله مات فى جلده استعمال معروف عامى ووجه استعماله ركيك والبليغ قول العرب للمفلوج سجن فى جلده وحسن هذا وصف الكتاب به كما قال ابن نباتة المصرى

لله مجموع له رونق * كرونق الحبات فى عقدها

كل تصانيف الورى عنده * تموت للخجلة فى جلدها

عودا على بدء ومن شعره ايضا

مرحبا بالحمام ساعة يطرا * ولو ابتز منى العمر شطرا

حبذا الارتحال عن دار سوء * نحن فيها فى قبضة الأسر أسرى

واذا ما ارتحلت ياصاح عنها * لاسقى الله بعدى الأرض قطرا

وهذا كقول الأمير أبى فراس الهمدانى من قصيدة له

أراك عصى الدمع شيمتك الصبر * أما للهوى نهى عليك ولا أمر

تعللنى بالوعد والموت دونه * اذا مت عطشانا فلا نزل القطر

(ونحوه قولى فى مطلع قصيدة)

ان لم تبرد لى الصبا غله * فلا شفى الله لها علة

(وله أيضا)

ويمكن وصل الحبل من بعد قطعه * ولكنه يبقى به أثر الربط

وأحسن منه قولى فى بعض الرسائل أنت وان وصلت بعد القطع حبل الموده *

قوله وهو الذى أراده هنا الخ كذا فى النسخ والمناسب أن يقول وهو الذى أريد فى قوله

فقيما بقى من أثر ذلك فى القلب عقده

(وقلت من قصيدة)

يا واصلين حبالا * كانت تشد الموده
لا تقطعوها ببعد * قد غير النأى عهده
فان تقولوا وصلنا * من بعد ذا القطع شده
يبقى وحقك فيها * من ذلك القطع عقده

وهذه الاستعارة معروفة قديما وفى حديث العقبة ان الانصار قالوا ان بيننا وبين القوم حبالا أتراهم قاطعيها وقد حققه فى الروض الانف وكتب للقاضى معروف وقد أهدى له خلة

مخدومنا قاضى قضاة مدينتى * صفد أحق الناس بالتفضيل
العالم الحبر الذى معروفه * تزرى زيادته ببحر النيل
أهدى لنحوى من مخيط ثيابه * جملا فأغنانى عن التفصيل

والتفصيل بلسان العامة بمعنى قطع الثياب الجديدة ففيه تورية كقول ابن نباتة المصرى

كم جملة وصلت لى من نداك وكم * تفصيلة ألبستنى أجمل الحلل
حتى لقد غدت المداح حائرة * بين التفاصيل من نعماك والجمل

(وقوله أيضا)

قد نكس الرأس أهل الكيميا خجلا * وقطروا أدمعا من بعد ما سهروا
ان طالعوا كتبا للدرس بينهم * أضحوا ملوكا وان هم جربوا افتقروا
تعلقوا بحبال الشمس من طمع * وكم فتى منهم قد غره القمر

وقوله فى أحدب * كأنه اترجة الظرفاء * وكرة اللهو عيدان الندماء الظفاء *
وكان أبو الفتح يكرهه ولم يعمل فيه بقول الباخرزى

وصانع الدهر فكم دولة * صاغت من السلحة أترجه

(فقال فيه)

اذا غفر الله ذنب امرء * فلا غفرت زلة الأحدب
شديد النكاية مع ضعفه * قياسا على ابرة العقرب

ومن ظرفاء الحدبان القاضى الفاضل * وفيه يقول القائل

لله بل للحسن اترجة * تذكر الناس بعهد النعيم
كأنها قد جمعت نفسها * من هيبة الفاضل عبد الرحيم

وعلى غطه وان لم يكن من بابه قول ابن جلنك لما امتدح القاضى الزملكانى فأجازه بخبز فكتب على حائط بستانه

لله بستان حللنا دوحه * فى روضة قد فتحت أبوابها
والبان تحسبه سنانيرا رأت * قاضى القضاة فنفشت أذنابها

وهذا نمط عجيب وقد بلغنا أن بدر الدين بن مالك صنف كراسة فى لطائف هذه المقطوعة ووجوه بلاغتها ولم أرها وهو جدير بذلك ووجه حسنها انه قصد به تشبيه زهر البان وأدمج فيه هجو القاضى لان السنانير انما تنفش أذنابها اذا فزعت من الكلاب فكأنه قال انها ظنته كلبا ونحوه مامر فى القاضى الفاضل والايماء لحدبته وهذا النوع يشبه المدح بما يشبه الذم وعكسه ففى صريحه تشبيه لطيف كنى به عن هجو قبيح وليست بلاغته من جعل التشبيه كناية عن معنى آخر فانه صريح كما حققه السيد فى فن البيان بل لامور قصدها وليس هذا محل تفصيلها فان أردتها فانظر كتابنا حديقة السحر وله أيضا يذكر من وعده بتاسومة وهى نعل معروف كالمداس

رب تاسومة بها قد وعدنا * فاذا قربها من النجم أبعد
رب يسر حصولها لمحب * عله للكمال يرقى ويصعد
عملا فى الورى بقول حكيم * ضع مكان السعيد رجلك تسعد

وهذا مثل مشهور بمعنى قول على رضى الله تعالى عنه صاحب من أقبل جده تسعد وقد قلت فى مثال نعله صلى الله عليه وسلم

لمثال النعل الشريف لطه * شرف قدره من النجم أبعد
وسمعنا الأمثال قالت قديما * ضع مكان السعيد رجلك تسعد
وسعيد من كان قبل هذا * أو عليه قد مرغ الوجه والخد

وما أحق هذا أن ينشد له قول أبى العتاهية

نعل بعثت بها لتلبسها * قدم بها تسعى الى المجد
لو كان يصلح أن اشركها * خدى جعلت شراكها خدى

ولابن هانئ الاندلسى فى قبقاب وهو نعل يصنع من الخشب وهو محدث بعد

العصر الاول ولفظه مولد أيضا لم يسمع من العرب كما قاله الأزهري

كنت غصنا بين الرياض رطيبا * مائس العطف من غناء الحمام
صرت أحكى عداك في الذل اذ صر * ت مهانا أداس بالأقدام

وله يذكر معاهد نيطت بها تمائمه * وغردت على أغصان شبابه حمائمه * يندب اخوانه * وينعي أوطاره وأوطانه

سلوا البارق النجدى عن سحب أجفاني * وعما بقلبي من لواعج نيران
ولا تسألوا غير الصبا عن صبابتي * وشدة اشواقي اليكم وأشجاني
فمالي سواها من رسول اليكم * سريع السرى في سيره ليس بألواني
فما طال بالأسحار ماقد تكلفت * بانعاش محزون وايقاظ وسنان
وتنفيس كرب عن كئيب متيم * يحن الى أهل ويصبو لأوطان
فلله ما أذكى شذا نسمة الصبا * صباحا اذا مرت على الرند والبان
فكم نحوكم حملتها من رسالة * مدونة في شرح حالي ووجداني
وناشدتها بالله الا تفضلت * لتبليغ أحبابي السلام وجيراني

وقد نحى نحو قول ابن مليك الحموي في قصيدة له

سلوا فاتر الأجفان عن كبدي الحرا * وعن در أجفاني سلوا العقد والنحرا
مليح اذا مارمت عنه تصبرا * يقول الهوى لن تستطيع معي صبرا

وهذا الشاعر وان لم يكن من أهل العصر فانه قريب العهد فينبغي ذكره هنا فنقول هو

علاء الدين بن مليك الحموي

﴿علاء الدين بن مليك الحموي﴾ هذا شاعر حماه * ومن كلأ سرح الأدب بها وحماه * رآه أبو الفتح المالكي وقد رقي شرف علمه وسما * وهو بحانوت له يبيع الأقسما * وأقلامه قضب على جداول الطروس مياله * أسبل على وجه دوحها الزاهي ظلاله * بل لواء على ممالك الكلام * أو عمود نصب عليه من السحر خيام * وهو يخلب الاسماع بسحره * ويريق حلو مائه على صناعة شعره * ثم رفعته حرفة الأدب عن حضيض دكانه * الى ان صار ملك الأدب بديوانه * فنادى لسان قريضه النظيم * ماهذا مليك ان هذا الاملاك كريم * وقد وقفت على ديوانه * فجنيت من ثمرات حسنه واحسانه * قوله من قصيدة له

ذكر الغضا فحنت عليه أضلعي * وبكى العقيق فساقطته أدمعي
لله در دموع عيني انها * وقعت من الأجفان أحسن موقعي
من لي بقلبي يوم كاظمة وقد * ودعتهم لو خلفوا قلبي معي
رحلوا فكان القلب أول راحل * والصبر آخر ظاعن ومودع

(وقوله من اخرى)

طراز ذاك العذار من رقه * ودر دمعي بفيه من نظمه
وخاله فوق كنز مبسمه * بالمسك قفلا عليه من ختمه
من لي به ساحر الجفون سطا * ظلما على صبه ومارحمه

(وقوله من اخرى)

يا بريقا بالحمى قد لمعا * حي عني البان والأثل معا
فبذاك الحي لي غصن نقا * طائر القلب عليه وقعا
ياله من غصن بان يانع * صادح الحلي عليه سجعا

(وقوله من اخرى)

أحيي الربيع الارض بعد مماتها * وحلا بسكب القطر عود نباتها
والزهر قد ألقى النثار كأنما * أدت كنوز الارض بعض زكاتها
وحكت جداولها خلاخيلا وقد * أضحى خرير الماء من رناتها

(وقوله من اخرى)

سقيا لارض بعد كوثر مائها * ما اشتاق قلبي للموارد منهلا
لولا بقاياه وحقك في فمي * ماقلت شعرا في المسامع قد حلا
وهذا من قول ابن حجة من قصيدة
ولولا بقايا طعمهم في مذاقتي * لما ظهرت هذي الحلاوة في شعري

(ومن نتف له)

مدحتكم طمعا فيما أؤمله * فلم أنل غير حمل الاثم والنصب
ان لم تكن صلة منكم لذي أدب * فاجرة الخط أو كفارة الكذب

(وقوله أيضا)

لا تعجبوا من صديق كنت أمدحه * وقد هجاني ومافي ذاك من عجب
بل أعجبوا من ذكاء فيه كيف درى * اني كذبت فجازاني على الكذب

(وقوله أيضا)

يكاد لرقة أعطافه * من اللين يعقد لولا الكفل
فان قيل بدر فقل عبده * وان قيل شمس الضحى قل أجل

(ونحوه قول ابن حجر)

حبيبي لا تحتفل بالعذل * وصل مغرما للضنى قد وصل
وحقك ان العذول الأذل * وأنت الحياة وأنت الأجل

(ومن قصيدة له)

وفوق ظهور الخيل ماتوا فأصبحوا * وفى كل سرج فوقها لهم قبر

وقد توارد فى هذا المعنى مع ابن حجة فى قوله من قصيدة وكنت لما طالعت ديوانه لم أر له معنى ابتكره غيره وهو

ماتوا على تلك السروج مخافة * فكأن هاتيك السروج مقابر

وهو تشبيه لطيف لان هيئة دفتى السرج كهيئة جانبي القبر المصنوع من الحجارة فى هذا الزمان وقد سبق اليه ابن نباتة فى مرثية له

وما الناس الا راحل بعد راحل * اذا ما انقضى عصر مضى بعده عصر
تبدت لدى البيداء مطايا قبورهم * ليعلم أهل العقل انهم سفر

ثم رأيته فى اشعار المتقدمين لكنه هذبه فان أبا نواس قال فى قصيدته التى أولها

اجارة بيتنا أبوك غيور * وميسور ما يرجى اديك عسير

(ومنها)

اليك أتت بالقوم هوج كأنما * جماجمها تحت الرحال قبور

قال الصولى اى ابل كأن بها هوجا للنشاط فى سيرها وهذا التشبيه بالقبر حسن لانه أخذه من قول الوليد

كان هاماتها قبر على شرف * يمدّ للسير أوصالا وأصلابا

انتهى وهاهنا أمر نفيس ينبغى الاصغاء له لان الجماجم الرؤس ولو شبه أسنمتها أو الرحال التى عليها بالقبور لكان من المعانى التى لا نظير لها فاستحسان الصولى ليس بحسن وكأن المتأخرين اذ كانوا رأوه تنبهوا لهذا وهذا من حسن الظن بالسلف والا فللمقال مجال فاذا افطنت لما قلناه وفهمته علمت أن هذا كله لا يصل فى الحسن الى درجة من درجات قولى من قصيدة لى

اذا جئت دارا قبل لقياى أهلها * ألاقى قبورا للكرام أولى المجد
عليها القد حطوا رحالا بمنزل * وكم هودج من بينها مرتحىُ الشد
لينتظروا من خلفوه بدورهم * ليلحقهم قبل القيام بلا جهد
يقولون جدوا فى الرحيل فان من * تبقى اناس أرضعوا اللؤم فى المهد

وقولى قبل لقياى الخ اشارة الى أن قبور كل بلدة خارجها فكل قادم لابد أن يلاقيها أولا والى هذا المعنى أشار القاضى الفاضل فى قوله

المدن ان رجع المسـ * ـافر أو اذا خرج المسافر
ما استقبلته وودعتـ * ـه بغيرها تيك المقابر

القاضى محب الدين بن تقى الدين الحموى

(القاضى محب الدين بن تقى الدين الحموى) نزيل الشام * وشامة من بها من الوجوه والاعلام * ذو كمال وأدب * ومجد تناوله عن كثب * فكان غرة من نظم ونثر * وكتب وشعر * اذا حل بنادتها الصدره وانشرح * وتزينت بدرر كلماته عقود الملح * وترنمت أطيارها * وتفتحت بنسيم خلقه أنوارها * بمحاورات له تحمر خدود الكاسات منها خجلا * وتفتح أزهار الخمائل لها آذانا ومقلا * الا أنه وافى رياضها عشية * فحيته من أنفاسها بألطف تحية * فحمدها وشكر * بما طار بين سمع الارض والبصر * ومن شعره قوله فى الشام

أتينا فسلمنا عليها عشية * فغنى لنا فيها الحمام وحيانا
وأبدى لنا ثغر الاقاحى تبسما * وأحسن ملقانا وأكرم مثوانا
وما هى الا جنة قد تزخرفت * ألم ترفيها العين حورا وولدانا
ومن تحتها الانهار تجرى وكلها * عيون الى الروضات ترسل غدرانا

ومن فصل له يقبل الارض بعد دعاء ترصع فى تيجان الاجابة درره * وتضرع تقف فى ديوان الاخلاص فقره * ومما وقفت عليه من آثاره * شرح شواهد التفسير وهو كتاب حسن لكنه لم يشبع فيه الكلام

شهاب الدين الكنعانى الشامى

(شهاب الدين الكنعانى الشامى) شاعر عصرى لم أقف له الا على ما أنشده شيخنا العناياتى من قوله

يحسب كل الناس أمثاله * من بات فى مهد نعيم وطى
اما ترى الشبعان ياسيدى * يفت للجيعان فتا بطى

وهذا مثل عامى من أمثال العوام تضرب للمترفه الذى لا يدرى بحال من كان فى بؤس وشدة فيظنه مثله ولفظ الجيعان أنكره أهل اللغة فقالوا المسموع فيه جائع وجوعان لكن الامثال لا تغير

﴿معروف الشامى﴾ هو ممن اتسم بالادب فى الحديث والقديم * وسرى ذكره كما سرى فى الرياض النسيم * فسمت مقاصده * وعذبت مصادره وموارده * فليس للربيع نضارة تلك الشيم * ولا للغيث شيم ذلك الكرم * فروضة مآثره يانعة الزهر * ونسخة محاسنه مخلدة فى صحائف الدهر * لا زال جدثه روضة من رياض الجنان * ومنزلا تحل فيه قوافل الغفران * ما بكى المطر لفراق الغمام * فضحك النور على بكائه فى الاكمام * فمما انشدت له قوله

يا مفردا أضحت ظواهر شأنه * ما فوقها فى الحسن غير المخبر
يا سالبا قلبى الشجى وما اشتكى * منه الجفاء الى السميع المبصر
منى اليك مع النسيم تحية * فتقت نوافجها بعطر أذفر
من منطق يزهو بحسن براعة * تزرى حلاوته بطعم السكر
فكأنها وكأنه وكأنها * من جوهر فى جوهر فى جوهر
يبدى التداخل فى الجواهر عنوة * لبصيرة المقدام لا المتحير
فكأنما قرطاسها أسرارنا * والبين بينهما سواد الاسطر
أرجو على قرب المزار بقرب البارى تعالى ورودى من مصدرى
فى ذلك الشرف المعلى المنتهى * طرب المشوق وجنة المتذكر

(ونقل لى عنه فصل فى كحال صورته)

وفلان انتهى الى فوق ما يضرب به المثل * ان قيل يسرق الكحل من العين فهذا يسرق العين من الكحل * فقد أودع كحله حزن يعقوب فمن كحل منه ابيضت عيناه * وجحد معجزة القميص اليوسفى فلو مر وابه على ناظر تقرح جفناه * وهو من الذين اذا رفعوا أميالهم فانما هى لعين الشمس ولشمس العين من ولة * واذا أولج أحدهم الميل فى المكحلة فهو أولى بالرجم ممن أولج الميل فى المكحلة * انتهى وأنا أظن أن هذا من كلام القاضى الفاضل ومنه قول مهيار فى طبيب كحال

﴿معروف الشامى﴾

أفنى وأعمى ذا الطبيب بطبه * وبكحله الاحياء والبصراء
فاذا نظرت رأيت من عميانه * أمما على أمواته قراء

(ومنه أخذ الزغارى قوله)

أعمى الورى بكحله * والموت من وصفاته
فكثير من عميانه * يقرا على أمواته

وانما خصوا العميان بالقراءة لانهم معروفون بكثرة الحفظ وقد قيل انه ما أخذ الله من عبده حاسة الا نقل قوتها لغيرها ولابن عنين

لو أن طلاب المطالب عندهم * علم بأنك للعيون تغور
لأتوا اليك بكل ما أملته * منهم وكان لك الجزاء الاوفر
ودعوك بالصباغ لما أن رأوا * يغشى العيون لديك ماء أصفر
وبكفك الميل الذى يحكى عصا * موسى فكم عين به تتفجر

ولمجد بن الاكفانى

ولقد عجبت لمن أتى بالكيميا * فى كحله اذ جاء بالاشنعاء
يلقى على العين النحاس يحيلها * فى لحة كالفضة البيضاء

(وأحسن منه قولى)

كحل كحالنا غدا اكسيرا * منه قد علم الورى الكيمياء
فحديد الابصار يلقى عليه * عاد فى الحال فضة بيضاء

﴿نجم الدين بن معروف﴾ أديب اذا نظم حرك الهوى * وقال الشعر والنجم اذا هوى * ما ضل صاحبكم وما غوى * فقد سلك سبيل الرغائب * واهتدى بأعلام المناقب * فهو نجم بزغ من سماء الكرم * وشمس اهتدت بأنواره سراة الامم * تقلد سيف الاماره * فلاحت عليه من السعادة كل أماره * فلله نجمه الثاقب * برفعته لدرى الكواكب * فن أنواره الساطعة من مشرق فيه * ما كتبه للقاضى أبى الفتح يستدعيه

يا أيها المولى الذى فتحت له * فيضا خزائن كل علم مغلق
ووفود ارباب الفنون تعبدوا * بولاه اذ هو رب فضل مطلق
واذا أتاه الفاضلون بجملة * من فضلهم لاقاهم فى فيلق

﴿نجم الدين بن معروف﴾

العبد يرغب ان تشرف بيته * ليصير أشرف بقعة فى جلق
لازلت يا زين الوجود ممتعا * بعوارف منها المعارف تستقى

(فأجابه)

يا ماجدا نحو العلا لم يسبق * ومهذبا حاز الكمال بجلق
لبيك من مولى تفضل داعيا * لمحبه بل عبده المتملق
وافت بدائع نظمه تحكى عقو * د الدر فى سلك البيان المونق
تدعو لحضرته البديع صفاتها * ببلاغة فاقت بأفصح منطق
سعيا على الاحداق نحو كماله * وجماله المتوقد المتألق
نحو الفضائل والفواضل والثنا * نحو المكارم والندا المتدفق
لازلت محروس الجناب ممتعا * بلقائك الفضلاء دون تفرق
مالاح نجم فى الدجنة ثاقب * أو فاحت الروضات للمستنشق

محمد بن محمد الحكيم المعروف بابن المشنوق

﴿ (محمد بن محمد الحكيم المعروف بابن المشنوق) ﴾ شاعر رأيته وله شعر لم يثابر على تهذيبه * فهو وساوس لفكرة تهذى به * وقد أنشد قصيدة سماها لامية الروم منها

حتى م أنظم من دمعى ومن غزلى * أدلة وحبيب القلب معتزلى
يرى خلودى فى نار الصدود فهل * فسقت حين جعلت العشق من عملى

فتح الله بن بدر الدين محمود البيلونى الحلبى

﴿ (فتح الله بن بدر الدين محمود البيلونى الحلبى) ﴾ أديب فاضل له طرف وملح * وشعر سمح طبعه منه بما سنح * وله مجالس من مجالس القصاص والنصاح * ينادى به كل طالب حى على الفلاح * رأيته وقد قدم الروم بصحبة الوزير نصوح * وشمس فضله من أفق معاليه تلوح * فانقطع عن الاختلاط * وربما حرك السكون ردئ الاخلاط * وله شعر وشعور * هما من خير الامور * كقوله

يقولون نافق أو فوافق مرافقا * على مثل ذا فى العصر كل لقد درج
فقلت وأمر ثالث وهو قول أو * ففارق وهذا الامر أسلم للحرج

وقوله فى بعض منازل الحج المسمى بأكره ويقال لها أكرى بالقصر أيضا

تعففت عن زاد الرفيق ومائه * وسرت ابيت الله أهدى له شكره
ووفرت ماعندى احترازا واننى * لصونى ماء الوجه لم أر ماأكره

ومن

ومن أمثاله المرسلة رب داء أضر منه الدواء وله

اذا ابتليت بسلطان يرى حسنا * عبادة العجل قدم نحوه العلفا

(وقوله)

أنت كالمنخل الذى صار يلقى الصفو للناس ممسكا للنخالة

وهذا مما وقع معناه فى بعض الكتب الالهية كما نقله الامام الرازى وقد كنت قلت فيه

الدهر كالغربال فى * خفض ورفع لا محالة
ان حط لب لبابه * رفع الحثالة والنخالة

والبيلونى لقب جد له وهو نسبة للبيلون وهو طين أصفر تسميه أهل مصر بالطفل انتهى

(القاضى ظهير الدين الحلبى)

(القاضى ظهير الدين الحلبى) أديب ورده معين * واثمد مداده مما تكتحل منه عيون اليقين * صحبته بالروم فكان لى منه ظهير ومعين * فاقتطف سمعى جنى أزهاره * لما جلى على نتائج أفكاره * فرأيت كبراها وصغراها فى الحد الأوسط * ومنها ما هو عن رتبة الانتاج منحط * فمن غض ثمراته * ويانع زهراته * قوله من قصيدة نبوية

نسيم الصبا من حاجر ونواحيه * سرت فأزالت صبرنا عن صياصيه
ومن بارق شام المتيم بارقا * بدا فغدا عاشوقه من أقاصيه
ومن ذكر أيام العذيب تكدرت * مشارب صب ضل عنه مناجيه
اذا قفل الحجاج زاد ولوعه * وأرسل دمعا فانيا من أماقيه
وبى من غدا يختال عجبا بقده * وطلعته سكران من خمرة التيه
وفى القرب أخشاه وفى البعد قاتلى * فوا حربا من بعده وتدانيه
يفوق من جفنيه للقلب أسهما * بأوهنها يرمى الكمى فيصميه
بذلت له روحى فأعرض معجبا * وقال أملكى عاد ملكك تهديه
وبالشعب من وادى النقا خير جيرة * غدت بغيتى والله من غير تمويه
اذا ذكروا ابن تاج قلبى كأنما * أتت نحوه تنقاد سرا أمانيه

(بهاء الدين بن الحسين العاملى)

(بهاء الدين بن الحسين العاملى) الحارثى الشامى أصلا ومحتدا * الفارسى منشأ ومولدا * فاضل لمعت من أفق الفضل بوارقه * وسقاه من

مورده النمير عذب ورائقه * لا يدرك بحر وصفه الاغراق * ولا تلحقه حركات الافكار ولو كان فى مضمار الدهر لها السباق * زين بمآثره العلوم النقلية والعقليه * وملك بنقد ذهنه جواهرها السنيه * لاسيما الرياضات فانه راضها * وغرس فى حدائق الالباب رياضها * وهو فى ميدان الفصاحة فارس أى فارس * وان كان غصنه أينع وربى بربوة فارس * فان شجرته نبتت عروقها بنواحى الشام الزاهية المغارس * والعرق نزاع * وان أثر الجوار فى الطباع * ولما تدفق ماء كرمه خرج منها سائحا * بعد ما ألقى دلوه فى الدلاء ماتحا * لابسا خلع الوقار * قاطفا من رياض الكون ثمرات الاعتبار * بجاب البلاد * وأتى ارم مصر ذات العماد * فنمى متاع فضل به اتجر * والمعالى فى كفالات السفر * فاجتنى نورا انفتحت كمائمه * وسرى سر اقلب الوجود كاتمه

وسر دهره وصدر له * بعالم ذى نجدة عامل

وفى أثناء ذلك نظم عقود أشعار حقائقها العقول * وجمع من ازواد فضله مجموعة سماها الكشكول * طالعتها فرأيت فيها ماتنشرح له الصدور * وتحل عقد الاشكال عن كل مصدور * وكان رئيس العلماء عند عباس شاه سلطان العجم * لا يصدر الاعن رأيه اذا عقد ألوية الهمم * الا انه لم يكن على مذهبه فى زندقته والحاده * لانتشار صيته فى سداد دينه ورشاده * الا انه علوى بلا مين * وهو عند العقلاء أهون الشرين * فانه أظهر غلوه فى حب آل البيت * وجارى حلبة ولاء الكميت * وأنشد لسان حاله لكل حى وميت

ان كان رفضا حب آل محمد * فليشهد الثقلان أنى رافضى

وشعره باللسانين مهذب محرر * وبالفارسية أحسن وأكثر * ولما ساح فى البلدان * واجتمع بمن بها من الأعيان * عاد بدرذاته لفلك أقطاره * فعانق فى أوطانه عقائل أوطاره * وهو الآن قرة عين مجدها * وغرة جبين سعدها * تطوف بحرمه وفود الأفاضل * وتتوجه شطره وجوه الآمال من كل فاضل * بنعيم مقيم تتحدث عنه طروس الاسفار * وتكتحل باثمد مداده عيون الطروس والاسفار * فمن أنوار كلامه * التى

أطاعتها غصون أقلامه * قوله من قصيدة

يا نديمى بمهجتى أفديك * قم وهات الكؤس من هاتيك
هاتها هاتها مشعشعة * أفسدت عقل ذى التقى النسيك
خمرة ان ضللت ساحتها * فسنا نور كأسها يهديك
يا كليم الفؤاد داو بها * قلبك المبتلى لكى تشفيك
هى نار الكليم فاجتلها * واخلع النعل واترك التشكيك
صاح ناهيك بالمدام فدم * فى احتساها مخالفا ناهيك
عمرك الله قل لنا كرما * يا حمام الأراك ما يبكيك
أترى غاب عنك أهل منى * بعد ما قد توطنوا ناديك
ان لى بين ربعهم رشأ * طرفه ان تمت أسى يحييك
ذو قوام كأنه غصن * ماس لما بدا به التحريك
لست أنساه اذ أتى سحرا * وحده زائرا بغير شريك
طرق الباب خائفا وجلا * قلت من قال كل ما يرضيك
قلت صرح فقال تجهل من * سيف ألحاظه تحكم فيك
قمت من فرحتى فتحت له * واعتنقنا فقال لى يهنيك
بات يسقى وبت اشربها * خمرة تترك المقل مليك
ثم جاذبته الرداء وقد * خامر الخمر طرفه الفتيك
قال لى ماتريد قلت له * يامنى القلب قبلة من فيك
قال خذها فقد ظفرت بها * قلت زدنى فقال لا وأبيك
ثم وسدته اليمين الى * أن دنا الصبح قال لى يكفيك
قلت مهلا فقال قم فلقد * فاح نشر الصبا وصاح الديك

وله من اخرى مدح بها الاستاذ البكرى وقد اجتمع به وهو مما يدل على سلامة عقيدته قوله

يا مصر سقيا لك من جنة * قطوفها يانعة دانيه
ترابها التبر فى لطفه * وماؤها كالفضة الصافيه
قد أخجل المسك نسيم لها * وزهرها قد أرخص الغاليه
دقيقة أصناف أوصافها * ومالها فى حسنها ثانيه

منذ أنخت الركب فى أرضها * أنسيت أصحابى وأحبابيه
فياحماها الله من روضة * بهجتها كافيه شافيه
فيها اشفاء القلب أطيارها * بنغمة القانون كالزاويه

(ومنها)

من شاء أن يحيى سعيدا بها * منعما فى عيشة راضيه
فليدع العلم وأصحابه * وليجعل الجهل له غاشيه
والطب والمنطق فى جانب * والنحو والتفسير فى زاويه
وليترك الدرس وتدريسه * والمتن والشرح مع الحاشيه
الى م يا دهر وحتى متى * تشقى بأيامك أياميه
تحقق الآمال مستعطفا * وتوقع النقص بآماليه
وهكذا تفعل فى كل ذى * فضيلة أو همة عاليه
فان تكن تحسبنى منهم * فهى لعمرى ظنة واهيه
دع عنك تعذيبى والافاشتكوك الى ذى الرتبة السامية

(وله رباعيات لطيفة منها)

اغتص بريقى كحسى الحاسى * اذ أذكره وهو لعهدى ناسى
ان مت وجمرة الهوى فى كبدى * فالويل اذا لساكنى الأرماس

(وله)

كم بت من المسا الى الاشراق * من فرقتكم وطربى أشواقى
والهم منادمى ونقلى ندمى * والدمع مدامتى وجفنى الساقى

(ومنها)

لا تبك معاشرا نأى أو الفا * القوم مضوا ونحن نأتى خلفا
بالمهلة أو نعاقب تتبعهم * كالعطف بثم أو كعطف بالفا

(ومنها)

من أربعة وعشرة امدادى * فى ست بقاع سكنوا يا حادى
فى طيبة الغراء مع سامرا * فى طوس وكربلا وفى بغداد

(ومنها)

للشوق الى طيبة جفنى باكى * لو صار مقامى فلك الافلاك

استنكف أن مشيت فى روضتها * فالمشى على أجنحة الأملاك

(ومنها)

هذا النبأ العظيم مافيه كلام * هذا لملائك السموات امام
من يمم بابه ينل مطلبه * من طاف به فهو على النار حرام

(ومنها)

هذا حرم بفضله العقل أقر * فيه لملائك السموات مقر
كل منهم يقول يازائره * أبشر فلقد نجوت من نار سقر

(ومنها)

ياريح اذا أتيت دار الاحباب * قبل عنى تراب تلك الاعتاب
ان هم سألوا عن البهاءى فقل * قد ذاب من الشوق اليكم قد ذاب

(ومنها)

ياريح أقص قصة الشوق اليك * ان جئت الى طرسوفبالله عليك
قبل عنى ضريح مولاى وقل * قد مات بهائيك من الشوق اليك

(ومنها)

أهوى رشأ عرضنى للبلوى * ماعنه لقلب المعنى سلوى
كم جئت لاشتكى فذأ بصرنى * من لذة قربه نسيت الشكوى

(ومثله قولى)

لوتسمع لذللمعنى الشكوى * لامن بذاوليس عنه سلوى
كل بهواه مبتل ذودنف * قالوا وتطيب اذتعم البلوى

(ومنها)

ياغائب عن عينى لاعن بالى * القرب اليك منتهى آمالى
أيام نواك لاتسل كيف مضت * والله مضت باسوء الاحوال

(وفى معناه ووزنه قول الارجانى)

لاباس وان أذبت قلبى بهواك * القلب ومن سلبته القلب فداك
وليت وقلت أنعم الله مساك * مولاى وهل ينعم من ليس يراك

(خضر الموصلى) كعبة فضل مرتفعة المقام * تضمنت ألسنة الرواة التزام مدحه فلله ذلك التضمن والالتزام * رأيته فى عنفوان

(خضر الموصلى)

العمر والدنيا كلها رياض * والأيام كلها أعياد وأعراس * والأوقات كلها سحر والاشهر كلها نيسان

فلو بعث يوما منه بالدهر كله * لفكرت دهرا ثانيا فى ارتجاعه

وهو حسنة فى صحائف الأيام والليالى * وروضة تنبت الشكر فى رياض المعالى * والعيش كله نضر * وقد قيل لكل زمان خضر

اذا ماذكرنا جوده كان حاضرا * نأى أودنى يسعى على قدم الخضر

وأقام بمكة مع بنى حسن مخضر الاكناف * وصنف باسم السيد حسن كتابه شرح شواهد الكشاف * شرحا تشبث بأذياله السحر * وناط به تميمة معلقة بجيد الدهر * وقد ملكته وطالعته فرأيت فيه مايدل على سعة اطلاعه * وطول طوله وباعه * وهو تلميذ والدى وكان يسلك معه طريق الأدب * ويجثو بين يديه على الركب * وأنشدنى قوله مضمنا

تبدّل عن البرش المبلد بالطلا * فعالم أهل البرش غمر وجاهل

فما البرش ان فتشت عن كنهه سوى * دويهية تصفر منها الانامل

وللأسعد بن مماتى مما أنشده فى كتابه سلافة الزرجون

نديمى لاتهزأ بمشمولة فان * بذالك منها بهجة وشمائل

وراقك منها رقة فى قوامها * ولاحت كشمس أضعفتها الاصائل

فلا تغترر منها بلين فانها * دويهية تصفر منها الأنامل

وهذا من قصيدة لبيد التى أوّلها

ألا كل شئ ماخلا الله باطل * وكل نعيم لامحالة زائل

وكل اناس سوف تدخل بينهم * دويهية تصفر منها الانامل

وقد ضمن زكى الدين بن قريع منها أيضا قوله

تأمّل صحيفات الوجود فانها * من الجانب السامى اليك رسائل

وقد خط فيها ان تأملت خطها * ألا كل شئ ماخلا الله باطل

وفى معناه قول العلامة الشيخ حسن البورينى

ورق الرياض اذا نظرت دفاتر * مشحونة بأدلة التوحيد

وفى معنى شعر أبى نواس المشهور * ومما مدحت به حضرة مولانا خضر المذكور

وصبا من كؤوس ذكرك سكرى * لك حملتها ثناء وشكرا

ولوجدى

ولوجدى رقت كطبعك لطفا * واستعارت من طيب ذكرك نشرا
معك القلب حيثما سرت يسرى * فاسألنه فذاك عنى أدرى
من أولى العزم لى فؤاد كليم * فى النوى لايزال يتبع خضرا

(فصـــــل) فيمن لقيته بالشام فى رحلتى لمصر راجعا من الروم * لما منيت بغربة قارظية * ودعانى الشوق الى العود الى القاهرة المعزية * وعنان مطايا العزم بين ثان وحادى * وطوارق الوساوس بين رائح وغادى * بدالى بها وجه جو قاطب * وسامرت بها ليلا عمر الكواكب * يتعثر بالعواء * وتضربه بعصى الجوزاء * ونهار صباه سموم * كأنه قلب صب مغموم * أونفس فقير مظلوم * نفضت بها الآمال بساط القرار * واسترجعت نزاعها للامصار * اذلم تجد حرّ اترتجيه * ولا أخا وجد تطارحه هوى نجد وتجاريه * كما قلت

ياويح مصر ترحلت سكانها * وتعطلت تلك المجالس والمدارس
ظعنوا وحسن بركاتها وجمالها * كنست وهاتيك النخيل بها مكانس

فكأن الكرام أوراق خريف لوّنته الأعاصير وبدّله الشتات * ورسومها خط بها البلاء آيات المواريث وصحف الفرائض فلايذكر فيها غير الأموات * فاذا رجع أوخرج منها المسافر * ماودّعه واستقبله غير المقابر

عليها قد حطوا رحالا بمنزل * وكم هودج من بينها مرتحى الشدّ

وقد كنت أدأب فى الترحال * لاحط بربعها الخصب رحال الآمال * رجاء لقاء أشياخى واخدانى * ومغازلة من بها من خرّد أوانس الأمانى * ممن سافنته بواديها * وساجلته بدلاء المجون فى بواديها * وقد تنزل من حصن طودها الأوابد * كما قال كشاجم فى كتاب المطارد * ان الوحوش قد تلج العمران * وتلجأ للآنس اذا كلب الشتاء وعبس بالجدب وجه الزمان * فعدمت الاقوات * واخفى الجمد والثلج الماء والنبات * فشاب منه الوليد * كما قال مسلم بن الوليد

فان اغش قوما بعدهم أوأزورهم * فكالوحش يدنيها من الآنس المحل

يذكرنيك الخير والشرّ والتقى * وقول الخنا والحلم والعلم والجهل
فألقاك فى مذمومها متنزها * وألقاك فى محمودها ولك الفضل

فعاد الرائد خائبا * والبشير ناعيا ناعبا * اذ بدت مقفرة الأرجاء * مبرقعة باليأس وجه الرجاء * من دار أمواتها أشراف * وأحياؤها أجلاف * بها ضعاف عقول يزعمون أنهم ألفوا وصنفوا * كأنهم بقية من أهل الكتاب الذين بدلوا وحرّفوا * فجبت زائرا مقابر أطلالها * وقد خيل لى أنها أول منزل سفر بسر وجها ورحالها * ينتظر بها السابقون اللاحقين * فقلت السلام عليكم دار قوم مؤمنين * فردّوا وصاحوا بها واها * وأنشدنى بديهة صداها

يا راكبا حث المطى لارض مصر تنتحيها
جز بالقرافة واقرأن * منى السلام لساكنيها
وقل السلام على الكرا * م الاكرمين الفاضليها
لم ألق بعدهم بها * الا جهولا أو سفيها
فكأنما الدنيا البخيـ * ـلة بالعطاء لمجتديها
صرفت دنانير البها * بنحاس نحس من بنيها
سادت بها فرق العبيـ * ـد فأى حر يرتضيها
فلذا هجرت مقامها * وطلبت أرضا أصطفيها
فاذا مررت فلا تسل * عمن نأى من قاطنيها
وقف المطى بجلق * ان الكرام الغر فيها
عرفت بعرف المجد هاتيك الربوع لساكنيها

فرحلت الى الوادى المقدس طوى * والعزم بأيدى المطايا شبرشقة البين وطوى * حتى نزلت تربة عجنت بماء الوحى على رغم انف النوى * وسحت بها المحيا * وحييت أكرم محيا * بين الصخرة والطور * والبيت المتلألئ فيه سبحات النور

قطعنا فى مسافته عقابا * ومابعد العقاب سوى النعيم

ولما رأيته طشت ذهب مملوأ بالعقارب * غسلت يد الأمل فيه من الرغائب وانثنيت للشام شامة وجه البلدان * وجنة الله فى أرضه المحفوفة بالحور والولدان * المفروشة بسندس النبات والاشجار * اللابسة حلل الرياض المزررة بالأنوار * المسجفة بزرق الأنهار * فقالت لى أهلا ومهلا *

ومدت

ومدت كرما ونزلا * وتلقتني بصدر رحيب * فبت فيها بين تكريم وترحيب

من فوق اكمام الريا * ض وتحت أذيال النسيم

ولقيت بها من فضلائها الاعيان * وأدبائها النقية الأذهان والأردان * كل كريم تحسد عليه العيون الأذان * هو لعين المجد قرة * ولوجه المكارم غرة * ولقلب الدهر فرحة ومسرة * فكان ممن اجتلاه ناظري * وعكف عليه في حرم كرمه خاطري

المولى عبد الرحمن بن عماد الدين الشامي الحنفي

(المولى عبد الرحمن بن عماد الدين الشامي الحنفي) وهو اذ ذاك مفتيها * وناشر لواء الافادة بناديها * ومحيي من رسوم المدارس * كل داثر بها ودارس * ان جاد فجوده تميمة للعدم * أو وعد فوعده للغنى سلم * مع صدق مقال * تعقد منه الأقوال بالأفعال * اذا ذكر ما فيه من محاسن الصفات * سجدت له الخناصر كأنه آيات سجدات * أو سردت نعوته فكل نعت مقطوع * وكل وصف تابع له وهو متبوع * وقد متعت منه بما هو ألذ من نيل الوطر * وليس العيان كالخبر * وهبت على من رياح اقباله قبول وجنوب * وأطربتني أنفاسه والكريم طروب * وصرف الزمان مغلول اليدين * والزمان منقاد لجمع الشمل كأنه عليه دين * فقلنا في ظله الظليل * ولم نر فيه نقصا سوى انه قليل * وناهيك بطيب عنصر لو رآه النظام أثبت به الجوهر الفرد * مع لطف طبع هو شقيق الروض المخجل بلطفه خد الورد * وحسن تقرير وتحرير * يهتز طربا له كل غصن نضير * وبالجملة فهو في كل كمال مفرد * مستغن عن التعريف بفضل له لا يجحد * فانه أصيل عصره * وعماد دهره * كأنما عناه من قال

أرأيتم في الناس ذات لطيف * يشرح الصدر مثل ذات العماد
حسبها من لطافة انها لم * يخلق الله مثلها في البلاد

وقد دارت بيني وبينه كؤوس محاورات لها ثغر الحباب باسم * تنظم منها في جيد الآداب عقودها بنان البيان ناظم * ولما قوضت خيام المقام وزمت مطايا العزائم * كتبت له مودعا وشاكرا لما أفاضه على من سوابغ

المكارم * أقول

قسما بلطف مالك لفؤادى * وبروض أنس مثمر لودادى
وبطلعة نزلت لدى حرم العلا * وببلدة هى قبلة القصاد
انى ارتحلت وذكركم أبدا على * طول المدا ماءى النمير وزادى
ياواحد الدنيا وبيت قصيدها الـ * زاهى لدى الانشاء والانشاد
ياابن العماد لأنت عمدة سادة * تمتاح فى الاصدار والايراد
ارما غدت أرض الشآم لانها * ذات العماد بكم وأى عماد
بل جنة فيها الثناء مخلد * أترى انها بعد البعاد بعاد
وحديث فضلكم المعنعن مجده * أضحى بأصلك عالى الاسناد
يثنى عليه رائح أوغادى * أبدا برغم عشيرة أوغاد
فاسلم ودم فى عزة أيامها * للقائه لبست حلى الأعياد

(وبعد هذا فصل) مولاى هذه نفثة مصدور * وغلالة صاد لولاك لم تروبها الصدور * وبديهة غريب عن الأوطان والأحبة مهجور * والطبع وان كان فى حلبته جواد * فقد يكبو الجواد وقد يبخل الجواد * ولكننى أقول كما قال ابن عباد

أنا لولاك مارأتنى القوافى * فى وهاد من أرضها ونجاد
ان خير المدّاح من مدحته * شعراء البلاد فى كل نادى

والسلام

(فأجاب)

هذى درار نورها الى هادى * وشهابها رجم على الأضداد
أم روضة بسمت ثغور زهورها * أم حلة وشيت من الأبراد
أم تلك أبيات البنا * رفعت على عمد رفعن عمادى
بنيت بأيدى فكر قس خفاجة * تبت أيادى فكر قس ايادى
مولاى يافرد الوجود فضائلا * وفواضلا ياأوحد الآحاد
قد كنت أسمع عن فضائلك التى * شنفتنى من حاضر أوبادى
ولطالما قد كنت أرجو الملتقى * وتبعد الآمال طول بعادى
حتى شهدت جمالكم فلمعنتى * جذبت محبتكم شغاف فؤادى
ودنا الرحيل مخلفا قلبى لكم * وقفا على الاتهام والانجاد

سر بالهنا أما خيال كما الكم * فهو السمير لمهجتى فى النادى
واسلم ولا تنس العمادى انه * ليعلل الاحشاء بقرب بعاد

(ومما أنشدنى قوله)

سأطمس اثارا هواى أثارها * وانفض من ذيل التصابى غبارها
لقد آن صحوى من سلاف صبابة * لقد طال ما خامرت جهلا خمارها
هجرت الهوى والزهو حتى اشتياقه * وطيب ليالى اللهو حتى اذكارها
وعفت سبيل الهزل بالجد مقلعا * وعفت مسرات جنيت ثمارها
أثام كفيت اليوم بالترك شرها * لعلى غدا فى الحشر أكفى شرارها
قطفت أزاهير الصبابة فى الصبا * وقد صار عارا أن أشم عرارها
فلو صائدات القلب أقبلن كالمها * وقبلن رأسى ماقبلت مزارها
وقد كنت أودعت الحجى فاسترده * الى النفس شيب قد أعاد وقارها
وكان شبابى شب نار صبابتى * فذلاح نور الشيب أخمد نارها
ترى شيبتى ماعذرها لشبيبتى * وقد صبغت قبل الكمال عذارها
تبسم ثغر الشعر فيها تعجبا * لها اذ رأى ليل السبال نهارها
فما زار وكر الشعر فيها غرابه * ولادار حتى استوطن الباز دارها
عسى الآن عما قد عثرت انابة * يقيل بها للنفس ربى عثارها
عسى رحمة أونظرة أوعناية * يتم سعودى فى صعود منارها
عسى نفحة من نور نور معارف * تهب فيختار الفؤاد قرارها
ويشرح صدرى نور علم مقدس * يرينى أسرار العلوم جهارها
وأمنح ألطافا من الانس أبتغى * خفاها ويأبى الوجد الا اشتهارها
وتكشف عن عين البصيرة حجبها * بأنوار عرفان تزيل استتارها
فيظهر لى سر الحقيقة مشرقا * على ظلم الكون التى قد أنارها
وأحظى بحالات من القرب اكتسى * بدنيا واخرى فضلها وفخارها
ولطف الهى قطب دائرة المنى * فان عليه فى العطاء مدارها

(وقال قبيل موته رحمه الله)

قد شاب فودى حين شاب فؤادى * فكأنما كانا على ميعادى
حسن الخواتم أرتجى من محسن * قد من لى قدما بحسن مبادى
وعمادى التوحيد فهو وسيلتى * فى نيل ما أرجوه عند معادى

ان قيل أى سفينة تجرى بلا * ماء وليس لأهلها من زاد
قل رحمة الرحمن من أنا عبده * تسع العباد فمن هو ابن عماد

وكتب الى وهو مريض وقد سمع بعودى لمصر ولم يلبث بعده الا قليلا ماصورته أسعد الله تعالى طالع مصر وما حولها من الأمصار * وأنجد هذا العصر ومايليه من الأعصار * وأبد العلوم وأهلها * وأيد دولة الفضائل وطالبيها * بدوام سعادة أيام عين أهل المعارف والمعالى * وواسطة عقدهم الغالى * ونادرة فلكهم العالى * الذى هو صدر العلماء وبدرهم * ومن يدور عليه أمرهم * فكأنهم فلك هو قطبه * أو جسد هو روحه وقلبه * علامة العلوم والمعارف * وروضة الأدب الوريقة وظلها الوارف * شمس عصره * وعزيز مصره * جامع المزايا والمناقب * شهاب الفضل الناقب * أهدى الى حضرته العلية تحف التحيه * وطرف الادعية المرضيه * وأنهى اليه شكاية نكاية الشوق واستطالة سلطانه * ومدمدة البين واستطالة زمانه * وأهنيه برتبة الرياسة العلمية * التى بعض صفاتها ولاية مصر المحميه * جزء من آلائها وآلاتها حيث أتت تسعى اليه * ومد بالامر الشريف رواقها عليه * على أن المولى أنوه قدرا * وأنبه شأنا وذكرا * من أن يهنى بولاية وان أمر أمرها * وعلا بين أهل العلا قدرها * ومنصب مصر وان عظم موقعه * فالمولى بحمد الله تعالى يرفعه والمنصب لا يرفعه * وما شرفه المؤثل المعلوم * الا بفنون الفضائل والعلوم * وحين بلغنا وصوله بالسلامة بتيسير الميسر عجبنا كيف ركب البحر البحر * وسلك البر البر * وقلنا عاد قس الى عكاظه * وعاد قيس بحفاظه * ولقد أحسن مولانا السلطان * اذ أنام الانام فى حرز العدل والأمان * بنصب فيصل حكمه وحسام قضائه * لحسم مادة الظلم وانتضائه * وفتح بذلك باب دولة العرب * وروج بضاعة العلم والفضل والأدب * فخلد الله دولة سعادته مدى الليالى والأيام * ونظم أعوام مدة سلطنته فى سلك التأبيد والدوام * ونسأل الله لحضرتكم طول البقاء * ودوام العز والارتقاء *

(احمد بن شاهين الشامى) صديقنا الصادق الوداد * الفاضل المستغرق بمحاسنه لمراتب الأعداد * قناص سوانح الأفكار * حائز

(احمد بن شاهين الشامى)

قصب السبق فى كل مضمار * أديب حديثه الحسن كقطع الروض ولذة النشوان * يخيل لسامعه انه صب عليه الجمان * وجرى خلاله ماء البيان * تتسابق ألفاظه ومعانيه الى القلوب والآذان * حتى لا تدرى أيهما السابق فى الولوج للسمع والجنان * فكم هبت شمأل شمائله * فأضحت سماء فضائله * فيا عجبا كيف همى منه الندى * وقد انقشع به غمام الغى عن مطالع الهدى * فهو نكتة عطارد * الوارث من المجد كل طريف وتالد * حتى أدنى جود أياديه الحسان * ولم يشق غباره سوابق الاستحسان * وله نظم ونثر أرق من دمع الصب * وأعذب من زلال القطر غب الجدب

لو بقيت سلكا على الدهور * لعطلت قلائد النحور
وأخجلت جواهر البحور * وسميت ضرائر الثغور
تهدى الى الاكباد والصدور * روحا يحاكى نفثة المصدور

ولما وافيت فى رحلتى الى الشام * نظمنى واياه فى عقد الصحبة سلك الأيام * فى أوقات كلها أصيل وسحر * ولا عيب فيها سوى ما بها من قصر * وكذلك أيام السرور قصار * فشرفنى بقصيدة أتحفنى بها وهى قوله

أى دهر قد جاد لى بابتهاج * وصباح قد لاح لى بانبلاج
وزمان قد منّ لى بنعيم * وقران وافى بأسعد تاج
وازديار من غير وعد حبيب * كشفاء من غير سبق علاج
واجتماع لنا بغير اتفاق * كغنى جاء طالبا ذا احتياج
وسخاء من الزمان بأهنى * نعمة قد أتت لا جوج راجى
بقدوم المولى الامام المفدى * أحمد السيد الشهاب الخفاجى
الشهاب الذى أضاء فضاءت * شامنا من سراجه الوهاج
زارنا فى دمشق غيث روىّ * غيث علم من طبعه الثجاج
حين وافى من مصر والسعد عبد * خادم عنده بغير اختلاج
ولو انى وفيت حق قدوم * ساد حظى منه وزاد ابتهاجى
كنت افرشته جفون عيونى * ورفعت الغبار فوق الحجاج
عالم يخرج الخفى المعمى * من علوم الأولى بلا استخراج
عنده كالصباح من كل علم * مدلهم كالليل أسود داجى

سيدى سيدى تحية داع * مخلص فى الوداد غير مداجى
اشتكى غربتى اليك وانى * بين أهلى فى خسة واندماج
غير انى شروى غريب افقدى * أهل ودى وعشرتى وامتزاجى
منهم عمدتى الذى كان دهرا * مفتى الشام مستنير السراج
العمادى ذاك من قد تقضى * عمره فى دعاه ضمن الدياجى
كان والله عطرنا الند لما * نلتقى فى شمال حين التناجى
كان شيخى وكان خلى اذا ما * نابنى حادث وطب مزاجى
قرمتنى فيه الليالى عنادا * والليالى معروفة باللجاج
فتخلفت فى دمشق وحيدا * فى اعتقال وهمتى فى انفراجى
أيها السيد الجليل المفدى * عج بحاجى عن سير حظى الساجى
فابن شاهين ذو جناح نهيض * باء ان لم ترشه كالدراج
كن لراج من فضل جاهك عونا * حيث يمضى مما ترى محتاج
جار دهرى على فانظر لأمرى * لا تكلنى الى اهتمام احتياج
رق حالى فأجبره قبل انصداع * محال فى الكسر جبر الزجاج
كسدت مدة بضاعة فضلى * و بمولاى جاء وقت الرواج
يتناحق نسبة لكريم * ذى بكور للمجد مع ادلاج
لابن عبد الغنى ذاك المصفى * جوهرا غاليا محلى التاج
قدس الله روحه وحباه * برضاه من غير سبق انزعاج
وابق واسلم فنى معاليك عنه * خلف لم ينى بلا معراج
كل وجه تأتيه تلقاه طلقا * سافر البشر وافر الابتهاج

ومحمد بن عبد الغنى المذكور كان قاضى العساكر بالروم وله حواش على تفسير البيضاوى وسنذكره ان شاء الله تعالى آخر هذه الريحانة

(الامير محمد بن منجك) الجركسى أصلا ومحتدا * الشامى منشأ ومولدا * أديب أريب * ونجيب وابن نجيب * أورق عوده بالشام وأثمر * فاذا عدت السجايا عرضا فسجاياه جوهر * نشأ بها والدهر أبيض أغر * ونادم العيش والعيش أخضر * وللبقاع تأثير فى الطباع * والعرق كما قيل لمغرسه نزاع * ومن كان جار الرياض * لبس طبعه برد نسيمها الفضفاض *

(الأمير محمد بن منجك)

كما لبس النهر الجارى * درع النسيم السارى

وقد نسجت كف النسيم مفاضة * عليه وما غير الحباب لها حلق

وقد صحبنى بجلق ونسيمه سجسج * وخيوط شيبته بيد الكهولة لم تنسج * ولازمنى اذ رأى انعطافى عليه * وشبه الشئ منجذب اليه * ومدحنى بدائع أطال فيها وأطاب * وغنم الصحبة ولم يرض من الغنيمة بالاياب * ومما كتبه الى من شعره وقد طلبت منه ما أودعه فى الرحلة * صورة ما مدحت به مطلع نجوم المعالى * وفلك شموس الموالى * المولى عبد الرحمن حين قلد صارم الاحكام بدمشق الشام * صينت عن حوادث الأيام

آلى الزمان عليه أن يواليكا * يثنى عليك ولا يأتى بثانيكا
اذا سطا فبأحكام تنفذها * وان سخا فبفضل من مساعيكا
لئن ذا العيد حظ منك حين غدت * علاه ثم حلاه من أياديكا
هلاله نال فوق البدر منزلة * مقبلا وجه أعتاب ناديكا
مجملا بأيادٍ منك فائقة * معطرا بغوال من غواليكا
وافى يهنى بك الدنيا ونحن به * يا بهجة الدين والدنيا نهنيكا
من ذا يضاهيك فيما حزت من شرف * ومن يدانيك فى حلم ويحكيكا
فالشمس مهما ترقت فهى قاصرة * عن بعض أيسر شئ من مراقيكا
والبدر لمحة نور منك نبصرها * والبحر قطرة ماء من غواديكا
وكل طود تسامى فهو محتقر * اذا بدت وهدة من نحو واديكا
وكل مجد فمن علياك مكتسب * وكل فخر نراه فى حواشيكا
وما حكى السلف الماضى وحدثنا * من السجايا به احدى التى فيكا
تعنو لعفتك الزهاد مذ عنة * ويحسد الفلك الاعلى مغانيكا
يا ابن الحسام الذى للدين نصرته * أنت المفدى وكل الناس تفديكا
أعيادنا كلها يوم نراك به * وليلة القدر وقت من لياليكا

ومما مدحت به ايضا المولى المذكور * دام فى رغد عيش وسرور

الناس كلهم شراء عطائه * والعيد والنيروز من آلائه
يختال ذا بالحلى من عليائه * شرفا وذا بالوشى من نعمائه
قرت به عين الغزالة واغتدت * مكحولة فى أفقها بضيائه

ما أنبت الادواح بعد ذبولها * الا سقوط الطل من أنوائه
سلالها ونسيمها من لطفه * وعبيرها من بعض طيب ثنائه
مولى أقل هباته الدنيا فقل * ماشئت فى معروفه وسخائه
عدل له مازال يورق عوده * حتى استظل الامن فى أفيائه
غيث أغاث به المهيمن خلقه * متفضلا وقضى لهم بقضائه
نجل الذى الافضال من ألقابه * وحسام دين الله من أسمائه
السعد من خدامه والعزمن * أتباعه والمجد من ندمائه
تسعى المواسم كلها لرحابه * اذ لابهاء لها بغير بهائه

وممامدحت به امام الائمة * موضح المشكلات المدلهمة * يوسف ابن أبى الفتح امام حضرة السلطان * دام منصورا مظفرا فى كل آن ومكان *

قمراذا فكرت فيه تعتبا * واذا رآنى فى المنام تحجبا
صاد فتنه فتناولت لحظاته * عقلى وأعرض نافرا متجنبا
متورد الوجنات خشية ناظر * أضحى بريحان العذار منقبا
ساومته وصلا فأعجم لفظه * وأظنه عن ضد ذلك أعربا
أنا منه راض بالصدود لاننى * أجد الهوان لدى الهوى مستعذبا
شيآن حدث بالطافة عنهما * عتب الحبيب وعهد أيام الصبا
وثلاثة حدث بطيب ثنائها * زهر الرياض وخلق يوسف والصبا
علامة الآفاق من أشعاره * لعلومه أضحت طرازا مذهبا
من لو رآه البحر يوما مغضبا * لرأيته من خشية متلهبا
من لو أصاب البر أيسر قطرة * من راحتيه لعاد روضا مخصبا
من لو نظمت الشهب فيه مدائحا * لظننت فكرى قد أساء وأذنبا
ما نسمة سحرية شجرية * باتت تعل من الغمام الاعذبا
نشوانة وافت تجرر فى الربى * ذيلا بمسكى الرياض مطيبا
يوما بأحسن من صفات كماله * أنى تداولها اللسان وأطنبا
من ذا يقاس بماجد جعلت له * أرضا رقاب الحاسدين وقد أبى

وممامدحت به المبرز فى العلوم * المالك أزمة المنطوق والمفهوم * والبارع فى المنثور والمنظوم * المرحوم عبد الرحمن العمادى مفتى دمشق الشام

بان الخليط ضحى عن الجرعاء * فحن المقيم لشدة وعناء

الله يعلم أن صبحى فى الهوى * سيان بعد رحيلهم ومساءى
تطوى على النائبات كأننى * سر الهوى وكأنها احشاءى
وأشد مايشكو الفؤاد تمنع * فى لحظه داءى ومنه دواءى
ريحانة الحسن التى لعبت بها * ريح الصبا الا راحة الصهباء
تجرى مياه الحسن فى أعطافه * جرى الصبابة منه فى أعضاءى
قمر اذا حسر القناع مخاطبا * شخصت اليه أعين الأهواء
ملكت ولاية كل قلب مولع * لحظاته من عالم الانشاء
ان يخفه ليل النوى بجبينه * صبح ينم عليه بالاضواء
كم بت مطوى الضلوع على جوى * أغضى الجفون به على الاقذاء
فالى م فيه تهتكى وتنسكى * وعلام فيه تبسمى وبكاءى
عل الزمان يفيدنى حمل المنى * حيث التجأت لأوحد العلماء
نجل العماد ومن بنت عزماته * بيتا دعائمه على العلياء
مجد سما بجناحه حتى لقد * بلغ السماء وفاتها بسماء
تندى أنامله ويشرق وجهه * فيجود بالآلاء واللألاء
يقظ بأعقاب الامور كأنما * جليت عليه حقائق الأشياء
سبحان من جمع الفراسة والهدى * لجنابه السامى على النظراء
ومهابة ساد الولاة ولاؤها * محفوفة بجلالة وبهاء
وشمائلا رقت كما خطرت على * زهر الربيع بواكر الانداء
مولاى بل مولى البرية فى صفا * صدق الطوية من بنى حوّاء
أنت الذى مازلت ترب ولاية * وأبو الورى فى طينه والماء
تتلو على سمع المحامد والثنا * آيات مدحك ألسن النعماء
لله ام ماغذيت بثديها * الالبان العزة القعساء
أطلعت شمس الفخر فى فلك العلا * وحففتها بكواكب الأبناء
المالئون قلوب أهل زمانهم * حبا وأكناف الرجا بغناء
والضاربون خيام سوددهم على * هام السماك ومفرق الجوزاء
يا موردا حامت عليه غلتى * مذ جئته مستسقيا ورجاءى
واقبل من صوغ القريض فرائد * نظمت بأيدى الفهم والآراء

لا بل سقيت رياض فكر ماحل * منى بفضلك صيب الآلاء
فهصرت غصن معارف وما ثر * وجنيت نور محامد وثناء
هيهات ماشعر الأنام مقارنا * شعرا تشرف منك بالاصغاء

ومما مدحت به أيضا المرحوم عبد الرحمن العمادى المذكور

ياابن الاماجد أنت من * أى الافاضل وابن من
كذب الذى حسب الزما * ن أتى بمثلكم وظن
أيقاس ماغرس العلا * يوما بخضراء الدمن
والآل بالغيث المغيـ * ـث اذا توالى أوهتن
العلم سر الله ليـ * ـس عليه غيرك يؤتمن
والمجد سار الى جنا * بك من أبيك على سنن
وبك المناصب فخرها * دون الورى من قبل أن
فاليك منى روضة * بالشكر يانعة الفنن
لم لا يطيربى الرجا * ء الى جمالك مدى الزمن
وبذرت لى حب المنى * ونصبت لى شرك المنن
وملكت رق مدائحى * بالخلق والخلق الحسن

ومما مدحت به العلامة قدوة المحققين * وعمدة الفقهاء والمحدثين *
الشيخ أحمد المقرئ المغربى سقى الله ثراه سحائب الغفران

فخرادمشق على كل البلاد بمن * أولى البرية معروفا وعرفانا
المقرى الذى فى بعض أبسرما * حوى من الفضل كل راح حيرانا
شمس من الغرب قد كانت مشارقها * بل دونها الشمس يوم الفخر برهانا
أغر ما أحدقت أيدى الفطام به * الا وأضحى بماء المجد ريانا
تكاد تقرأ فى لألاء غرته * من سورة العزة القعساء عنوانا
له من الفكر ما تحنوا لأيسره * نواقب الزهر ارشادا واذعانا
وسيرة عن أبى حفص تلقنها * الى وقار بضاهى هدى سلمانا
مصاحب حسن فعل الخير بعشقه * مراقب ربه سرا واعلانا
يقضى النهار بأراء مسددة * ويقطع الليل تسبيحا وقرآنا
لاى ورد تولى اليوم وجهتنا * وقد غدا بحره الطامى مرجانا

لئن منحنا بلحظ من مواهبه * نلنا الثريا وكان الخير عقبانا
شفى بدرس الشفا مرضى درايتنا * لما أفاد مع الايضاح اتقانا
هيهات هيهات من فى القوم يشبهه * هل السراب يضاهى الغيث هتانا
اذا مشى فعلى الأعناق مشيته * وان رأيت رجال الحى ركبانا
ياسيد العلماء العاملين ومن * هو الامام المقتدى حيثما كانا
أبرأت ذمة دهر جاء يمحنى * بعد الاساءة من لقياك احسانا
دهر يقتل آمالى وأوسعه * اذ أنت من آله مدحا وشكرانا
فطأ كما شئت لا تنفك منتصرا * بأخمصيك من الأعداء تيجانا
واهنأ فأنت الذى أولاه خالقه * من الملائك أنصارا وأعوانا
واسمع لها من قواف لا يماثلها * قول من الشعر الاقول حسانا
واستجلها نزها لو أنها رزقت * حظا لكانت لعين الدهر انسانا

قال ومما أجبت به عن لغز فى يراع أرسله الى الفاضل الذى طابت بذكرها تره الأسماع محمد الكريمى وفى ضمنه لغز فى مهند

فدى لك روحى من رشا متبرم * ومن منجد بالمستهام ومتهم
ومن عاتب الاعلى غير مذنب * ومن ظالم الاعلى غير مجرم
سقتنى العيون النجل منك سلافة * جرت قبل خلقى فى عروقى وأعظمى
وأسلمنى فيك الغرام الى الردى * فان كنت من يرضى بذلك فاسلم
بعدت ولى فى كل عضو حشاشة * تذوب وطرف هامع الجفن بالدم
ولست ملوما أن من أيقظ النوى * حظوظى التى لم تجن غير تندم
جلبت الى نفسى المنية عندما * رميت فلم تخطى فؤادى أسهمى
أبى الله أن أبكى لغير صبابة * وأرتاع الامن حبيب بؤلم
سجية نفس لا تزال مليحة * من الضيم مرميا بها كل مجرم
أجمع شراد المعالى واننى * أبيت بفكر فى الهوى متقسم
وأندب أوقاتا ألذ من المنى * تقضين لى بين الحطيم وزمزم
تطارحنى فيهن ذات تبسم * حديث هوى أحلى من الشهد فى الفم
موشحة الأعطاف حالية الطلا * تقلد عقدا من دموعى ومن دمى
أبت أن ترى الا بطرف تفكر * ويلثمها الا شفاه توهم

أبيت سليم القلب منها كأنني * أراقب صفو العيش من فم أرقم
وما أنا من يسلو هواها وينثني * الى أحد غير الكريم المعظم
محمد السامى الجناب ومن غدا * له كرم الأخلاق دون التكرم
همام لقد أضحت مآثر فضله * على جبهة الدنيا كغرة أدهم
ومولى اذا ضن السحاب بوبله * علينا سقانا سيحه بعد مسجم
له سودد حل السماكين رفعة * وذلك ارث فيه من عهد آدم
وكف تحلت بالسماح بنانها * بغير نضار الفضل لم تتختم
فما روضة غناء باكية الحيا * تبسم عن ثغرى اقاح وعندم
تمد بها ريح الصبا خطواتها * وترفل فى ثوب من النور معلم
بأبهج وجها منه عند هباته * اذا يممت يمناه آمال معدم
فياماجدا كل المفاخر أصبحت * الى مجده الوضاح تعزى وتنتمى
أتت تتهادى منك فى مرطدلها * خريدة أفكار وطبع مسلم
وما اصطحبت الا البلاغة محرما * وهل غيرها للبكر يلفى بمحرم
لها صوت داود وصورة يوسف * وحكمة لقمان وعفة مريم
تسائلنا عما براه الهنا * لتسطير آجال ورزق مقسم
جرى قبل خلق الخلق فى اللوح بالذى * يكون وما قد كان من قبل فاعلم
براع يراع الخطب منه وانه * ليثمر من جدوى يديك بأنعم
أرانى طريق الفضل حتى سلكته * وأوضح لى من لغزه كل مبهم
فما اسم رباعى اذا بان صدره * غدوت به ذا الوعة وترنم
وما هى الا بلدة فى ربوعها * يهيم فؤاد المستهام المتيم
وان محت الأفكار من ذا ثالثا * بكيت الصبا فيه وعهد التنعم
ويذكرنى أخلاقك الغر شطره * وتحريفه ضد لكم لم يكرم
ويبدى لنا من قلبه الشمس فى الضحى * ويطلع فيها أنجما بعد أنجم
وثانيه محمود لدى كل عاشق * ومن ذا يراه من وشاة ولوم
ويسلمنى يوم الترحل قلبه * ولكنه من غير كف ومعصم
ويوصل ما بين الملوك وقصدها * وان هم فى أمر على الفور يفصم
حليف نحول لم يذق قط جفنه * مناما ولم يطمع بطيف مسلم

فعول ولكن ليس يدعى بفاعل * قؤول ولكن ليس بالمتكلم
على انه قد بان بعد خفائه * وأصبح مشهورا لدى كل ضيغم
فأنزله من ناديك أشرف منزل * وألبسه حليا من قريض منظم
ولولا معانيك العذاب وصوغها * لكان عسيرا بالمديح تكلمى
فقابل جوابى بالقبول تفضلا * وسامح فان الفضل للمتقدم

(قال وقلت متغزلا)

وافى الربيع فما عليك بعار * خلع العذار ولا ارتشاف عقار
شهباء ليس يجوز عندى مزجها * الا بريقة شادن معطار
تدع الدجى صبحا اذا هي أبرزت * فكأنما اعتصرت من الأنوار
قم هاتها حيث الهزار قد اغتدى * فى الأيك منعكفا على التهدار
طير أعاد الغصن جنكا ركبت * أوتاره من فضة الأمطار
وتبثه ريح الصبا ويبثها * ذكر الهوى من سالف الأعصار
فانهض لتغتنم الشبيبة قبل أن * يرمى المشيب الصفو بالأكدار
واشرب على ورد الربى ان لم تجد * ورد الخدود لقلة الدينار
واتصب بفكرك فى الهوى شرك المنى * لوقوع ظل أو خيال سارى
هذا ولست أرى اذا فقد الذى * أهوى جنان الخلد غير النار
هيهات ما الناى الرخيم ونشوة الخمر القديم ونغمة الأوتار
وحنين هينمة الرياض عشية * وتراسل الأطيار فى الأسحار
عندى بأحسن من مساجلة الأحبة بالصبابة فى سنا الأقمار
من كل معبود الجمال محكم * فيما يشا مستعبد الأحرار

قال وقلت متذكرا المغانى الأنس التى انمحت آثارها * ولم يبق للأمانى ماتشبث به الأخبارها

قصر الأمير بوادى النيرين سقى * ربالك عنى من الوسمى مدرار
كم مر لى فيك أيام هواجرها * أصائل ولياليهن أسحار
حيث الشبيبة بكر فى غضارتها * وللصبابة أحلاف وأنصار
حيث الرياض تغنينى حمائمها * بالدف والجنك والميطور لى جار
حيث الخمائل افلاك بها طلعت * زهر من الزهر والندمان أقمار

حيث المدامة رقت فى زجاجتها * يديرها فاتر الأجفان سحار
عطرية نفضت فيها عوارضه * فتيق مسك له الأرواح سفار
ياقوتة افرغت فى قشر لؤلؤة * فلاح للشرب منها النور والنار
شمس تعاطيتها من راحتى قمر * له من الحسن ما يرضى ويختار
يسعى الى بها تحت الدجى حذرا * من الوشاة لأن الليل ستار
متوج الراح بالابريق ذا قرط * مثل الهلال له الجوزاء زنار
يسقى واسقيه من ثغر ومن قدح * الى الصباح فربّاح ومخسار
يضمنا بأعالى القصر ثوب هوى * زرّت عليه من الأشواق أزرار
أمتع الطرف منى فى محاسنه * وليس عندى من العذال اشعار
حتى تيقظ دهري بعد ما غفلت * عنى حوادثه والدهر غدّار

(قال وقلت)

سقى الله يوم القصر اذ كان بيننا * حديث كرفض الجمان المنضد
بروض يجول الماء تحت ظلاله * كأيم مروع أو حسام مجرّد
يلوح به قانى الشقيق وقد حكى * لواحظ مخمور كحلن باثمد
ويسمى به قطر الندا فتخاله * مبدد عقد فى فراش زمرد
وريحانه الغض الشهى كأنه * مبادى عذار فوق خد مورد
سقانى به راح الرضاب مهفهف * فرحت به لا أفرق اليوم من غد
وبت أظن الجلنار بدوحه * نجوم عقيق فى سماء زبرجد
الى أن بدت شمس النهار كأنها * مجن كمى قد تحلى بعسجد

(قال وقلت متغزلا)

قم للمدامة يا نديم فانها * شرك المنى وحبالة الأفراح
حمراء صافية المزاج كأنها * ورد الخدود أذيب فى الأقداح
شمس اذا بزغت لعينك فى الدجى * أغنتك عن صبح وعن مصباح
مسكية أنى فضضت ختامها * عبق الندى بنشرها الفضاح
تفتر عن حبب ثغور كؤوسها * كسقيط طل فى ثغور أقاح
يسقيكها رشأ اذا غنى بها * رقصت لذاك معاطف الأرواح

(قال وقلت متغزلا)

أغديه

ألديه نهب النفوس مباح * رشأ أسافك الدما سفاح
أي أسد تجول حول حماه * وكناس له الظبي والرماح
ابن عشر وأربع لو تبدى * فى دجى الليل قلت لاح الصباح
ما ربيع العيون غير محيا * ه اليه أرواحنا ترتاح
لى من وجنتيه ورد جنى * ومدام من ثغره واقاح
تتدانى له القلوب وان شط مزار وأبعدت أشباح
ان كتبى اليه صحف الأمانى * وبها الرسل بيننا الأرواح

(قال وقلت فى الشيب)

لا تلمنى على اجتنابى للكا * س رويدا فما على ملام
ماترى الشيب فضة فى عذارى * سبكتها بنارها الأيام

(قال وقلت فى غرض اقتضى ذلك)

أساء كبارنا فى الدهر حتى * جرى هذا العقاب على الصغار
لقد شرب الأوائل كأس خمر * غدت منه الأواخر فى خمار

(قال وقلت متغزلا)

ألقى فؤادى فى أوار * قمر سراه من اسكدار
يمضى الدجى ونواظرى * فى حبه ترعى الدرارى
وأود لو علقت بذيـ * ـل الوعد منه يدا انتظارى
يجنى فأبدى العذر عنـ * ـه وليس يرضى باعتذارى
أتراه يدرى بالذى * قاسيته أم غير دارى
أشكو الظما أبدا وما * ء الحسن فى خديه جارى
أغدو به حيران لا * أدرى يمينى من يسارى
ريم أبت أخلاقه * الا التخلق بالنفار
فعشقته وعليه من * دون الورى وقع اختيارى

(قال وقلت متغزلا)

وشادن أركبنى * هواه طرف الخطر
مهفهف مبتهج * يهزو بضوء القمر
يكاد أن يشربه * اذا تبدى نظرى

أبيت فيه قلقا * على فراش السهر
كأن عقلي كرة * لصوبجان الفكر

(قال وقلت متغزلا)

بي ريم كناسه المران * ما لقلبي من مقلتيه أمان
ذو عذار كأنه ظلمة الشرك * ووجه كأنه الايمان
وكأنا من أنسه ومحيا * ه بروض تظلنا الأفنان
خده الورد والبنفسج صدغا * ه لعيني وثغره الأقحوان
وكأن الحديث منه هو اللؤ * لؤ يرفض بيننا والجمان
وكأن الندى والكأس تجلى * فيه أفق نجومه الندمان
وكأن الانفاس منه نسيم * وكأنا اذا شدا أغصان
وكأن الندمان في دوحة اللهو * وغصون ثمارها الكتمان
يتعاطون اكؤس العتب اذ طا * ف عليهم بها المنى والأمان
ياسقى ذلك الزمان وحيا * ه ملث من الرضى هتان
زمن كله ربيع وعيش * غصنه يانع الجنى فينان
مر لي بالشآم والعمر غض * وشبابي بزينه العنفوان
ابن عشر وأربع وثمان * هي عيد وبعضها مهرجان

(قال وقلت متغزلا)

نبه جفونك من نعاسك * واسمح بريقك أو بكاسك
طاب الصبوح فهاتها * واشرب مني بحياة راسك
ما الورد الا من خدو * دك والبنفسج من نعاسك
أفديك ظبيا أرتجيـ * ـك واتقي سطوات باسك
تخشى الأسود مهابة * من أن تمر على كناسك

(قال وقلت متغزلا من قصيدة)

أترى أين حل أم أين أمسى * غصن بان يقل أعلاه شمسا
ليت أني وقد ترحل بيد * كن أمسى لأسطر العين طرسا
لهف شاني ترى المعاهد صما * بعد ماشط والمعالم خرسا
صدع البين منه ثم فؤادا * كان صخرا فعاد بالوجد خنسا

(ومنها)

شادن أظلم الخلائق ألحا * ظاوأمضى فعلاوأكبرنفسا
علمته الأيام طرق التجنى * والليالى أقرأته الصد درسا
أطلع الحسن فى حديقة خديه * ورودا تركن لونى ورسا

(ومنها)

طالما بت بالخدايع أسقيـ * ـه ثلاثا حينا وأشرب خمسا
يمزج الكاس بالحديث وما ألـ * ـطف ذاك الحديث معنى وحسا
لست أدرى أمن عصارة خديه أم الراح صفو ماتحسى
لارأت مقلتى محياه ان كا * ن فؤادى بسلوه أويتأسى

(قال وقلت)

لا تتهم بالسوء دهرك انه * جبل يجيب صداك منه صداء
مرآتك الدنيا وفعلك صورة * فيها فما الشنعاء والحسناء

(قال وقلت متغزلا)

تناهى عنده الأمل * وقصر دونه العذل
رشا يفتر عن برد * تكاد تذيبه القبل
بخامر عطفه ثمل * يميل به ويعتدل
يمثل ما يروق لنا * بصفحة خده الخجل
فليت به كما اتصلت * حشاى الطرف يتصل
اذا ما الخدر أبرزه * تناهب حسنه المقل
لقد أغراه فى تلفى * شباب ناضر خضل
وقد حشوه هيف * وطرف ملؤه كحل
فما الخطى غير قنا * قوام زانه الميل
ولا الهندى غير ظبى * حواها الناظر الغزل
سقى خلسا بذى اضم * مضين الصيب الهطل
وعيشا حين أذكره * أميل كأننى ثمل
وربعا كنت أعهده * وأنسى فيه مقتبل
بكيت دما على زمن * لدى توديعه الأجل

ليال كلها سحر * ودهر كله أصل

وهى طويلة قال وقلت فى الحماسة

لعمر ابى راقى السماكين رفعة * وحامى ذمار المجد بالحلم والباس
لما أنا من يرضى القليل من العلا * ولا أنا ممن يحتسى فضلة الكاس
هى النفس فاحملها على الضيم ان ترد * لها العز وانفض راحتيك من الناس

(قال وقلت أيضا)

ومنتزه يروق الطرف حسنا * لما فيه من المرأى البديع
تجول كتائب الازهار فيه * وقد كسيت حلى الغيث المريع
وبات الورد فيها وهو شاكى السلاح يميد فى الدرع المنيع
حكى منضم زنبقه طروسا * وفيها عرض أحوال الجميع
تمزق طيها أيدى النعامى * وتبعثها الى ملك الربيع

وقلت اذ أنفذت لبعض الأحبة كتابا فقبله وتلطف فى حسن الجواب

خذها سطورا اليك قد بعثت * تروم للنفس ما يعللها
فى طى بيضاء ظلت من وله * فيك بأيدى اللحاظ أنقلها
أكتبها والدموع تنقطها * بعبرة لا أزال أهملها
لو كان ظنى اذا بصرت بها * نيابة عن فمى تقبلها
لرحت شوقا اليك مندرجا * فى طيها والنسيم يحملها

(قال وقلت)

مهلا سفينة آمالى لعل بأن * تهب يوما رياح اللطف والكرم
ويا حظوظى رفقا لست مدركة * غير الذى قسم الرحمن فى القدم

(قال وقلت ايضا)

وروضة أنس بات فيها ابن ايكة * يغرد والناى الرخيم يشنف
وقد ضمنا فيها من الليل سابغا * رداء بأكناف الغمام مسجف
فظلت عرانين الأباريق بالطلى * الى أن بدت كافورة الصبح ترعف

وهذا معنى تصرف فيه وأبدع * وأدار منه على المسامع كأس أدب مترع *
وقد سبقه اليه غيره كابن رشيق فى قوله

صنم من الكافوربات معانقى * فى خلتين تعفف وتكرم

فذكرت

فذكرت ليلة هجره فى وصله * فجرت بقايا أدمعى كالعندم
فطفقت أمسح مدمعى فى جيده * اذ عادة الكافور امساك الدم
لكنه جعل جيد محبوبه منديله فدنسه فلو قال * فجعلت عينى تحت أخمص
نعله * لكان أليق بالأدب وممن أجاد فى هذا المعنى ابن برح المكحل الأندلسى
فى قوله
ألا بشروا بالصبح منى باكيا * أضر به الليل الطويل مع البكا
ففى الصبح للصب المتيم راحة * اذا الليل أجرى دمعه واذا شكا
ولا عجب أن يمسك الصبح عبرتى * فلم يزل الكافور للدم ممسكا
(وقد قلت أنا فى هذا المعنى أيضا)
وساق لى السرور غدا طبيبا * له طرف يشير الى التصابى
رأى فى الكأس صب دم الحيا * فذر عليه كافور الحباب
(قال ومما قلته أيضا)
سقى صوب الحيا زمنا * سرقناه من الغير
وقد مد الغمام ردا * له هدب من المطر
ومما كتبته الى الأمير منجك
يا وحيدا فى السجايا * والمزايا بالتفاق
وشهابا فى سموا * ت العلى سامى الطباق
وجوادا عنده الافـ * ـراس عرجا فى السباق
أنت بحر دونه الابحر من بعض السواقى
لا تسمنى حصر اوصا * فك فكرى فى وثاق
راعنى الدهر كما قد * رعت مصرا بالفراق
ومما كتبته الى الأمير أيضا
قد بشرتك بمصر بعض معاشر * لم يعلموا الأقوال فى تأويلها
مصر أقل ندى أياديك التى * من فيض نائلها أصابع نيلها
وهذا كثير الأمثال كقول ابن نباتة المصرى
وافت أصابع نيلنا * فيضا وطافت بالبلاد
وأتت بكل مسرة * ماذى أصابع بل أيادى

وأحسن من هذا كله قولى من قصيدة نبوية

أصابع سيد السادات منها * لقد روى الزلال صدى الفؤاد
فلو منها ينال النيل ظفرا * لما مص الأصابع للتنادى
وعهدى بالأصابع فى أياد * فكم فى ذى الأصابع من أيادى

الفاضل أبو الطيب بن رضى الدين الغزى نزيل الشام

(الفاضل أبو الطيب بن رضى الدين الغزى نزيل الشام) كان شامة الشام * وغرة الليالى والايام * وله فى الفضل والأدب فنون * ثم تبدلت الفنون كما يقال جنون * فاشتغل بدائه * وصار هوى الأحبة منه فى سويدائه * فاعتزل عن الناس * وصار وسواس حليه حلى الوسواس * بعدما كان طبعه أرق من شمائل الشمال * ومعانيه أدق من دلائل الدلال * وشعره لفضله شعار * وحسن خطه يتعلم منه الحسن نمنمة العذار * كقوله

صادفته والحسن حليته * كالريم لا رعشا ولا قلبا
والعيد للالحاظ أبرزه * والبدر أقرب منه لى قربا
أهوى لتهنئتى ومد يدا * وفق المنى فتناول القلبا

ومد اليد المعتاد * للمصافحة فى الأعياد * مسنون لاظهار القرب والاتحاد * فجعلها لاخذ الفؤاد معنى بديع ومثله ماقلته فى مد اليد المسنون المأمور به فى الدعاء وهو مما لم أسبق اليه فان أمر السائل بمد اليد بمعنى خذ ما طلبت وأزيد

دعونا الذى من بعد قول ادعنى * فكيف نرد وكنا دعينا
وهذى وجوه الرجاء اغتدت * ترى بعيون الظنون اليقينا
أمرنا بمد يدى سائل * ليملأها أكرم الأكرمينا

(ومن شعره قوله من قصيدة)

مونبى لابرحت فى عذل * فحبذا حبه على ولى
غصن دلال أغر طلعته * شمس الضحى فوق ناعم خضل
يجول فى عطفه الدلال اذا * تحمل تغويه فترة الكسل
رقت فى طرس خده قبلا * فظل يحو بنانه قبلى
وأخجل الورد فى نضارته * شقيق خد فى وردتى خجل

(وقوله أيضا)

ترامت نحوها الابل * وشامت برقها المقل
فتاة من بنى مضر * يجاذب خصرها الكفل
فما الخطاران خطرت * وما المياله الذبل
تكنفها ليوث وغى * يحاذر بأسها الأجل
لان شط المزار بها * وأقفر دونها الطلل
يشبها الفؤاد به * ويدنيها له الأمل
وكم لى يوم كاظمة * فؤاد خافق وجل
وطرف بعد بعد هم * بميل السهد مكتحل
علقت بها غداة غدت * مواطئ نعلها القبل
فان سارت بأخمصها * تداعى الوابل الهطل
وإن قبرت تقر العين فينا يضرب المثل

(وقوله)

لم أنس ليلة زارنى * والبدر يجنح للغروب
ثملا يميل كأنما * عبثت به ريح الجنوب
ولربما جاد البخيل * وربما صدق الكذوب
فنهضت اجلالاله * والقلب باللقيا طروب
وفرشت خدى موطئا * نمشى عليه ولا لغوب
وضممته ولثمت فا * ه ألذ من كأس وكوب
حتى بدا الاصباح وهو لدى من أدهى الخطوب
ولوى به من حيث جا * ومقلتى عبرى سكوب
هذا الذى أهواه اذ * حاز البهاء على ضروب
بملأ المسامع والحوا * طر والنواظر والقلوب

(وقوله)

وشرب أداموا الورد من اكؤس الطلى * وقد أنفوا الاصدار عن ذلك الورد
سقطنا عليهم كى نلذ لديهم * سقوط الندى عند الصباح على الورد

(وقوله)

عاطيته حلب العصير ولا سوى * زهر السماء تجاه زهر المجلس

أنظر اليه كأنه متبرم * مما تغازله عيون النرجس
وكأن صفحة خده ياقوتة * وكأن عارضه خميلة سندس

وأصله لابن هانئ الأندلسى

عاطيته كأسا كأن شعاعها * شمس النهار يضيؤه اشراقها
انظر اليه كأنه متنصل * بجفونه مما جنت أحداقها
وكأن صفحة خده وعذاره * تفاحة حفت بها أوراقها

(وقوله)

خالسته نظرا وكان موردا * فازداد حتى كاد أن يتلهبا
أنظر اليه كأنه متنصل * بجفونه من طول ماقد أذنبا
وكأن صفحة خده وعذاره * تفاحة رميت لتقتل عقربا

ومن أربابها المدلجين الى منازل الفناء * السائرين عند وصولى بها الى دار البقاء * الامجد الاوحد * العلم المفرد *

(عبد الحق الشامى)

(عبد الحق الشامى المعروف بالحجازى) وهو كما أخبرت به ذو فضل جسيم * والسابقون السابقون اولئك المقربون فى جنات النعيم * أما الفصاحة فهو من الغر المحجلين يوم رهانها * وأما الفضائل فهو من السابقين فى حلبة ميدانها * المرتضعين در المعالى فى حجور الفضائل * المرتدين برود المكارم وشملة الشمائل * العاكفين فى حرم العفاف * المقتطفين لجنى المجد الغض القطاف * فمن ثماره المتفتح عنها عيون أنواره الدالة على طيب المغرس وذكاء المنبت قوله من قصيدة طويلة

سقى الربع هطال من المزن ساكب * وجادت عليه الساريات السوارب
هدية زجاف العشى كأنه * كتائب تقفو اثرهن كتائب
وكل صدوق البرق دان ربابه * تنوء فويق الارض منه الهيادب
تزجيه أنفاس الشمال وتمترى * ضروع عزاليه الصبا والجنائب
يروى بها فى سيبها باطن الثرى * وتمحى لسقياها المحول اللوازب
كأن هدير الرعد فى جنباته * هدير قروم هيجتها الضوارب
كأن دموع المزن وهى سواكب * دموع محب فارقته الحبائب
فذاك الحيا لازال فى أربع الحمى * مريا به منها الزلال الخضارب

فتصبح منه الأرض مخضرة الربى * مجللة بالزيط منها الأهاضب
ويصبح منثورا بها ريق الحيا * كما نثرت من جيدها السمط كاعب
خمائل فيها للظباء مسارح * وفيها الأذيال الرياح مساحب
وفيها الأطراف الغصون ونورها * عيون علت من فوقهن حواجب
كأن ثغور النور وهى بواسم * بأرجائها القصوى نجوم ثواقب
تهادى ظباء الوحش فى عرصاتها * كما تتهادى فى القصور المرازب
كأن الرسوم الدارسات تصبرى * عشية حفت بالقطين الركائب
فوا أسفا لا القلب من سكرة الهوى * يفيق ولا من غيبة الشوق آيب
فمن لى بحفظ العهد من ذى صبابة * أضاعت هواه المذنبات العواتب
تهب معى من هجعة العجز ربما * تنال بأشفاع الجدود المطالب
فقد تدرك الحاجات وهى فوائت * وقد تصدق الآمال وهى كواذب

وقوله هدية رجاف المراد بالرجاف الماء الجارى وأصل معناه المتحرك المضطرب ولهذا سمى البحر رجافا كما قاله أهل اللغة ولذا أجاد القائل فى مرتعش اليد

ماهزراحته سوى فيض الندى * والبحر من أسمائه الرجاف

وقوله وفيها الأطراف الغصون البيت كقول ابن نباتة السعدى من قصيدة له مطلعها

رضينا ولم ترض السيوف القواضب * تجاذبها عن هامهم وتجاذب

(ومنها)

خلقنا بأطراف القنا فى ظهورهم * عيونا لها وقع السيوف حواجب

وتابعه أبو اسحاق ابراهيم الغزى فقال

خلقنا لهم فى كل عين وحاجب * بسمر القنا والبيض عينا وحاجبا

وهنا لنا فائدة نفيسة وهى أن من أهل المعانى من ادّعى أن بيت الغزى أبدع لما فيه من الطباق بين السمر والبيض وردّ العجز على الصدر واللف والنشر ومراعات النظير وادّعى انه يجوز أن يراد بالعين فيه الرئيس وبالحاجب من يتبعه وحجابه والمعنى أن رماحنا وسيوفنا نالت الحاجب والمحجوب والرئيس والمرؤس مع اشتماله على التورية والاستعارة وهو جميعه مما خلا

عنه البيت الأول مع مافيه من الافتخار بقتال الأعداء الثابتين دون المنهزمين فانه لا يفتخر بمثله وبهذا عيب البيت الثانى أيضا وان ذكر صاحب ايضاح المعانى أنه أبلغ لاشتماله على زيادة معنى وهو الاشارة الى انهزامهم وأطال فيه وأسهب وبعد وقرب والحق ماذهب اليه خطيب المعانى فان الفضل للمتقدم وبيت النباتى أحلى لمافيه من التشبيه البديع بجعل أثر الطعنة المستديرة من الرمح عينا وشطبة السيف فوقها حاجبا والاغراب بجعل الظهر محل العين والحاجب وأما انهزامهم فلا يدل على عدم شجاعتهم حتى يخل بالفخر فان الشجاع ينهزم ممن هو أشجع منه ولهذا قالوا الفرار مما لا يطاق من سنن المرسلين كما فرّ موسى حين همّ به القبط وماذكره من معنى العين والحاجب سخيف * وتخيل ضعيف مع أن جعل الضرب فى العين والحاجب من العجائب وقد مرّ لى مانحوت فيه نحو ابن نباتة بعينه وحاجبه وهو

وتنظره فى قلبى الصب أعين * عليها لحنى الضلوع حواجب

وماذكر من النقد عليه نقله ابن الشجرى فى أماليه عن الشريف المرتضى وقال انه عاب عليه قوله بظهورهم وقال لو قال بصدورهم لكان أمدح لأن الطعن والضرب فى الصدور أدل على الاقدام والشجاعة للطاعن والضارب والمطعون والمضروب لأن الرجل اذا وصف قرنه بالاقدام مع ظهوره عليه كان أمدح من وصفه بالانهزام كما قال أبو تمام

حرام على أرماحنا طعن مدبر * وتندق فى أعلى الصدور صدورها

ولذا قال بعض المحققين القول بأن قد للتكثير فى قوله

قد أترك القرن مصفرا أنامله * كأن أثوابه مجت بفرصاد

لمناسبة مقام المدح من قصور الفهم

ثم لم أزل أتوكأ على البيضاء والصفراء * وأقيل تحت قباب الخضراء والزرقاء * حتى قذفتنى لهوات المهامه الى حلب الشهباء والناس بين مقوض ورواحل * وماهذه الأيام الاعقب ومراحل * اذ ذهب الذين يعاش فى أكنافهم كل مذهب * وبقيت فى خلف كجلد الاجرب * ان تركته أذى جسدك * وان حككته أدميته ولوثت يدك

على أنى من بعد ذلك كله * ولله منى الجد عرضى أملس

فألقيت فيها عصا التسيار عن كاهل العزائم * لما تفتحت بها عن زهرة المسرة خضر الكمائم * فاذا هى روضة مخضرة الأفنان * أو قطعة من الفردوس أهدتها لنا الجنان

وكأنما الخضراء من طرب بها * نثرت كواكبها على الأغصان

واهاحصن كأنه وكر لنسر السماء * أو هامة معممة بسحابة دكناء * أرضها مفروشة بديباج نبت مرصع بالزهور * وحيطانها مجللة ببستان البهاء والنور * نسيمها أعطر من عرف شميمها * وأهلها ألطف وأرق من نسيمها * من كل فاضل فاحت بالفضل ثيابه * وماجد قد حشى بالكرم اهابه * وأديب رقت شمائله (فلولا البرد يمسكه اسالا) وعذبت كلماته ورسائله (فأرشفنا على ظماء زلالا) فكان ممن لمعت بوارق بشره * وباحت خواطر نسيم لطفه بأسرار نشره * الفاضل الكامل * المرتدى بحبر الشمائل * العاكف على حرم الافادة * الطالع نجمه فى أفق السعادة

أبو الوفاء بن عمر بن عبد الوهاب الشافعي الفرضى الحلبى

﴿أبو الوفاء بن عمر بن عبد الوهاب الشافعي الفرضى الحلبى﴾ فلقيني منه حبر مجيد * وشاعر مجيد * وأديب يضع القلادة فى الجيد * له فضل لم تنظر عين الدهر لمنافيه * بل كلما أجال طرفه رأى كل المنى فيه * فاذا واد خصيب النوى والثمر * وحديقة منمنمة الأطراف والطرر * سقتها غمائم نداه * وباكرها صيب جدواه * بلامنة لحوامل السحائب * ولا انتظار لقوافل الصبا والجنائب * صرف نقد أوقاته * ورأس مال عمره وحياته * فى تحصيل ربح الفضل والعبادة * وترك فضل العيش وفضول الناس لما رأى فى تركهما من السعادة * ورأى فى كل بكرة وعشية * حبلى جنين نوائبهما فى مشيمة المشية * ولما شمت كرمه وسيبه * ووردت ربعا زرّ عليه جيبه * انتدب للاقاتى وابتدر * وخير أنوار الربيع ما بكر * وكتب الى مادحا * ولزند فكرى قادحا * قوله

أرى الشهباء للعليا قبابا * ألم تر أفقها أبدى شهابا
وقبل كست معالمها الدياجى * مسربلة ذراها والهضابا
وكدر صفو منهلها قتام * أحال شرابها الصافى سرابا

وجرعها كؤوس الجور صرفا * ولو سقى الغراب بها الشابا
وكان الجهل متسع الفيافى * يضل الأعمى بها الصوابا
وضاق العلم ذرعا حين سدت * مناهجه وضاق بها رحابا
تعللها المطامع كاذبات * وكم عادت سحائبها ضبابا
الى أن حلها روح المعالى * وطوق عقد منته الرقابا
امام العلم بحثا واكتسابا * مشيد الفضل ارثا وانتسابا
فواصلها بغير سباق وعد * وفاجأها بنعمته احتسابا
فأهلا بالذى منه استنارت * معالمها وقد عزت جنابا
وقد وطئت على هام الثريا * وتظمت النجوم لها نقابا
فقر بها وقر بها ودادا * وقر عيون أهليها اقترابا
وقد ظفرت بكنز المجد حتى * أحال التبر للذهب الترابا
وفاض بحار كفيه علوما * واتبعها بمنطقه عبابا
ونضر وجه روض الفضل لما * سقاه من مواهبه ربابا
قد ازدحمت بمورده عفاة الـ * ـفضائل حين ماسال انصبابا
وقد ملأ وار كاياهم وراموا * ذخائره انتهازا وانتهابا
اذا جال السؤال بفكر شخص * قبيل النطق لباه جوابا
فيا ذخر العلوم فدتك نفسى * وفادتك العلا تبغى الثوابا
أقل قلمى عثار ازل فيه * فما وفى المديح ولا أصابا
وكنت نبذت شعرى فى قفار * نسيت الأنس منه حين غابا
اذ الايام قد رفعت بغاثا * نخالت أنها ترقى العقابا
وظنوا أنهم كنزوا علوما * وأيم الله ما ملكوا نصابا
أأمدح من بنظمى ليس يدرى * حبيبا قد أردت أم الحبابا
وكان القصد من قصدى تجازى * من الممدوح لو فهم الخطابا
ولولا أنك السامى مقاما * له الافلاك طأطأت الرقابا
وكان بمدحك العالى افتخارى * لما أذهبت بالمدح الكتابا
فدم يا زينة الدنيا بمجد * تقنعت العلا منه احتجابا

ثم كتب بعدها * لقد طفحت أفئدة العلماء بشرا * وارتاحت أسرار الكاملين

سرًّا وجهرا * وأفعمت من المسرّة صدور الصدور * وطارت الفضائل بأجنحة السرور * بيمن قدوم من اخضرّت رياض التحقيق بأقدامه * وغرقت بحار التدقيق من سحائب أقلامه * وتلألأت غرر المباحث اشراقا * وأجريت مسائل الطالبين فى ميادين التوضيح سباقا * أعنى به جهينة أخبار العلوم * وخازن أسرار المنطوق والمفهوم * المؤسس لدعائم الأحكام فرعا وأصلا * والسابق فى مضمار التحقيقات منذ كان طفلا * وقد خدمته بهذه القصيدة التى كتبتها عجلا * وكنت أضمرت أن لا أفوه بكلمة منها خجلا * لكن ظننت بالمولى كلّ جميل * ورأيت سترها بذيلى السماح والصفح من فضله الجزيل * هذا وان العبد كتب تاريخا سماه معادن الذهب * فى الأعيان المشرفة بهم حلب * سيعرض بعضه عليكم * ويؤتى بأنموذج منه لديكم * وجل القصد أن تكتبوا الى نسبكم وأشياخكم ومقروآتكم وبعض شئ من المنظوم والمنثور * لنطرّز حاله بطراز المأثور * والسلام وأنشدنى من شعره قوله

بورد الخد ريحان محيط * وتركى حبه لا أستطيع
وقلت النفس خضرا يا عذولى * كما قد قلت والزمن الربيع

وهذا مثل عامىّ يقولون النفس خضراء تشتهى كل شئ وقولهم تشتهى الخ جملة مفسرة لخضراء وكأن أصله ما ورد فى الحديث أرواح الشهداء فى أجواف طيور خضر

(أخوه محمد بن عمر الفرضى) فاضل نجيب حسيب * صحبى وبرد شبابه قشيب * وغصنه فى رياض المعالى رطيب

اذ غصن ذاك الشباب معتدل * لم تطمع الحادثات فى ميله

ومخائل النجابة عليه لائحه * وطيور البلاغة فى قفص سطور خطه صادحه * بكل ما هو أسرّ من التهانى * وأمان الظافر بالأمانى * وحلل فضله زاهية بآدابه طرازها * وعدات الدهر فيه حان انجازها * وقد يجود البخيل الشحيح * وكم لاح تحت الرغوة من لبن صريح * فلم تضل فيه الظنون * لما قضت ما فى ذمتها من الديون * وفكت ما عندها من مغلقات الرهون * فأنشدنى من مقطعاته * وأهدى الىّ من مخبآته * قوله

(أخوه محمد بن عمر الفرضى)

لم أزل من صحيفة القلب أملى * فى دجى الاغتراب سطر مثالك
ناصباً هدب جفن عينى شباكا * فعسى أن أصيد طيف خيالك

(وقوله)

ياليلة طالت على عاشق * بات من الوجد على جمر
كأنه الميلاد فى طولها * تسح فيها العين بالقطر
كأنها ثكلى جنين لها * أغر قد سمته بالفجر

(وقوله أيضا)

أرفقوا فالفؤاد ليس بجلد * وارحموا ازاتى وطول عويلى
أنا شحاذ حسنكم وعيونى * ياغناة الجمال كالكشكول

(وقوله أيضا)

قال لى الحب لم وضعت على الأنف عيونا وفى عيونك مقنع
قلت مذ خط كاتب الحسن نونا * فوق ثغر لحاجبين وأبدع
فجعلت العيون أربع على * أن أرى يارشا حواجب أربع

(وقوله أيضا)

ماقصرت تلك الليالى التى * فى جنحها بت سمير الملاح
لكن أشواقى لذاك الرشا * قد عالجتنى خوف وشك البراح
شققت جيبا كالدجى حالكا * عن صدره فانجاب عنه الصباح

(وقوله أيضا)

قد رمانى بالهون ساقى زمانى * فكأنى دردى كأس المدام
فاراقتنى الندامى بظلم * فى الزوايا وموطئ الاقدام

(وقوله أيضا)

عاب قوم شرب المدام ولم يد * روا بأنا لتعيب عن العيوب
جبر قلب الأقداح بالراح خير * فى اعتقادى من كسر كأس القلوب

(وقوله)

ان ذاك الرشأ الخشف الذى * مات عنه والد فهو كظيم
زاده موت أبيه قيمة * كان درا فغدا اليوم يتيم

(وقوله أيضا)

قد زهد ناعشقا الدينار خده * سبحانه حسنا يمين البارى
وتركت النوال والمال على * أن ارى فيه مالك الدينار

(وقوله أيضا)

كان عهدى بالروم فيها يضوع الـ * علم والآن ضاع فيها العلوم
شيبت فود سيد الرسل هود * ولقد شيبت فؤادى الروم

(وقوله)

كأنى وآمالى اذا ما تقهقرت * وبرق أمانى سراب وخلب
عروس تجيد الرقص حينا الى ورا * وحينا أماما وهى بالبين تلعب

(وقوله مضمنا)

السيف لما حكاه لحظ ناظره * ناديته بلسان فى الهوى لهج
لك البشارة فاخلع ما عليك فقد * ذكرت ثم على ما فيك من عوج

(وقوله)

أيها الريم هل تريم بنظره * علّ يصحو الفؤاد من بعد سكره
بأبى أنت غصن بان تثنى * وغدا يمزج الدلال بخطره
ألف القد زانها نقطة الخا * ل فأضحى وواحد الحسن عشره
عارض أخضر وبيض ثنايا * سوّدا وجه عيشتى بعد خضره
أنت زهر غض وقلبى كمام * فلماذا أوقدت بيتك جمره
زرعت مقلتى بخديك وردا * فابح لى قطاف زرعى زهره
يا أبا عذرة الملاحة انى * بين موتى هو الذى من حى عذره
كعبة الحسن كل وقت اليها * فى ركاب المنى أحج بفكره

(عمر بن عبد الوهاب الفرضى)

(ووالد هذين الفاضلين الحبر علامة زمانه شيخ الاسلام عمر بن عبد الوهاب الفرضى) نسيج وحده * وفريد فضله ومجده * بحر لا تكدره الدلاء * ولا تنزف بعض موارده الملاء * لم يزل صدرا للافادة والافتاء بحلب * ترعى فى ربيع فضله سوائم الطلب * وتآليفه وتصانيفه تنقلها الركبان * وتقف دونها سوابق الحسن والاستحسان * حتى رقى شرف السبعين * وصعد اليها بدرجات السنين * رافلا فى حلل الغنى * حتى جرّ الدهر عليه اذيال الفنا * وهو آخر من صنف بحلب وأفاد وأجاد ومن أجل مصنفاته شرح الشفاء

فى مجلدات ولنا عليه اعتراضات بيناها فى شرحنا وله نظم ونثر كقوله فى شرح الجامى على الكافية وله عليه حاشية جليلة

لله درّ امام طالما طلعت * أنوار أفضاله من علمه السامى
ألفاظه أسكرت أسماعنا طربا * كأنها الخمر تسقى فى صفا الجام

ولشيخه محمد بن الحنبلى فيه أيضا

لكافية الاعراب شرح منقح * ذلول المعانى ذو انتساب الى الجامى
معانيه تجلى حين تتلى كأنما * هى الخمر تبدو شمسها فى صفا الجام

وله احبنا الشيخ عبد الله الدنوشرى

لله شرح به شرح الصدور لنا * كأنه الدرّ فى أزهار أكمام
قد أسكر السمع اذ تتلى عجائبه * والسكر لا غرو معروف من الجام

صلاح الدين الكورانى الحلبى

(صلاح الدين الكورانى الحلبى) فاضل شاعر * ناظم ناثر * مكثر مسهب * مطرب معجب * رأيته بحلب يعانى حرفة الوراقه * ويكتب للقضاة الوثائق التى شدت وثاقه * وقد قيده الكبر * وعاقه الدهر أبو العبر * فجعل بين الغرائب والرغائب * وقتل بيد فكره فى الذروة والغارب * وهو فى مهد الخمول راقد * نفرت به النوائب وهو على طريقها قاعد * وقد كان امتدحنى بعدة قصائد * منها قوله

شهاب المعالى قد أضاءت به الشهبا * وقد أطلعت من غرّ أفكاره الشهبا
ومن قبل أخبار الثناء تواترت * وقد ملأت أسماعنا لؤلؤا رطبا
وكان التمنى أن يطابق سمعنا * نواظرنا واستغرقت قلبنا حبا
وقد أعربت ألفاظه مع تأخر * عن السبق حتى فاقت العرب العربا
نمن منطق عذب وفضل موجه * الى المدح ايجابا وللحاسد السلبا
بنى غرّ أبحاث له قد تأسست * فلم يستطع باغى الجواب لها نقبا
اذا كان منه الفهم فى البحث سابقا * وذلك منه لا يفارقه دأبا
فأهلا بمن يحيى به مشرق العلا * وقد كان كالعنقاء جاوزت الغربا
ومن حلب كان الفطام من المنى * فقد يبست منها ضروع المنى حلبا
الى أن أتاح الله بعض بقية * من الحزم حتى زاحموا المنهل العذبا
فتبا لمن قد زاغ عن وده وقد * تبدى ثبوت القول اذ أظهروا الحربا

ومذ قد أتى هذا الزمان بمثله * لبيبا علمنا أنه قد حوى لبا
قد اغدودقت يمناه من برق بشره * وقد سحبت غر المعالى له سحبا
وأسقت أيادى فضله سحب الندا * وقد غرست من حبه فى الحشا حبا
له قلم ان ينفث السحر نافعا * فناضره أن لا يغادره عضبا
فيامن له فى مصر والشام همة * وباع طويل يبهر الروم والعربا
على حلب لما قدمتم تبسمت * ثغور مبانيها وتاهت بكم عجبا
وابناؤها القوم الذين مرادهم * ودادولا يبغون مالا ولا كسبا
على ذا مضى عهد الأخلاء والذى * يروم خلاف الود يستوجب السبا
واشكو اليك الدهر عبدك انتا * نساتله سلما يجاوبنا حربا
وكم قعدت عن سبقها كل صافن * تسابقها العرجا وتلحقها الحدبا
وانى على فعل الزمان لواجد * بكاء على الخنساء فى صخرها أربى
وقد زعموا أن الدخان مجفف * فداويت دمعى فى تناوله شربا
وفى كل معنى فيه قد رق رقة * أعلله من كان سارقه غصبا
وعبدك ذاك الصلاح مقصر * بمدحك لكن لا يقول به كذبا
ولو لم يكن قيد الكتابة عائقى * وثقله توقيعى الوثائق والكتبا
لحاولت من عجاج فكرك قطرة * كما يشرب العصفور من مائه عبا
فكيف وقد أصبحت عبدا مكاتبا * ولا عتق لى حتى أرى اللحد والتربا
فلا زلت فى أعلى مقام اذا حدت * حداة حجاز فى السرى تطرب الركبا

(وأنشدنى له)

لعمرك لم أشرب دخانا لاجل أن * تسر به نفس تدانى خروجها
ولكن زنابير الهموم لسعننى * فدخنت حتى يستبين عروجها

ولما أنشدنى هذا أنشدته قطعا لى فى معناه منها قولى

ماشربت الدخان اذ سرت عنكم * لتسلى به عن الأحزان
أحرقتنى الأشواق فالقلب منها * صار بالوجد مخزن النيران
فخشيت الأنفاس تفضح حالى * فلهذا سترتها بالدخان

السيد أحمد بن النقيب الحلبى

(السيد أحمد بن النقيب الحلبى) سيد عجنت طينته بماء الوحى والنبوة * وغرست نبعته فى ساحة الفضل والفتوة * له مناقب هى الوشى حسنا

وبهجة (اذا انتشرت كانت ممسكة النشر) وغرائب رغائب فى الكرم واضحة المحجة (يظل بها مستعبد النظم والنثر) اجتليت بجلب محياه * فأكرمنى بجوده وندائه * ومدحته شكرا لما أولاه

وكذا الهاشمى مثلك لايمـ * ـدح الا بهاشمى الكلام

فاستعار ديوانى واشتغل بمطالعته وانتخابه * وفى اثناء ذلك دعوته فلم يجب ثم لاقيته فاعتذر بعد عتابه * بأن اشتغاله بالديوان منع من الملاقاة * فأنشدنى هذه الابيات *

وحقك لم أزل لزيارة سيدى * للتوبعوق النفس عنه ولا ليت
ولكن بديوان له قت خادما * وقد كان فكرى قبل ذلك كالميت
فأدهشنى حسن به ظلت حائرا * فأدخل فى بيت وأخرج من بيت

(القسم الثانى فى محاسن العصريين من أهل المغرب وما والاها)

(مولاى أحمد أبو العباس المنصور بالله) ابن الخليفة أبى عبد الله المهدى بن عبد الله القائم أمر الله الشريف الحسنى

من جوهر منه النبى محمد * فعليه من نور الاله بهاء

ملك الآن * المطوق بفضائله وفواضله جيد الزمان * أنام الانام بيقظة حراسته فى حرم * فناموا فى ظل ظليل تحت رياض السعد والكرم * وعطاياه تمائم الفقر واسمه عوذة النعم * وبشر محياه لكل ندى وجود سلم * وله شرف تحسده الشمس فى الشرف * وجود جود اذا وكف أقلع السحاب عن مجاراته وكف * معدن مجد وحسب * وجوهر سيادة ونسب * جمع بين نزاره ومعده * باع تمد به النبوة والخلافة قبل مده

نسب تحسب العلا بحلاه * قلدتها نجومها الجوزاء

بدر اتخذ أفق المغرب هاله * وبحر أفاض على وارده نواله * له كتائب اراء الالباب سلبها * وبوادر هم ليس الا الارواح طلبها * لاتزال تخاطبه من كل أمر عواقبه * بكلام بنى عبيد أو لبيد * وحبيب والوليد * أخبرنا الاديب الفشتالى * بقسطنطينية أنه لما دعت والده شعوب * ووفدت عليه بوارح الخطوب * وجلس أخوه الاكبر فى مسند الخلافة وسريرها * وظل متنزها فى روضتها وغديرها * أظهر انه للملك غير طالب * وأنفق

مولاى أحمد أبو العباس المنصور بالله

راس عمره فى فتح كنوز العلم والمطالب * فلما مات أخوه قام ولده فى محله * واستولى عليه الغرور بخيله ورجله * فأرخى عليه الشباب * ستارة حجبت عنه الصواب * وأشار عليه بعض خدامه * بقتل من بقى من أعمامه * ليصفى من قذى الأكدار ورده * ولم يدر أن من شرب وحده غص وحده * فنشبت به مكائده * وهى من أعظم مصائده * كالحافر بظلفه * على مدية حتفه

وأنى تنجيه من الشر حيلة * وقد طال ما أودت بمحتالها الحيل

فلما علم بذلك مولاى أحمد وجف مع أخيه بجيش من الروم وجيش من عنده * قائلا ان ينصركم الله فلا غالب لكم من بعده * فتمت على ابن أخيه الهزيمة * وعلقت على جيد تدبيره من الخذلان تميمة * فأصبح لعنان عزمه ثانيا * وذهب لملك الفرنسيس فأمده بما رجع به للعرب ثانيا * فلما التقت الكتيبة السوداء بالكتيبة الخضراء * أقلعت سحابة النقع بعد ما أمطرت ديمة الدماء الحمراء * فكم أسير فى غل ندمه * وقتيل طلع بدره فى شفق دمه (فما أكثر القتلى وما أرخص الاسرى) فولج البحر وأغرق نفسه فى مائه الغمر * وقال لقصير عمره بيدى لا بيد عمرو * فقلصت السعادة عنه ظلها * وعقد النحس له عقدة لم يذكر عاقدها حلها * ومله الملوان * وضحك على أمله الخذلان * فتبرجت لاحمد عروس تلك الممالك مهنأة بالرفاء والبنين * وأمست ثغورها النور محياه ضواحك متهللة بالفتح المبين * فما ألم بتلك الثغور قلح الاجلاء بمساويك الرماح * ولا نبض عرق كفر الا فصده بمباضع الصفاح * مع دخوله بيوت الفضل من أبوابها * وتحليه دون ملوك الزمان بحلى آدابها * حتى انه كان يحضر دروسها * ويحيى بمنطقه الرايق دروسها * ويطلع فى سماء ديوانه شموسها * وله شعر وانشا * بهما طراز المجد موشى * فهو رب السيف والطيلسان * والقلم المسدد والسنان * لازال المغرب به كامل الأهله * والشمس تسعى له لتخدم بالسعد محله * فمن عقده المنظوم * ورحيق أدبه المختوم * قوله

حرام على طرف يراه منام * وحل لجسم قد جفاه سقام
وكيف بقلب فى هواه مقلب * وأنى له بين الضلوع مقام

فياشادنا رعى الحشى أنت بالحشى * أما لمحل أنت فيه ذمام
وأحسن منه قول الأرجانى فى معناه

يرمى فؤادى وهو فى سودائه * أتراه لا يخشى على حوبائه
ومن البليه وهو يرمى نفسه * أن يطمع المشتاق فى ابقائه

وههنا نكتة أدبيه وهو أن الأرجانى أخذ هذا المعنى من قول الحماسى

قومى هم قتلوا أميم أخى * فاذا رميت يصيبنى سهمى

الا أن هذا لا يعد سرقة وانما هو توليد وانتقال من معنى لآخر يضاهيه * وهو من سحر البلاغة واستخراج مخبآت كنوز المعانى وقل من يهتدى اليه لدقته * وكانت بعض حظاياه عليه عضبى * وهى مجردة عليه من صوارم هجرها عضبا * فأهدى له حرسى وردة من بستانه * وحياه بشير الربيع بنشرها قبل أوانه * فأرسلها اليها مع أبيات يسترضيها * ويستعطف غصن قامتها بنسيم العتاب ويستعفيها

وافى بها البستان صنو لؤ وردة * يقضى بها ما مطلت عهودا
أهدى البهار محاجرا وأتى بها * فى وقته كيما تكون خدودا
فبعثتها مرتادة بنسيمها * تثنى من الروض النضير قدودا

وهو فى هذا كمن أهدى للبحر الدرر * بل للروض الزهر * ولا أقول التمر لهجر *
وقوله أيضا

لا وطرف علم السيف فقد * فى قوام كقنا الخط ميد
ووميض لاح لما ابتسمت * من ثنايا مثل در أو برد
ما هلال الأفق الا حاسد * لعلاها وبهاها والغيد
ولذا صار ضئيلا ناحلا * كيف لا يفنى نحولا من حسد

(وللقطب المكى على منواله)

لا وفرع كدجى الليل غسق * وجبين ضوءه ضوء الفلق
ومحيا كلف الدهر به * وخدود من حواليها شفق
ما أرى الغزلان الا سرقت * منك جيدا والتفاتا وحدق
ثم خافت فتولت شردا * كيف لا يشرد خوفا من سرق

(ومما نسجته على منواله)

لاوغصن زاق للطرف ورق * وعليـه حلـل اللطف ورق
وشموس لم تغب عن ناظرى * والشعور الليل والخد الشفق
وعيـون حرمت نومى وما * جلت لى غير دمعى والأرق
ما احـرار الراح الاخجـلا * من رضاب سكرت منه الحدق
والذى قد حسـبوه حببا فوق خد الكاس قطرات العرق

(تنبيـه)

هذا القسم عده أهل البديع من المحسنات كقول عبد الله بن المعتز

لا ورمان النـهود * فوق أغصان القدود
وعنـاقيد من الصـد * غ وورد من خـدود
ورسـول جاء بالميـ*ـعاد من غـير وعيـد
ونعـيم مـن وصـال * فى قفـا طول الصدود
ما رأت عيـنى كعيد * زارنى فى يوم عيـد

وقد أشار اليه فى الكشاف ولم يفهـمه كثير من الأدباء لانه من المعانى الوضعية فلا وجه لجعلها محسنة وقد بينه الامام المرزوقى بما لا مزيد عليه فى شرح قوله

بقيت وفرى وانحرفت عن العلا * ولقيت أضيافى بوجه عبوس
ان لم أشـنّ على ابن حرب غارة * لم تخل يوما من نهاب نفوس

فأشار الى أنه جعل ما يذم به من الصفات سواء اتهم اتصافه بها أم لا لغاية تنفره عنه بمنزلة المصائب العظيمة عنده ثم جعل مقسما به تأكيدا لعظيم قطاعته ففيه كناية على كناية أو كناية مرتبة على المجاز وهو كثير كقوله

لئن كان ما بلغت عـنى فلامنى * صديقى شلت من يدىّ الأنامل

وهذا هو القسم المعدود من المحسـنات وكذلك اذا أقسم على الشئ بنفسه أو بمساويه كقوله وثناياك انها أغريض وقد ذكره الزجاج وفيه مباحث أخر ليس هذا محلها وأخبرنى الأديب الفشتالى أنه أنشده يوما قول الأبيوردى

ولو أنى جعلت أمير جيش * لما حاربت الا بالسـؤال

فقال صاحب الترجمة لو كان الشعر لى لقلت

ولو انى جعلت أمير جيش * لما حاربت الا بالنوال

وفى معناه قولى فى بعض الرسائل أعز حصون العـباد * ظهور المطهـمة الجياد * وخير من ذب عنك العدا * من ملكت قلبه بالندا * ونحوه قولى

بنيت حصونا تصون العلا * اذا ما بناء الملوك انهدم
حصونا من العدل من حولها * خنادق فيها مياه الكرم

ولابن الرومى من قصيدة له

وحارب من نعمائه ريب دهره * من البر والمعروف جند مجند

ولما بلغه شرح توضيح ابن هشام الذى صنفه الاستاذ الخال فى مجلدات أرسل اليه عطية جزيلة ورجا منه ارسال نسخة منه * وصورة ما كتبه اليه من عبد الله المجاهد فى سبيله الامام المنصور بالله أمير المؤمنين الشريف الحسنى أمد الله بعزيز نصره أوامره * وظفر بنصره عساكره * الى الفاضل الذى اذا نحا من العلوم نحوا ارفع علمه توضيحا * وجاء تاليا وهو المقدم ماتمحض من الخلاصة تنقيحا * وشرح ماخفى ابانة وتصريحا * الفقيه المثيل * النبيه النبيل * المتقن المتفنن لازال يعمر من دست العلم منصبه * يعمل فى ميدانها وخده ونصه * سلام عليكم ورحمة الله وبركاته * أما بعد حمد الله الذى ألهم تثقيف أود اللسان وفتق منه بالبيان رتقا * وصرف حكمة الاعراب على ألسنة الأعراب فامتد شأوها فى مجال الابانة طلقا * وأجرى جياد مقاييسه المطردة فلم يتخلف لاحق عن متقدم سبقا * والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد الذى أرصده سببا للسعادة سفيرا * ودحض به قوادم الشرك فأصبح مهيضا كسيرا * وأعاض جمعه من السلامة تكسيرا * والرضى عن آله وأسرته الغر الزهر الذين ينم شذا ذكرهم عبيرا * ويروق طراز مجدهم حبيرا * وعن أصحابه الأعلام الذين فضوا حلق الضلالة المسرودة واقيت من عاصف بأسهم مبيدا مبيرا * وصلة الدعاء لعلى هذا المقام الأحمدى المنصورى الحسنى بنصر عزيز يقطف من الفتح زهرات الكمائم * وسعد جديد لايزال قرين عزماته الماضية ماانقدح برق فى مسكة الغمائم * فكتبناه لكم من حضرة مراكش حاطها الله وصنائع الله تعالى لهذا الجناب النبوى الكريم المولوى مطردة اطراد كعوب الذابل * وأمداد عنايته المطيفة المحدقة بهذه الايالة العلية واكفة الغمام الوابل * هذا وانه قد اتصل بنا ماتعرفنا به حسن منابكم وارسالكم لعلى هذا المقام * وأنكم ممن ارتشف مجاجة لثته المسكية الختام * واستوفى ايماض عنايته البازغة الشارق * وشام حياها الواكف غير خلب البارق * ليقمص من قمصها

الموشى

الوشى أنيق الشاره * ويستشف فى حزب من حل منها علوى داره * والى هذا
تعرفوا أن امثالكم من حملة المعارف * المتفيئين لظلها الوارف * متمم
لهم فى هذا الجناب قسط النباهة بين وتر وشفع * ونداء أعلامهم فى هذا
الباب لم يزل نداء رفع * وجنى الكرامة دانى الاهتصار * وحظهم منها
الابهاب الذى لايخلى به اقتضاب واقتصار * وفئتهم المتحيزة الى هذا
المقام لم تزل بالعناية محفوفة * تتعرف من تنويه المقدار مزيته وشفوفه * وأما
الغرض الذى يمم * والقصد الذي به المهم * من خدمة خزانتنا العلية
بتصنيفكم المنقح الفصول * المحرر الفروع والأصول * شرح توضيح العلامة
ابن هشام * الذى أبرز من مكنونه خفى استتار واكتتام * وترك ذكر خالد غير
خالد * ونسخ من صيته الطريف والتالد * فلكم التصريح فى الحقيقة والتفرد
بستر الاضمار * وسابق الحلبة انما يعرف آخر المضمار * فقد وقع فى مجلسنا
الكريم موقع القبول * وهب له من ايسارنا كل صبا وقبول * وتوفرت داعية
رغبتنا فى اتمامه * واطلاع جنى زهراته من أكمامه * لينتسق ان شاء الله
تعالى فى سلك خزانتنا العلية اسمه * ويثبت بحمد الله فى فهارسها الكريمة
رسمه * والله تعالى يسدد لكم فى غرض التوفيق مراميا * ويجعل قسطكم
من التسديد زاكيا ونا ميا * والسلام

(فصل) المكتوب له هذا المنشور العالى * هو استاذى وخالى * علامة
العصر فى سائر الفنون * وسر الدهر الذى كان فى ضميره عن النقص مصون
* سيبويه عصره * وشافعى زمانه فى مصره * تحفة عطارد * وهدية الفلك
لكل ماجد * صاحب الحسب والنسب الزاهد العابد * الذى لم تمض له طرفة
عين فى غير طلب الفوائد * تخرج علي والدى ثم لازم العلامة أحمد بن قاسم
والعلامة الشمس الرملى ثم بعدهما انتهت اليه الرياسة العلمية وصدر الافادة
والتاليف والتصنيف وبه تخرجت * وبعلمه وبركة دعائه انتفعت * قدس الله
تعالى روحه * وجاد بسحب الرحمة ضريحه

أبو بكر اسماعيل بن شهاب الدين

❁ (أبو بكر اسماعيل بن شهاب الدين القطب الربانى الشنوانى الوفائى
وجده الأعلى ابن عم السيد علي الشريف الوفائى التونسى منشأ ومولدا) ❁
بحر العربية الذى استمدت منه جداول الفضائل * وروض الكمال الذى

قامت له الأغصان على سوقها فى الخمائل * لو رآه المبرد برد به الغليل * أو أحمد لقال أفدى بالعين هذا الخليل * فكم قرط وشنف * وألف وصنف * ولم أدر أماء الحياة أحلى أم بحار راحاته * أم ماجرى فى ظلمات نقسه المكتحل من عين دواته * أماترى القلم بغير روح مسه فشى * وطرز حلل القراطيس ووشى * فى طرسه جداول تشعبت أنهارها * ونبت من السطور على حافاتها رياضها وأزهارها وأنوارها

فكأن الزهور فيها شموع * ولذا قيل انها أنوار

وهو لعمرى ممن تشرفت الصفات بذاته * ولذا سميت بالتوابع * وتحيرت العبارات فى بديع صفاته * اذ رأت مالم تره عيون المطامع * وهو والدى واستاذى وخالى * ومن التأم فى زمن الطلب به شعث حالى * وهو كما سمعته تلميذ لابى وتخرج بابن قاسم * وهو الرحلة العلامة الذى هو لعقد الفضل فى جيد الدهر ناظم * وله تصانيف كثيرة شهيرة كشرح التوضيح الذى قرط به آذان الدهر * وتوج به رأس الكمال وهامة الفخر * ونظم به فى جيد الفضل قلائد السطور * فافتضحت حلاوة القطر وطلاوة الشذور

تلك آثارنا تدل علينا * فانظروا بعدنا الى الآثار

وكنت كتبت اليه مكاتيب بعد رحلتى * وأسر الزمان لى فى طول غربتى * منها ماصورته

وجد الصبا للعاشقين رسولا * فشفى باهداء السلام عليلا

قل للأحبة أنتم مذ غبتم * لم ألق وجها للسلو جميلا

خلعت أيام الوصال قصيرة * ولبست ليلا للهموم طويلا

حرس الله تلك الذات التى بدرها لايخشى سراره * لازالت مشرقة فى سماء المعالى أنواره * وكلأ منها روض كمال المجد أوراقه وثماره * وسقاها من وسمى النعماء كل صيب مغدق * بل من ولى سجاياه مايزهو به خصب كل ربيع ويورق * وحيا الله ذلك المحيا * وروى مواطن مواطئه التى يفاخر بها ثراه الثريا * لازالت الفضلاء لاتنصرف عن ناديه لانه منتهى جموعها * ولابرحت الفضائل من سحب بنانه مخصبا ربيع ربوعها * كما قلت فى قصيدة تمسكت بأذيال افضاله * وتمسكت بعبير نسمات اقباله

فرائد تزهو فى ترائب مدحه * وعندى لولا الجيد ما حسن العقد
سقى الله ها تيك الربا سحب راحة * لها نسمات من عواطفه تحدو
فان بقا عاقد سقاها بنانه * لينبت فى أرجائها الفخر والمجد

وأنا أسأل الله تعالى أن يطفئ من البعد ضرام صداه * بمشاهدة ذلك الوجه الذى يقطر منه ماء بشره ونداه * ويحكم فى عاتق الفراق * سيوف التدانى والتلاق * فان العبد مادام فى أسر البعد * فكره محبوس فى سجن الغرام والوجد * متعلقة به أشراك النوى والنوائب * فهو جازم بأن لا يرفع حجاب همه الناصب * وكيف لا وإناء القلب مملوء بولائك * وثوب الحياة لحمة وسداء منسوج بيد نعمائك * فأنت نور حدقة الزمان * ونور حديقة الجنان (والسلام) فكتب الى رحمه الله

سلام شذاه يملأ الارض نفحة * تبلغها منى اليك يد الصبا
وتحملها هوج الرياح الى العلا * وتنشرها فى الأرض شرقا ومغربا
ويسقى ديار الروم والجو عابس * رذاذ كمال حل فيها وطنبا
ورد عليه الغيم لؤلؤ حليه * ففضض هامات النبات وذهبا
لئن كان عن مصر توارى شهابها * فقد لاح فى دار الخلافة كوكبا
وما كان تأخيرى جوابك عن قلى * ولكن ضعفى للقريحة شيبا
وشرقنى دمع الأسى واهاضنى * على أن قلبى من فراقك غربا
نأت بك يا قس الفصاحة بلدة * وخلفتنى بعد الفراق معذبا
فليت الذى شق القلوب برمها * وليت الذى ساق القطيعة قربا

سلام كعرف الروض جر عليه النسيم ذيله * بعد ما باتت كؤوس القطر تدار عليه نهاره وليله * فأشرقت شمس نهاره على الروابى والبطاح * وأقبلت ترشف ريق الغوادى من شفاه الشقيق وثنايا الاقاح * ونشرت كافور الطل مسكى الشذا على مجامر الجلنار * ونصبت على ندى الندا سرادقات من مخممات الأشجار * يهدى الى من ألقت اليه العلوم مقاليدها * وملك من التحقيقات الفكرية طارفها وتليدها * أفصح من وشى وجوه الطروس بخطوط المعارف * وأسبل على عرائس الألفاظ غواضل المطارف * لازالت عوارف المعارف عليه منهلة * وذيول مجده من بحار المكارم

مبتذلة * (وبعد) فقد ورد علينا المشرف الكريم * فألقينا عليه عصا التسليم * واجتنينا من قطوفه الدانية باكورة التسجيع * وتصيدنا من غصون همزاته حمائم الترجيع * ورأيناه قد اشتمل على عتب أرق من دمعة الكئيب * وألطف من معاتبة الحبيب للحبيب * غير أن عذوى مقبول لا يرد * وطول الأسى رفيق لا يود * فان المرض لازمنى منذ سنوات ملازمة النجوم للأفلاك * ونصب اصيد الصحة فخاخه والشباك * لا يفارقنى الا مفارقة الجفن للعين * كأنه غريم ملح له على دين

كأن السقم محتاج لجسمى * فما ينفك عنه قيد شبر

ان أردت القيام من مضجعى فلا بد من معين * وان مشيت فلا أستغنى عن عصا وقرين * رفضت يدى القلم وطالما جاملته * وجفاءنى بعد ما أرضعته من جداول النوال وغذته * وارتعشت اليد لفراقه أسفا وندما * وصار وجدان الطروس بعده عدما * وأصبحت كأنى من أهل الكهف والرقيم * لا أعرف كم لبثت من السنين وان كان عندى المقعد المقيم (والسلام) وما شكاه فى كتابه * فالج رماه بأوصابه * فى دهر أثقلته عصائبه * وعضته بالانياب نوائبه * فكساه لباس البأس والضر * وخلع ثوب الحياة فقال (فثوبا لبست وثوبا أجر) فقلت لما أتى نعى وفاته مضمنا

رحم الله أوحد الدهر من قد * كان فى حلية الفضائل حالى
ذاك من قلت سلوة اذ نعوه * ليس حى على المنون بخال

والمصراع الاخير شاهد لترخيم خالد كما ذكره النحاة ولما جاءنى الخال أخبرت بموت الوالد أيضا فقلت فى مرثية له

كأن الليالى غالطتنى ولم أكن * أقدر أن أغتر بالمكر والحيل
فقالت اذا أعطيتك الأمن عاجلا * من الرزء هل ترضى فقلت لها أجل
فجاءت بفقدى للذين أحبهم * وقالت لهذا كنت أعنى فلا تسل
لانى لا أخشى مصابا بعيد ذا * فلله ريب الحادثات وما فعل

وهذا معنى مشهور فى كلام فصحاء العرب ولكننى تصرفت فيه مع تسمية النوع تصرفا يعرف حسنه من ذاق حلاوة الأدب وفى هذا المعنى يقول الصولى

كنت السواد لمقلتى * يبكى عليك الناظر

من شاء بعدك فليمت * فعليك كنت أحاذر

وهو رثاء فى ابن له واخطأ صاحب المواهب اللدنية اذ زعم انه رثاء فى النبي صلى الله عليه وسلم وعزاه لغير قائله وفى معناه قول الآخر

فكل ما كنت أخشى قد اصبت به * فليس من بعدهم من فائت جزع

(وقال آخر)

اعتضت باليأس منه صبرا * واعتدل الحزن والسرور
فلست أرجو ولست أخشى * ما أحدثت بعده الدهور
فليجهد الدهر فى مصابى * فما عسى جهده يضير

(وقال أشجع)

فما أنا من رزء وان جل جازع * ولا بسرور بعد موتك فارح

(وقال غيره)

لعمرى لان كنا فقدناك سيدا * يحق لنا طول التحزن والهلع
لقد جر نفعا فقدناك اننا * أمنا على كل الرزايا من الجزع

وقيل لام الهيثم وهى امرأة مع بلاغتها عالمة باللغة والازهرى كثيرا ما ينقل عنها فى تهذيبه لمامات ابنها ما أسرع ما سلوت عن الهيثم فقالت أما والله لقد رزئته كالبدر فى بهائه * والسيف فى مضائه * والرمح فى روائه * والله لقد فريت كبدى وتصدع قلبي لفقده وبعده وما اعتضت به الا الأمن من الرزايا بعده وقد أوضح هذا المعنى من قال

ومن سره أن لا يرى ما يسوءه * فلا يتخذ شيأ يخاف له فقدا

وهو باب واسع لو أردنا انطائره سحبنا ذيل المقال * على أثر الملال * فلنقتصر على مقدار الكفاية منه

(محمد الفشتالى) وزير مولاى أحمد أديب فاس * وريحانة فضلائها الاكياس * تقدم فيها متقلدا قلادة انشائها * فائقا برسائله على سائر أدبائها * وكان فى عصره من أجل وزرائها * رافلا فى حلل الحبور * تبسم له الدولة الأحمدية بثغور السرور * وعاد الى القسطنطينية رسولا من ملك الغرب والعود أحمد * معينا للسفارة وهل أحد أولى بالرسالة من محمد * لانه ممن ألقى اليه مقاليد النهى البشر * وسلمت اليه يد التدبير مفاتيح الرأى والحذر *

(محمد الفشتالى)

وكان بها كثيرا ما يجلو على كأس أنسه * ويسامر فى بليل سمره ونفسه * ونحن فى مضمار المحاورة نتجارى * حتى مضى انسا معه أويقات أقصر من ابهام القطاة والحبارى * وأقصر من عمر تلاقى الأحباب * بل سالفة الذباب * لانه ممن أحكم عرى المجد * وجذب عنان الشعر وأحكم الحل والعقد * فكنت اذا جاذبته أهداب الآداب * وأجلت فى ناديه قدلح الخطاب * كأنى جاث بين يدى الفرزدق أو جرير * لانه بصير بعورات الكلام خبير * ولما ورد الروم * كتبت له مهنيا بالقدوم

قدوم له هذى الثغور بواسم * وليس له غير الزهور مباسم
مسرات اقبال وعزم قوادم * عليها الطير اليمن رفت قوادم
على فترة وافيت للروم مرسلا * فضاءت بنور العلم منها المعالم
فهل أهدت الأيام أعيادها لنا * ففى كل وقت مذ قدمت مواسم

هذا هناء عرائسه على الألباب مجلوة * وآياته المحكمة بلسان الزمان متلوة * سرت به الليالى والأيام * حتى كأنه فى فم الدنيا ابتسام * ولعمرى لقد أبان هذا الرسول من المرسل كماله * ولا غرو أن خص محمد فى زماننا بالرساله * قدوم ذهب الافق فى البكر والآصال * وهبت على رياض مجده نسمات الاقبال * وقد جريت فى هذه التهنئة من الأدب على سننه * وأردت أن تحيى بها فرائض مذهبه ومؤكدات سننه * فمن مولانا تجتنى ثمرات الالباب * وتطرز حلل المعارف والآداب * فهذا زمان طلعت فيه الشمس من مغربها * فان فتح مولانا كنوز فكره فالعبد أحق بطلبها * (والسلام) فأجاب بقوله

جذبل حكاك قدرمى بعظيمة * كنالنة الأنثى وهن عظائم
وذكرنى الطعن الذى قد نسيته * فتى مبشر بل منذر لا يقاوم
كأنى بالفضل الذى هو أهله * يغطى عراقا وهو بالنقص عالم

طالعت ابقاكم الله السحاة التى لو رآها الفتح لما انفتح له الى الاحسان باب * ولو طالعها البديع ما ارتدى من عميسه بجلباب * أقسم بتلك الفقر والقوافى * وهن القوادم فى جناح الاحسان والخوافى * لقد سقتنى من الأنس بعد الصحو كأسا دهاقا * وملأت فكرى وهو المظلم بتنائى السكن اضاءة واشراقا * وانى لتارك لعتاب الليالى * اذ جمعتنا فى هذه

الديار

الديار بأمثالكم لازلتم تقيمون رسوم المعالى * وتجمعون فى المكارم بين المقدم والتالى * بمنه وطوله (والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته) وله ماء شعر تشربه أفواه الأسماع * ورياض منثور تغرد حمائم قوافيه بطرب الاسجاع * فما دار بينى وبينه من كؤوس المخاطبة * وجال من جياد القول فى مضمار المكاتبة * وأنا مسجون بالروم وليس لى غير القضاء والقدر سجان * فى ديار ترى العربى فيها غريب الوجه واليد واللسان * قولى ملغزا فى حيات الأحقاف * الملتفة تحت اغصان المعاطف على كثب الارداف

أيا روضاته ظل * وشمس معارف تعلو
ويا من قوله فصل * وعنصر ذاته فضل
أبن لى ما مقيدة * بردف ماله وصل
بلا قلب محجبة * وفيها العقد والحل
على باب المسرة أو * على كنز الهوى قفل
ويحسن عقدها لكن * اذا حليتها تحلو

(فأجاب وأجاد)

وفكر طله وبل * لندب فضله أصل
ونظم أرفع الشهب * لأدنى قدره نعل
لهذى فتكة بكر * عتا فى بدئها نصل
وحزتم قصب السبق * فلم يعد لكم خصل
وفزتم من ثنا جزل * بما ليس له مثل
فلا زلتم ولا زالت * بكم ساعاتنا تحلو

(وكتبت له ملغزا أيضا)

أيها المفرد الذى صار جمعا * فى المعالى ورق لفظا وطبعا
أى شئ لدى السموات يلفى * وهو فى الأرض بالجراءة يسعى
ذو ثلاث وأربع ان عددنا * وتراه اذا تحققت سبعا
فأجبنى بجوهر من نظام * كى أحلى به لسانا وسمعا

(فأجاب واجاد)

يا بديعا حاز المحاسن طبعا * وكريما له المحامد تسعى

لى لغزا أهديته فى برود * من معان كانها وشى صنعا
حاكه فكر ماهر قد تناهى * فى ضروب البيان أصلا وفرعا
خامس من بروج دائرة الشمس وفى الغاب بالضبارم يدعى
لمبادين فكره تتبارى * سبق عندها السوابق صرعى
شقر ذاك البراع مع دهم نقس شهب طرس يرضيه حسنا ووضعا
يسعد الكف ساعداها القويا * ن وما للطعان ضاعفت درعا
والقوافى تميل ميل الغوانى * للفتى حين يشبع الشيخ صفعا
ان عهدى بازمى عهد قديم * أنت أقوى على قسيك نزعا
وهذا يشير الى قول أبى حية النميرى
رميت وستر الله بينى وبينها * عشية أحجار الكناس رميم
الا رب يوم لو رمتنى رميتها * ولكن عهدى بالنضال قديم
وأنشدنى قصيدة هنأ فيها بفتح مما اخترته منها قوله
بشرى تزف من الزمان المقبل * بعنصة الجذل الذى لم يرحل
بانجل فاطمة وكل مفاخر * فهو المفاخر دركم بالجندل
لولا ضياء المشرفية والقنا * ضلت كائبهم بليل أليل
بعساكر رمدت بعثير نقعها * عين الغزالة فى الرعيل الاول
خطبت سيوفك فى منابر هامهم * خطبا تذيقهم نقيع الحنظل
(ومنها فى ختامها)
دا كم أمير المؤمنين قوافيا * فاحت مجامر طيبها بالمندل
بمديح أهل البيت هزت معطفا * هزؤا بمدح جريرهم والاخطل
وقوله فى جواب اللغز السابق حين يشبع الشيخ صفعا من مزح الجد بالهزل
وعليه فانظر قولى فى التحف التى سميتها بالشهب السيارة وهو
قيل ان كان فى الشباب سرور * فبياض الوجوه خير وقار
قلت ردوا الشباب لى واصفعونى * واجعلونى سخرية للصغار
والشئ بالشئ يذكر وأجاد التعاويذى فى قوله
وعلو السن قد * كسر بالشيب نشاطى
كيف سموه علوا * وهو أخذ فى انحطاط
وقوله بعساكر رمدت الى آخره كقول الارجانى

والشمس

والشمس فرط سناه أرمد عينها * فكأنها أيدى الجياد بأثمد

(ومنه قولى فى النتف أيضا)

وليل زارنى والسعد وافى * على رغم المنافق والمداجى
رأى ليلى عيون الشهب رمدا * فعصبها بسود الدياجى

وأنشدنى من قصيدة له قالها وقد دعاه داعى النجاح * وأسفرت له شمس الظفر من خلف ستارة الفلاح * وأنشدته المسرة * قول شيخ المعرة

ابق فى نعمة بقاء الدهور * نافذ الأمر فى جميع الامور

وقد قدم من غزاة صدع بها شمل الكفر أى صدع * بعدما خط على صحف البسيطة سطور جيش مترية بالنقع * غص بعثيرها الوهاد * وسربها الفضاء فتضمخ من دم الاعداء بالجساد * والربيع قد نقط تلك الصحف ووشاها * وخط فى جوانبها النبات وحشاها

وكسا الارض خدمة لك يا مولاى دون الملوك خضر الحرير
وغدت كل روضة تشتهى الرقص بثوب من النبات قصير
فهى تختال فى زبرجدة خضرا وتغذى بلؤلؤ منثور

فقدم وله عن ذنوب الدهر صفح * والقلاع تعرب عن رفع عزمه بعد ما بناها على الفتح * فى يوم عده عيد السرور * فهو ملء العيون ملء الصدور * فقام بين السماطين وهو اذا رئس كتابه * وناظم عقود الجوهر فى سلك خطابه * مهنيا ومنشدا * وفى رياض ناديه مغردا * بقوله ايضا

قسما بالجفون فى سطوة الملك وقد أيدت بحسن الفتور
وظباها التى بها تحتمى فى * حوزة الصون بارقات الثغور
وبخد يكنى أبا لهب تذ * كى يد الحسن ناره فى العبير
وبروض تدب شوقا اليه * عقرب الصدغ فى ليالى الشعور
لهجرنا المنام حتى تناست * بيننا للخيال طرق المسير
يا ظباء سحن ملتفتات * متلعات أجيادها للنفور
أمن الله روعكن فانى * أرتجى وقفة بوقت مسير

(ومنها)

نسمة فى باب الامالة تبرى * علل اللين فى القضيب النضير
ما عهدنا ريم الفلا وغصونا * تشرق الحسن فى برود البدور

رافضات عهد ناحل لوصل * من رجاء يطفى لقلبى الحرورى
ذاب شوقا وأنفق العمر سعيا * فى رضاكم وماله من شعور
كان خدى مجرى السوابق شهبا * باديات فى لونها المستنير
فاستحالت حمرا وتكمن طورا * من أخاديد جريها فى حفير
باعتكاف يحكى جهاد جياد * مدمنات على السرى والبكور

(ومن مديحها)

يا نسيبا أنت المقدم فى المد * ح فلسنا نرى لكم من نظير
كم نظمتم للحق عقد اعتزاز * ونثرتم بالحل نظم الفجور
وبضرب الهندى كم قد طرحتم * من ضروب العدا بجمع الكسور
وأدرتم عليهم للمنايا * أكؤسا لم تزل بكف المدير
دام فى العز ملككم وبينى * عزمكم للفتوح سيف الظهور
ما جرت أفرس الدرارى بعضما * رميادينها بطول الدهور

قوله يا نسيبا الخ كقول بعضهم مضمنا من قصيدة نبوية

له النسب العالى فيا مادح الورى * اذا كان مدح فالنسيب المقدم

ولله در ابن خفاجة فى قوله

مليك تبسم بشر المنى * بمرآه وامتد خطو الأمل
فلم أدر والحسن صنوله * أأبدأ بالمدح أم بالغزل

وكتب الى وقد أصابته حمى فافتصد يذكر اشتياقه * ويشكو ما منعه من ملاقاتى وعاقه * أنانى غربتى وعلتى * ونار خليل لم تبل بملاقاته غلتى * لا أظن نسيان الاخوان * واعتذر لتقصير الزمان

كأن زمانى خاف لحنا فلم يكن * ليجمع بين الساكنين باوطان

(فكتبت اليه)

كفاك الله ما تخشى وغطى * عليك بظل نعمته الظليل

أعز الله تعالى انصار الكرم الفياض والحسب * وحفظ بحمايته معالم الفضل العامرة بالأدب * بقائك محروسا من هجوم الخطوب * محفوفا بسور منيع من احاطة القلوب * وأصوات جرس الدعاء به مرفوعة * وسدته بحجاب الصنائع ممنوعة * وله من عطر الثناء نشر انتشر *

فلا يزل حتى يزل نسيم السحر * والدهروان كان ذا غير * من تفكر فيه اعتبر * وكيف يتسلط عليه بآلامه * وهو لا يتسلط على أيادى انعامه * فان هم به ونعمته سابغة عليه * فقد ورد اتق شر من تحسن اليه

أتهدى له الأيام سقما وانما * مساعيه فى أعناقهن قلائد

فان اعتل فانما اعتل الكرم والكمال * وان مرض فقد مرضت الامانى والآمال * والقلوب والأرواح * وان دعوناله فانما ندعو لأنفسنا بالصلاح * ورب مريض لا يعاد * فلا يحرم الأجر مريض الفؤاد * فلا أقول

ياليت علته بى غير أن له * أجر العليل وانى غير مأجور

وقد بلغنى فصده الباسليق * وأنه قد بكى دما عرقه العريق

وبات اعتلالك يبكى دما * وتضحك فى جسمك العافية

وعرق الصحة له فى كل منبت شعرة عين باكية * تبكى بدموع العرق على فراق العافية * وليس ببكاء وانما من استغرب فى الضحك قد تدمع عيناه * كما أن الحزين قد يضحك دهشة مما دهاه * فاضحك الله تعالى ثغر فصاحته * كما ضحكت تباشير صحته * وهنأ الله تعالى الوجود * بسلامة الكرم والجود * وأطلع كوكب سعده فى أفق الافاقة والاقبال * فان لكل زمان مقبل غرة وهلال (والسلام)

(فصل) دعانا مرة داعى الصبا * فحركنا ما حركته من عذبات البان أنفاس الصبا * الى روض أنيق * وواد تزوره السراة من كل فج عميق * نبهت عيون أزهاره أكف نسيم السحر * ونيطت على قدود قضبه بعد اخضرار عارض نباته تمائم الزهر

والريح تجذب أطراف الغصون كما * افضى الشقيق الى تنبيه وسنان

فى مجلس سكرت فيه أباريق المدام * فرجعت أصواتها ترجيع تمام * وفاقا مع خلان * وخلاص اخوان * كل منهم قرة * فى عيون المسرة * فيه طراز حلل الليالى * وروضة تنبت أنوار المعالى * تتحاسد عليه القلوب والعيون * وتختم به صحف الطرف وختامه مسك يتنافس فيه المتنافسون * قام لديهم ساق كالألف على سين أعطى قافه للابريق * أو غصن عبثت به الصبا فكاد يعقد من اللين ذيل حواشى لطفه الرقيق * لولا كثيف كثيب ردفه *

* القائم عليه هيف عطفه

لولا سهام جفونه انتظمت * عقدت على وجناته القبل

فنادى حى على الصبوح * هلموا الى ريحانة الروح * شقيقة نفس الانسان * صابون درن الاحزان * درياق ملسوع الغموم * مطية لهو يرتحل بها من منازل الهموم * بازله دستبان من ذهب بصطادبه سوانح الفرح والطرب حيث لا يسمع صراخ لغير الاوتار * ولا بكاء الا للقنانى ولا رقباء سوى عيون الأزهار * فلم يزل يحكم فيهم الكاسات * ولا يسمعون من عذب ألفاظه غير خذوهات * فى يوم شابت ذوائبه * من قبل ما طرّ بالعشية شاربه * فلما دنا المسير * وغاب بدر الكاس المنير * قام بعضهم ثملا سكران * وذهب حافيا رجلان * فنسى نعله * واودع عند الخمار عقله * فكأنما فرّ هاربا لما طرح أحمال أحزانه ورماها * وألقى صحيفة فكره والزاد حتى نعله ألقاها * فكتبت اليه أعزيه فيها * فأخفف عنه مصائب الدهر وأرثيها * بقولى على لسانه مداعبا * ومفاكها له مطايبا

لقد خاننا دهر وكابه نعلو * يوده لال الافق لو أنه نعل

وقد كان لى شمل فشتت شملها * وما الدهر أهل أن يدوم له شمل

وكانت تقى بالنفس رجلى فأصبحت * تفارقها من بعد ما آذن الشكل

وقد كنت ذا بشر فأصبحت حافيا * وكم حزنت من بعدها الكعب والرجل

فكم صحبتنى فى سرور وشدة * ولم تتخلف عن مرادى ولم تعل

ونقلت الأقدام للراح سحرة * فعدت ولا عقل لدى ولا نقل

كذلك عادات الشراب وفعله * فما اختاره مضنى به وله عقل

وأنشدت خلى حين ضاعت ولم يكن * ليسعفنى فى ذلك الحادث الخل

وان أخلاء الزمان غناهم * قليل اذا الانسان زلت به النعل

فانشدنى بيتا يثبت مهجتى * لكيما فؤادى عن محبتها يسلو

تزود من الدنيا متاعا لغيرها * فقد شمرت جداء وانصرم الحبل

فلهفى عليها حين أمست شهيدة * وقد جادها بالدمع قطر له هطل

وأمست على وجه الثرى دون دافن * ولكن بكف السحب أمسى لها غسل

فلما سمعها الفشتالى استظرفها جدا وكتب له

رأيت أديبا واضعا كف حائر * على ذقن اذ للهموم به شغل
فقلت له هل بان الفلوت به * نوى قذف ام لا يرجى له وصل
فقال علمتم أن جاريتى يدى * وراحلتى فى كل نائبة نعل
خرجت مع البازى لحان مدامة * رجاء سرور والطريق بها وحل
فأبت وبى من حادث الدهر لسعة * بحفى حنين لا ثراء ولا عقل
نأت عن أديم الأخمصين وقاية * ومابى شعور اذ تخطفها الوبل
كذا فليجل الخطب فى وثباته * بكل كريم لا يفارقه فضل
وفى كل قلب للخطوب مآتم * يحق لأرباب القريض بها شغل
فقلت له ان العيافة تقتضى * بتصحيف نعل ان قدركم بعلو
تعود دهر جودكم وأتى له * فألقت اليه عند ذا نعلها الرجل

وكتب اليه الأديب زين الدين الاسعافى الحلبى

تعز أخى ان كنت ممن له عقل * ولا تبد أحزانا اذا ذهبت نعل
ولا تعتب الدهر الخؤون فدأبه * لعقد اجتماع الشمل دون المدى حل
لحى الله دهرا لا يزال مولعا * بتكدير صفو العيش ممن له فضل
يفرق حتى شمل رجلى ونعلها * أشد فراق لا يرى بعده وصل
فاشئت فاصنع ما اللبيب بجازع * ولا تارك صفوا اذا زلت النعل
بحقك قم نسعى الى الراح سحرة * تجدد أفراحا لكل صدا تجلو
الى دار لذات وروض مسرة * برحب فناها من غصون المنى ظل

ولابن قلاقس وقد سرقت نعله

قل لنجم الدين يا من يهتدى * من محياه باسنى قبس
ما الذى أوجب عودى راجلا * بعد أن وافيتكم ذا فرس
خلعوا نعلى لما علموا * اننى من ربعكم فى قدس

(تتمة) يقال فى المثل للمتساويين فى الخير فرسا رهان وهذا كما أفاده بعضهم باعتبار ابتداء الجرى لتساويهما حين الارسال وأما فى المنتهى فيغلب سبق أحدهما فكيف يجعلان متساويين وقد ضربت أنا المثل للمتساويين فى الدناءة بفردتى النعل وثورى الحراث فانه لا ينتفع بأحدهما دون الآخر فقلت

وثقيلين هما ما افترقا * منهما الدهر أبو الغدر استغاث

فكان اللؤم قد صاغهما * فردتى نعل وثورى أحراث

وقد ضربت العرب المثل فى هذا برجلى النعامة فقال الشاعر

وانى واياها كرجلى نعامة * على كل حال فى غنى وفقير

قال القالى فى أماليه أى اننا فى اتفاقنا لا نختلف لانه ما من بهيمة تنكسر احدى رجليها الا وتنتفع بالاخرى غير النعامة انتهى

ولما قدم رغب فى صحبتى * وخطب راغبا مودتى * وود انقطاعى عمن سواه * فلما رأيت محبته وصدق مدعاه * كتبت اليه

سلا بانة الوادى لدى المنزل الرحب * متى فقدت غر المناقب من صحبى
فهل فى حماها نفحة عنبرية * قد استودعتها الريح من نفس الركب
وهل بين أطلال الرسوم ونؤيها * حمائم بان فى الربا طيرت لبى
وهل من عهود قد نقضت بقية * يوفى بها حق ويقضى بها نحبى
سقى الله عهدا للأحبة صيبا * من الطرف تغنيه عن الوابل السكب
وهيف غصون جادها طل الغنى * فتنبت أوراقا من الشجر القضب
وكل خليل رقرق الود صافيا * فكل ملام فى محبته يصبى
أصدق فيه الظن من ضنتى به * على كل شئ قد عرفت سوى قلبى
وماذاك من سوء الفعال جبلة * فكم جاء سوء الظن من شدة الحب

هذا معنى غير ما قاله المتنبى

اذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه * وصدق ما يعتاده من توهم

والحديث شجون ومنها

اذا غاب بدر التم ظلت مراقبا * لمطلعه من مشرق العين والغرب
ولكن شمس الحسن من وجه منيتى * لقد برزت للناظرين بلا حجب
كذاك شمس الغرب اشرق شرقنا * بفضل له قد شاع فى العجم والعرب
وقد كنت قد مانبت عن كل خلطة * تنكد عيشى وهى من أعظم الذنب
فلما صفى منه الوداد ومشرب * يروق لظام زيد عن مورد عذب
نقضت على حكم المروءة تو بتى * وقد طلعت شمس المعالى من الغرب

وبعد الشعر فصل مولاى أحمد قد ملأ فضله الجبال والوهاد فسد على حساده طرق الجد * وحاز السيادة من ساعة الميلاد فانك مهدى اليهامن

المجد

المهد * وهو يعلم أن عقائل الوداد * فى خدود الخمول كمينة * وأنها لا تجلى لغير المحرم ولا تبدين زينة * فان الزمان مشتق من الزمانه * والاخوان لتقلب قلوبهم من الخيانة * وان أطلع السباخ النخلة الفينانه * فقد تنبت المرعى على دمن الثرى * وتقطع الأزرار مالها من ضيق العرى * وما كل جوهر له مشترى * وما كل صاحب يعرف قدر العسكرى * فلذا نفرت حتى عن ظلى * وقاطعت حتى ولدى وأهلى * لكن مالك من حسن الأخلاق * جذب لك مودتى بالأطواق * (والسلام) (قولى وما كل صاحب الخ) اشارة الى ماذكره ياقوت فى معجمه من أن الصاحب ابن عباد تمنى لقاء أبى أحمد العسكرى فكاتبه فى الحضور له فتعلل بكبر السن فلما يئس منه جذب السلطان لذلك الصوب وسار معه نحو بين أبى عسكر مكرم كتب له

ولما أبيتم أن تزوروا وقلتم * ضعفنا ومانقوى على الوخدان
أتيناكم من بعد أرض نزوركم * على منزل بكر لنا وعوان
نسائلكم هل من قرى لنزيلكم * بملء جفون لا بملء جفان

فأجاب بنثر ونظم منه

أروم نهوضا ثم يثنى عزيمتى * تعوّد أعضاءى من الرجفان
فضمنت بيت ابن الشريد كأنما * تعمد تشبيهى به وعنانى
أهم بأمر الحزم لو أستطيعه * وقد حيل بين العير والنزوان

فلما قرأه استحسنه وقال لو خطر ببالى هذا المثل ما أرسلت ذلك الشعر لكنى ذهلت عنه ثم ان العسكرى قصده مع جم غفير من تلامذته فى ساعة لا يصل اليه أحد فى مثلها فحجبه الحجاب فرفع صوته يقول

مالى أرى القبة الفيحاء مقفلة * دونى وقد طال ما استفتحت مقفلها
كأنها جنة الفردوس معرضة * وليس لى عمل زاك فأدخلها

فناداه الصاحب ادخلها يا أبا أحمد فلك السالفة فبادره الخدم وحملوه حتى جلس عنده فأقبل عليه ورفعه الى أرفع مجلس ثم تحادث معه وسأله عن مسئلة فقال له الخبير صادفت فقال له ما زلت تغرب فى كل شئ حتى فى المثل السائر فقال تفاءلت من السقوط للحضرة فادر عليه وعلى من معه بصلات كانوا يأخذونها الى أن توفى الى رحمة الله تعالى فانظر ما فى هذه القصة من لطائف الآداب

وما للصاحب مع جلالة قدره من مكارم الأخلاق * الذى طير ذكره فى الآفاق * وخلده فى صحائف الدهور * وهكذا فلتكن الصدور * ولما أراد العود الى المغرب قال لى عندى أمانة من مولاى أحمد لا أرى غيرك لها أهلا ومحلا * فطال العهد ولم أرها محلا * فقلت ان محلا وان مرتحلا * فلما أزف الرحيل كتبت له رقعة فيها * أطال الله عمرك طول مواعيدك * وجعل آمالنا الكمونية مورقة من سحائب جودك * ولعمرى لقد طال المطال فعرقوب لا يبلغ عرقوبه * وزاد العتب على الالحاح والعتب بغير جرم عقوبه * ولو لم يكن أملى أضعف من الذباب * ما ارتبط بحبال العنكبوت على هذا الباب * فلله أنت ما أحلمك واصبرك على كثرة السؤال والجواب * ولم أر مثلك فى الجود * اذ بذلت لى الوف من الوعود * ولم تملنى على مقابلتها بالكفران * وها أنا ذا تائب شاكر لهذا الحرمان * اذ لم يكن لمثلك على منة * وأحمد الله على كل حال متبعا للسنة * وقد كان يعجبنى قول أبى محمد الحكيم

لبس الثياب وتشييد القصور وفى * تلك الثياب رأينا أنفسا خربه
لأضربن رباءى ألف مقرعة * فكم وأصلب آمالى على خشبه

فلما رأيت بعد العهود * وطول حبال الوعود * قلت

طالت مواعيدك ياسيدى * والعمر قد يقصر عن ذا المطال
نخلت آمالى لها دربة * قد علمتها المشى فوق الحبال
ولو ترى مثلا لها ربما * جرت على فرحتها بالنوال

واللائق بالعارف بالزمان * أن لا يعتب على أحد من الاخوان * فان الدهر خرف وهرم * ولو سال شقيق شقيقه درهما لقال أودى درم * فرحم الله الكرام * وعلى الجود الرحمة والسلام * وهذه رقعة قصدت بها المزح والمجون * ورياضة الطبع الحرون * وقولى أودى درم مثل قال الأعشى

ولم يود من كنت تسعى له * كما قيل فى الحرب أودى درم

قال السكرى فى شرح ديوان الأعشى دوم هو دب بن مرة بن ذهل كان النعمان يطلبه فجهز له سرية فلما ظفروا به مات فى أيديهم قبل وصوله للنعمان فلما سأل عنه قالوا أودى درم فذهبت مثلا انتهى وقصدت به الدرهم لان الدرهم

فارسى معرّب وأصله درم وقد يتلفظ به على أصله ومثله قولى فى الرجل الجليل يكون خاملا لا يواسيه أحد فاذا مات عظموه وتأسفوا عليه

بكى الخلق ذا الفضل لما مضى * وقالوا ألا ليته لو سلم
ولو كان يسألهم درهما * لقال له الناس أودى درم

(فصل) ذكر لى يوما أنه مشتاق للقاءى * مستوحش لظلمة التناءى * فقلت ما جوابى لك غير قول أبى العيناء للمتوكل وقد قال له قد اشتقت لك يا أبا العيناء فقال له يا سيدى انما يشتد الشوق على العبد لانه لا يصل الى مولاه * وأما السيد فتى أراد عبده دعاه * وما أكذب الشوق بالمقال * ان لم تقم عليه شواهد الاقبال وقد شرح حالنا فى التناءى والتدانى * قول ناصح الدين الأرجانى

واذا رأيت العبد يهرب ثم لم * يطلب فمولى العبد منه هارب

فاهتز عطفا * وتاه رقة ولطفا * ثم قال لى من أى معنى أخذ هذا قلت لا أدرى فقال هو من قول المتنبى

اذا ترحلت عن قوم وقد قدروا * أن لا تفارقهم فالراحلون هم

فابدأ وأبدع * وأعلم انه من الأدب بمرأى ومسمع * ومنه أخذ القائل

ليس ارتحالك ترتاد الغنى سفرا * بل المقام على بؤس هو السفر

والمتنبى أخذه من قول الطاءى

وما القفر بالبيد القضاء بل التى * نبت بى وفيها ساكنوها هى القفر

ولما رأى وزراء الروم * وما هم عليه من دارس الرسوم * من تكبر بلا نفع يرجى * وتبختر كل دابة منهم حتى العرجى * قال أهؤلاء عنى الغزى بقوله

من آلة الدست ما عند الامير سوى * تحريك لحيته فى حال ايماء
فهو الوزير بلا أزر يشد به * مثل العروض له بحر بلا ماء

فذيلته بديهة له فقلت

عسى تدور عليهم دائرات ردى * تقطعهم تقطيع أحشاءى

فقد شابه الرئيس المرؤس * وقام على جرب الأبدان قرع الرؤس * وما هذه الدول * ان لم يعرها الآن خلل * الا كسقف السماء * وقبة الخضراء * قائمة بلا عمد * ولا أطناب ولا وتد * فهى كبيوت الاشعار * لا تظل فى حضر ولا أسفار * كما قلت

جيوش ما لها فى الملك نفع * حكت صورا تصور فى كتاب

رأيت قتالهم من غير نبل * كمثل الضرب فى كتب الحساب
وعلى بحر العروض يعجبنى هنا قول الأرجانى
راع الفؤاد نوى الخليط ولم يكن * قبل النوى من حادث بمروع
وأرى فؤادى فى الزمان كأنه * بيت العروض يراد للتقطيع
(وللغطيرى)
وعرض بلا ذنب يقطع دائما * كبيت عروض والحوادث أطوار
(وقلت فى معناه)
دوائر أفلاك تلوح بحورها * باصفار نجم قابلتها بتصريع
كما خط فى رسم العروض دوائر * جميع الذى فيها معد لتقطيع
(وقلت أيضا)
وانى فى تضييع ماقد جمعته * لأجل الذى يولى الوزير من الغنى
كبائع بيت كان فيه مقره * يقول كفانى بيت شعرى مسكنا
(محمد بن ابراهيم الفاسى نزيل مصر) شمس فصاحة طلعت فى آخر الزمان من المغرب * لو رآه ابن سعيد لنسى بفاكهة مفاكهته ذكر المرقص والمطرب * ما كنت أظن المغرب تجب له بمثيل * ان الزمان بمثله لبخيل * ارتحل لمصر واختلط بناسها * وميز حال فصولها وأجناسها * ولما قدم كتبت له خاطبا العقائل وداده * جاليا كؤوس المؤانسة على فؤاده
أيا شمس أهل الغرب شرفت مصرنا * وقلدته عقدا نفيسا من الأنس
فصار ربيعا باعتدال قدومكم * ولا بدع فيما قلت فى شرف الشمس
وكانت حالى معه حاليه * وموارد أنسى به من قذا الأكدار صافيه * أراضعه ثدى الآداب * وأتخذه ممن مودته تدخل بيت القلب بغير اذن وحجاب * الى أن ارتحل الى المحله * وجعل كرم قاضيها مقر أمله ومحله * وفارق أخلاءه وصحبه * لما كابده من صحبة الأمرين الفقر والغربه * فانعطفت عليه أغصان المسرة والهنا * وأقام فى رياض المكارم تحت ظلال المنى * الى ان حالت الحال * واذنت شمس حياته بالزوال * فجاد بنفسه * وغاب فى مغرب رمسه * بعد ماوقف على أطلال الهمم * باكيا على دارس رسوم الكرم * وكان مغرما معى بالمزاح * لابسا للخلاعة وبرد الجد عنه غير

(محمد بن ابراهيم الفاسى)

مزاح

مزاح * وأنشدنى له يوما قوله

حكيت ابليس خنا * وصورة من عوره
ياسائلى عن العمى * عندى نصف خبره

فقلت له قد سبقك الى هذا الباخرزى فى قوله

فلا تحسبوا ابليس علمنى الخنا * فانى منه بالفضائح أبصر
وكيف يرى ابليس معشار ما أرى * وقد فتحت عيناى لى وهو أعور

وهو من قول الآخر

وكنت فتى من جند ابليس فارتقى * بى الحال حتى صار ابليس من جندى
ولو مات من قبلى لأحييت بعده * طرائق فسق ليس يحسنها بعدى

وكان اذا أغار على معنى أغار * ولا يبالى بأنه يرى مغزاه اذا انجلى الغبار * تبعا لمذهب القائل

فان الدرهم المضروب باسمى * أحب الى من دينار غيرى

(كقوله)

يا تارك اشرب القهوة التى * تجلو صدا القلب الكئيب العانى
فى ترك مثلك شربها لى راحة * توفيرها وطهارة الفنجان

وهو من قول ابن الرومى

يا لائمى فى الراح غير مقصر * ما زال ظنك سيئا فى الراح
فاقل ما فى ترك مثلك شربها * توفيرها وطهارة الأقداح

ولم يزل باللهو معروفا * وبغزلان النقا مشغولا مشغوفا * لا سيما اذا تفتح عن ورد الخدود أكمام العذار * وشاهد صنع الله الذى يولج الليل فى النهار

وقالوا أتت كتب العذار بعزله * فقلت لهم لا تعجلوا فيها ولى

ويقال ان هذا الأمر أذهب خبره وخبره * ومحا بيد الفناء عينه وأثره * حتى عصفت رياح المنية بروضه القشيب * وهصرت يد الردى يانع غصنه الرطيب * فاحتضر واختصر * بأمر المليك المقتدر * لا زال جدثه روضة من رياض الجنان * ولا برح مجرى لجداول الرحمة والرضوان * فمن العنبر الذى أذكته مجامر فكره * وقذفته فى سواحل المحاور بحور شعره * ما أنشده لى من قوله مضمنا

قل للقضيب وراح الريح تعطفه * أثناء برد من الازهار منتسج
أشبهت قامة من نهواه لو طلعت * أعلاك شمس وفقت المسك فى الارج
لك البشارة فاخلع ماعليك فقد * ذكرت ثم على مافيك من عوج

(ولابن أبى حجلة مضمنا)

قل للهلال وغيم الافق يستره * حكيت طلعة من أهواه بالبلج
لك البشارة فاخلع ماعليك فقد * ذكرت ثم على مافيك من عوج

وأنشدنى له أيضا مضمنا

أأسلو فى الهوى طعم الهوان * وربع الحسن ماهول المغانى
ومن أهواه واصلنى جهارا * وصرت من الرقيب على أمان
وقد حل العذار بوجنتيه * بمنزلة الربيع من الزمان

(وأنشدنى قصيدة منها)

أتسيل دمعى ثم تسأل ماجرى * عجبا لعمرك مارأيت وماأرى
هذى دما نفس هواك أذابها * فهمت على خدى نجيعا أحمرا

(ومنها)

من كان يقبضه جلال الحب عن * بسط الجمال فلم يزل متحيرا
فأنا جانى الغرام وهكذا * وردالجمال لن تراه مكدرا

(ومنها فى حسن الختام)

واليكها والحسن بعض صفاتها * بكرا تحاكيها الملاحة منظرا
قد زفها فكرى اليك ومهرها * نقد القبول وحقها أن تمهرا
حاشاك تهملها ويعرف قدرها * من قد ترى بين الثريا والثرى
ختم البيان بها فكل سليم طبع صار من عجب بها متحيرا

(وله فى الهيجاء مضمنا)

لقد قلت للطورى لما بدا لنا * كجلمود صخر حطه السيل من عل
بوجه كليل الهجر أسود طائل * ألا أيها الليل الطويل الا انجلى

(ومما أنشدنيه لنفسه قوله)

ولما دار بالخدين نبت * حكى عصر الصبا قبل المشيب
تيقنت الوصال وليس وعد * هناك ولا خلو من رقيب
ولكن دارة القمر استتمت * فدلتنا على مطر قريب

(وأنشدت له قولي في معناه)

على خده مذ لاح نبت عذاره * جرت أدمعي في الخد ذات صبيب
اذا ما استدارت دارة البدر حوله * فان وقوع القطر غير عجيب

(ومما أنشدنيه قوله من لفظه مضمنا)

يا سالب الغصن لين القد والميل * وملبس الشمس ثوب الحزن من خجل
ماشان خدك نبت بل صفا فترا * مت في سناه ظلال الهدب والمقل
فاثبت على حبه يا قلب تحظ به * فهل سمعت بظل غير منتقل

ومعنى البيت الثاني مما سبق اليه كقول الارجاني

أعد نظرا فما في الخد نبت * حماه الله من ريب المنون
ولكن رق ماء الخد حتى * أراك خيال أهداب الجفون

(ومما قلته في معناه مضمنا)

صقيل خدوده مرآة قلبي * وماء الحسن رق به وراقا
تحيط به العيون اذا تبدى * وهل طرف يطيق له فراقا
فخالوا رقة الأهداب فيه * عذارا قد كسا بدرا محاقا
وظلنا نجتلي منه محيا * كأن عليه من حدق نطاقا

وكان يهوى بمصر غلاما وقد دب ظل العذار على ورد خده * وجعل حارس الحسن بنفسجه سياج ورده * هام به هيام سعد بن أنيس ببرده * ووهبه روحه لا بسبة حال المودة * فكان لا يسر الا اذا اصطبح من عذاره بالآس * ثم لما أدركه الغرق من الوجد والباس * عمل فيه مزدوجة لم يدركها مدرك * فكان ذلك سببا لصده المهلك * فارتحل لافتضاحه للمحلة الكبرى * فكتبت له اذ ذاك قصيدة لأجدد له الذكرى * منها

من لم يدم ذكر الحبيب الناسي * ومعاهدا فيها فليس بناس
بي من كسا جسمي السقام وعلني * بمدام دمعي ناله من كاس
في نقطة من خاله يرجو الوفا * دمع زيادته بغير قياس
لما خشيت على الكرى من مدمعي * أودعته في طرفه النعاس
يقسو على فؤاده ياليته * يعديه لين قوامه المياس
تالله ما حبي لعارض خده * كالورد بل حبي له كالآس

(ومنها)

ياجوهر اللمجد صار مجردا * ما أنت الا الروح للاكياس
لولم تحدث عن شمائلك الصبا * لم تكتسب ذا الطيب فى الأنفاس
ياراحلا عنى ومجرى مدمعى * مافى وقوفك ساعة من باس
عقد على جيد الزمان منظم * روض له ظل على الجلاس
لم أستطع وصفى لهيب صبابتى * من يودع النيران فى القرطاس

(ومنها)

فاستجلها بكرا نتيجة ليلة * صهباء سالبة عقول الناس
لازال ياانسان عين العصر من * ذكرى بسالف عهدك استئناسى

مولاى أما الشوق فقد اشتعل ضراما * وكاد عذابه أن يكون غراما * حتى قال فم الجفون بلسان الدمع يانار كونى بردا وسلاما * فانى ألقى الى كتاب كريم * فاح منه شميم عرار نجد ومابعد العشية من شميم * فتمتعت بماهو أحلى من الوصل بعد الهجر ومن الامن بعد الخوف ومن البرء بعد السقم ولم أدر أطيف منام * أوزائر أحلام * أم قرب نوى بعد البعاد * أم حبيب وافى بلا ميعاد * من أديب أشرق بدر مجده ساطعا * وألبسنى برد المسرة أخضر يانعا

أهم ببسط بحرى لالتقاط * اذا حاضرت بالدر النسيق

فحدانى أن أحث مطى الهمم * الى نحو كعبة الفضل والكرم * فحركت مجمر الطبع حتى عبق عنبرا وندا * وهززت قضب اليراع على خد الطرس فانتثرت اقاحا ووردا * وقد كنت ممن زجر عن هذه الصناعة طبعه * فانها كما قيل كالياسمين لايساوى جمعه * ولسان التقصير * كما قيل قصير * لاسيما والجود عبد انت سيده * والفضل عقد انت مقلده * والبلاغة سوار ليس لغيرك عليه يد * ورداء المعارف مستعار منك وان كان لايسترد * وللفصاحة ماء لايجرى فى غير ناديك * وينبوعه لايتدفق الا من أياديك

ولوصورت نفسك لم تزدها * على ما فيك من كرم الطباع

وزمان الانس غابت عنى أسراره * وطريق المجد أظلم دونى ليله ونهاره * وانطوى عنى دجاه وضحاه * فسامرت نسره ونعائمه * ونفضت بعصا التسيار نجوده وتهائمه * وعود الهوى * قديس وذوى * وعهدى قديم بالضال *

وانى فى السبق وقد أثقلنى قيد الكلال * ولا ينكر من القرائح جمودها * ولا من نيران الذكاء خمودها * وقد غاض الكرام * وفاض اللئام * والحر لا يستعبد بغير الوداد * ولسان المرء من خدم الفؤاد * ولولا ابتسام ثغر المنى * وامتداد خط الأمل لنا * لمل كل قلب عانى * بقيات الشوق والأمانى * فقد صرفت عن كل شئ وجه ميلى * لما نفر عنى كل شئ حتى صبح ليلى * واستوحشت من كل شئ حتى ظلى * ومللت حتى الملل فقلت من لليلى ومن لى

ان دهرا يلف شملى بسعدى * لزمان يهم بالاحسان

وفى المثل أعطى العبد كراعا * فطلب ذراعا * فعسى أن تمنو بسطور * هى سلالم يترقى بها الى السرور * لازالت ترفل فى ثوب بقاء بالصحة معلم * وتقيل فى ربيع مسرة حماه عن الاكدار محترم * المنى الظلال عذب المشارب * تسطر محامده بين دفتى المشارق والمغارب * ما حن صديق الى صديق * وصرف بدراهم النجوم دينار الشمس الأنيق (والسلام) فأجاب بقوله

أسقيط طل فى حديقة آس * أم ذا حباب دار فوق الكاس
أم در ثغر الأقحوانة باسم * أم دمع طرف النرجس النعاس
أم جنة جن النسيم بحسنها * أغصانها من ذاك فى وسواس
أم هذه زهر النجوم تزينت * منها السماء هداية للناس
أم ذا هو السحر الحلال حلا أم الـ * ـعذب الزلال وكل عضو حاسى
أم رقعة رفعت لواء بيانها * فأتى البديع لها ذليل الراس
نطقت بكل فضيلة ظلت لها الأحذاق بين محقق أو خاسى
الشعر فاخر أنجم الشعرى بها * والجو قال الفضل للقرطاس
من ذا يطاولها ومطلع نورها * أفق الشهاب وظلمة الانقاس
وافت فما وفيت بعض حقوقها * الا ببذل النفس والأنفاس
طار الفؤاد لها فقال وقارها * مافى وقوفك ساعة من باس
جاءت تحدث عن محاسنك التى * شدت الى حسن الثنا مراس
أما الفصاحة صح انك قسها * بالرغم من غمر حسود قاسى
لله در عقيلة أبرزتها * عقلت ببهجتها عقول الناس

من كل بيت كاد يشبه لفظه * معناه كل دق عن احساس
شرحت لى الود القديم وذكرت * قلبا قديتك لم يكن بالناسى
ما أخطأت رشداوان تك أبطأت * خير اللقا ما كان بعد الياس
فالحب أن أرضى بما ترضى وها * حبى وحقك راسخا باساس
كن كيف شئت فشيمتى حفظ العهو * د وانى طود الوفاء الراسى
يا من زها حر القريض بلفظه * وغنى به الانشاء من افلاس
ومن استنارت منه مصر وأفقها * لما كساها الفضل خير لباس
ومن انمحى ذنب الزمان لأجله * وغدت به الأيام كالأعراس
دمت المقدم فى المجادة والاجا * دة والافادة والندى والباس
واليكها وهى الملاحة نفسها * والحسن بالأنواع والأجناس
فاذا أصاخ لها الحسود حسبته * ما بين كأس أو ظباء كناس
عذراء تبسط عذر تقصيرى ومن * داء التطاول فهى نعم الآسى
أنى لمثلى أن يجيئ بمثل ما * تأتى وأين الشمس من نبراس
اكتنها رد السلام سلكت فيـ * ـه الطول قدر زيادة استئناس
فعليك من أوفى السلام أبره * ممن بكابد بعده ويقاسى
حل المحلة جسمه والقلب فى * مصر لديك وأهله فى فاس

بعد تقبيل ثريا ذلك الثرى * الذى عبق فى الشام عنبرا * وقلد جيد الزمان دررا * لازال منبع البيان * ومنتجع الأعيان * ولا برح جوهر حصبائه يفضله العيان * على قلائد العقيان * هذا وقد وصل الى اوصل الله اليك أسباب العلا * وألبسك رائق الحلى * كتابك الخطير فى رفعة من محاسن لفظك الرائق الجلباب * المذرى برونق ريق الشباب * وبهجة من بدائع خطك المستوقف للناظر * المخجل بحسنه الوشى الفاخر * والروض الناضر * فأجنانى ثمر البر يانعا * وجلى على وجه الود أبيض ناصعا

وأرانى كيف انقياد القوافى * فى زمام البيان سمعا وطوعا

وفتح للمخاطبة بابا * طالما كنت له هيابا * ورفع حجابا * ترك القلب وجابا * مازلت أغازلها أملا * فلا أطيق لها عملا * وألاحظها أمدا * أذوب دونه كمدا

وفى تعب من يحسد الشمس نورها * ويزعم أن يأتى لها بضريب

لاجرم انه اقتضانى خالص ود * وصحيح عهد * لم يلتفت منى الى معذرة * ولم يكلأنى الى ما فى الوسع من المقدرة * وقد يعود على علمك بحر القريحة ثمدا * وحسام الذهن معضدا * فتكلفتها بحكم هذا الغرام تحت حصر * ونازح بصر * فان سمحت بالاغضاء * وسامحت فى الاقتضاء * سلمت لك اليد البيضاء * وظهرت لشكرك بالقضاء * وأما العذر الذى توخيت ولا عدمت شرحه * وجيت بقوة الكلام سرحه * فأنت غنى عن تكلفات ايضاحه * ومتى أوضاحه * فالذى يثبت فى النفوس * من الود المصون المحروس * لا يخشى عليه من تسلط الطموس والدروس * ولا أقول ان ودى لك كالتبر اذ لا يصفو مالم يشبه لهيب الجمر * ولا كالراح * حيث يفتقر فى الرقة الى مزج المساء والصباح * بل أقول ان ودى لك أبيت اللعن كالفرات العذب * يشفى غليل القلب * ويطفى لهيب الصب * يحل بالارض الميتة فيحييها * ويمر بالروضة الذابلة فيتوجها بالازهار ويحليها * وأنت أعزك الله لا تثريب عليك اذ كل يعمل على شاكلته * ويجرى فى أموره على مقتضى مرتبته * فان حنو السيد وأنت ذاك يستكثر قليله * واخلاص العبد وهوانا يستحقر كما علمت جليله * والحق أغلب * ومعرفة المرء نفسه أصوب * وان تفضلت بالاستفسار عن أحوال العبد فالحال فى خير والمآل يعلمه الله تعالى وبالجملة فسهم المصيبة ان سدده الدهر فعلى مثله وقع * والتألم بمثل هذه الحالة قد ارتفع

ولم أر مثل الصبر أما مذاقه * فحلو وأما وجهه فجميل

وكذلك كل من دعا الصبر لما شاء أجاب * وأراه من نشره الافق المنجاب * وأقامه بين مبرات وألطاف * وأعطاه مما أحب جنى قطاف * ولله در القائل

يعيش المرء ما استغنى بخير * ويبقى العود ما بقى اللحاء

وهو الدهر لا يرد عن مراده * ولا يصادر فى اصداره وايراده

فيوم علينا ويوم لنا * ويوم نساء ويوم نسر

على أن طول الغيبة ليس لشئ علم الله آثرته على لقياكم اذ أستبدله طوعا لكنه ارتكاب للأخف من الضررين * واختيار للأهون من الشرين

عسى غلطا يثنى الزمان عنانه * بدور أمور والامور تدور
فتدرك آمال وتقضى مآرب * ويحدث من بعد الامور أمور

فلذلك قنعت من البحر بالوشل * وسرحت فى رياض المنى بين عسى ولعل * فقد قيل اذا دار الفلك * فعليك أوفلك * ولله فى خلقه أمر لاتدرك العقول حكمته * وهو الذى ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته * وما اجتليته فى كتابك الخطير * وروض خطابك المطير * استدعى شيأ من نظم العبد ونثره * والتنويه بذلك من خامل ذكره * فلا عدمت منك مولى على الاحسان مثابرا * وحكيما لكسر الخاطر جابرا * مع تشتت الحال لبعد مزارك * ونأى دارى عن دارك * وأقسم انى صممت على التغافل عن الجواب * وهو الاولى بالصواب * اذ ليس بلبيب من يقيس الشبر بالباع * والجبان بالشجاع * وكيف لا وكل من تكلف فوق طاقته * افتضح لساعته * لكن عدم الامتثال محذور * والملجأ الى ما لا يطاق معذور * فتكلفت ما يعرض عليك من المسمطات سوى القصيدة المشار اليها بذكر بعضها فانها متقدمة على ورود مشرفتكم فذلك من سد الخلل * وتجاوز عن الزلل * والله يبقيك * ومن كل سوء يقيك (والسلام) قوله فى القصيدة حل المحلة الخ كقول ابن الخازن

يوما بحزوى ويوما بالعقيق ويو * ما بالعذيب ويوما بالخليصاء

(ولابى تمام)

بالشام أهلى وبغداد الهوى وأنا * بالرقتين وبالفسطاط اخوانى

(وللامير أبى فراس الحمدانى)

يا هل لصب بك قد زدته * على بلاياأسره أسرا
قد عدم الدنيا ولذاتها * لكنه ما عدم الصبرا
فهو أسير الجسم فى بلدة * وهو أسير القلب فى أخرى

ولابن عبد ربه الاندلسى صاحب العقد

الجسم فى بلد والروح فى بلد * ياوحشة الروح بل ياغربة الجسد
ان تبك عيناك يا من قد كلفت به * من رحمة فهما سهمان فى كبدى

ولابن

(ولابن الفارض)

كيف يلتذ بالحياة معنى * بين أحشائه كورى الزناد
فى قرى مصر جسمه والاصيحا * ب شآما والقلب فى بغداد

(وقلت أنا)

شتت النوم والأحبة عنى * مع تأليف أدمعى وولوعى
أنا فى بلدة وأهلى بأخرى * وحبيبى بغير تلك الربوع
فكأن الزمان منى اشترى الصفو * نقد أسأله من دموعى

وقوله فى المنثور ودى لك الخ كقول محمد بن سفيان من شعراء القلائد

كتبت وما عندى أصفى من الراح * وأضوء من سقط الزند عند الاقتداح

وقول محمد بن القاسم الوزير فى جوابه كتبت عن ود لا أقول كصفو الراح فان فيها جناحا * ولا كسقط الزند فربما كان شحاحا * ولكن أصفى من ماء الغمام * وأضوء من القمر ليلة التمام * فراجعه بقوله كتبت دام عزك عن ود كماء الورد نفعه * وعهد كصفائه صفعه * ولا أقول أصفى من ماء الغمام * فقد يكون معه الشرق * ولا أضوء من قمر التمام * فقد يدركه النقص ويمحق * وليس ما وقع فيه الاعتراض مختصا بصفو الراح * ولا بسقط الزند عند الاقتداح * فان أمور هذا العالم هذه سبيلها * وجياد الكلام تجول كيفما أرسلها مجيلها * وعلى ذكر القصة قلت

ان الصفى الذى قد كنت أعهده * عند الممات ذخر اللوداد مذ نق
وقد يغص بخير الزاد آكله * وقد يكون من الماء الزلال شرق

(وقلت أيضا)

ان كنت توجعنى باللوم فى زللى * وظلت تبرئ منى الداء بالداء
فقد يسوغ بضرب الظهر غصة من * قد استغاث فلم يجده بالماء

(فصـــــل) كنت فى عنفوان الشباب أهوى الهزل والخلاعة مع هذا الأديب لكثرة ما عنده من الاهواء فكتبت له يوما وقد رأيته يتحدث مع بعض الأحداث * ما بال مولاى مغرى بتقديم الذكور على الاناث * وهن تكا لأ نام تطلق بها حور الجنان بالثلاث * وذلك لان الرجل خير من المرأة بالاتفاق * فلذا تخلف عن الخلاق * وشق جيب الشقاق * كما قلت

أديب مال عن حب الغوانى * وبالغلمان أصبح ذا اكتراث
أقام برأى أرباب المعانى * فغلبت الذكور على الاناث

وماسواه على خلاف القياس * وان لم يخل مثله عن لبس والتباس * دائرين تحت لحاف الخطر وممن خالف المعانى * الاديب الاصفهانى * حيث قال

هاتيك حبيبتى ازدهتنى طيبا * أوسعت بها ابن هانئ تكذيبا
لو أمعنت النحاة فيها نظرا * لم تدع الى المذكر التغليبا

والتغليب باب واسع الموارد * كثير المصائد والأوابد * فلينظر الصواب * ولا يرسل البازى فى الضباب *

الوزير عبد العزيز الثعالبى الاديب

﴿الوزير عبد العزيز الثعالبى الأديب﴾ ساحر تخلب نفثاته العقول * وفاضل الايام من فضله غرر وحجول * ان ذكر رقة طبعه فما الشمال والشمول * أو شعره فما أبيات غيره الا دارسات رسوم وطلول * اذا طرز بكلامه برود المجد * تخاله ممن جاور سكان تهامة ونجد * قدت من أديم المجد خلاله * ففضح الرياض وسحر السحر أقواله * ديمة مجد أمطرت سحائبه * وسماء فضل شرف كواكبها مناقبه

شمائل لا جيب الزمان معطرا * حكاها ولا خد الشمول موردا

أطلع فى رياض المغرب وردة وسوسنه * وأصبح لتفقه مالكا فضائله فى صحف الدهر مدونة * بمثله بطون الامكان عقيمة * فلو رآه الثعالبى توج به تتمة اليتيمة * اذا جلى كواعب كلماته فضحت الكواكب نورا * واذا أنشأ عقد نثر سواه هباء منثورا * ولما قدم قسطنطينية الروم اجتمع به الافاضل * وعظمه من بها من الصدور والأماثل * فكتبت اليه مادحا * ولعذب أدبه مانحا * بقولى من قصيدة

وافت وطرف النجم مكحول الحدق * وعارض الظلماء فى خد الشفق
سكرانة الالحاظ من خمر الصبا * تعثر فى ذيل ظلام وفرق
واستعجلت فى خطوها تكاد أن * تسبق طيف آملى لها طرق
مائسة تفضح أغصان النقا * لها من الحلى ثمار وورق
فأبصرتنى للسقام لابسا * ملابسا من ونى أفكارى أدق

فابتسمت

فابتسمت فكاد من بارقها * فحم الدجا يحرقه ضوء الفلق
ما اهتز غصن البان الا فرقا * لانه لهيف القد سرق

(ومنها)

ماء الجمال فى رياض خدها * راق لنا ظمرى وورده ورق
ماذقته وماء صفوى كدر * بهجرها فكيف لى منه شرق
ورد بأفواه المنى مستعذب * كورد بحر قد نفى قذى الملق
عبد العزيز من بعز مجده * أحيا زمانا فيه للفضل رمق
روض سحاب الفضل جادنوءه * حتى زها مقتطفا ومنتشق
للفضل مالك و فى مضماره * من أشهب بقصب السبق أحق
خذها عروسا لبست ثوب البها * سعت اليك بين خب وعنق
لو صر در طرقت أسماعه * أهدى لها در الثناء فى طبق
قد وصف السحر لسان طرسها * بعارض خط على خد الورق
حتى غدا العنبر يلقى نفسه * فى النار من غيظ لديه وحنق

ومدحه صاحبنا الأديب ابو المعالى الطالوى بقصيدة أنشدنيها منها

لعبد العزيز الاوحدى الثعالبى * بدائع فاقت مبدعات الثعالبى
فما بعدها فى الدهر تلفى يتيمة * ولا قبلها وشته أقلام كاتب
سواد سطور فى بياض مهارق * وشام على خد لحسناء كاعب
والالمى وسط الشفاه يعل من * جنى النحل ممزوجا بماء المذانب
والارياض قد كستها يد الصبا * طرائف وشى من نسيج السحائب
كأن عليها عبقرى مطارف * ومن حلل الديباج وشى عصائب
فكيف ترى عين يتيمة دهرها * وأم سجاياه ولود الغرائب
فلله مولى قد شهدنا بما وشى * مكاتبة الصادين صاب وصاحب
وحكم فى نظم القريض خواطرا * أبت غير نظم النيرات الثواقب
فما شكرى القوم يوما وان شدا * بنظم القوافى عنده غير ناعب
فكم بنت فكر قد جلاها بنانه * علينا وما غير الأديب بخاطب
كأن صبا دارين فضت عشية * على عطفها المياس مسك الحقائب
ومرت بوادى الشعر مجتازة اللوى * لوى الرمل فيه البان مرخى الذوائب

تجاذب من نجد شميم عراره * فيرنولها الحوذان من لحظ غاضب
ووافت حمى الزوراء ليلا فاجلت * على الكرخ دارا بالدموع السواكب
وللمغرب الأقصى ثنت من عنانها * تؤم حمى البيضاء عزت لطالب
بحيث ترى البيت الامامى معقل * تطوف به الآمال من كل جانب
مجر العوالى السمهرية والقنا * ومجرى الجياد المقربات السلاهب
عليها أسود الانس فى يوم سلمها * وفى الحرب تلفى داميات المخالب
بها أيكلا الله الخلافة فى حمى * مليك قصى العزم دانى المواهب
حمى الملك المنصور مولاى أحمد * امام الهدى رامى العدا بالمقانب
أسود على متن السراحيب غابها * من الأسل الخطى دامى الثعالب
تلوى بأيدى الدارعين كأنها * صلال نقا مذعورة فى مسارب
ترى السرد نهيا والقتير حبابه * فتكرع فى حوض من الدم راغب
مؤيد دين الله مشتجر القنا * ومعترك الهيجا ماضى القواضب
سليل الوغى ان ينتضى يوم معرك * وفيه المنايا مزقت فى الكتائب

(ومنها)

فيا ابن الأولى هذى مناقب فخرهم * وهل بعد هذا الفخر شأو لطالب
لعندى على بعد الديار ونأيها * قلائد نظم كالنجوم الثواقب
ولكن قوافى الشعر كيف أجيدها * وفيكم أتى التنزيل يا آل طالب
وانى لأهوى أن أكون مع الصبا * رسولا الى البيضاء تقضى مآربى
لدى ملك دانى النوال وكفه * لراجيه أندى من غيوث سواكب
على كل خط من أسرة وجهه * دليل على أن الرجا غير كاذب
لسدته مأوى العفاة بعثتها * قواف عسى عنى تقوم بواجب
عليها من المدح الامامى جوهر * ترقرق ماء فى متون القواضب

وأنشدنى الفاضل عبد العزيز بقسطنطينية قصيدة منها

زجاجة الفجر أبدت خمرة الشفق * ولجة الصبح أخفت نرجس الأفق
فبات فى زهر الأقداح زهر طلا * وليس غير دخان الند من غسق
والليل قد قلد الاصباح حين بدا * كأسود لابس طوقا من الورق
وما محا الصبح نقس الليل واستترت * سوسانة الفجر بو ماوردة الشفق

لكن

لكن دم الليل لما سال عندمه * أتت لتقطعه كافورة الفلق
فى روضة أودعتها السحب سرّ شذا * فنمّ وفد الصبا عن نشره العبق
فيها الكمت كؤوس الراح معترك * وليس غير احرار الورد من علق
حيث الاسنة زرق من بنفسجه * وخضر أوراقه فيهن كالدرق
وللشقيق احمرار فى جوانبه * كأنهن جراحات على نسق
والريح فوق متون الماء طالعة * بيضا على زرد مفكوكة الحلق
والروض مثل أبى حفص وبهجته * كخلقه وشذا رياه كالخلق
نجل السرى أبى العباس من ظهرت * آيات سودده فى وجهه الطلق

وعلى منوالها قول الحلى

فيروزج الصبح أم ياقوتة الشفق * بدت فهيجت الورقاء فى الورق

وبيت الشقيق من قول القاضى عياض

انظر الى الزرع وخاماته * تحكى وقد ماست أمام الرياح
كتيبة خضراء مهزومة * شقايق النعمان فيها جراح

ولابن الزقاق الاندلسى

نثر الورد فى الغدير وقد * درّجه بالهبوب نشر الرياح
مثل درع الكمى مزقها الطعـ * ـن فسالت به دماء الجراح

(العلامة محمد كروك المغربى) عابد زاهد * فهو مشكاة نور تعلق قلبه بالمساجد * فأحاديثه مصابيح الأنوار * وذاته مشكاة العلوم والاسرار * وآثاره مشرقة بالكمال * وحماه مرتع لسوارح الطلب والآمال * تعبق أرواح العلا من حلاه النادى * وتفوح فى مجامر الذكاء الوقاد * وتبشر بالنجاح * وتنادى حىّ على خير الفلاح * مع صيت هو المسك الفتيق * والروض المثمر الأنيق * وخلق بكل ذكر جميل خليق * فلا يدركه مبار خلفه يجرى * هيهات هيهات فات ذا أثرا * وكنت وأدهم الشبيبة طرب العنان * وورقها خضر مايس الأفنان * وورقه مطوقة ببدائع الافتنان * أرود مساقط الندا * حتى علق به حبل الرجا * وأتانى ابان الطلب * أتجر فى بضاعة الأدب * فنزلت بساحته * وحططت رحلى على ماسماحته * كما قال الكندى

وحططت رحلى فى بنى ثعل * ان الكريم للكريم محلّ

(العلامة محمد كروك)

فوردت منهل افادته الصافى * وقرأت عليه علم العروض والقوافى * وهو شفاء الغليل * لاسيما فى علم الخليل * فقد تخرج به طلابه * وضربت به أوتاده وامتدت أسبابه * حتى قامت به الأدلة * وسلمت بلا فاصلة من كل علة * وجرت فى بحاره مياه الفضائل * حتى كاد أن يكذب القائل (مثل العروض له بحر بلا ماء) فكم وشى رداء الآداب ووشع * ورد شمسها من المغرب كما ردت ليوشع * ولكل عصر يوشع يرد شمس الفضل بعد الافول * وتشرق شمس العصر على القصر والطلول * يقرى وفود الطلب بيانا * ويقر عيون الأمل حسنا واحسانا * ولمق المعالى أرومة * وفى مغارس الفضل جرثومة * غذى بلبان الفضل وليدا * وعند لبيد اذا قيس بفصاحته بليدا * راق فى جيد دهره قلادة الأوصاف * وتحلت بعذب مدائحه أفواه الرواة من سائر الأطراف * حتى تهادته الدول * تهادى لذيذ الكرى للمقل * فهو أندى على الأكباد من قطر الندا * وألذ فى أفواه الأجفان من كحل الكرى

فالكون اما ناطق تعظم * حرمانه أو ناطق شبح

ثم ان الدهر اقتطف ثمرة فؤاده * وقطع فلذة كبده ببعض أولاده * فهاجر الى طيبة وقال بها فى ظلال النعيم * الى أن دعاه لجواره الملك الكريم * وكنت كتبت اليه أسليه * وأصبره فى بنيه وأعزبه

كن المعزى لا المعزى به * ان كان لابد من الواحد

لعل الله يخلف ما أخذ من بنيك ومالك * ويجعل الباقى منهم كما قيل فى المثل فتى ولا كمالك * وأنت لا تعدم أجر الصبر على كمالك * فكم نبت من غصن غصون * وطلع من حبة سنابل حباتها در مكنون * وفى الله الخلف من كل ضائع (وما المال والاهلون الاودائع) (والسلام) وكان أملى على من أشعاره * وبدائع فوائده وآثاره * ما حسدنى عليه الدهر ففرقه أيدى سبا * وهجم عليه الضياع والنسيان فنهب وسبى (وسهم الرزايا بالنفائس مولع) * (فائدة مهمة) * فى تفسير هذا المثل قال ابن خالويه فى كتاب ليس ليس أحد سمى نواة النخلة جريمة الا أوس الانصارى فى حديث له وهو أن اوسا ابن حارثة لم يكن له ولد الا مالك ولاخيه خمسة أولاد فلما حضره الموت قال له

قومه كانا أمراك بالتزوج فى شبابك فلم تفعل فقال لم يهلك هالك * ترك مالك * وان كان الخزرج ذا عدد فليس كمالك ولد * فلعل الذى استخرج النخلة من الجريمة * والنار من الوثيمة * أن يجعل لمالك نسلا * ورجالا بسلا * يامالك المنية * ولا الدنية * والعتاب * قبل العقاب * والتجلد * لا التبلد * واعلم أن القبر خير من الفقر * وشر شارب المشتف * وأقبح طاعم المقتف * وذهاب البصر * خير من كثير من النظر * ومن كرم الكريم * الدفاع عن الحريم * ومن قل ذل * ومن أمر فل * وخير الغنى القناعة * وشر الفقر الضراعة * والدهر يومان فيوم لك * ويوم عليك * وكلاهما مستحذروا فانما تغترمن ترى * ويغترك من لا ترى * ولو كان الموت يشترى لسلم منه أهل الدنيا * الشريف الابلج * واللئيم المعلهج * والموت المقيت * خير من أن يقال هبيت * وكيف السلامه * لمن ليست له اقامه * وشر من المصيبة سوء الخلق وكل مجموع الى تلف (حباك الهلك) قالوا فكان من نسل مالك بعدد الخزرج أو نحوهم * (تفسير الجريمة) التمرة تسمى بها النواة لانها منها والوثيمة حجر القداحة * وأمر يعنى كثروا الهبيت الضعيف الجبان والابلج السيد الوضاح والمعلهج المختلط النسب انتهى

(خاتمة) اعلم أنى كنت فى رحلتى متجرا فى بضائع الفوائد * مغرما بصيد الشوارد وقيد الأوابد * واستعلام خبر من لم أره من الادباء والفضلاء فسألت من لقيته من المغرب عمن قرب عهده بها من الأعيان وعن خبايا الدفائن التى ادخروها وهم أقل من القليل * والدهر حسود بخيل * فمن تعطرت بطيب أخباره * وتفكهت بباكورة ثماره * بالمغرب

حسام الدين بن أبى القاسم الدرعى المغربى

(حسام الدين بن أبى القاسم الدرعى المغربى) أديب حسام طبعه مرهف * ومشرفيه بحلى الآداب والعلم مشرف * قدره أعلى من النجوم الزاهيه * ومسك مداده يرخص شذا الغاليه * فاخرت الارض السماء بطالع شمسه * وعلم قطره به أن يومه خير من أمسه * فهو روض تقبل الارض فيه ثغور الزهور * وتطرز برود الآداب بما له من المنظوم والمنثور * أخبرنا صاحبنا محمد بن ابراهيم الفاسى لازال فى روح وريحان * ولا برح جدثه روضة من رياض الجنان * أنه أنشد لنفسه مضمنا يخاطب محمد بن يعقوب

الاندلسى

ولى صاحب قدهذبت لى يد الصفا * مودته فى غيبة وعيان
ولكن هواءى مع هواه تخالفا * تخالف رؤيا السجن للفتيان
فيهوى بنى نجد ولين خصورهم * وأهوى بنات الغور طول زمانى
يذكرنى حالى واياه قوله * رفيقك قيسى وأنت يمانى

(عبد العزيز الفشتالى) أديب عذب اللسان * ماضى شبا السنان * له دمث أخلاق وشمائل * تجرورا اهاذيول الصبا والشمائل * ألطف من وجنات ورد عذارها الآس * وأسحر من عيون الغيد اذا غازلها النعاس * ان خط زين برد البلاغة ووشاه * وتغاير على أخذ الرقة لفظه ومعناه *
فيطرب السمع لألفاظه * ويرقص القلب لمعناه
بهمة هى خدن القضا * والطف طبع ألذ من ذنب محاه الرضى * فريد همته الى هضبات الهمة ناظره * وحيد تقف دون اشتهاره الأمثال السائره * عبث بالبيان راحات فكره الساحره * فأيقظت من مهد الألفاظ عيون المعانى الفاتره * وكان قبل ما جر عليه الدهر ذيوله قام لاقباله * وقربه من الدولة العلوية الأحمدية على أمثاله * فما ارتشفه فم سمع الآذان * وروى بنميره العذب ظامئ الأذهان * قوله

حين أزمعت عند خوف البعاد * وعدتنى من الفراق العوادى
قال صحبى وقد أطلت التفاتى * أى شئ تركت قلت فؤادى

(عبد السلام بن سوسن المغربى) أديب فاس * ومسك غزلان ذلك الكناس * وريحانة أهدى نفحه خبره الى الصبا الطيب الانفاس * فلله طيب الأخبار * وما أهداه لى من المسار * من كل حديث هو لعين الفخر قرة * وفى وجه دهم الليالى غرة * ألفاظه تضحك على ثغور الأنوار * الضاحكة لبكاء الامطار * أنشدنى له بعض الأدباء

وبدر لاح من تحت السلاهم * يقول لكل قلب قد سلاهم
لئن خشنت ملابسه عليه * فقد خشنت على الورد الكمائم

السلاهم جمع سلهامة وهى بلغة أهل المغرب برنس أبيض خشن وأنشدنى عبد العزيز الثعالبى شعرا له فى القهوة منه

دع ذا وقل للناس ما طارق * يطرقهم جهرا ولا يتقى

لبس

عبد العزيز الفشتالى

عبد السلام بن سوسن المغربى

ليس له روح علـــى أنه * يركب ظهر الأدهم الأبلق
شيخ رأى آدم فى عصره * وهوالى الآن بجـد فتى
وهو بوسط البحر مع قومه * لا ينثنى عن نهجه الضيق
هذا ويمشى الارض فى ليلة * أعجب به من موثق مطلق
فتارة ينزل تحت الثرى * وتارة وسط السما يرتقى
وتارة يبصر فى مغرب * وتارة يبصر فى مشرق
وتارة تبصـــره سابحا * يجرى بشاطى البحر كالزورق
وتارة تحسبه وهو فى * ضيعته والبعض منه بقى
ذبابة من صارم مرهف * بارزة من جفنه المطبق
يدنو الى عرس بها حسنها * يختطف الأبصار بالرونق
حتى اذا جامعها يرتدى * بحلة سوداء كالمحرق
وهو على عادته دائما * يجامع الانثى ولا يلتقى
ثم يجوب القفر من أجلها * مشتملا فى مطرف أزرق
حتى اذا قابلها ثانيا * تشكه بالرمح فى المفرق
وبعد ذا تلبسه خلعة * ياحسنها فى لونها المونق
فجسمه من ذهب جامد * وجلده صيغ من الزئبق
ثم يرى فى حال اتمامه * مثل مجن المحرب الملتقى
وهو اذا أبصرته هكذا * أحسن من صاحبة المفرق

وقد نسب هذا لغيره

(السيد عبد الخالق الفاسى) أديب تجتنى منه الالباب يانع ثمراتها * وسما لم تخرج بدور كماله عن هالاتها * فرع من شجرة النبوّة * المسقية بماء الوحي والفتوّة * فعلا وسما * فأصله ثابت وفرعه فى السما * فطرازه مذهب على كم المجد * لانه من ذؤابة تنوس بين تهامة ونجد * عقد على صدر المناقب العلية * وتاج معقود براس العصابة العلوية

تولد بين المصطفى ووصيه * ولا غرو أن تزكو هناك الغرائس

شمامة فى يد الأدب * وريحانة من رياحين العرب * لم تزل سيارة المسائل تلقط أخباره * وركبان الاخبار تتزود وتمار أشعاره * فمما أنشدنى له الأديب محمد الفاسى

(السيد عبد الخالق الفاسى)

اذا ما رمت نصح الناس طرا * تحر المقبلين ذوى الاياب
فلا تسمع سوى من كان حيا * والا لا خراج على خراب

(السيد يحيى القرطبى) هو فيما بلغنى روض مخصب ربيع * من واد بالفضل مريع * من فروع الدوحة العلية العلوية * وثمرات تلك الشجرة النبوية * الباسقة بما سقاها من ماء الندا * والمورقة المثمرة بالعلم والهدى

فخار لو ان الشمس تكسى سناءه * لما غشيتها المظلمات الدوامس

أسر بالاندلس فى وقعة أمرت أفراح القلوب * وشقت قلوب المؤمنين قبل الجيوب (فأصبح فى حال تعد المنايا أمانيا) ويرى اضعف الدين الموت طبيبا شافيا * اذ عثرت خيول الفتن والنقم * بذوى المروءة والنعم * فأرسل قصيدة نعى بها الاسلام * ونادى ملوك الروم وعلماءها الاعلام * فلم يجد بها صفيا * يقول له لقد أسمعت لو ناديت حيا * وذلك فى عهد السلطان سليمان * الذى دخل فى خبر كان * وهى هذه

لكل شئ اذا ما تم نقصان * فلا يغر بطيب العيش انسان
هى الامور كما شاهدتها دول * من سره زمن ساءته أزمان
وعالم الكون لا تبقى محاسنه * ولا يدوم على حال لها شان
يمزق الدهر حتما كل سابغة * اذا نبت مشرفيات وخرصان
وينتضى كل سيف للفناء ولو * كان ابن ذى يزن والغمد غمدان
أين الملوك ذوو التيجان من يمن * وأين منهم أكاليل وتيجان
وأين ما شاده شداد من ارم * وأين ما ساسه فى الفرس ساسان
وأين ما حازه قارون من ذهب * وأين عاد وشداد وقحطان
أتى على الكل أمر لا مرد له * حتى قضوا فكأن الكل ما كانوا
وصار ما كان من ملك ومن ملك * كما حكى عن خيال الطيف وسنان
دار الزمان على دارا وقاتله * وأم كسرى فما آواه ايوان
كأنما الصعب لم يسهل له سبب * يوما ولم يملك الدنيا سليمان
فجائع الدهر أنواع منوعة * وللزمان مسرات وأحزان
وللمصائب سلوان يهونها * وما لما حل بالاسلام سلوان

دهى

(السيد يحيى القرطبى)

دهى الجزيرة خطب لاعزاء له * هوى له أحد وانهد ثهلان
أصابها العين فى الاسلام فامتحنت * حتى خلت منه أقطار وبلدان
فسل بلنسية ماشأن مرسية * وأين قرطبة أم أين جيان
وأين حمص وماتحويه من نزه * ونهرها العذب فياض وملآن
كذا طليطلة دار العلوم فكم * من فاضل قد سما فيها له شان
وأين غرناطة دار الجهاد وكم * أسد بها وهم فى الحرب عقبان
وأين حمراؤها العليا وزخرفها * كأنها من جنان الخلد عدنان
قواعد كن أركان البلاد فما * عسى البكاء اذا لم تبق أركان
والماء يجرى بساحات القصور بها * قد حف جدولها زهر وريحان
ونهرها العذب يحكى فى تسلسله * سيوف هندلها فى الجو لمعان
وأين جامعها المشهور كم تليت * فى كل وقت به آى وفرقان
وعالم كان فيه للجهول هدى * مدرس وله فى العلم تبيان
وعابد خاضع لله مبتهل * والدمع منه على الخدين طوفان
وأين مالقة مرسى المراكب كم * أرست بساحتها فلك وغربان
وكم بدا خلها من شاعر فطن * وذى فنون له حذق وتبيان
وكم بخارجها من منزه فرج * وجنة حولها نهر وبستان
وأين جارتها الزهرا وقبتها * وأين ياقوم أبطال وفرسان
وأين بسطة دار الزعفران فهل * رأى شبيها لها فى الحسن انسان
وكم شجاع زعيم فى الوغى بطل * بدا له فى العدا فتك وامعان
كم جندلت يده من كافر فغدا * تبكيه من أرضه أهل وولدان
ووادياً من غدت بالكفر عامرة * ورد توحيدها شرك وطغيان
كذا المرية دار الصالحين فكم * قطب بها علم غوث ماله شان
تبكى الحنيفية البيضاء من أسف * كما بكى لفراق الالف هيمان
حتى المحاريب تبكى وهى جامدة * حتى المنابر تبكى وهى عيدان
على ديار من الاسلام خالية * قد أقفرت ولها بالكفر عمران
حيث المساجد قد أمست كنائس ما * بهن الا نواقيس وصلبان
ياغافلا وله فى الدهر موعظة * ان كنت فى سنة فالدهر يقظان

وماشيا مرحا يلهيه موطنه * أبعد حمص تغرّ المرء أوطان
تلك المصيبة أنست ماتقدمها * ومالها مع طويل الدهر نسيان
ياراكبين عتاق الخيل ضامرة * كأنها فى مجال السبق عقبان
وحاملين سيوف الهند مرهفة * كأنها فى ظلام الليل نيران
وراتعين وراء النهر من دعة * لهم بأوطانهم عز وسلطان
أعندكم نبأ من أمر أندلس * فقد سرى بحديث القوم ركبان
كم يستغيث صناديد الرجال وهم * أسرى وقتلى فلا يهتز انسان
ماذا التقاطع فى الاسلام بينكم * وأنتم يا عباد الله اخوان
الا نفوس أبيات لها همم * أما على الخير أنصار وأعوان
يامن لنصرة قوم قسموا فرقا * سطا عليهم بها كفر وطغيان
بالامس كانوا ملوكا فى منازلهم * واليوم هم فى قيود الكفر عبدان
فلو تراهم حيارى لادليل لهم * عليهم من ثياب الذل ألوان
فلو رأيت بكاهم عند بيعهم * لهالك الامر واستهوتك أحزان
يارب طفل وأم حيل بينهما * كما تفرق أرواح وأبدان
وغادة مارأتها الشمس بارزة * كأنما هى ياقوت ومرجان
يقودها العلج عند السبى صاغرة * والعين باكية والقلب حيران
لمثل هذا يذوب القلب من كمد * ان كان فى القلب اسلام وايمان
هل للجهاد بها من طالب فلقد * تزخرفت جنة المأوى لها شان
وأشرف الحور والولدان من غرف * فازت لعمرى بهذا الخير شجعان
ثم الصلاة على المختار من مضر * ماهب ريح الصبا واهتز أغصان

(فصل) هنالك تسكب العبرات * لتطفئ نيران الحسرات * فهذه الأندلس دار الاسلام * ملكها الكفار وبدل نورها بالظلام * وجوامعها صارت كنائس * وأسودها الكلاب الكفرة فرانس * وجامع قرطبة الكبير مملوء بالكتب مسدود الباب * ومأوى للحشرات ومرقد للكلاب * وأسطول الروم ينفق عليه الاموال * فتخرج رؤساؤهم بعدد الحرب والرجال * ويأخذون الجزية من فقراء المسلمين * فاذا عادوا عدوا أنفسهم غزاة غانمين * ولولا أهل الغرب والجزائر * لم يكن للدين معين

ولا ناصر * وقد سلط الله عليهم بنى الاصفر * فصار عيشهم أسود بالموت الاحمر * وسلط على قسطنطينية دوام الطاعون الجارف * فقلوبهم راجفة وعيونهم بالدماء ذوارف * وترى حريق تلك الديار * لا يخمد فى ليل ولا نهار * لما بها من ظلمة الوزرا * وانما طغوا بعلماء سوء وقضاة عم جهلهم سائر الورى

لعمرك قد عم الحريق بلدة * بها علماء الروم فى الجهل والعمى
ومن مالك وافى رسول حريقهم * دعاهم الى نار الجحيم جهنما
فقال اقفلوها واقبضوا أجرة لها * فان هدمت يبنى بها ما تهدما
فطالبهم خزانها بوقودها * وما صرفوه فى زمان تقدما
فافتاهم المفتى بأن ضمانه * عليهم وان الغرم للبطء مغنما
ومن كثرة الدين المحيط بما لهم * أباح رشا قد كان ربى حرما

فهذه انذارات ثلاث جرت عادة الله بعدها بالخراب * واستئصال من بها باشد العذاب والعقاب * كما قال الله تعالى واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا وهذا المعنى فى الحريق ظننت انى لم أسبق اليه ثم رأيته فى شعر أبى الحسن المنجم حيث قال

أقول وقد عاينت دار ابن صورة * وللنار فيها مارج يتضرم
كذا كل مال أصله من نهاوش * فعما قليل فى نهابر يعرم
وما هو الا كافر طال حبسه * فجاءته لما استبطأته جهنم

ومثله قول الآخر فيمن انكسرت يده

قالوا فلان على ما فيه من عبر * قد أصبحت يده مذمومة الأثر
تأخر القطع عنها وهى سارقة * فجاءها الكسر يستقصى عن الخبر

وقوله يستقصى الخ فيه لطف يعرفه من له شمة من الأدب

ذكر مكة المشرفة ومن بحماها * صانها الله وحماها * وزادها تشريفا وتكريما وتعظيما

لما امتطيت مطايا الهمم * ووجهت وجه عزمى الى قبلة الأمم * ورعيت بالاحداق حدائق تلك المسارح * وقد سالت بأعناق المطى الاباطح * فى وفد ركب عزمهم غارب المسرة وامتطى * وهدتهم النجب الى أودية

يضل فيها القطا * فقطعوا مهامه واطلال * يخاف أن يسرى بها طيف الخيال * فكم لاحت جداول موارد النوق جسورها * وسارت بهم سفائن بر السراب بحورها * فكأنها أشجار * يحركها صبا الاسحار * تسقيها من السرى غمائمه * وتزهو على نور الخدود كمائمه * بليل يتعاطى فيه الركب من خمر النعاس * والحالم تذق نشأتها مراشف كأس * والشمال تحدوهم بمسكى الانفاس * والسماء حديقة نرجس بين ريحان وآس * حتى التقط كف الصباح زهور زهره * وقطفت بنفسج الظلماء راحة فجره * وورد سرحانه غدير الصباح * ونادى القمرى على منار الدوح حى على الفلاح * ولم أزل أدأب فى التسيار * الى أن نفضت عن منكب المشقة غبار الاسفار * فنزلت بجوار بيت الله الحرام * وتطيبت بمسك تراب الحطيم والمقام * وقلت

بمكة لى غناء ليس يفنى * جوار الله والبيت المعظم

فديا كيمياء سعادة قد ظفرت بها من الحجر المكرم فلما أفضت من تلك المناسك بتلك البقاع * طفت بها بل بالمسرة طواف الوداع * وخرجت من أحب البلاد * والله لايدعو الى داره الامن استخلصه من العباد

وما درى البيت انى بعد فرقته * ماسرت من حرم الا الى حرم

قاصدا طيبة المطيبة * واردا موارد آمالى المستعذبة

وقد قيل فى زرق العيون شآمة * وعندى أن اليمن فى عينها الزرقا

فكما سرى فى الصبا نسر بطاحها * وددت لو أعارتنى العقاب خفاف جناحها * الى أن لمعت أنوار الهدى * من سماء العلا وقباب الحمى

لمهبط الوحى حقا ترحل النجب * وعند هذا المرجى ينتهى الطلب

فنزلت أعتنق الارائم لما وكدت ألثم أخفاف الرواحل * اذ أوصلتنى الى أعذب المناهل * ولم أقل على قلق الوضين * أشرقى بدم الوتين

فاذا المطى بنا بلغن محمدا * فظهورهن على الرجال حرام

قربننا من خير من وطئ الثرى * فلها علينا حرمة وذمام

فحللت فى أرفع مقام * تفاخر فيه الرؤس الاقدام * وبشهد نشر المسك بفضل غباره * وتقر الجواهر بأنها دون حصاه فضلا عن أحجاره * (وفاخرت الشهب الحصى والجنادل) فلذا صح رمى الجمار * بحصباتها الصغار *

ولم يحيج بالجواهر والدرر * وماذاك الا لشرف خصه بها خالق القوى والقدر فنزهت عيون أملي في روضة ذات أنوار * وعلمت وهي من رياض الجنة انى لا أدخل بعيدها النار * وأنا الآن منتظر لألطاف ربى * وهو في كل الامور حسبي * أن يعيدنى لجواره * واجتلاء نور حبيبه ومختاره * به اليه متوسلا * وفي نيل رجاءى متوكلا لامتأ كلا * وقد تأملت دعوة أبي الانبياء ابراهيم وقوله واجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم * اذ لم يقل اجعل الناس تهوى اليهم * لان المراد أن الشوق يجذبهم اليه ويعلق مشكاة قلوبهم بسلاسل أنواره حتى يراهم بغير اختيار له متوجهين * وهم على تحمل المشاق بوعثاء السفر غير متضجرين

كأنما هو مغناطيس أنفسنا * فحيثما كان دارت نحوه الصور

ولذا جعل الطائف البيت على يساره لان القلب في جهة اليسار وقد كان قبل الوصول مائلا اليه * فلما وصل دام على ما كان عليه * كما قلت

قل لمن لام على سعي له * قصر اللوم وان شئت لم
من أتى قلبي اليه ساعيا * كيف لا يسعى اليه قدمي

* (ذكر الدولة الحسينية ومن بها من بقية العلماء والشعراء والاعيان) *

هو بيت أسست عمده على الخلافة * وقطرت من شعب شجرته مياه اللطافة * وغرست بين أثلات المجد أعواده * فاستراحت عنده الآمال وتعبت حساده * قصر معال يرد الطرف كليلا * ونسيم الشمال عليلا (أعلى الممالك ما يبنى على الاسل) فهو سور الخطوب * وخليفة أخلاق الصبا والجنوب * تقصد بتحف المدائح * فيشترونها بنقد المنائح * فعندهم محط الركبان من الاطراف * وربح الحامد متجر الاشراف * فاذا كان الدهر قاتم الأعماق مسود النواحي * فوجوههم نجومى ووضاح غررهم صباحي * فكم راضوا الزمن بعد الحران * فأصبح سهل القياد رخى العنان * تحلى بذكرهم الأفواه * ويفوح نشر الطيب خالطته الأفواه * وغررهم في جباه الليالي والايام * يعجز عن وصفها أفواه الدوى وألسنة الاقلام * في سماء معال ماء مجرتها مورود * ينبت في حافاته شقائق الشقيق متورد الخدود * فاكتحلت

بالسحر مقلة ديباجها * وقلدت بجواهر النجوم لبات لياليها * الى ان أديت امانة الملك الى

﴿أبو نمي بن بركات﴾

﴿أبي نمي بن بركات﴾ فهطلت منه على رياض الحرمين سحائب البركات * وله شعر بليغ نفحاته ذكية * وفصاحته علية علوية * كقوله في المقام اليوسفي بمصر والأداهم أحجال * والقيود كما قيل خلاخيل الرجال * وقد لمع برق الحجاز فكاد يطير شوقا لحي يحجبه النوى والحجاز

مايلمع البرق من تلقاء ديارهم * الاولى مدمع بالسفح هطال
والله لولا قيود في قوائمنا * من الجميل وفي الأعناق أغلال
لكان لي في بلاد الله متسع * وفي الملوك لبانات وآمال
لي حرمة البيت والجار القديم ومن * أتاكم وكهول الحي أطفال
أتيتكم في جلابيب الصبا قشب * فكيف أرحل عنكم وهي أسمال

وفي البيت الاخير معنى لطيف وهو كقولي

تالله مافارقت لي وطنا به * برد جررت من الشبيبة زاهي
الا لأني استحي من رده * خلقا أرقعه بعذر واهي

ومن فحول شعرائه * المقلدين جيد محبتهم بطوق ولائه

﴿شهاب الدين أحمد الفيومي﴾

﴿شهاب الدين أحمد الفيومي﴾ أديب تسق من جواهر كلامه أكاليل در ما المنظوم بها سلك * وجرت مياه البلاغة في رياض نظامه فذابت كذوب التبر أخلصه السبك * اذا امتد خطوه الى المجد وكرم الخيم * فهو أسرع من رجع يد الذئب واوسع من خطو الظليم * جمعت له الحظوظ من تلادها ووهادها * وقيدت له القلوب بازمة ودادها * وأنشده يوما قصيدة بائية امتدحه بها فلما وصل الى قوله فيها

يهتز من تحت السلاح كأنه * ريحانة لعبت بها ريح الصبا

جثى على ركبتيه ووثب * وتطاير من أحداقه شرر الغضب * وكاد أن يكلمه بألسنة السيوف * ويخلع عليه خلعة حمراء بلا ازرار وصلتها يد الحتوف * فلما قال بعده

في كل منبت شعرة من جسمه * أسد يمد الى الفريسة مخلبا

قال عفوت عما فات * اولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات * وديوان شعره مشهور * ودر براعته في نادي الأدب منثور * ولما ارتحل الى القاهره *

قال منشؤقا باتم القرى معاهده وما ثره

يارب لاوصل ولاسلوة * لازورة من طيفهم لالقا
ان لم يكن فى وصلهم مطمع * فلا تعذب مهجتى بالبقا

وله فيه مدائح عديمة الأمثال * سائرة فى الآفاق سير الأمثال * منها قصيدته التى عارض بها قصيدة صفى الدين الحلى التى مطلعها

أذاب التبر فى كأس اللجين * رشا بالراح مخضوب اليدين

(وأولها)

بدت فارتك شمس المطلعين * فتاة أسهرت بالمطل عينى

وعلى منوالها قصيدة الشهاب المنصورى أحد الشهب السبعة وأولها

بكيتك ياغزال الأجرعين * وقد بحت عليك الأجرعينى

(ومن شعره قوله مضمنا)

لقد عذلت فلان الدين حين علا * عليه عبد فقال اقلل من العذل
فان علانى من دونى فلا عجب * لى أسوة بانحطاط الشمس عن زحل

(وله أيضا)

أواخر الخمر فيها * على الأوائل فضل
تمر دورا فدورا * وكلما مر يحلو

(وله فى من اسمه حسين)

تركت جفنى واصلا والكرى * راء فجد بالوصل فالوصل زين
ولا تجبنى عن سؤالى بلا * فالقلب يخشى كرب لاياحسين

وفى قوله زين ايهام غير زين لان العامة تقول فى حروف الهجاء زين بمعنى زاى والصحيح فيها زاء بالمد والقصر ويقال زى بزنة كى كما قاله ابن جنى وأما هذه فتحريف قبيح وله أيضا

حج للبيت اختلاسا * وفسادا للأنام
مذرآه الناس قالوا * حج للبيت الحرام

(السيد حسن بن ابى نمى) ثم خلفه ابنه حسن * ومن حديث مناقبه مستفيض حسن (ومامحاسن شئ كله حسن) فقد سارت بما ثره الركبان * وتحلى بذكره كل لسان * فالحل يعرفه والحرم * والمجد ينطق بمحامده

(السيد حسن ابن أبى نمى)

والكرم

وانما المرء حديث بعده * فكن حديثا حسنا لمن وعى

فقد خفقت فى الخافقين رايات مكارمه * ونصبت على أعلام كاتها بين معالمه * وسرت سحائب كرمه ولها من غرته بريق * وتفرقت أنهار جوده فى كل فريق * حتى طفت على هضبات العذيب والعقيق * وله فصل قضاء علوى حل بين الرفق والباس * وأبس عن ادراك حدسه فيه اياس * بين حماسة وسماحه * وفصاحة وصباحه .

اذا زان قوما بالمناقب واصف * ذكرنا له فضلا يزين المناقبا

وجلالة هيبة لا تريد حاجبا * وشيم شم لو تجسمت كانت بوجه الدهر عينا وحاجبا * فكم أورد النجيع سيفه المجرد عن العلائق * وأصدره ناثرا على غدير لامته من الدماء شقائق * من فتية اذا انصلخوا بالصفاح * تهللت ضاحكة بالنجيع ثغور الجراح

حليم اذا ما الحلم فك حزامه * وقوف ولو كان الوقوف على جمر

مع محاضرات لو سمع بها الراغب سعى اليها راغبا * وأبكار أفكار لا يكافئها الا من كان بمتاع الحياة خاطبا

ماعذر من ضربت به أعراقه * حتى بلغن الى النبى محمد

أن لا يمد الى المكارم باعه * وينال غايات العلا والسودد

متخلقا حتى تكون ذيوله * أيدى الزمان عمائما للفرقد

بلغنى أن بعض بنى عمه ورد ناديه * جار الذيل التيه والحمية الهاشميه * فتصدر عليه شخص فى ذلك النادى * فتجعدت أساريره وسيف حدته من غمد التصبر بادى * فلما فطن لذلك قال انه ليقودنى زمام العجب * ويهز عطف أريحيتى ساعد الطرب * بقصيدة المتنبى التى أولها

فؤاد ما تسليه المدام * وعمر مثل ما تهب اللئام

فتسلى بذلك وتعلل * وتبسم وجه مسرته بعد القطوب وتهلل * اذ فهم تلويحه لقوله فيها

ولو كان المكان له علو * لطار الجيش وانحط القتام

وفى معناه قولى من فصل

لو كان الشرف بالمكان * ما انحطت النار وعلا الدخان * وقولى من قصيدة

لم أدر يوم الحرب هل ثار الثرى * أم خيمة نصبت عليه وقد سرى
أم ناله شرف بمس نعاله * فعلا رؤس عداه حين تكبرا
أم راح مشتكيا الى خلاقه * دوس الجياد عليه حتى ينصرا

ومما يحسن ايراده هنا قول أحمد المعرّى

قل للرئيس أبى محمد الرضى * قول امرىء أبلاه حسن بلاء
من حول بركتك البهيه سادة الـ * علماء والفضلاء والرؤساء
لو أنصفوك وهم قيام أشبهت * أشخاصهم أمثالها فى الماء

* (ومنه أخذ الارّجانى قوله) *

هذا الزمان على ما فيه من كدر * يحكى انقلاب لياليه بأهليه
غدير ماء ترأى فى أسافله * خيال قوم تمشوا فى نواحيه
فالرجل تنظر مرفوعا أسافلها * والرأس ينظر منكوسا أعاليه

وقوله على ما فيه من كدر من حشو اللوزنيج أما ترى قول المعرّى

والخل كالماء يبدى لى ضمائره * مع الصفاء ويخفيها مع الكدر

* (وأحسن من هذا كله قولى) *

خليلى ذى الدنيا الدنية لم تزل * تعادى فتى حرا شريف المناقب
أسافلها تعلوا أعاليها كما * يراه لبيب عارف بالعواقب
اذا صورت للناس معكوسة بدت * فلا تعجبن والدهر بحر العجائب

عودا الى سيرة ابن سيد الناس * الذى تسير الصبا بعبير لطفه طيبة الانفاس * كنت قبل أن تعرّى أفراس الصبا * ويتفرق شمل الايام أيدى سبا * لما أرتحلت مع والدى لذلك المعهد * لنجتلى وجه المليحة فى الخمار الاسود * رأيته وقد ابيض عنبر لمته * وثقب الشيب مغفر هامته * وقد علا هام الستين * وترقى شرف السبعين

وان امرءا قد سار سبعين حجة * الى منهل من ورده لقريب

مشمرا لمضاضها * واقفا على حياضها * بفكرة بما كانت النيران تخمد لو رزقت بعض ذكائها * وبكرهمة اذا جليت لا يعد غير المجد من أكفائها * قد قلمت يد عزائمه أظفار الخطوب * وكادت لا تطأ الحرم بغير اذنه الصبا

والجنوب * يسوق لاعدائه جنود الحتوف * ويرى وجودهم ذنبا لايعتذر عنه غير ألسنة السيوف * فكل حدث صدر منهم وحدث * لا يرفعه الا التيمم بتراب الجدث

ولى صوارمه تكذيب قولهم * فهن ألسنة أفواهها القمم

اذا تربع رأيه فى نادو احتبى * قامت بين يديه الهمم وحلت الحبى * يضطرب لهيبته اذهبت رياح النصر سمر الرماح * وسالت بسوابح الجرد وأعناق المطايا الوهاد والبطاح * وكان من سنة سلفه * ومن خلفهم من خير خلفه * أن يقدم للامامة من قدمته الايام * وفى المثل أكبر منك بيوم أعرف منك بعام * وكان يليه سناذو الرأى الصائب * أغر السعد والوجه والمناقب

﴿أخوه السيد ثقبة﴾

﴿ أخوه السيد الأجل ثقبة ﴾ من لو وجه لدر الكواكب سنان همته ثقبة * ومشكاة بصيرته مشرقة بنور اليقين * وكلامه ينثر على الفصاحة نثار الجوهر الثمين * وكل من نسله يحدث نفسه بالامامه * وأن يتلو فى صحفها آيات مجده أمامه * فنهم من جعل لذلك وسيلته * الدخول فى حواشيه ومصاهرته * ولسان حاله ينادى فيما يبدئ ويعيد * مالنا فى بناتك من حق وانك لتعلم مانريد فلما برع (حسين) وترعرع * ولبس لامة النجابة وتدرع * وهو بحر نوال أمواجه الهمم * وروض سيادة الفخر والكرم * لم يزل يرسل له هدايا وتحف * ويتضرع له بمودة بأنواع الخلوص تحف * فقال له والده يوما فى اثناء الكلام * ايذن لحسين فى أن يلى الرفادة فى هذا العام * فقال له تريد أن تضيف السباع * وهذه ضباع المنحنى جياع * فلما علم مافى هذه الكناية * صرع من النكاية * صرح اليأس بجوابه * وهجم على قلبه هم أحل تباريح الجوى به * فرجع بخفى حنين * وشاهد منه كربلاء حسين * حتى ذاق بسيف الحسرة طعم الشهاده * ولبس عليه الدهر من دياجيه حداده * فسقى قبره ريق الغوادى الباسمة البروق * وان كان فيه بحر كرم يعذب فى أفواه الأمانى ويروق

ثم نهض أخوه (مسعود) على قدمه * طالع البدر المسعود بين نجوم أتباعه وخدمه * وهو اذ ذاك فى المعرفة علم * وفى طريق المجد ثبت القلب ثابت القدم * يتبسم لغرته وجه النهار * ويناجيه السعد بما فى ضمائره من الأسرار *

وله حسنات شعر ما خط فى مجموع الدهر مثالها * ولا سجعت ورق الفصاحة بالجنة فى ذؤابة هاشمية قبلها * ومسعود لومس عودا بسعده أورق * لما جال فى بشر محياه من ماء الندا وترقرق * مع شجاعة يرتعد لها الأسد والأسل * ويعد الطعن فى الهيجاء كالقبل * كما قلت فيه

قوم غزوتهم رأيت جسومهم * مقلا لهن اشارة المتكلم
من كل مقلة طعنة نجلاء مذ * نظرت فراق الروح تبكى بالدم
رمدت فكحلها مراود سمره * من أثمد النقع المثار المظلم
وكأنما رمدت لخوف قواضب * صلت فتسجد وهى ذات تيمم

فلم يزل يخطب من المك كواعب أبكاره * حتى أدركه الغرق فى حياض ثمانه المترعة من بحار أفكاره * فأرسى بسواحل شعوب * وأنشدته الحال بلسان الخطوب (عيابه مات المحبون من قبل) فبلغ فى سفينة أمله وفاته * وسبقه الاجل كما سبق السيف العذل وفاته * فرأيت جنازته والدموع حوله طوفان * وقد أرست سفينة تابوته على جودى الفناء والأحزان * فلما بدل الأمنية بالمنيه * وسقاه الدهر كأس المنون رويه * قام مقامه

﴿أبو طالب﴾ مترشحا الأمرها * مترقبا بعد موت ثقبة لاجتلاء بدرها * وكان قبل لا يرد موردا من مناهل آماله * الا وقد غص بقذى رقبائه وعذاله

لم تردماء حسنك العين الا * شرقت قبل ريها برقيب

فأراد والده أن يقلده بصارمها * ويجعل هياكل جياده فى أجيادها مقام تمائمها * فأرسل الأمير بهرام * فرطا يستسقى له ماء المرام * وهو منتظر لها انتظار ليلة القدر * راجيا أن يحل منها محل القلب من الصدر * فنثر على ذلك الرسول * جواهر الاحسان والقبول * وأهدى له مع كتاب العهد خلعا حسان * ازهى مما توشحت به معاطف الكثبان * وألبسته عطايا الربيع قدود الاغصان * فكان كما قيل

قرت عيون المجد والفخر * بخلعة الشمس على البدر
زر عليه الملك فضفاضها * وانما زر على البحر
ما هو انعام ولكنه * ما خلع الغيث على الزهر

فافيضت عليه خلعة معلمة * وأصبحت قلائد الجود فى جيد السيادة منتظمة *

مما تقربه عين الزهرا * ويرفع الله به لآل البيت ذكرا * وأمره بالدهر عابث * وأغصان المنابر باسمه مورقة أثائث * وأمطر عليه عهاد الكرم وسميا ووليا * وتلى منشوره المعرب عن أنه أصبح لابيه وليا * فتبوأ صدر الخلافة والجلاله * وورثها عن أبيه حيا لا عن كلاله * فأقر بعهده لسانا السيف والقلم * ونودى هذا الذى تعرف البطحاء وطأته والحل والحرم * فقام فطاف بالبيت شكرا لذلك الانعام الجسيم * فكاد يمسكه عرفان راحته لما استلم الركن والحطيم * وصورة منشوره وهو مما أنشأته بأمر رئيس الكتاب * الحمد لله الذى نشر على الخافقين أعلام عدله * وزين حال الوجود بجوده وفضله * ونشكره شكرا تطوف وفود الاخلاص حول كعبته * وتقصر الفصاحة بعد التحليق فى أفق البلاغة عن أن تكون مزدلفة من شكر نعمته * وتسجد له الاقلام فى كعبة الطرس المكسو بسواد مداده * وتسعى للصفا فى مواقف اصداره وايراده * وصلات الصلاة المسكية النسيم * العنبرية الشميم * تتوالى توالى القطر المكرر على تلك الاقطار * والمثوى الذى ترابه اثمد البصائر والابصار

حيا الله يا تربة الهادى الرسول حيا * بمنطق الرعد باد من فم السحب
ضممت أعظم من يدعى بأعظم من * يسعى اليه أخو فضل ولم يخب
وحزت أوضح من يهدى وأفصح من * يبدى وأرجح من يعزى الى نسب

محمد المرسل بكتاب تمسك بأهداب سحر البلاغة والايجاز * واستوثق دون بلغاء العرب بعرى الاعجاز * فرمى قلوب المعارضين بجمراته * وكحل بصائر المطيعين بميل الهداية فأقروا ببينات آياته * وعلى آله وصحبه * وجنده وحزبه * أولياء عهده * والخلفاء من بعده * ما جردت صوارم البروق من اغماد الغمائم * وسرى نسيم نجد فابتسمت له ثغور النور فى الكمائم * هذا وقد أظهر الله عز سلطانه كنز سره المكنون * بقوله ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادى الصالحون * فعلم به سر الامر * فى قوله أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر * فانه ليس بعد النبوة والرسالة الا مراتب الصلاح * ولهذا كانت الرعايا بلا سلطان كالاجسام بلا أرواح * وما الشريعة الا روضة زاهية الثمار * متفتحة

الانوار * تجرى من تحتها الانهار * والسلطان متعهد لها بالحراسة * يحميها من كل جان بشوكة السياسة * واذا كان ظل الله فى أرضه * وشمسه المتضح بأنوار سنن سنته وفرضه * فعلى من طلعت عليه الشمس أن يجنح لظله * ويقيل فى دوحة احسانه وفضله * فانه الشمس الذى تضىء بدور الكواكب بأنواره * والبحر الذى تستمد جداول الامراء من أنهاره * والسماء الذى تنتطق الجوزاء لخدمته * ويخاف الأسد أن يمد اليها يد سطوته * والجنة التى تحت ظلال السيوف * والمتقرب اليه بمحاسن الاعمال والمستجار به من الصروف * والحرم الذى يأمن فيه الخائف * وكعبة اللطائف البادية لكل طائف * والربيع الذى اعتدلت أيامه بالعدالة * فصدحت حمائم الثناء على أغصانه الميادة المياسة

وتهتز أعواد المنابر باسمه * فهل ذكرت أيامها وهى أغصان

ومما ينبغى أن يرسم فى صحائف الافكار * ويجعل طرازا على كعبة المحاسن والآثار * انه من أهم ما يهتم به من جعل الحجى زيه * خدمة طيبة الطيبة ومكة المشرف بها سائر الاقطار الحجازية * معدن جوهر النبوة * ومهبط آيات الوحى المتلوة * ومشرق شموس الأنوار المحمدية * ومظهر الآثار العلوية العلية * ومثوى من شرف الله به نوع الانسان * والانموذج الذى صاغه الله تمثالا للجنان * كما ورد فى السنة * ما بين قبرى ومنبرى روضة من رياض الجنة * وكذلك أول بيت وضع للناس * وأسس على التقوى منه الاساس

كأنما هو مغناطيس أنفسنا * فحيثما كان دارت نحوه الصور

وكان أولى ما يقلده الانسان * عقود جواهر الاحسان * ويجتهد فى تقليده * وتأييد تأييده * ويتوجه بتاج التكريم * ويعممه بحلل التبجيل والتعظيم * ويجزل الصلة لجنابه الموصول * ويضمر له فى القلوب القبول * بدور فلك السعادة * وصدور مسند السيادة * السادة الاجلاء الاشراف * فخر آل عبد مناف * وكيف لا يزداد ون حبا * بعد قوله قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى

كل من لم يرفرضا حبهم * فهو فى النار وان صلى وصاما

وبالجملة فان مادحهم كمن قال للاسد ما أشد شجاعتك * وللبحر المحيط ما أوسع ساحتك * لاسيما طود المجد الشامخ المنيف * المرفوع عليه علم العز

والنسب الشريف * تاج هامة بنى الحسن والحسين الجناب العالى * مغرس ثمرات المعانى والمعالى * العريق الحسيب * الأصيل النسيب * ذخر الانام * فخر الليالى والايام * زهرة الشجرة العلوية * فرع الدوحة النبوية

اذا وجهه أورأيه أوفعاله * تبلجن فى ليل تجلت غياهبه

صارم الخليفة المغمد فى رقاب أعدائه * ورحمته الممطرة درر سحابها على أوليائه * الحسن الذات والصفات

أبو المحاسن حسن بن أبى نمى بن بركات

(أبو المحاسن حسن بن أبى نمى بن بركات) أيده الله بنصر لايبلى جديده * ولاتنتثر بيد الحوادث عقوده * آمين وقد ورد من جنابه رسول * تلقاه من سدتنا نسيم القبول * اذ جاب الفيافى من حزنها وسهلها * وأدى الأمانات الى أهلها * وكان كالميل سلك بين الجفون فأجاد * ومتع العيون باثمد الصلاح والسداد * ومعه منشور أرق من نسيم السحر * معرب عن العين بالأثر * فأخبر أن مرسله أراد الفراغ * وما على الرسول الا البلاغ * وتضمن منشوره المذكور انه أراد الاستراحة من نصب المناصب * والتقاعد عما بها من المراتب * رغبة عن زخرف الحياة * الى خدمة سيده ومولاه * وان نجله النجيب الجليل * الحسيب الاصيل * الناشئ فى حجر الشرف الباهر * المستخرج من أكرم العناصر * ليث غابة بيض الصفاح * وسمر العسالة الرماح * عليه أمارة الامارة * ومخايل النجابة والصدارة

بلغ السيادة فى ابتداء شبابه * ان الشباب مطية للسودد

سأل أن يقلده صارم امارة تلك الديار * ومايتبعها من البلدان والاقطار * على ماجرت عليه عادة سلفه الذى سلف * وقانون من خلفهم من الخلف * فأجبناه الى مرامه ومراده * وأمددناه باسعافه واسعاده * لانه انما نزع صارمها من يده الاخرى * وجعل خاتمها بعد اليمنى فى يسار اليسرى * فسارت الامارة من حرم الى حرم * ولم تخرج من جيران نجد وذى سلم * فعليه بعدما خلعنا عليه حللا أنيق واشيها * ورقت على نسيج وحده حواشيها * ونظرنا اليه بنظرنا الذى هو اكسير * أن يحسن فى العمل والتدبير * وينظر الى الرعايا بعين الرعاية * ويصونهم عن أهل

الضلالة والغواية * ويؤمن تلك المناسك * ويحرس تلك المسالك *
ويختار من قومه من يحرس أطرافها من العدا * ويحميها من كل قاصر
فى فعله اعتدى * ويبطل مافيها من المكوس والمظالم * ويقيم الحدود
على مستحقيها من كل باغ وظالم * ليخلد فى صحائف تلك البلاد الحسنات *
ويمحو مافيها من آثار السيئات * وتصرف فى بندر جدة على العهد القديم
* ومن جاور ذلك المقام فليسعفه بالنعيم المقيم * ومن يرد فيه بالحاد
بظلم نذقه من عذاب أليم * ويحرس الوافدين الى ذلك البلد الامين *
لاقامة شعائر الدين * ويحمى بحمايته من ورد أو صدر * ويحرس
مواردهم الصافية من الكدر * ويلاحظ ماللخليل عليه الصلاة والسلام
من صالح الدعوات * فى قوله رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من
الثمرات * ثم ليعلم كل من كحل بصره بإثمد منشورنا الكريم * وشنف
مسامعه بلآلئ لفظه النظيم * ممن فى دارة تلك الديار * أوهالة تلك
الاقطار * وانتظم فى سلك سكان القرى والامصار * من السادات الكرام *
والقضاة والحكام * وولاة الامور والاعيان * والوافدين على تلك الديار
والسكان * أن امارة تلك المعاهد وما فيها من العساكر * وما
أحاطت به من الاصاغر والاكابر * وسائر الوظائف والمناصب * والجهات
والمراتب * مفوضة الى السيد السند أبى طالب * ناظرا بعين الانصاف *
متجنبا سبيل الاعتساف * مصرفا جميع المستحقين بحسن التصريف *
صارفا من لا يستحق برأيه الشريف * وقد أقمناه مقام نفسنا فى ذلك المقام *
وفوضنا اليه النقض والابرام * والعلامة السلطانية حجة لما فيه مرقوم *
محققة لما فيه من منطوق ومفهوم * فليتحقق من وقف على هذا الخطاب *
ومن عنده علم من الكتاب * من أهل مكة زادها الله شرفا وما فى جوارها *
وطيبة الطيبة طيب الله ثراها وسائر أقطارها * وبقية الثغور * الباسمة
لدولتنا بمباسم السرور * من حاضرها وباديها * أنا أعطينا القوس باريها

فلم تك تصلح الا له * ولم يك يصلح الا لها

سدد الله سهام رأيه فى اغراض الصواب * وفتح له بمفاتيح اليسر كل مغلق من
الابواب * ما سقطت من كف الثريا الخواتم * ورقت على منابر
الاغصان خطباء الحمائم (والسلام) واذ انتهينا الى هذا المقام * فاصغ

لما نقصه عليك من عجائب الأيام * فان الصدور لابد له من نفثه * ومن جهده المسير يطلب على الطريق مكثه * فاعلم انا رأينا كل ملك له مبتدأ تظهر فائدته وعائدته فى خبره * وانتهاء يقف السعد بعد وروده عند صدر صدره * ثم يرجع ما جرى الى قراره * فينذر الاقبال بادباره * ويعود تدميره فى تدبيره * ويقدر صانع القدر أديمه على مقدار تقديره * والى الله ترجع الامور * وعلى بحور الارادة يجرى الفلك ويدور * وقد تظهر قبل آخره فيه قوة * فيظهر فرعون طغيانه وعتوه * وللشمس زوال اذا ارتفعت * وللثمرة سقوط اذا ازهت وأينعت * وقد يزيد قبل الانطفاء نور المصباح * ويحصل للمريض افاقة يسمع بعدها الصياح * وتسمى هذه الاطباء النعشة الاخيرة فكم من نعشة تقرب من السقيم نعشه * وهذا فى غير الخلافة النبويه * فانها بالحى الذى لا يموت محميه * وقد كان انتهاء صعود الشرف فى الحجاز بالسيد حسن وفى المغرب بمولاى أحمد وفى الروم بالسلطان مراد * ونحن الآن لا ندرى ما يريد ولا ما يراد * فقد ذهب سليمان وانحلت الشياطين * ووقف الرجاء على شفا جرف هار بين قوم مجانين * فالجواد دون الحمار المصرى * وأبو جهل وعظ الحسن البصرى

فقل بعده للدهر يأتى بصرفه * وقل لليالى افعلى ما بدالك

وقلت

قد جن شيخى وفى الامثال من قدم * ان الشباب جنون برؤه كبره
يا رب فاعقد بقولنج له دبرا * حتى يعود عليه بعد ذا ضرره

قطب الدين المكى النهراونى أصلا ومحتدا

* (قطب الدين المكى النهراونى أصلا ومحتدا) * قطب مركز دائرة تلك الاقطار * والصدر المستودع لما فيها من الاسرار * وهو فاضل جرى فى بساتين فضله جداول الآداب * وتمسك الشعر منه بأعظم الاسباب * توقف دون مداه ضده وحسوده * ومن قيده الكلال لا تنفك قيوده *

فذلك كن جارى جوادا بعقرف * قوائمه مشكولة بجران

فسماء مجده مطلعة لكواكب شعره * وزهرة عمره سقيت بماء سروره وبشره * تنقطع عند كرمه الآمال وتعجز الامانى * ويقصر سلك الالفاظ عن نظم ما فيه من درر المعانى * وتقبل أفواه الاقلام لمى مداده * وتهيم سويداء كل لبيب فى سواده * وتنفتح عيون الانوار لتشاهد ساطع أنواره * وتترنم حمائم الحرم

باسجاعه وأشعاره * ويهب نسيم نجد لشغفه برقته عليلا * ويجرّ على ثراه تيها بعضاهاته له ذيلا بليلا * لتغذيه بلبان فصاحة نجد وذى سلم * واقتناصه أوابد المعارف بها فاعجب لمن حل له الصيد فى الحرم * وقد شحذ مرهف طبعه بيد الكمال * وسن أسنة لسانه فانجلى به فرند نحره الهلال * حتى تفيأت فتوى تلك الاقطار ظلال براعته * وسالت مسائل المسائل فى جياد يراعته * فكان قطب تلك الدائرة * وعليه مدار فلك الفضل وبه الأمثال سائرة * فعوّل امورها عليه * ومنه صرف وجوه الاقبال اليه * حتى أصبح عاطل حاله حاليا * ومرتفع حظه عن وهاد الخمول عاليا * فلا يرد مكة أحد من أهل العلم والصلاح * الا فيأه ظلال الكرم والسماح * وهز عطف أمله بنشوة الارتياح * الى أن تعدّى الأجل * من القطب دائرة الأمل * فدارت عليه رحى المنون * وطحنت دقيق أفكاره السنون * فدعاه الله لجوار الجنان * وتلقاه جدثه بروح رحمة وريحان * وطافت بمثواه وفود الغفران * وقد نعاه الفضل والكرم * وناحت لفراقه حمائم الحرم

حمائم ابلت فى الحنين لباسها * فلم يبق منها غير طوق بجيدها

فمما تهادته الركبان من شوارده * وعلق فى كعبة الفصاحة من تحفه وقصائده * قوله

أقبل كالغصن حين يهتز * فى حلل دون لطفها الخز
مهفهف القد ذو محيا * بعارض الخد قد تطرز
دار بخديه واو صدغ * والصاد من لحظه تلوز
الخمر والجمر فى لماه * وخده ظاهر وملغز
يشكو له الخصر جور ردف * أزعجه حمله وأعجز
طلبت منه شفاء سقمى * فقال لحظى لذاك أعوز
قد غفر الله ذنب دهر * لمثل هذا المليح أبرز
جز فؤادى بسيف لحظ * أواه لو دام ذلك الجز
أفديه من أغيد مليح * بالحسن فى عصره تميز
كان نديمى فذرانى * أسيره فى الهوى تعزز
حرم من وصله مباحا * لما أحل القلى وجوز

ياقلب لاتسل عن هواه * واثبت وكن فى الغرام مركز

(وقلت فى عروضه)

من علم الغصن حين يهتز * ميل قدود تميل فى الخز
غيد رماح القدود منها * ليست بغير الفؤاد تركز
وان يكن هزها دلالا * ليس لغير الطعان ذا الهز
كم وعدت بالوصال مضى * وعوده بالمطال تنجز
وما حسود اذا توارى * تراه من غيظه تميز
فى السنى القوام لين * بعطفة الصدغ ليس تهمز
خطابه بطرب الأمانى * ولو يهزو على تطنز
وشتمه كالمديح يطرى * ومسهب القول منه موجز
كم لحظة منه لى يطرف * فيها رضاه على تملغز
له محيا بديع حسن * فيه جميع الجمال يكنز
ولى به مطلب مصون * بقفل صدغ له مرزز
لولم يكن حبه بقلبى * ما كان بين الضلوع يحرز
قضيب اس على كثيب * أزعجه ردفه وأعجز
كأنما خصره خفاء * معنى له ذوا الجمال الغز
جل الاله البديع صنعا * ومن لهذا المليح أبرز
فاغنم زمان السرور واطرب * فرصة العمر فيه تنهز
وانظر بساط الربيع يدعو * لصفو عيش عليه قد عز
مهده لاجتماع شمل * مشنت برده مطرز
تنحر فيه الزقاق نحرا * طبق فيه مفاصل الحز
والورق فى روضه تنادى * من ذل فى الحب فهو قد عز
كذاك قد ذل فى الورى من * بغير رب له تعزز
كطالب الصوف من لئيم * وهو لجرب الكلاب قد جز
وكان من عز بز قدما * واليوم من بزه وقد عز
وهذه حلة ترقت * من نسج بردبروق أوقز
لها على القطب دائرات * أضحى لها فى الحضيض مركز

وله فى الوزير سنان لما فتح اليمن

لك الحمد يا مولاى فى السر والجهر * على عزة الاسلام والفتح والنصر
كذا فليكن فتح البلاد اذا سعت * له الهمم العليا الى شرف الذكر
جنود رمت من كوكبان خيامها * وآخرها بالنيل من شاطئى مصر
تجرّ من الابطال كل غضنفر * بصارمه يسطو على مفرق الدهر
عساكر سلطان الزمان مليكنا * خليفة هذا العصر فى البر والبحر
حمى حوزة الدين الحنيفى بالقنا * وبيض المواضى والمثقفة السمر

(منها)

وحين أتاه أن قد اختل جلبنا * من اليمن الاقصى أصر على القهر
وساق لها جيشا خميسا عرمرما * يدك فجاج الارض فى السهل والوعر
لدى أسد شاكى السلاح عرينه * طوال الرماح السمهرية والبتر
وزير عظيم الشان ثاقب رأيه * يجهز فى آن جيوشا من الفكر

(ومنها)

سنان عزيز القدر يوسف عصره * ألم تره فى مصر أحكامه تجرى

(ومنها)

وهل تطمع الاعداء فى ملك تبع * وتأخذه من آل عثمان بالمكر
أبى الله والاسلام والسيف والقنا * وسر أمير المؤمنين أبى بكر

ومن مشهور شعره قوله

الدن لى والكاس والقرقف * وللفقيه الكتب والمصحف
ان كان ما تعجبه قسمتى * فليقتسمها مثل ما يعرف
كم يزدرى الكاس ويهزوبها * يخشى على هذا الفتى يقصف
يسب شراب الطلا عامدا * أليس فى الحكام من ينصف
فأترع الكأس على غيظه * وعاطنيها أيها الأهيف
وقل هو القطب بحر الهوى * قد عام والله به يلطف

(وله أيضا)

أحبة قلبى أنتم قد وردتم * معى منهل اللذات وهو غدير
ووالله ما استغنيت عنكم بغيركم * وانى اليكم ما حييت فقير

(وله أيضا)

أحسن من غفلة الرقيب * ولحظة الوعد من حبيب
وقبلة كانت اختلاسا * فى وجنتى شادن ربيب
كتب أديب الى محب * طالت به مدة المغيب
تترك من سطرت اليه * أهيم من عاشق طروب

(وله أيضا)

بدا عرق فى خده فسألته * اذا ما تبدى قال لى وهو يمزح
الان ماء الورد خدى اناؤه * وكل اناء بالذى فيه ينضح

وهذا مثل أورده الميدانى فى أمثاله ولم يزد فيه على قوله كل اناء يرشح بما فيه ويروى ينضح بما فيه أى يتحلب انتهى وقد سبقه الى هذا مجير الدين بن تميم كما وقفت عليه فى ديوانه بقوله

سقى الله روضا قد تبدى لناظرى * به رشأ كالغصن يلهو ويمرح
وقد نضحت خداه من ماء ورده * وكل اناء بالذى فيه ينضح

وعن الشيخ نصر الله بن مجلى انه رأى فى المنام سيدنا أمير المؤمنين عليا بن أبى طالب كرم الله وجهه فقال له يا أمير المؤمنين تفتحون مكة وتقولون من دخل دار أبى سفيان فهو آمن وقد تم على ولدك الحسين منهم ما تم فقال له أما سمعت أبيات ابن الصيفى يعنى به الحيص بيص فقال لا قال اسمعها منه فلما انتبه ذهب الى داره وذكر له ما رأى فى منامه فبكى وحلف انه نظمها فى هذه الليلة ولم يقف عليها سواه وهى هذه وأنشدها له

ملكنا فكان العفو منا سجية * فلما ملكتم سال بالدم أبطح
وحللتم قتل الأسارى وطالما * غدونا على الاسرى نمن ونصفح
وحسبكم هذا التفاوت بيننا * وكل اناء بالذى فيه ينضح

وقد سبقهم الى هذا أبو الفتح كشاجم فقال

ومستهجن مدحى له ان تكونت * لنا عقدة الاخلاص والحر يمدح
ويأبى الذى فى القلب الا تبينا * وكل اناء بالذى فيه ينضح

(وقلت فى الهجاء)

فتى كان من قبل الشباب مؤاجرا * وقد لاط كهلا وهو تيس سينطح

يبيع برأس المال فى السوق ما اشترى * وكل اناء بالذى فيه يرشح

وهذا المثل لم أر من شرح مورده ومضربه وهو يحتمل معنيين أحدهما وهو الظاهر المتبادر أن كل أحد يلوح على ظاهره مافى باطنه وان أخفاه كما قيل من أسر سريرة ردأه الله بردائها والثانى أن كل أحد يجازى من جنس عمله وهو الذى قصده الحيص بيص وقد قلت فى بعض الفصول وكل عداوة تزول الاعداوة الحسد * وكل زارع لمازرع حصد * وبيضة ابن دأية النعاب * وان جثا عليها طاوس عدن لاتفرخ الا الغراب * وان كان عشه فى سدرة المنتهى * وقد غذيتها من ثمار الجنة ومنتها * وفى صحيح الخبر الناس مجزيون بأعمالهم ان خيرا فخير * وان شرا فشر * وقد قيل من قال خيرا فله ومن يقل شرا فشر وقال قطرى الخارجى متمثلا قيل للعقرب أنت محبوسة فى الشتاء أفلا تخرجين لمشارق الشمس بالغدوات كما تخرج الناس فقالت ما أحسن أيادى عندهم فى الصيف حتى آنس بهم فى الشتاء ولله در أبى القاسم الدبوسى فى قوله

أقول بنصح يا ابن ادم لاتسم * عن الخير مهما دمت انك عادم
وان الذى لم يصنع العرف فى غنى * اذا ماعلاه الفقر لاشك نادم
فقدم صنيعا عند يسرك واغتنم * فأنت عليه عند عسرك قادم

جمال الدين بن صدر الدين بن عصام الدين العلامة الاسفراينى

(جمال الدين بن صدر الدين بن عصام الدين العلامة الاسفراينى) فاضل نشأ بمكة بين تهامة ونجد * وربى فى حجر المعالى والمجد * ففاق طبعه رقة وطيبا نسيم النرجس والورد * وخلعت عليه الأيام جمالها * وأفاض الله عليه فضلها وافضالها * والله جميل يحب الجمال * والدهر قد يسعفه وان كان عدوا لأهل الكمال * فحاز كرما ومجدا * وفاح عنبرا وندا

عطاء ولامن وحكم ولاهوى * وحلم ولا عجز وعز ولا كبر

وهو فى الفضل عصامى عريق * وله عذب مشرب نشأ بين العذيب والعقيق * وأنا وان لم أره فقد صاحبت أخاه عليا * ورأيته وقد رفعه الله مكانا عليا * ففزت بصحبته * وقد طافت وفود الآمال حول كعبته

جمال ذى الارض كانوا فى الحياة وهم * بعد الممات جمال الكتب والسير

(فمن شعره قوله)

فنجان قهوة ذا المليح وعينه السكحلاء حارت فيهما الألباب
فسوادها كسوادها وبياضها * كبياضها ودخانها الأهداب
قال ابو منصور الجواليقى فى كتاب المعرب الفنجان معرب وصوابه فنجانة وفيه نظر وتشبيه الدخان بالأهداب تشبيه بديع ومثله فى الحسن قول الصنوبرى

مجمرة طاف بها الغلمان * أبدع فى صنعتها الزمان
كأنها فيما حكى العيان * فوارة وماؤها دخان
فى بركة حصباؤها نيران * اذا تبدت حزن الريحان
وسرت الجيوب والاردان

وقلت فيها من أرجوزة أيضا

لله ما أحسنها من مجمرة * أنفاسها طيبة معطرة
كأنها وريحها طياب * نرجسة من فوقها ضباب

وعلى ذكر الأهداب انظر حسن قولى فى مليح لبس فروة سمور

وظبى من السمور ألبس فروة * وماس كما هزت صبا سحرة سروا
كأن عيون الناس من دهشة به * تخلف أهدابا فتحسبها فروا

ولشيخنا العنايانى من قصيدة

قهوة لاصداع فيها نعم فيـ * ـها مزيل من الصداع مريح
صين فى الصين مسكها فحكاها * لعس فى بياض ثغر يلوح
ليل وصل فى صبح لقيا حبيب * طاب منها غبوقها والصبوح

وللاستاذ محمد البكرى أو لمحمد ماماى المعروف بالرومى

أنا المعشوقة السمرا * وأجلى فى الفناجين
وعود الهند لى طيب * وذكرى شاع فى الصين

وكتب جمال الدين للقطب المكى يهنيه بشهر رمضان

ياشيخ أهل العلم فى أم القرى * رمضان هل ببهجة لم توصف
فتهن وحدك ان ذاتك أصبحت * هى أشرف فى أشرف فى أشرف

(فأجاب وأجاد وأجاز)

ياواحد الفضلاء أنت جمالنا * فتهن بالشهر الشريف الأشرف

شعر بشعر لاربا فيه وان * زاد العيار فوزن هذا الأشرفى
الأشرفى فى العرف بمعنى الدينار نسبة للملك الأشرف وتوحيده جرته
القافية ولابن القاسم وقد مدح من أجابه وأجازه

ولما مدحت الهبرزى بن أحمد * أجاز وكافانى على المدح بالمدح
فعوضنى شعرا بشعر وزادنى * عطاء فهذا رأس مالى وذا ربحى
لفظت ملوك الأرض حتى لقيته * فكنت كمن شق الظلام الى الصبح

وهذا من قول ابن سنان الخفاجى

طويت اليك الباخلين كأننى * سريت الى شمس الضحى فى الغياهب

ومما يشبه هذا قول الببغاء

زمن الورد أشرف الازمان * وأوان الربيع خير أوان
أدرك النرجس الجنى وفزنا * منهما بالخدود والأجفان
أشرف الزهر زار فى أشرف الدهـ * ـر فصل فيه أشرف الخلان

ومدح البحترى طاهر بن اسماعيل الهاشمى فبعث له بدنانير وكتب معها

لو يكون الحباء حسب الذى أنـ * ـت لدينا له محل وأهل
لحثيت اللجين والدر واليا * قوت حثوا وكان ذاك يقل
والشريف الظريف يسمح بالعذ * ر اذا قصر الصديق المقل

فردها وكتب له

بأبى أنت أنت للبر أهل * والمساعى بعد وسعيك قبل
والنوال القليل يكثر ان شا * م رجيك والكثير يقل
غير انى وددت برك اذ كا * ن ربا منك والربا لا يحل
واذا ما جزيت شعرا بشعر * بلغ الحق والدنانير فضل

ومثله قول أبى القاسم الداودى

ربما قصر الصديق المقل * عن حقوق بهن لا يستقل
ولئن قل نائل فصفاه * فى وداد ونية لا يقل
أرخ سترا على حقارة برى * هتك بر الصديق ليس يحل

ولنورد هنا ما بالشعر وما قيل فيه فان الحديث شجون وقد قال الصنوبرى

لست أستحسن الربا فى سوى الود فاجزى مثلا بمثل وأضعف

ولما هنأ الشعراء ابن طاهر بولاية خراسان وأنشده تمام بن أبي تمام

هناك رب العرش هناكا * ما من جزيل الملك أعطاكا
قرت بما أعطيت ياذا الحجا * والباس والانعام عيناكا
أشرقت الارض بما نلته * وأورق العود بجدواكا

استضعف الحاضرون شعره وقالوا ما أبعد ما بينه وبين أبيه فأجابه بعضهم بقوله

حياك رب الناس حياكا * ان الذى أملت أخطاكا
مدحت خدنا متهما ماله * ولو رأى مدحا لواساكا
فهاك ان شئت بها مدحة * مثل الذى أعطيت أعطاكا

فقال أعز الله الامير الشعر بالشعر ربا فاجعل بينهما شيأ من الدراهم حتى يحل فضحك وقال ان لم يكن معه شعر أبيه فمعه ظرفه وأجزل جائزته وقال السراج الوراق

وعوضنى على شعرى بشعر * وجازى بالمحال على المحال
ولست ألومه فيما أتاه * لعادته قديما بالبدال

وكتب دعبل لابى دلف وقد انقطع عنه

هجرتك لم أهجرك كفران نعمة * وهل يرتجى نيل الزيادة بالكفر
ولكننى لما أتيتك زائرا * فأفرطت فى برى عجزت عن الشكر
فان زدتنى برا تزايدت جفوة * فلا نلتقى طول الحياة الى الحشر

فوجه له ألف دينار مع رقعة فيها

ألا رب ضيف زائر قد بسطته * وآنسته قبل الضيافة بالبشر
أتانى بترحيب فحال بينه * وبين القرى والبشر من نائل نزر
رأيت له فضلا على بقصده * الى أن يرانى موضع الحمد والشكر
فزودته مالا يقل بقاؤه * وزودنى حمدا يدوم على الدهر

فرد دعبل الالف وقال الشعر بالشعر والبر ربا ومثل قول دعبل لابى العلاء المعرى

لو اختصرتم من الاحسان زرتكم * فالعذب يهجر للافراط فى الخصر

وكنت كتبت لبعض الناس شعرا فأجاب عنه بشعر فكتبت له

فديتك

فديتك قد بعثت الشعر درا * نفيسا عقده من الرقاب
فجئت بمثله من غير وزن * يعفر في الوجوه ولا يحابي
عملت بسنة اختار لما * منت به سريعا في جوابي
وقلت بلا ربا وفيت مدحا * بمدح منك صرت به ترابي

(أخوه على العصامى)

(أخوه على العصامى) كعبة المعالى * ومن به حال الكمال حالى * لا عيب فيه الا أن لفظه عطل الياقوت والدر * ولا عيب فى نداه الا أنه يستعبد كل حر * فهو غرة الجمال * وصورة الكمال * اذا نطق فما الروض زاره الحيا * واذا تهلل فما النهر حياه برق السما * ولعمرى ان جده * أسعد الله بجمع شمل الفضائل جده

نفس عصام سودت عصاما * وعلمته الكر والاقداما

وهذا الحفيد * عقد المناصب به نضيد * لم يفتخر بآبائه * ولم يتبهج بنضارة أصله ونمائه * لما اعتصم بعروة الفضل الوثقى * وصعد الى ربوة المجد وترقى * وقال أنا عصامى لا عظامى * وان كنت لذمار مآثرى حامى * فألف وصنف * ونوع قرى الاسماع واتحف * وأفاد الطلاب * وحل باسنان قلمه عقد المشكلات الصعاب * وأقام فى جوار بيت الله وحماه * معتزلا عن الناس ولا بدع أن يعتزل جار الله * وكان ممن ورى به زنادى * وروى من ورده فؤادى * وسعرت بالاستفادة نارى * وفك عن ربقه الجهل بفضله اسارى * ولم يزل يرسل الى وفود أخباره * ويهدى نسيم نجد الى نفحات آثاره * الى ان صم الخبر * وعمى قائد الأثر * وبينى وبينه مكاتبات منها ما كتبته اليه مع سمك * مولاى أطال الله بقاك * ورفعك على هام السماك * أنهى اليك * ناثر اللآلئ المعذرة بين يديك * انى زورت الصبر أخاك * ويد الرجاء مدت لما بهتت عيون الشباك * فأهدى الى من المسرة * ما كدت معه اصطاد حوت السماك بشباك المجرة * وأرسل لزيارتى أمواجه * فأنسانى الدهر وخطبه فلا أدرى أأعرض عنى أم واجه * وأهدى الى حيتانا كأنها خناجر * قطعت من الجوع العلاصم والخناصر * فصير جيد أمالى حاليا * وأذكرنى وما كنت ناسيا * بحر عطائك وهو أكبر * ولكن الشئ بالشئ يذكر *

فارسلت وان كنت كمن أهدى للجنان غض الزهر * وأرسل الشمع للشمس والقمر لهجر

أرسلت أسماكالى * من مجده حل الفلك
أرأيت قبلى مهديا * أهدى الى البحر السمك

وذكر مرة فى درسه قول الرئيس ابن سينا فى بعض كتبه حديث ان الحكمة لتنزل من السماء فلا تدخل قلبا فيه هم الغد فقلت انه لم يسنده وهو بكلام النبوة أشبه وقد نظمته فقلت

من يترك الدنيا يد أهلها * ويقتطف زهرتها باليد
لا تسكن التقوى ولا حكمة * منزل قلب فيه هم الغد

وللامام الشافعى رضى الله عنه قريب منه

كم ضاحك والمنايا فوق هامته * لو كان يعلم غيبا مات من كمد
من كان لم يؤت علما فى بقاء غد * ماذا تفكره فى رزق بعد غد

(أحمد المدنى المعروف باليتيم مصغرا) در فى حقاق الدهر يتيم * ودوحة أدب هزها مرور النسيم * بعذب طبع سلسل * وبرد فصاحة على الشعر مهلهل * اذا نسج حلله على منوالها فهو من الطراز الاول * فهو توءم نسيم السحر * وشقيق الماء والزهر * وربيب الحسن سقاه ماء الصبا * وخدن الخمائل قدم عليها رسول الصبا * مع خلاعة ومجون * وحديث صبابة كلها شجون * فى فتية ينظمهم الطرب * نظما يرقص له الحبب لا يجمعون على غير الحرام اذا * تجمعوا كحباب الراح وانتظموا فمن دره اليتيم * وعقده النظيم

لله محكم قهوة بجلى لنا * فى أبيض الصينى طاب شرابها
فكأنما هى مقلة مكحولة * ودخانها من فوقها أهدابها

(ونحوه ماقلته)

زرت روض الحمى الأريض سحيرا * اذ دعانى اليه سجع الطيور
وكأن الشقيق تحت ضباب * مجمر فوقه بخار البخور

وقد مر قريبا نحوه

(سراج الدين بن عمر الاشهل المدنى) سراج وهاج أشرقت منه أنوار الفصاحة *

أحمد المدنى المعروف باليتيم مصغرا

سراج الدين بن عمر الاشهل المدنى

الفصاحة * وانجلت أبكار أفكاره فى حلل الملاحة * حديقة سحر * وحدقة سحر * تقطر منه مياه اللطف الجارية * وتجرى برقة الحجاز وظرف العراق وجزالة البادية * ولم يزل مقيما بجوار الرسول عليه أشرف تحية * حتى أطفأ سراجه صرصر المنية * فمن شعره قوله

أرسلت رسلى لقهوة سحرا * فما أتوا سرعة من الكسل
فقيل صفها فقلت مقتبسا * جاءت على فترة من الرسل

(وله أيضا)

ما الحال قالوا صف لنا * فلعل ما بك أن يزاح
فأجبت ما يخفاكم * حال السراج مع الرياح

وقد سبقه لمثله فى كثير من شعره السراج الورّاق فمن محاسنه قوله

بنىّ اقتدى بالكتاب العزيز * فزدت سرورا وازداد ابتهاجا
فما قال لى أف فى عمره * لكونى أبا ولكونى سراجا

(وله أيضا)

الهى قد جاوزت سبعين حجة * فشكرا لنعماك التى ليس تكفر
وعمرت فى الاسلام فازددت بهجة * ونورا كذا يبدو السراج المعمر
وعمم نور الشيب رأسى فسرنى * وماساءنى أن السراج منور

(وللسراج الورّاق أيضا)

كم قطع الجود من لسان * قلد من نظمه النحورا
فها أنا شاعر سراج * فاقطع لسانى ازدك نورا

وللشعراء المتأخرين كثير أشعار تتعلق بأسمائهم وقد نحوت نحوهم لما قلت

قالوا نراك سقطت من رتب * أترى الزمان بمثل ذا غلطا
قلت الشياطين اللئام علوا * ولذا الشهاب من العلا سقطا

عبد الرحمن وعلى ابنا كثير المكيان

(عبد الرحمن وعلى ابنا كثير المكيان) أديبان هما فى وجه الكمال غرّه * وجوادان سماء كرمهما للعافين ثرّه * امتطيا ظهر المجد * ونزلا بطن تهامة وظهر نجد * بهمة اذا غزتها النوائب * كانت عن حد المرهفات نوائب * انتجبا فى الدولة الحسنية الى طراز الدول * وأوبالها حيث لا عاصم من طوفان الخطوب الاذلك الجبل * فأصبحت يد الجود

لأسباب الغنى رابطه * ونظمت عقود الكرم فى جيد أملها بلا واسطه * ففى تلك الاكف بحار تغرق فيها الآمال * ويرشح من عرق الخجل لها جبين السحاب الهطال * من كل من مسحت راحة احسانه * قذى الفقر عن عين زمانه * فنادى لسان العيان * قد وضح الصبح لمن له عينان * ومما أنشد لعبد الرحمن قوله

كبار زماننا أضحوا صغارا * وقد غضب الزمان على الكبار
كأن زماننا من قوم لوط * له ولع بتقديم الصغار

وفى معناه قول المعمار

ارى مغرى باللواط الذى * يقبح لا سيما على مثله
أوقف حالى لا تسل ماجرى * وصرت خلف الناس من أجله

(وقلت)

وزمان فيه الصغير تقدم * أتراه لذلك الذنب يندم
لعن الله قوم لوط فهم قد * علموه التقديم حتى تقدم

وقلت أيضا وهو أحسن مما تقدم

أقول لهذا الدهر عتبا على ملا * تقدم من قد قدمته الورى حقا
فهم بتقديم المقدم توبة * فكان الذى قد رام تقديمه علقا

ومما أنشدته لعلى بن كثير قوله

صحبت الانام فألفيتهم * وكل يميل الى شهوته
وكل يريد رضى نفسه * ويجلب نارا الى برمته
فلله در فتى عارف * يدارى الزمان على فطنته
يجازى الصديق باحسانه * ويبقى العدو الى قدرته
ويلبس للدهر أثوابه * ويرقص للقرد فى دولته

وقوله يجلب نارا الى برمته البرمة قدر من حجارة بلغة أهل مكة وهذا المثل كقولهم فى مثل آخر كل يحطب فى حبله ويجر النار الى قرصه أى رغيفه ومن أحسن قول الآخر

ويوم قر زاد ارواحه * يخمش الأبدان من قرصها
يوم تود الشمس من برده * لو جرت النار الى قرصها

وفى معنى قوله ويرقص للقرد الخ قول الاهوازى

قل لمن لام لا تلمنى * كل امرء عالم بشانه
لا ذنب فيما فعلت انى * رقصت للقرد فى زمانه
من كرم النفس ان تراها * تحتمل الذل فى أوانه

(ولابى تمام)

لابد يا نفس من سجود * فى زمن القرد للقرود

وتقدم الصغار داء قديم ممن ابتلى به الثعالبى وقد اشتكاه بقوله فى قصيدة له

لك الدنيا وما فيها بلاد * تلاحظها بعينيك احتقارا
تكبر ذا الزمان على بنيه * فعش حتى تعلمه الصغارا
وصار صغارهم فيه كبارا * فدم حتى تردهم صغارا
خدمت لك الملوك أروض نفسى * لآمن تحت خدمتك العثارا
ولو كانت لنا الدنيا جعلنا * لك الدنيا وما فيها نثارا

(محمد بن أبى الخير ابن العلامة ابن حجر الهيتمى المكى منشأ وموطنا)

بليغ عذب البيان * نجيب سبط البنان * طويل النجاد وسيف اللسان * رأيته وأنا بالحجاز * وليس بينه وبين الكمال حجاز * وأنشدنى له شعرا من خير الامور * وقد يقع ما يجلو طيف السرور * الا أن أكثره فى الاهاجى * ومنه ما هو فى المعميات والأحاجى * فما أنشدنى له قوله

يا ذا الذى فى خاله حبة * سوداء فى الخد الشديد الصفا
دعنى أقبلها تزيل الضنى * فالحبة السوداء فيها الشفا

(وله فى مليح اسمه على)

لعلى محاسن * مالها قط مشبه
واشامات خده * كرم الله وجهه

والدعاء بكرم الله وجهه مختص بالامام على بن أبى طالب رضى الله عنه فى لسان الناس لانه أسلم صبيا ولم يسجد لغير الله وقد روى الشيعة فيه أثرا وهو ان امه رضى الله عنه وهى حامل به كانت اذا جاءت لصنم أحست بتحويل وجهه عنه فى بطنها ولم نر فيه نقلا لغيرهم انتهى

(العلامة شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمى نزيل مكة شرفها الله)

محمد بن أبى الخير ابن العلامة ابن حجر الهيتمى المكى منشأ وموطنا

العلامة شهاب الدين احمد بن حجر الهيتمى نزيل مكة شرفها الله

علامة الدهر خصوصا الحجاز * فاذا نشرت حلل الفضل فهو طراز الطراز * فكم حجت وفود الفضلاء لكعبته * وتوجهت وجوه الطلب الى قبلته * ان حدث عن الفقه والحديث * لم تتقرط الآذان بمثل أخباره فى القديم والحديث * فهو العلماء والسند * ومن تفمك سهام أفكاره الزرد * تآليفه غرر منيرات * أضاءت فى وجوه دهم المشكلات * فكم أغنى بتحف أفكاره محتاجا * وأوضح للارشاد منهاجا * ولود الليالى عن مثله عقيم * ودرياق نفثات طبعه السليم شفاء كل سقيم * نشرت على الدنيا خلع الفرح * وتزينت بديع صفاته المدح * أقلام فتاواه مفاتيح ما ارتج من المسائل المشكلة * والعلم باب مغلق مفتاحه المسئلة * وهو من أجل مشايخ والدى * الذى ورثت من علومه طارفى وتالدى * رحمه الله تعالى

علاء الدين بن عبد الباقى

(علاء الدين بن عبد الباقى) صاحب كتاب الطراز المنقوش فى محاسن الحبوش * رأيته فرأيت منه عذب بيان بديع * فى صورة أديب خليع * ورأيت كتابه هذا وهو فى وجه أدبه شامه * وعينا فى محيا عمره نظر به الدهر وشامه * وله ربيع أدب وريق * وسلافة خلاعة نقلها قبل وريق * وأنشدنى من شعره * طرفا لم يتعطر كتابى بنشره * وكتاب ابن الجوزى فى معناه * فاح من مسك مداده عرف طيبه وشذاه *

مصور من حدق الحسان * مركب من ملح الخيلان

كأنه فى ناظر الزمان * انسان عين الحسن والاحسان

القاضى حسين المالكى المكى

(القاضى حسين المالكى المكى) سماء سحائب الكرم * وصائد قنص المعالى فى حى الحرم * اذا نشرت صحف نداه طوى ذكر حاتم طى أو رفعت رايات علاه فليس غير السودد فى * أو ذكر الكرام فهم له خدم * أو أينعت رياض نحيرة دارت أنهار جوده حولها خدم * ذو همة نظمت راحتها عقد الكرام * وبددت ما تجمع من خطوب الايام * بطبع ألذ من مجادثة الحبيب * وأعذب من مفاكهة الصديق الأريب * وعزة أشهر من مثل * وعن الملوك فلا تسل * شريف النسب * سرى الحسب * اذا أخصبت بماء الندا عذباته الخضر * أجدبت ساحته من الحمر والصفر

ان قال يا عنبر جاء الشذا * أو قال يا ياقوت جاء الذهب

يشرق نور النبوة من بارق أسرّته * وتطلع بدور الهدى من هالة أسرّته * ثم لم تزل السعود فى خدمته قائمه * وعيون النوائب عن معاليه نائمه * راقيا من مطالع الكمال أوجها * بمحيا يفيض سنا من بدور التم أوجها * الى أن تولى قضاء طيبة الطيبه * وأمست خيام سعده على هام الفلك مطنبه * فبدا المحاق بدره * وختمت يد القضاء صحف عمره * ويقال انه هبت عليه شعوب بعواصف السموم * وجرعه ساقى أجله كأس السموم * وكان فى شرخ شبيبته * واقبال راية طليعته * فى خمول يرى الدهر الصبر كيف يكون * ويعز والخطوب عليه تهون

همم الفتى فى الأرض أغصان الغنى * أبدا وليست كل حين تورق

شيخنا العلامة على بن جار الله المكى الحنفى الخطيب مفتى الحرمين الشريفين

﴿ شيخنا العلامة على بن جار الله المكى الحنفى الخطيب مفتى الحرمين الشريفين ﴾ خطيب مصقع * لفظه بالفصاحة موشى موشع * اذا انحدر من تلعته ماء بلاغته * وسال ببطحاء أم القرى سلسال براعته * شهد بفضله الناس من فاجر ومن برّ * وكاد يخضرّ تحته أعواد كل منبر

فتهتز أعواد المنابر باسمه * فهل ذكرت أيامها وهى أغصان

فعطر المحافل طيبا * فلا ندرى أضمخ طيبا أم ضمّ خطيبا * رأيته وقد طعن فى السنّ وليس له غير العصا قنا * وقد رقى شرف السبعين وهى سلم الفنا * وهو ينشر فى ناديه حبر الربيع الأثيث * وترفع له الفتاوى فى عصره وأسانيد الحديث * ووردت منهل افادته رائقا * وأخذت من اجازاته ماصرت به على الأقران فائقا * وهو فى مذهب النعمان لشيخنا المقدسى شقيق * وأم القرى لم تلد مثله من نجيب عريق

على الكيزوانى المغربى نزيل مكة المشرفة

﴿ على الكيزوانى المغربى نزيل مكة المشرفة ﴾ صوفى أقام بمكة لابسا برد التقى * حتى أحرم وتجرد من لباس البقا * وله شعر على طريقة أرباب الحقيقة كقوله

رق الشراب وراقت الكاسات * وتشابها فأضاءت المشكاة

اشرب هنيأ ان فهمت حديثنا * أنت الكليم وذا تك الميقات

وهو كقول الصاحب ابن عباد

رق الزجاج وراقت الخمر * وتشابها فتشا كل الأمر
فكأنما خمر ولا قدح * وكأنما قدح ولا خمر

(معين الدين بن البكاء نزيل مكة المكرمة المعظمة شرفها الله) نديم دمث الأخلاق * متوشح ببرود لطف حواشيها رقاق * فهو للادباء صدر * وناديه مثله واسع الصدر * نبتت دوحته فى رياض الحسب * فاجتنى منها زهرة الحياة وفواكه الأدب * وله من طيب الأنفاس * ما تسكر به الحيا والكاس * مما هو أحلى من ثمرات الامانى غب مرارة الياس * وهو ممن ساجلته وأنا للأدب ممتاح * ونادمته والعمر مورق بالمسرة مثمر بالنجاح

ليالى أعطيت البطالة مقودى * تمر الليالى والشهور ولا أدرى

وكان بعد ما وقع له بالروم هاجر لبنى حسن * وأقام فى ظلهم بمكة مؤتلفا بهم ائتلاف المقلة بالوسن * فأينعت ثمرته بعد الذبول * وسقاه صيب كرمهم وهبت له نسمات القبول * فلما توفى السيد مسعود * تبدل بالنحس السعود * فجرد ديباجته وارتحل * عملا بقولهم اذا نبابك منزل فتحول * ولأمر ما ثنى القرن عطفه * وجدع قصير انفه * وكانت أيامه غضة نضره * تكاد فى عصره تقطر منها مياه المسره * وكان فى جمع المعارف والنوادر ممن لم ير الدهر نظيره * ولم يطن على سمعه حديث كأحاديثه النضيره * فهو ذكاء الفلك * وما هو بشر بل ملك * فما ترشح من قطراته * وجرى فى المسامع من عذب كلماته * قوله

ياشقيق الروح والجسم ويا * دوحة بالود فضلا أثمرت
بحياة الود الا صنته * لمحب روحه قد سعرت
كنت لا أخشى حسود الاولا * عين واش ان بسوء نظرت
وأرى الود وهى بنيانه * ما كأن العين الا أثرت

ومن شعره تذييل لبيت القاضى الفاضل

تراءت ومرآة السماء صقيلة * فأثر فيها وجهها صورة البدر
ولاحت عليها حليها وعقودها * فأثر فيها صورة الانجم الزهر

* (وله أيضا) *

حاذر زويـله أن تمـر ببابها * وطعامها كن آيسا من خيره
فوسط القتلى يقول بها انظروا * من لم يمت بالسيف مات بغيره
وهو تضمين لقول ابن نباتة السعدى من قصيدة
ومن لم يمت بالسيف مات بغيره * تعددت الأسباب والداء واحد
ومن شعره قوله فى تقسيم الأيام
الدهـر أربعة أيامه انحصرت * صحو وغـيم وريح ثم امطار
فالصحو ظرف لاصلاح الماآرب اذ * تقضى من الصيد يوم الغيم أوطار
ويوم ريح لنوم لاحراك به * ويوم هطل السما للكأس مدرار
واليوم قـد نثرت درّا سحائبه * عـلى بساط ربا يكسـوه ازهار
فبادر الكأس يابدر الزمان فمن * ضياء وجهك لا فى الافق اقمار

(العلامة عبد الرحمن الخيارى نزيل المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام) فاضـل اذا جمعت الفضائل فهو منتهى الجموع * وكامل كاله كثمر الجنة لا مقطوع ولا ممنوع * لما رأى الوقت سيفا لا يقطع الا الأعمار * وان المرء قبل فوت الفرصة على أيامه بالخيار * لم يمض له وقت فى غير العبادة * ولا ساعة فى غـير الاستفادة والافادة * بوجه أبلج وضاح * يلوح من غرته نور السداد والصـلاح * كأن الله جمع له المناقب فاختار منها وانتقى * ورأى أن أحسـنها وأكرمها التقى * وآثار أقلامه يحسدها الحور والالما * ويعرق منها خجلا خد الروض بالندا

أبدى صنيعك تقصير الزمان فتى * خد الربيع طلوع الورد من خجل

وكان فى زمن الطلب * ومنافثة اخوانى أولى الأدب * صـديق روحى وشقيقها * وريحان مسرتى وشقيقها * وعود الزمان خضر وريق * ووجـه بشره بسام طليق * ولما رأى ان الله أوصى بالجار * رحل لطيبة الطيبة وسكن فى جوار النبى المختار * فدخل روضة من رياض الجنـة فى حياته * واذا أنعم الله على عبـد حياه بنعـمة لا يسلبها منه بعد مماته * فكتبت له متشوقا للقائه * وملتمسا صالح دعائه

يا نسيما من نحو طيبة سارى * مهديا عطر ندها والعـرار
مزريا نشره بعنـبر شحـر * فى حشا جونة الفتى العطار

العلامة عبد الرحمن الخيارى نزيل المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام

خذ فؤادى فذا المجمر شوق * وغرام بجمر الوجد وارى
موقدا فيه عنبرا من مديحى * لحبيب المهيمن المختار
لمقام بمقتضاه بليغ * لا يوفى بلاغة الاسرار
وفصيح فصاحة اللفظ فيه * زاد حسنا بكثرة التكرار
ولمن فى ذراه من كل جار * حاز حفظا لعيشه بالجوار
فهم خزرجى واوسى وان لم * يسعف الدهر بالمنى انصارى
سيما صنوى الشقيق لروحى * وهو عبد الرحمن حامى الذمار
قد تملى بروضة حاز فيها * ثمر السعد من زهر الانوار
باع دنيا دنت باخرى تسامت * فغدا فى مبيعه بالخيار
فعساه يمن لى بدعاء * مستجاب فى ليله والنهار
ليحوز الشهاب أعظم سؤل * وأمان من مطالع الأقمار
ما ارتدى الليل من برود الدياجى * حلة طرزت من الأسحار

(فأجاب سقى الله ثراه)

بعد اهدا أسنى السلام السارى * من ربا طيبة أجل الديار
فائقا طيبه شذا كل مسك * فائقا نوره دجى الأسحار
لحبيب فى الله خل وفى * طيب الأصل ذى الثناء السارى
أحمد الفعل والشهاب المرجى * كاشف المشكلات كنز الفخار
دام فى نعمة وعز ولطف * من اله الورى الكريم البارى
محييا سنة الاولى سبقوه * باتباع الاولى وحسن الوقار
وصلاة مع السلام دواما * للنبى المجد المختار
ولآل وصحبه ما اضمحلت * ظلم الظلم باجتلا الانوار

فانى أحمد الله تعالى وأصلى وأسلم * على نبيه صلى الله عليه وسلم * وأعرض كثرة الأشواق وتزايد الوداد * الذى لم يغيره تعاقب المدد والبعاد * ودوام الدعاء المرجو القبول * لاسيما تجاه أكرم نبى وأشرف رسول * ووصول مكتوبكم الكريم وحصول السرور بلوامع مضمونه * وبدائع مكنونه * وقد بلغنا حسن سيرتكم * فى المناصب ومزيد العفة فجزاكم الله تعالى خيرا وأعانكم وسددكم * ولا تقطعوا أخباركم السارة * جمع الله لنا

واكم خيرى الدنيا والآخرة * بجاه المصطفى الامين آمين

نفحة من نفحات اليمن * ومن بلغنا خبره فى هذا الزمن * ممن بقى بها من الفضلاء والشعراء وكان قريب العهد

عبد الله بن شمس الدين بن مطهر اليمنى

فنهم رحمهم الله تعالى

(عبد الله بن شمس الدين بن مطهر اليمنى) فرع من ذؤابة هاشم * ونبعة من وشيج تلك المكارم * من آل مطهر وهم ملوك مكرمون * لا يمس صحف مجدهم الا المطهرون * من حدث البشرية * ودنس الهيولى الدنية * من كل من قضى للعلياء وطرها * وتلى آيات المجد وسورها * تعبق منهم أنفاس النبوة * وتجر على وجه البسيطة أذيال الفتوة * ولم تمح محاسنهم من صحف الليالى والأيام * ولا تثمر بمثلها أغصان اليراع والأقلام

مغارس طالت فى ربا المجد فالتقت * على أنبياء الله والخلفاء

اذا حمل الناس اللواء علامة * كفاهم مثار النقع كل لواء

حتى أغارت عليهم جيوش ابن عثمان فذوى ذلك الثمر * واستفت الأيام ماء حياتهم فلم يبق الا الكدر * فالتجأ الى جبل كوكبان * واستظل به من هجير حوادث الحدثان * وهو جبل تضىء فيه قناديل النجوم * وتلتف على هامته عصائب الغيوم * يزاحم الأفلاك بالمناكب * وتكاد أن تلتقط سكانه لآلئ الكواكب

عال كأن الجن مذ مردت * جعلته مرقاة الى السمر

وهو الآن تاج على رأس الزمن * وخال تتزين به وجنات اليمن * كأنما شمخ كبرا بمجاورة من به نزل * وصار كبير أناس فى بجاد مزمل *

وطود على ظهر الفلاة كأنه * طوال الليالى مطرق فى العواقب

يلوث عليه الغيم سود عمائم * لها من وميض البرق خضر ذوائب

تحيى به آثار آبائه بعد مماتها * ويرد روح المكارم للآمال بعد وفاتها وفواتها * فمما التقطته من بعض السيارة من أشعاره * وأهدته الى تجار اليمن من تحف آثاره * قوله من قصيدة مدح بها أخاه عز الدين

خطرت فقال الغصن صل على النبى * وبدت فقالت للشموس تحجبى

وسموطها دارت على لباتها * وزهت فقلنا للنجوم تغيبى

لاحت لنا كالبدر ثم تبرقعت * فرأيت بدرا حل قلب العقرب
وبخدها خال أراه عمه * حسنا وناسبه بلون أجنبي
فلطرفها عز انكسار جفونها * ولعطفها تيه المدل المعجب

(ومنها)

منى على بزورة أحيى بها * فى أنس قربك اوعديني واكذبي
رقى بعزك باسعاد لذلتى * منى ومنيني أمانى أشعب
ماأحسن الاطماع يرجى نيلها * والصب بين مصدق ومكذب

(ومنها)

ياليت شعرى هل أفوز بمطلبي * من لثم ذياك الخديد المذهب
من لى بشمسى الجمال ممنع * مادونه لمحبه من مذهب
متلون كمدامعى فوعوده * لقبنى بالخائف المترقب
ياقلب مالك ماانقلبت عن الهوى * والقلب قد قالوا كثير تقلب
خل النسيب فقد أطلت ودع عن * ذكر الصبابة واشتغل بالأنسب
كم زخارف زور لهو بالثنا * وانشر لآلئ الحديث الأطيب
بصفات عزالدين والدنيا ومن * ماقلت فيه من الثنا لم تكذب
حدث وقل ماشئت فى أوصافه الحسنى وحى بكل فن معجب
أسد تخاف الاسد ثعلب رمحه * وعجبت من خوف الاسود لثعلب

قوله صل على النبي المراد به التعجب والناس يستعملونه بهذا المعنى كثيرا كقول شيخ الشيوخ الانصارى بحماة

نعن رأى ذلك الوشاح الصائم صلى على محمد

وقال غيره

اقبل يهتز فى غلالته * من ليس يشفى لعاشق غله
فقال كل امرئ تأمله * ألف صلاة على رسول الله

وقد نادمتهم فقلت فى قصيدة

ظبى على الصب حين سلم * صلى على المصطفى وسلم
مدنفه والدموع بحر * بترب أقدامه تيمم

ومثله قولهم الله أكبر كما قال ابن النبيه

الله أكبر ليس الحسن فى العرب * كم تحت كمة ذا التركى من عجب

وهو

وهو قد اقتدى بعلى بن الجهم فى قصيدة مدح بها بعض الخلفاء

الله أكبر والنبى محمد * والحق أبلج والخليفة جعفر

وقد عابه شعراء عصره حتى قال فيه مروان يهجوه

لما وصلت الى الامام عشية * وكذبته ومدحته بآذان

(وقال أيضا)

أراد على أن يقول قصيدة * بمدح أمير المؤمنين فأذنا

فقلت له لاتعجلن باقامة * فلست على طهر فقال كذا أنا

والامام النووى رحمه الله تعالى صرح فى الاذكار بأن الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم فى مثله ممنوعة شرعا والوارد فى مثله سبحان الله وقال الحليمى من أئمة الشافعية انه جائز بلا كراهة وبينوا وجهه فى فقههم (لطيفة) من غريب التمليح ماوقع فى مجلس أبى بكر بن زهر من أن بعض أدباء الاندلس كان عنده فدخل فاضل من أهل خراسان عليهم فأكرمه ابن زهر وأجله فقال الاندلسى ماتقول فى علماء الاندلس وادبائهم وشعرائهم فقال كبرت فلم يفهم جوابه واستبرده فلم يفهم ابن زهر انكاره ثم قال أقرأت شعر المتنبى قال نعم وحفظته قال أما سمعت قوله

كبرت حول ديارهم لما بدت * تلك الشموس وليس فيها المشرق

فعلى نفسك فلتكبر * وانفهمك فاتهم وانكر * فخجل واعتذر أقول هكذا فلتكن محاورة الادباء وأراد أبو الطيب بتكبيره التعجب وقوله فى القصيدة أسد الخ فيه ايهام بديع فان الثعلب طرف الرمح الداخل فى السنان والحيوان المعروف ومثله قول ابن الساعاتى

ولو ملك الملك الأهلة عنده * ابى فخرها الا نعالا لجرده

اذا مد جيشا للعدو تلاعبت * ثعالب أطراف الرماح بأسده

وقوله أوعدنى واكذبى يقطر منه ماء اللطافة كقول مهيار

يا ماطلى بالدين ماساءنى * اليك ترداد المواعيد بى

ان كنت تنجز ثم لاتلتقى * فدم على المطل وقل واكذب

وللشريف الرضى

يعجبنى مطل غريم الهوى * لطول ترداد الى الماطل

ومثله حسن كثير قديما وحديثا كقول الطغرائى

وتجبنى المواعـد كاذبات * لترداد اليه على المطال

ولابن الفارض رضى الله عنه

عـدنى بوصل وامطلى بنجازه * فعندى اذا صح الهوى حسن المطال

(السيد حسين بن مطهر اليمنى رحمه الله تعالى) هذا أيضا من آشراف العصريين وقد أنشدنى له بعض أصحابنا شعرا يفوح منه عرف تهامة ونجد * ويترجم عما فيه من الجد * كقوله من قصيدة له

السيد حسين بن مطهر اليمنى رحمه الله تعالى

من أين يخلق وجدك المتجدد * ويزول عنك حنينك المتردد

وقد استفزك بالرحيل مودع * قالوا الرحيل غدا عدمتك يا غد

يا نازلين على العذيب وثهمد * بأبى وبى كيف العذيب وثهمد

اخزامه ويشامه واراكه * خضر على ما تعهدون وأعهد

(ومنها)

الحج يقصد كل عام مرة * ولك العوالم كل حين تقصد

وهذا المعنى كثير مسبوق اليه كقول بعض العصريين

كعبة أسست على الفضل لكن * كل حين اليها تحج الوفود

وأصله قول سعيد بن سلام وقد قال له بعض ندمائه فى بستان ما أحسن هذا البستان فقال له أنت أحسن منه لانه يؤتى أكله كل عام وأنت تؤتى أكلك كل حين وممن قرب عهده باليمن

(عبد الهادى السودى صاحب الديوان المشهور) فاضل جمع فى أغصان الألفاظ ثمار المعانى * وعارف بالله جناه فى كل حين دانى * شيخ الطريقة * العابر من قنطرة المجاز الى الحقيقة * جمع من بضائع الأدب ما راق صنعا * وحسدته لرقة نسجه برود صنعا * ونسج من مهلهل الأشعار فى السلوك * ما كأن قلمه على منوال طرسه مكوك * وشعره مطبوع * وعلى أكف القبول مرفوع * تلذ به الاسماع * وتطرب على السماع * وأكثره على لسان أهل العرفان * الذى هو للحضرة الالهية ترجمان * كقوله

عبد الهادى السودى صاحب الديوان المشهور

قوله عبد الهادى فى نسخة عبد الوهاب

كيف حاروا فيك واعجبا * يا منى سمعى ويا بصرى

أنت لا تخفى على أحد * غير أعشى الفكر والنظر

حيرة عمت فأى فتى * رام عرفانا ولم يحر

(وقوله من قصيدة)

عاذلى فى الحب أوخطره * لست من ليلى ولا سمره
أنا فى واد أظنك ما * قلت فى الأفياء من شجره
لاتطل فيه الملام الى * أن تذوق الحلو من ثمره
ياحلول الشعب من اضم * أنشقونى النشر من زهره

وهذه على منوال قصيدة أبى نواس التى مطلعها

أيها المنتاب من عفره * لست من ليلى ولا سمره
كمن الشنآن فيه لنا * ككمون النار فى شجره
لا أذود الطير عن شجر * قد بلوت المر من ثمره

وهى طويلة فى ديوانه وممن قرب عهده أيضا

اسماعيل بن ابراهيم بن اسماعيل ابن عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد ابن يوسف بن عمر بن على العلوى الزبيدى من ذرية اليمنى

۞(اسماعيل بن ابراهيم بن اسماعيل بن عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن يوسف بن عمر بن على العلوى الزبيدى الشافعى من ذرية اليمنى)۞ شارح الكشاف أغزر عانى * منه تجنى ثمار الامانى * سحاب فضله أوطف الأهداب * اخصبت به رياض المعانى والآداب * نقاب محدث نم أفكاره على أسرار الغيوب * وربيع مربع اذا أنبت الربيع البقل أنبت ريحان القلوب * ولد بزبيد * وبيت شرفه فيها مشيد

ولدت به أم السيادة أوحدا * متضمنا معنى العديد الأكثر

وللدهر فيه عداة لاتعرف المطل * ومقدمات مرتبة لنتائج الفضل * حتى ظهرت له اليد البيضاء فى الفنون العقلية والنقليه * لاسيما ماأبدعه فى شرح الجامع الصغير من دقائق العربيه * فكم شفى افهاما مراضا قلوبها * ولا يعرف الادواء الاطبيبها * كما قال تلميذه الصدرفيه من قصيدة

وان تكن للنحو أصلا فلا * غروفاسماعيل أصل العرب

مع شرف الحسب * وعلو شجرة النسب * فهو مكرم متفضل مع خمول والفخار فنون * كما أن الحديث عنه شجون * والأخبار الصادقة على محاسنه عيون * وقد رأيت من آثاره أبكار عرائس * وحورا مقصورات فى خيام الأفكار أوانس * لاترتضى الثريا عقدا والزهرة قرطا * ولاتلبس المجرة رداء ولا مرطا * كشرح الجامع الصغير وتعريف

البيان * فى شرح لقطة العجلان * للزركشى فى المنطق والأصلين والجدل وهو كما قال فيه نسيبه الفاضل عفيف الدين

ياسائلى جهلا عن اسماعيل عن * مقدار رتبته ورفعة شانه
أنصت تجد تعريفه وبيانه * كافيك عن تعريفه وبيانه
أولا فعذرك فيه عذر واضح * والشئ قد يخفى لبعد مكانه

ولشعراء عصره فيه مدائح كثيرة كقول عامر بن هارون الموزعى

رأوك فضلتهم أدبا وسمتا * فنالوا منك عدوانا وبهتا
وراموا النقص منك فأكذبتهم * ظنونهم وعاد الذم نعتا
حماهم نجم سعدك أن يحلوا * محلك أو يحوموا حيث حمتا
تصرف يا ابن ابراهيم فيما * حويت من المعارف حيث شئتا
وكيف يسومك الحساد خسفا * وأنت أجلهم حظا وبختا
وأبرع من تلفتت المعالى * اليه ومن برى قلما وأفتى
وقد ناديت لما سرت ربى * بما ناداه ذو النون بن متى
بأن يكفيك عادية الليالى * وتصحبك السلامة حيث كنتا
وقد أوتيت سؤلى فيك اذلم * تزل فوقا ومن عاداك تحتا
فدونكها عروسا من صديق * تمت بصحبة الآباء متا
وخذها غضة من منطق لا * بالثغ لا يبين ولا أرتا
وبطت بها معالى الشمس قسرا * وقومت القوافى فيك نحتا
يود البدر لو ترضى به أن * يكون لها أخا والشمس اختا

وقد حاز قدرا عاليا وجاهه * ونشر من الفضل ما أيد الله به عزه وجاهه * مع زهد ليس طرفه لزخرف الدنيا رانى * ولا بدع فالحكمة يمانيه والايمان يمانى * روح الله روحه * وزاد من نعيم الجنان فتوحه

* (القسم الثالث فى مصر وأحوالها وسبب العودة لرسومها واطلالها) *

لما كانت مصر القاهره * ربوعها بالفضلاء والأدباء عامره * وهى عشى الذى منه درجت * ووكرى الذى به ريشت * ومن بيضة بلده خرجت

بلاد بها نيطت على تمائمى * وأول أرض مس جلدى ترابها

رأيت أهنى العيش ما كان فى الوطن * والنعيم المقيم انما يكون فى الأهل والسكن * الا انها أبدت العقوق من حين عقت التميمه * وأذاقتنى الأذى وجرعتنى الدم فى المشيمه * وأخرجتنى من مضيق لمضيق * وشدت فى المهد قيدى الوثيق * وما كشفت عن وجهى القناع * حتى فطمتنى قبل الرضاع

لما تؤذن الدنيا به من صروفها * يكون بكاء الطفل ساعة يولد
والا فما يبكيه منها وانها * لاوسع مما كان فيه وأرغد
اذا أبصر الدنيا استهل كأنه * بما سوف يلقى من أذاها يهدد

فنفرت من ظلى * وأسأت الظن بسميرى فكرى وعقلى * وعادتنى نفسى فما ظنك بأهلى * وأعدى عدولك بين جنبيك * فما لك بغيرك ان كان لك أو عليك

قلبى الى ما ضرنى داعى * يكثر أسقامى وأوجاعى
كيف احتراسى من عدوى اذا * كان عدوى بين أضلاعى

فقلت أهل بأهل ودار بدار * والعمر فرصة فالبدار البدار * فالدهر عقب * والعجز نصب * وكل ما تهواه حسن * وليس لما قرت به العين ثمن * ومن كان من تراب فالناس كلهم أقاربه * وما خاب حر رفيقه الرجا والعزم نجائبه * وما أحسن الثبت ان ساعدت الأقدار * وما أجمل الصبر لو صبرت الأعمار * وما قال الله تعالى أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت * والى السماء كيف رفعت * والى الجبال كيف نصبت * والى الأرض كيف سطحت * الا ارشادا لك للرحيل * وان كل دار سقفها السماء ظلها ظليل

وكم نبت الأوطان يوما بأهلها * فأورثهم عز الحياة التغرب
وهذا رسول الله فارق مكة * على جفوة لم ترضها فيه يثرب

ففى كل قوم اوس وخزرج * ومن العمود الى العمود فرج * وكليم الله آنس نارا ذهب ليأتى منها بقبس * فكلمه الله جل جلاله حتى اقتبس من نور النبوة ما اقتبس * ولما ارتحلت حمدت السرى * ونبهت عيون حظى من سنة الكرى * تركت بها من ساداتنا العلماء * والادباء والرؤساء *

عصابة وأى عصابة * (أهل السماحة والرجا * حة والاصالة والاصابة) * كرام اذا اخلفت الانواء خلفوا سحابه * واذا استعبد الكرم الاحرار ملكوا رقابه * ففارقت من فارقت غير مذمم * ويممت من يممت غير مميم * وهكذا الدهر مولع بالبين * فكأنه خاف اللحن فلا يجمع بين ساكنين *

وعما أعان على الزمان * عفاف يدى وعلو الهمم
فانى من العرب الأكرمين * وفى أول الدهر ضاع الكرم

فمن كان بها فى ذلك الزمان * ثم دخل بعد ذلك فى خبر كان

(محمد بن يس المنوفى) فاضل أديب * وصديق لى صادق الود نجيب * علم أقلامه نفثات السحر * وعممها بغالية مداد أرخصت مسك الشحر * فما مسك نبت * عند نفحة رياض له لرياحين العقول نبت * فكم حل عرى النوم عن مقلته * فاقتنص أوابد المعالى ببازهمته * واجتنى ثمرات المعارف من جنان أمله * وغصن شبابه معتدل لم تطمع الحادثات فى ميله

ماس الظرف عنده الدهر ثاو * لكن الظرف عنده ابن سبيل

وكانت لنا معه أويقات * هى فى صحائف العمر حسنات * وخمائل الشباب دانية القطاف زاهية الزهرات * فى عنفوان عمرى * واقبال طليعة أمرى * وماء الحياة مغدق * وغصن الشبيبة مورق * متفيئا فى هاجرة التحصيل افياء الصبا * نازلا حيث لا عليل الا عيون الغيد ونسيم الصبا * ولا باكى غير طرف النرجس بدمع الندى * ولا ساهر الا عيون النجوم التى هى للسارين هدى * والدهر طلق طيب الأخلاق * وسوق الفضائل لا ينفق فيه النفاق * لا كهذا الزمان الذى كسد فيه الأدب وبار حتى قيل فيه نفق الحمار * وبارت الأشعار * فما جاد به طبعه المريع * وزها به فكره فى كل زمان ربيع * قوله من قصيدة يرثى بها الوالد رحمه الله تعالى

مابال أيدى النائبات تخون * وتديم رضف المجد وهو رصين
يادهر لا عتبى عليك ولا رضى * كل المصائب بعد ذا لتهون
تعد الورى البؤسى فتسرع وقعها * واذا وعدت بما يسر تمين

(ومنها)

لو كان يجدي النوح ميتا قبله * نفع النائحات أعصر وقرون
يا واعظا بسكونه حركتنا * ولانت بالوعظ المفيد قمين

(ومنها)

وغدا ضجيع الرمس الا انه * فى قلب كل موحد مدفون
حفتك رحمة ذى الجلال وعفوه * وسقى ثرى جدث حواك هتون
وسرت محاسن ما صنعت حواملا * حسن الثناء يحثها التأمين

ومما أنشدنيه قوله من قصيدة اخرى

تائهة بالدلال يثنيها * عن حائر فى الهوى تثنيها
قرح فيض الدموع مقلته * فاشتبك الماء فى مآقيها
ومن نمت فى سواد مهجته * لواعج الشوق كيف يخفيها
يبعدها الصد والهوى محن * عن ناظرى والغرام يدنيها
هل بارق ما أرى أم ابتسمت * فانتظم الدر فى تراقيها
عن فتكها قدها يحذرها * ولحظها بالصدود يغريها
ان سفرت فالهلال طلعتها * أو خطرت فالغصون تحكيها
أو نظرت فالظباء فى خجل * أو نكهت فالعبير فى فيها
أو سخطت حبها وقل لها * كل صديق عساه يرضيها
لو سمحت بالكرى لارقنى * وهنا من الليل خوف واشيها
أو بعثت طيفها لعرفها * ماذاقه الصب من تجنيها
شقة بين لهجر ناشرت * فلا يكاد الزمان يطويها
جرعنى الدهر بعدها غصصا * أكتمها تارة وأبديها
يا بائعا نفسه بلا ثمن * أرخصتها فالهوان يشريها
ما بال هذا الزمان يتحفنى * بمعميات الى يهديها
طلائع للمشيب ضاحكة * بعارض والشباب يبكيها

(ومنها)

خذ روضة طاب فيك مغرسها * منها ثمار المديح تجنيها
فى لهوات الرواة أنبتها * ذكر علاك الذى يرويها

(ومن أهاجيه)

ومسبلين على لبس الوقار لحى * يشكو ظلامتها صدر واكتاف

قوله أو سخطت البيت هكذا فى النسخ ولينظر اه

يشك ناظرهم فيهم اذا ركبوا * حتى كأن وجوه الخيل أرداف

(وله أيضا)

ومن تمسح الأيام رأس شبابه * براحة يلواها يشب قبل مسحها
ومن يرع سمعا للنصيحة من عدا * يجد ما تحامى فى أسرة نجحها

(وله أيضا)

ساومتنى الهموم والحزن ممن * كان يرعى على البعاد جوارى
كنت أبكى ببعد الديار اشتياقا * فدهانى بكاء قرب الديار
أى قلب يقوى على فقد الفين رهين الثرى وناءى الدار

(وله أيضا)

ما حال من رمت النوى بعد الجوى * فى عارضيه وقلبه بهموم
فغؤاده فى أرض مصر وجسمه * شابت مفارقه بأرض الروم

(وله أيضا)

صحبت الليالى فأفنيتها * وعذبت فكرى بطول السهر
وخضت البحار وما خفتها * وأخرجت منها نفيس الدرر
وفصلتها ثم نظمتها * وعلقتها فى رقاب البقر

(وله من قصيدة)

ما لعصر الشباب رثت بروده * ولوت جيدها عن الوصل زوده
ولياده وما طال عهد * من سقيط الندى ذوى أملوده
وسواد العذار عاد مريضا * فأتى ناصع البياض يعوده
ما الحب يحنو عليه ولكن * بزمام الى الحمام يقوده

(وله أيضا)

ومن تخطئه نيران المنايا * فسوف يصيبه ألم الدخان
وابلغ من مذاق الموت يأس * جناه المرء من روض الأمانى

(وله أيضا)

قضيب للربا وافى * نخد الورد فى خجل
وعين النور شاخصة * وشخص الظل لم يمل

(وله فى رأس على رمح)

هامة فى الحياة طاولت الشهـ * ب وما نالها هبوب الرياح
أنفت بعد موتها الترب فاختا * رت لها مسكنا رؤس الرماح
وهذا كقول البحترى فى غريق
ولما لم يسعه البر قبرا * غدا البحر المحيط له ضريحا
ومن بدائه الاستاذ البكرى البديعة انه التمس منه بعض الأدباء شفاعة لبعض الوزراء فأخذ القلم ليكتب له ما أراد فسقط القلم من يده فقال بديهة
ولما ضاق عنه الطرس وصفا * جعلت له بسيط الأرض طرسا
وأصل هذا كله قول ابن الانبارى فى مرثية الوزير ابن بقية لما صلب وهى مشهورة
ولما ضاق بطن الأرض عن أن * يضم علاك من بعد الممات
أنابوا الجو قبرك واستنابوا * عن الأكفان ثوب السافيات
ومما أنشدنى بعضهم للمنوفى
حلف المتيم أن يوده * بلغ المنى أونال صده
عكفت عليه العاذلا * ت يلمنه و يردن رده
والله يعـلم أنهن بعذلهن يزدن وجده
سلب الفؤاد وليس من * شرط الملاحة أن يرده
وهذا الشعر ليس له وانما هو لشاعر مكى عصرى الآن اسمه نسجت عليه العناكب * وهبت على رسمه الصبا والجنائب

﴿عبد الوهاب المحلى الحنفى﴾

﴿عبد الوهاب المحلى الحنفى﴾ شاب غض الشباب * كان لى من أجل الأصدقاء والأحباب * لما قدم لمصر فى طلب العلم مرتديا رداء الاغتراب * وكان فى عنفوان شبيبة الأمل بالمحله * اذا رجا من الدهر أملا رآه أهله ومحله * وقد نسجت يد المحاسن شملة شمائله * وبهتت عيون الأزهار لربيع خمائله * وقد غردت فى رياض المحامد بلابله * وسيف طبعه المشحوذ قد علقت فى عاتق المجد حمائله * وفصاحته تفعل مالا يفعله المسكران سكر الشباب وسكر الشراب * وتخلب بما لا يؤثره السحران سحر النفثات وسحر الكلمات العذاب
هو شرط النبى اذ قال حقا * اطلبوا الخير من حسان الوجوه

وتباشير صبح نجابته باسمة الثنايا * تقول ان فى الرجال بقايا * وظل مجده سجسج * وروض فضله مدبج * وجوده سحابة وطفاء سقت ظما آن القفار * وأيقظ رشاشها أحداق النوّار * بطلعة اذا لاح سناها فالعيون من بعض أسراها * تفديه اذا نقاطر منه ماء الظرف والندا * وتقول له امامنا بعد وامافدا * وقدجرى بينى وبينه فى مضمار الصحبة * بدهم الليالى والأيام طراد خيل اللهو فى حلبة المحبة * فحاز قصب السبق من الأقلام حيث النسيم عليل * والوقت سحر وأصيل * حتى قطفت يد الأجل نوّاره * واطفأت رياح المنية أنواره * فبينما بديهته ترشف الأسماع على ظما زلالا * فاجأه الأجل فخلنا موته كان ارتجالا * فمما أملاه * وطرز برده ووشاه * قوله من قصيدة أهداها لى

أثغر بدا يفتر أم شنب الزهر * زها أم سقيط الطل أم أنجم الزهر
أم القضب فى خضر البرود رواقص * لها نقطت أيدى الغمائم بالقطر
فارخين من تلك الكمام معصفرا * ومسن كغيد فى ملابسها الخضر
ودبج وشى الروض منها مطارفا * مطرزة منها الكمائم بالزهر
وولى هزيم الليل مذ سل صارما * عليه ضياء الصبح من مغمد الفجر
وبات يعاطينى الغزال مشنفا * من الكأس راحا قد اذيبت من التبر
رخيم من الأتراك هندى لحظه * يصول بقسر وهو فى غاية الكسر
اذا رمت ضما منه ينصب عاملا * غدا ماضيا فيتا ويجزم بالهجر
ويبعث خلفا منه شعرا منشرا * مليح أتى فى الحسن بالبعث والنشر
وتحسد ربات الشنوف وشاحه * ومن قلق قد بات يشكو ظما الخصر
يراضعنى ثدى اللمى من مدامة * براح لنا منه معطرة النشر
نعمنا بها كأسا اذا ما تشعشعت * ولاحت رأيت الشمس فى راحة البدر
كأن نثار الدر فوق كؤوسها * رسائل ذى فضل تنظمن من شعر

وكان ذهب فى يوم نام فيه الحدثان * وغفل عن صفوه رقيب الزمان * الى روضة طرزها الربيع ووشاها * وصحيفة نقطها القطر لما رأى النبات حشاها * والطير يسدى فى قراءة أوراقها ولوعه * وقد أوقد لها الزنبق فى حافاتها شموعه * وهى شاكرة للديم * محدثة بلسان النسيم عما لها من

النم * ومطرف الجو ممسك معنبر * والماء فضى القميص وطيلسان الروض أخضر * وقد غنت بلابلها * وصفقت طربا جداولها * وتضرجت خدود أزهارها الجنية * وتلفعت أرداف ذوائبها بملاءتها السندسية * وتعذرت أنهارها بعوارض الريحان * يكاد السحر يعبدها اذا تحير فى وصفها البيان * فكتب لى يدعونى الى التمتع بعبير شميمها * وان نعود على فرش الربا عليل نسيمها * فقال

مولاى ان الروض من وشى السحب * يختال فى زهو الحلا على الكثب
معنبرا ممسك الاذيال * معطر الاردان بالاوصال
مفوقا آذانه بالدرر * مدبجا أكمامه بالزهر
قد صافحت أزهاره الغمائم * فضاحكتها بالربا الكمائم
وفرك الريح على متن النهر * جيوبه وفك ازرار الزهر
وأظهرت حلا الربا الامطار * وطارحت أشجانها الاطيار
وقام يعلو منبر الاشجار * خطيبها محرك الاوتار
منمق الديباج قد تتوجا * مطوقا مقرطقا مدبجا
مطرزا أكمامه بالعسجد * مرصعا من معدن الزبرجد
يدعوك شوقا معربا بشجوه * فكن امامى مسرعا نحوه
وانف الهموم والغموم والترح * واستجلب الانس خليلى والفرح
فهالك أوقات السرور قد دنت * مبشرات بالهنا وأعلنت
ودع مقال كل واش يعذل * فالعذر حقا ليس فى ذا يقبل
ودم تكاتب برقيق الفكر * عبدا على حكم الهوى فى الاسر
قد قيدته غربة الاوطان * عن الدمى وخرد الغزلان
لازال مولانا الشهاب الثاقب * لعبده وقته يكاتب
ما دبجت بوشيها الاقلام * محبر الاوراق والسلام

ولما فارقنى لوطنه كتب الى يشتكى أمرا نزل به فأجبته بقولى * مولاى يشتكى من الدهر وهو أبو العبر * وفى المثل من سابق الدهر عثر * فانتظر عقب الزمان عليك * وكل الى الله أمر من أساء اليك * فان الدهر دول * ولله جنود منها العسل * وكم أغنت الوحوش * عن صدمات

الجيوش * وماسميت الحال بالحال * الالسرعة التحول والانتقال * فأيامه يوم بيوم وحربه سجال * فاعبس مساء بوجه افقه * الاوبعده صباح يضحك عليه فم شرقه * فأوقد مصباح فكرك ان أظلم الدجا * واصبر فان الصبر يفوح منه أرج الرجا * وان جفت قريش فلله أنصار * وان نبت بك دار فلله ديار * واذا كان انتظار الفرج عباده * فأوقات الضيق كلها سعادة * وقرب الأشرار * أعظم مصائب الأحرار * ولله در القائل

مرضت من الحمق فلم أدرك المنى * تمنيت أن أشفى برؤية عاقل

فان لم تجد الشفاء * فالزم الاحتماء * كما قيل

أرى مرض الحمق بعد واه مهلكا * فمن لى بذى لب به يشتفى باسى
يئست ولم أنظر حكيما فلا شفا * سوى حميتى بالبعد عن سائر الناس
جزى الله عنى اليأس خير جزائه * فانى لم أظفر باعقل من ياسى

وقد قلت فى الفصول القصار فى الترك غنى بلا منن * والحمية دواء بلا ثمن *
(والسلام)

(عبد المنعم المحلى الطريني) أديب اجتمع بى وأنشدنى ماتهزله الفصاحة أعطافها * من كلمات اذا التبن عددن الدر أصدافها * من كل عقد تبسم العقود لمحاكاة انتظامه * وتحيي النفوس بماء الحياة الذى فى مداد أقلامه * والدر مجتلب من الظلمات * ولطيف شيم ليس للرياض أخلاق كماله * ولا للبدر ولو تكلف أن يحكى كماله * وقد درس آيات الفضل وتلاها * واقتنص شوارد الآداب وما تلاهى * والشباب لف شمله بشمله * ومراده وسعده أطوع من ظله * حتى اقتنصه فى ليل شبابه صياد المنية * وضرب سورا بينه وبين الامنية * فمن نفثات أسحاره * ونسمات أسحاره * قوله من قصيدة أنشدنيها

أمولى به روض الفضائل مزهر * ويانع أغصان المآثر مثمر
لك الله من مولى به يفخر العلا * وتشرق شمس الفضل منه وتظهر
بشاطئ بحر الطرس منك جواهر * ولا عجب من ذا ففكرك أبحر
وهتان سحب الفكر هل أنت منبت * به أى معنى من مبانيه يستر

(عبد المنعم المحلى الطريني)

رفعت

رفعت اليك الحال ياخير سيد * وان كان رفع الحال لا يتصور
نظمت نخلناه الدرارى تنظمت * نثرت فقلنا النجم فى الأفق ينثر
علقت بظبى بابلى السحر لحظه * فأجفانه كالبيض والقد أسمر
لئن لاح يوما وجهه متهللا * اهال كل الناس من ذا وكبروا
اذا ماس قال الغصن ما أنا قده * ويكسف بدر التم اذ هو يسفر
ويزرى لعمرى بالغزالة فى الضحى * اذا ما رنا شزرا فلا لاح جؤذر
تجمع كل الحسن طرا بوجهه * ألم تر نقط الخال ختما يخبر
وان اص لحظى رام يسرق نظرة * ففى جنبات الخد تبدو وتظهر
علقت به لا عن مراد وانما * محاسنه نادت فلبيت أعثر
سحرت بلحظ بابلى ولم أكن * أظن من الألحاظ انى أسحر
تعددت مواضى مقلتيه بمهجتى * بعامل قد كسره ليس يجبر
تنازع فيه عاملا البين والقلا * فأمسى وكل فى الضمير مؤثر
اذا قلت صلنى راح بالهجر جازما * وينصب ماضى القد والجفن يكسر
ألين له عطفى فيزداد قسوة * اذل له جهدى يعزو يكبر
بذلت له روحى ابتغاء وصاله * فلم يرضها اذ راح منى يسخر
فهل تعلمن وقيت كل كريهة * سبيلا الى ما أبتغيه ييسر
فلا برحت هام العلا لك موطنا * بأعلى سماء المجد لازلت تخطر
مدى الدهر ما حن المشوق لأهله * وزمجر رعد الشوق والجفن يمطر

وقوله رفعت اليك الحال فيه اغراب مسبوق اليه كقول الصفى الحلى

رفعت حالى ورفع الحال ممتنع * اليكم وهو للتمييز محتمل

(وأحسن منه قولى)

أأشكو الحال والرزاق أدرى * بها وهو الغنى عن السؤال
وانى مخطئ ان عدت يوما * لنحو شكاية ورفعت حالى

قوله فلا لاح جؤذر كقول ابن مطروح

وأقول يا اخت الغزال ملاحة * فتقول لا عاش الغزال ولا بقى

وهاهنا نكتة بيانية لم يتفطنوا لها وهو أن التشبيه البليغ له أنواع أدناها أن يدعى اتحاد ما بينهما فيحمل أحدهما على الآخر كزيد بدر ونحوه وأعلاها

التجريد وبقي منه نوع أبلغ من كل ماذكروه وهو أن ينفي التشبيه فيقال ماهو بحر فانه عذب زلال يقذف الدر في كل حين * والبحر اماماء اجاج أو عذب ليس فيه در ثمين * ونحوه مماهو كثير في كلامهم والنفي بحسب الاصل يدل على انه في شأنه أن ينسب له في الجملة ولذا لايقال للحائط ليس بعالم من كلام البلغاء الانكتة فلذا كان تشبيها أبلغ مما عداه فاحفظه وقوله نثرت فقلنا الدر في الأفق ينثر وأحسن منه في مدح كلام منثور

وفصل من النثر البديع قراءته * فقات حباب تحته الخمر مسكر
أو الطرس روض زهره متفتح * بلى هو عقد الزهر في الصبح ينثر

﴿محمد بن الخياط المحلي﴾ شاب أديب نشأ بالمحلة * لم يحل أحد في خياطة حال السحر محله * وكان كعبة ظرفائها * وقبلة ندمائها * من سابقه في طرق الرقة * بعدت عليه الشقة * فمن شعره قوله

لنا صاحب مازال يتبع بره * بمن وذا البر بالمن لايسوى
سلوناه لابغضا ولاعن ملالة * ولكن لاجل المن تستعمل السلوى

ومثله قول التلمساني

هواكم هو المن الذي ماله سلوى * وحبكم عندي هو الغاية القصوى

ومن محاسن الأرجاني قوله في غلام يهودي

من آل اسرائيل علقته * أوقعني بالصد في التيه
قد أنزل السلوى على قلبه * وأنزل المن على فيه

(ومثله ماقلته)

بالمن لايوزن احسان من * صرنا على احسانه نقوى
أما ترى الرزاق جل اسمه * قد قرن المن مع السلوى

وقوله يسوى بمعنى يساوي وقال بعضهم انه من خطا العوام وليس كما قالوه ففي تهذيب الازهري بعد ماذكر لايساوي مانصه لم يعرف الفراء لايسوى وقال الليث هي نادرة ولايقال منها سوى ولاسوى وهي لغة أهل الحجاز وأما لايسوى بالضم فليس بعربي صحيح انتهى وفي الارتشاف لابي حيان عد البهاري فيما لايتصرف من الأفعال يسوى وقال ابن الحاج بمعنى يساوي انتهى أقول قد علم مما نقلناه أن يسوى بزنة يرضى لغة صحيحة فصيحة حجازية

وماضعفها الا ابتذالها وهى من الافعال التى لا تتصرف أى لم يسمع منها الافعل واحد وذلك يكون بالاقتصار على الماضى كعسى وتبارك وقد يكون على المضارع كيسوى وينبغى فى قول وان ترك لفظ من مادة دون غيره فامانة كماضى يدع ويذر على المشهور وهذا مما ينبغى حفظه

(القاضى تقى الدين التميمى) بحر تدفق منه أدبه الجارى * وتضوع فى طى اردان فضله نشره الدارى * فسنت الايام من أسنة لسانه فولاذها * واطعمته المعالى على خوان الدهر من كبدها أفلاذها * ولما آل اليه كتاب وقف جده تميم * انتظم فى جيده من الفخار عقد نظيم * ثم اختلسته منه يد الدهر * فأذاقته حنظل الفقر والقهر * حتى أضرم فى فؤاده غليلا * بعد ماورد من ماء الحياة على ظما سلسبيلا * وكان فى أول أمره * واقبال طلائع عمره * حرفته الزهاده * وحانوته السجادة * ثم ساقه القدر الى القضا * فرضى بما قدره الله وقضى * بعد ما كان يقول

من تمنى القضا فلا تغبطنه * واجعل الموت سابقا للقضاء

وقد قالوا من تولى القضاء ولم يفتقر فهو اص والآن قد افتقرت اللصوص * لما سرقت الامراء من الخواتم الفصوص * والسارق اذا سرق من سارق فقد عامله برأس ماله * وقالوا الربح والفائدة السلامة من الخسران ووباله * ومايسلب قاطع الطريق العريان * بل يهديه للسبيل ويعطيه الامان * فكل قاض منقوص أبدى غصبه * وأظهر مع كل عامل نصبه * ورفعه وجره لم يزل ينوى * وحاله لم يطب وان عمت به البلوى * ودود الخل يموت اذا رمى فى العسل * وطيب الورد فيه هلاك الجعل * وله تصانيف سمعنا منه منها طبقات الحنفيه * وهى فى مجلدات جمع فيها من شقائق النعمان كل ثمرة جنية * وله نظم ونثر كقوله وقد لبس من القضاء خلع المذله * وحاكت له الاطماع من نصب المناصب حله

أحبابنا نوب الزمان كثيرة * وأمر منها رفعة السفهاء
فتى يفيق الدهر من سكراته * وأرى اليهود بذلة الفقهاء

(وله أيضا)

ما أبصرت عين امرء * فى الدهر يوما مثلنا

عشق وحرمان به * أبدا ترانا في عنا
الدون لا نرضى به * والعال لا يرضى بنا

والعال بمعنى العالي كقولهم لم ينل الا انها لغة عامية مبتذلة وقيل لابن المقنع لم لا تقول الشعر فقال ما يجيء مانرضاه ومانرضاه ما يجيء

(وله أيضا)

اذا أكثر العبد الذنوب ولم يكن * له شافع من حسنه يوجب العذرا
وأبصرت مولاه مع الذنب منعما * عليه فحقق أن بينهما أمرا

(وله في عبد الرحيم القسام)

في مصر قساما كل يدعى * في العلم توسعة له ويحاول
فسئلت أيهما أجل فضيلة * فأجبتهم عبد الرحيم الفاضل

(وله أيضا)

واذا أساء اليك خادم سيد * فأقره فارحل ولا تتوقف
واعلم بانك قد ثقلت وانه * أعطاك اذنا للرحيل مخفف

(وله مضمنا)

لنا صديق له في الغانيات هوى * واره لا يزال الدهر طرّاقا
كأنما هو حرباء الهجير ضحى * لا يرسل الساق الا ممسكا ساقا

وقد سبقه لهذا ابن نباتة المصري فقال

لا يشغلنك شئ في زمانك عن * وصل الملاح وحاذر كلما عاقا
وكن كما قيل في الحرباء من فطن * لا يرسل الساق الا ممسكا ساقا

وهو تضمين من قول بعض شعراء الجاهلية

اني أتيح له حرباء تنضبة * لا يرسل الساق الا ممسكا ساقا

والساق فيه غصن الشجرة ومن الانسان معروف وبه قامت التورية وضرب به بعض العرب مثلا لالدا لخصام الذي كلما انقضت له حجة أقام اخرى والحرباء دويبة تسمى أم حبين تتلون ألوانا مع الشمس وتكنى أبا قرة ويقال حربا تنضب كما قيل ذئب غضا وهو شجر تتخذ منه السهام جمع تنضبة وفي المثل أحزم من حرباء لانه مع تقلبه مع الشمس لا يرسل يده من غصن حتى يمسك آخر وهو الذي عناه الشاعر وضرب به ابن الرومي مثلا للقبح ويضرب به المثل في كثير التقلب أيضا

وكان بيني وبينه مودة أكيدة ومكاتبات ومراسلات بالروم فمما كتبته له

يا روض مجد بماء المكرمات سقى * وجامعا شمل فضل غير مفترق
لا أتقى زمنا أصبحت واحده * فأنت حصن لريب الحادثات تقى

وكتبت له مرة استدعيه

ولما نزلنا منزلا ظله غدا * أنيقا وبستانا من النور حاليا
أجد لنا طيب المكان وحسنه * منى فتمنينا فكنت الامانيا

يا غاية الامانى * وسلوة الحزين العانى * قد دعانى الربيع بلسان النسيم * وصاحت الطيور هلموا الى النعيم المقيم * وعيون الازهار شاخصة للطريق * وقدود الأغصان واقفة لانتظار الرفيق * فبالله عليك الا جعلت يومنا بك عيدا * وجددت لنا بك سرورا جديدا (والسلام) ولم يزل كذلك حتى طلع ثنية الوداع وهبط منها الوادى الفناء * وبلغ ساحل الحياة فركب سفينة نعشه واستراح من العناء

(يوسف المغربى) عزيز مصره بنانا وبيانا * ويوسف عصره حسنا واحسانا * نشأ بمصر يتعاطى صناعة الأدب * وثبت بأوتاد شعره كل سبب * يشارك فى تجارة الفضل بنصيب * ويرمى لاغراضها كل سهم مصيب * بطبع ألطف من نسمات الشمال * سرت سحرة بليلة الأذيال * متتابعة الأنفاس * فنبهت طرف نور فى مهد الرياض نعاس * وقد خمشت الصبا خد الشقيق * وخاضت بحار الدياجى فى كل فج عميق * مرتدية برداء السحر * معانقة لقدود الشجر * حتى ألقى هندى العنبر فى النار نفسه من حسد عليه * وتفتتت سويداء المسك حيث لم تصل اليه * وكان سابقا فى ميدان التصابى بين العذيب وبارق * مجرعوا لبنا ومجرى الجياد السوابق * فروينا كل حديث حسن * صحيح بسنده راوى الزمن * حيث الدهر غض الشباب * والآمال المورقة فسيحة الرحاب * وله مورد من الأدب صفى * وديوان سماه الذهب اليوسفى * فمما أنشدنى منه قوله من قصيدة له

هذى كنوز فتحت أم مبسم * والبرق لاح أم الغوانى تبسم
هذى شمائل قد نزلن بجوانحى * وجوارحى يبقى النزيل ويسلم

(يوسف المغربى)

(وله أيضا)

أوصيك ان شخصا غدا * يضحك أن مر بكا
لا تغترر بضحكه * فان هذا كالبكا

(وله فى العاملى)

ان اليهودى غدا عاملا * فى الناس بالجور وبالباطل
يعمل فى الدين كما يشتهى * فلعنة الله على العامل (ى)

(وله من قصيدة اخرى)

اشرب ولا تعتب على عاذل * فضله فى الناس لم يعتب
وان تكن ياسيدى طالبا * درّا وياقوتا من المطلب
فالكأس والصهباء فيها الغنى * فخذ حديث الكنز عن مغربى

(وله من قصيدة)

جعلوا الشعور على الخصور بنودا * والراح ريقا والشقيق خدودا
جعلوا الصباح مباسما ثم الطلا * م ضفائرا ثم الرماح قدودا
والورد خدا والغصون معاطفا * والشمس فرقا والغزالة جيدا
ورأت غصون البان أن قدودهم * فاقت فأضحت ركعا وسجودا

وهذا كقول ابن قلاقس من قصيدة له

عقدوا الشعور معاقد التيجان * وتقلدوا بصوارم الاجفان
وتوشحوا زردا فقلت اراقم * خلعت ملابسها على عقيان

(ومنها أيضا)

وهلال شوّال يقول مصدّقا * بيدى غصبت النون من رمضان

وله فى مليح اسمه رمضان

رمضان قد جئته رمضانا * وهو بدر يفوق كل الحسان
قلت صلنى فقال وهو مجيب * لا يجوز الوصال فى رمضان

وهذا كقول الآخر

بليت به فقيها ذا جدال * يجادل بالدليل وبالدلال
طلبت وصاله والوصل حلو * فقال نهى النبىّ عن الوصال

واعلم أن هذا كله ليس بشعر ترتضيه الأدباء وهو كل شعر أكثر فيه من البديع

قالوا وأول من أتلف الشعر العربي بهذا النمط مسلم بن الوليد ثم تبعه أبو تمام وأحسن هذه الصنعة التجنيس والتورية وهما في الشعر كالزعفران قليله مفرح وكثيره قاتل ولذا لم نجد في أهل مصر من يعرف الشعر ولا ينظمه ومنهم من غلط في ذلك فاكثر من اللغات الغريبة وتوهم انه بذلك يصير بليغا على أن باب التورية قفله ابن نباتة والقيراطي ثم رميا المفتاح في تلك الناحية وهذا لا يعرفه الا من له سليقة عربية وليوسف المغربي يمدح استاذه يحيي الأصيلي فانه تخرج عليه

مدحت البر اذا أضحى يحاكي * علوم البر ذي الفخر الجليل
واني ان مدحت البحر يوما * فمدحي فيه للبر الأصيل(ى)

فكتب له مخمسا ومقرظا * حمدا لمن أطلع من الأفق الغربي بدر بلاغته مشرقا * وشكرا له إذ أبدع جمال دينه بما أودع فيه من الكمالات التي زينت مغربا ومشرقا * وصلاة وسلاما لمن أضاء الوجود برسالته متألقا * حبيب الله عز وجل الذي متعه بدوام وصلته بلقائه فلم يقل متى اللقا * وأرشد امته الى حسن الأدب بقوله تعالى فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى * وبعد فان الشيخ الأديب * الكامل الأريب * الكاتب الشاعر * الناظم الناثر * ذا النظام الجوهري * والنثار الذهبي * أبا المحاسن يوسف جمال الدين الأزهري المغربي * أدام الله عز وجل محاسنه ومحاسن كماله * وأيد جمال رونقه ورونق جماله * ممن جمع الله له بين الحسن والاحسان * وبراعة البنان وبراعة البيان * فقد أربى بنضارة كلامه على زهر الخميلة * ورقت دقائق بديعه على درج المعالي الجليلة الجميلة * حتى صار مع صغر سنه شيخ الآداب * وظهر فضله كالشمس وقت الظهيرة في عصر الشباب * وكان كثيرا ما يجاملني بحسن المجالسة * ويعاملني بلطف المؤانسة * وينعم باجتلاء جواهر محاضراته واجتناء زواهر محاوراته * فتفضل باهداء بيتين مطربين ولا طرب المثالث والمثاني * مغنيين عن أجل الغواني * جلا فيهما عرائس صفاته في مرآتي * وأشرق مصباح ذاته في مشكاتي * فأوسعني أوسعه الله من فضله المزيد مجابرة وتأنيسا * والتمس مني حرسه الله بسر التوحيد أن أجعل له تخميسا *

قاصدا بذلك أنجح الله مقاصده وكثر فوائده تنويه ذكرى فأجبته لذلك مطيعا لأمره * حافظا ولا أقول مضيعا الطيب ما انطوى فيهما من عاطر نشره * معترفا بأن نظمه ثوب لم أكن من بزه * ووشى فكرى مقصور على رخيم خزه * فأبقاه الله عز وجل لاعلاء أعلام العلوم * وتحلية اجياد الآداب بجواهر المنثور والمنظوم * والبيتان العامران * بل الروضان الزاهران * والكوكبان الزاهران * قد تقدما والتخميس المذكور هو قولى

رأيت الشئ يمدح باشتراك * لآخر فى صفات الفضل زاكى
ألم ترنى بعزم وانهماك * مدحت البحر اذ أضحى يحاكى
علوم البر ذى الفخر الجليل

أصيلى جفا فى العلم نوما * وبر قد غلا فى المجد سوما
ولج فى بحار الفضل عوما * وانى ان مدحت البحر يوما
فمدحى فيه للبر الأصيل (ى)

أهل مصر تقول لما بلغ الغاية راح للبر الأصيل وهو مشهور ومعناه ظاهر ولما خمس قصيدة البردة بعض المتشاعرين من أهل الروم قلت فتح الله عين بصيرته * أتى فى تخميس البردة بما يدل على جمود قريحته * فخمس بل خمس * ودلس بغموض معانيه بل دنس * والبردة برد لا يحتاج جديده لترقيع * بمثل كلمات هذا الأحمق الرقيع * وبالجملة فالأصل در ثمين * بل جوهر نفيس يجل عن التثمين * لما فيه من عظيم التوحيد * والتنبيه بمدح النبى المجيد * فهو روض فى شباب الربيع * لا يحتاج لمنة غيث مربع * وأما الفرع فشوك فى رياضها أو دنس يحتاج للتسبيع

اذا خمس الناس القصيد لحسنه * فحق لشعر قاله أن يسبعا

(يحيى الأصيلى) أديب ماهر * وشاعر ساحر * عبقت بالديار المصرية * أنفاسه الندية الندية * بطبع يعبر عيون الحور سحره * ويفضح رقة الصبا اذا نبهت جفون الأنوار سحره * نشأ بدمياط وقد ابتسم بمحياه ثغرها * ودرت عليه سحائب نعمها فلله درها * ثم هاجر لمصر وعود شبابه خضر * وروض محاسنه بماء الصبا بهيج نضر * فتخرج بالنور العسيلى حتى حلا فى ذوقه شهد آدابه * وتزينت حقاق أفكاره بفرائد

خطابه * وكان يتغنى بالقرآن * ويقرى بصوته الحسن الآذان * وله أنفاس فى الغناء تميت الهموم وتحيي الطرب * وترشف منها الآذان ماتسكر منه ابنة العنب * فاذا ترنم فى نادى سادة أعيان * فكأنه نسيم الصبا والقوم أغصان * فأنفاسه أطرب من عود * وذكره الجميل أطيب من عود

فان العود مشتق * من العود باتقان
فهذا طيب آناف * وهذا طيب آذان

ولم يزل بعد العسيلى يدير سلافة اللطافة * ومابرح بديوان فى محل خلافة لا يرضى خلافه * يقطف ثمرات المنى * ويقيل تحت ظلال الهنا * حتى مدّ الغناء له فى الغنى * مع ماله فى فنون العلم والآداب من المآرب

فلله منه جانب لايضيعه * وللهو منه والخلاعة جانب

مع انه خفيف الروح خفيف الشقة على سائر الناس * محبته لذلك تجرى مع الأنفاس

واذا أحب الله يوما عبده * ألقى عليه محبة للناس

ولم يزل كذلك حتى قصد الحج يطلب من شريف مكة أمله وتنويله * ولم يدر ما أضمرت له سود الليالى وماتنوى له * فلما ألقى العصا بها واستقرت النوى * قضى مناسك حجه واخلص لله مانوى * ودعاه الكريم الى داره * فحل متمتعا بالرحمة فى جواره * واقفا فى عرفات احسانه * محرما فى ازار أكفانه * وكان بينى وبينه ودّ جميل * الا انه لضيق وقته كشمس الشتاء عند الأصيل * فما نطق به لسان قلمه * وأودعه من نور معانيه فى كمام كلمه * قوله

من منصفى من ظالم * بيت المظالم بيته
أخفيه خشية بأسه * وأود لو سميته

وهذا كقول السراج الورّاق

رزقت بنتا ليتها لم تكن * فى ليلة كالدهر قضيتها
فقيل ماسميتها قلت لو * مكنت منها كنت سميتها

وقد قيل عليه ان التورية لم تعقد له لانه انما يقال من السم سممتها وقيل مثله يسمى ايهام التورية والصحيح انه من باب تقضى البازى بمعنى تقضض وفى كلام

بعضهم ما يقتضى اطراده وله أيضا

الا ان لى يا آل صديق أحمد * لشمس هدى منكم به الكرب ينجلى
فلى منه استاذ ولى منه مرشد * ولى منه قطب ذو اتصال ولى ولى

وهذا نوع من البديع زعم ابن الوردى انه اخترعه وسماه ايهام التأكيد وهو فى القرآن كقوله تعالى رسل الله الله أعلم حيث يجعل رسالاته ومثله قول ابن مكانس

نعم نعم محضتهم * صدق الولا تطولا
وما رعوا عهدا ولا * مودة ولا ولا

(وله أيضا)

لى صاحب متمرض * متقلق فى ذاته
يارب صبرنى عسى * أقوى على مرضاته

(وله مماجنا)

لا بد يا مولاى أن * تسمو لديك مواكب
انى رأيتك كاشفا * وأنا وراءك راكب

(وله أيضا)

وبى عروضى اذا * أبصره البدر احتجب
أعطافه اصابه * فاصلة بلا سبب

(وله أيضا)

يا ذا العروضى الذى * أضحى ببسط الحسن كامل
وعن ابن قطاع روى * هلا رويت عن ابن واصل

(وله أيضا)

يا حسن جنان له وجنة * من وردها باللثم حيانى
اتحفنى يوما بما رافنى * من رطب حلو وحيانى

(وله)

أتت جنينة استاذنا * وقد جمعت كل معنى كمل
بها أى ورد وآس به * تفرق شمل عداه وفل

والفل نوع من الياسمين بلغة أهل اليمن ذكى الرائحة ولم يذكره أهل اللغة فهو

لغة مولدة وسماه ابن البيطار فى مفرداته بالمخارق وكتب لخاله بثغر الاسكندرية

لخالى بثغر اسكندرية رغبة * ومن بعده قد حال لى فى الهوى حال
فان يك أضحى ثغرها موطناله * فيا حبذا فى ذلك الثغر لى خال

وكتب لشيخنا الصالحى يستأذنه فى الدخول اليه لما قدم مصر

على الباب من كاد من شوقه * يموت وذلك يحيى الأصيلى
أتى يتغنى بأوصافكم * فهل تأذنون له فى دخول

(فأجابه رحمه الله بقوله)

لمولاى يحيى رقيق الطباع * ولطف السماع وحسن القبول
أمولاى هل خارج ضربكم * لتحتاج للاذن عند الدخول

والدخول مصدر معروف ويستعمله المولدون بمعنى آخر وهو حسن الصوت الجارى على قانون الموسيقى وضده خروج والضرب النقرات التى توزن بها النغمات ويسمونها اصولا ومنه علم حسن الايهام هنا كما فى قول أبى الحسين الجزار

أمولاى ما من طباعى الخروج * ولكن تعلمته فى خمولى
أتيت لبابك أرجو الغنى * فأخرجنى الضرب عند الدخول

(وللاصيلى أيضا)

قيل لى ان فلانا * قد تعالى وتكبر
ولمن قد ساء رأس * قلت لا بل رأس منسر

(وله أيضا)

شفنى فاحم شعر * حسن الجمة سبط
شجنى يملى عليه * وهو فى الأرض يخط

وهو كقول مهيار

بعيدة مسقط القرطين تقرا * خطوط ذوائبها فى التراب

(ولابن سنا الملك)

وأشكو الى ليل الغدائر غدرها * وأملى عليه وهو فى الأرض يكتب

(وله أيضا)

مذبان من أهوى همت * عينى بماء منهمر
فقلت للقلب اذا * لم تلق صبرا فاستعر

(وله أيضا)

وب قاض قبل الرشوة لماأن تملك
قال للظالم انى * سانجيك وأهلك

(وله أيضا)

ورسالة من لطفها أشبهت * ريح الصبا مرت بزهر الربا
ولم يزل ما بين أهل الهوى * رسائل العشاق ريح الصبا

(وقريب منه قولى)

يا يوسف الحسن الذى لم يزل * عذابه للصب مستعذبا
سرى نسيم منك فى طيه * نشر لكرب القلب قد أذهبا
لولم أكن يعقوب حزن لما * أزال أحزانى نسيم الصبا

وله من قصيدة يرثى بها العلامة النحريرى البصير خاتمة المفسرين

ان عصانى شعرى لفقد شعورى * فدموعى ترثيك بالمنثور
يا اماما لما سكنت جنانا * فاض دمعى عليك فيض البحور

(ومنها)

وبكى الأزهر المعمر بحرا * كان فى الله رب دمع غزير
فصابيحه باحشائها النا * رعليه من لوعة التذكير
ومحاريبه لفرقة ذاك الصدر أضحت مقوسات الظهور

وهذا معنى حسن سبقه اليه بلدينا ابن نباتة فى قوله من قصيدة مطلعها

على مثل ذا فلتبك أعيننا العبرى * وتطلق فى ميدانها الشهب والحمرا

(ومنها)

بفقد نابنى الدنيا فلما تلفتت * وجوه أمانينا فقد نابنى الاخرى
سيعلم كل من ذوى المال فى غد * اذا نصب الميزان من يشتكى الفقرا
كأن المحاريب القيام بصدره * لفرقة ذاك الصدر قد قوست ظهرا

قوله كأن البيت لعل قبله ومنها والا فما مرجع الضمير فى قوله بصدره

(وله أيضا)

لايهدين الفتى لصاحبه * آلة قطع كالسيف والنصل
الا ومع ذا ابرة لتكن * مع آلة القطع آلة الوصل

(شمس الدين محمد النحريرى الحنفى البصير) خاتمة المفسرين والقراء والمحدثين

شمس الدين محمد النحريرى الحنفى البصير

والمحدثين والفقهاء * علم فضله مشهور * على عاتق الخافقين منشور * ذو بيان عذب طليق * وروض فضل هو للنعمان شقيق * تفجر منه ينبوع الحكمة معينا * فنادى لسان حاله لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا * فله فى كل لفظ براعه * وفى قلب كل عبارة براعه * عليه حلل الفضل سوابغ * وبجيد الدهر قلائد من كلمه النوابغ * وكان فى ابان أمره * واقبال طلائع عمره * سعده فى كين الخمول * يراقب فرصة يطلع منها له القبول * ان غرس غراس المنى * جنى منه ثمر العنا لا الغنى

ومع العفافة ثروة لو أنها * نوم لما شعرت به الأحداق

وله أخ شقيق * وصنو عريق * متسربل بسربال الثروة * شارب من كل ورد صفوه * فاتفق ان زاره الحمام * وحياه طارقه بالسلام * فقرب روحه لقراه * ولم يكن له وارث سواه * فبدل فقره بالغنى * ونور له رياض الآمال والمنى

بذا قضت الأيام ما بين أهلها * مصائب قوم عند قوم فوائد

وقد حضرت ناديه وهو يملى التفسير * ويقرى المسامع بالمواعظ والتذكير * ثم يكسو الوفود ديباج الحقيقة * ويحلى واديه بنور كلماته الأنيقة * ويجرى أمطار عبرته حتى تعشب ذلك الوادى * ويرعى بربيعه المخصب سرح كل حاضر وبادى * فتود الأعضاء لو أنها كلها مسامع * والأذهان لما يمليه عليها لو أنها كلها دفاتر ومجامع * وبالجملة فهو فذلكة كتاب الدهر * ومنطقه نتيجة مقدمات السحر * ممن تنقشع بذكره سحائب النقمة * وتنبع منه ينابيع الحكمة * لا زالت هتانة على جدث حواه هواطل الرحمة * ولداته وأترابه * وأقرانه وأصحابه

محمد الحنفى المفتى المعروف بالذئب

* (محمد الحنفى المفتى المعروف بالذئب) * وما هو ذئب بل أسد * له رأى فى مذهب النعمان أسد * وحبر تكحلت بحبره عيون الفتوى * وبحر تروى المسامع بما عنه يروى * ارتفع من حضيض التقليد الى ذرى الفضائل * وسابق فى حلبة العلوم فحاز قصب الفواضل * فبحره لا تكدره الدلاء * ومورده العذب لا تنزحه الركاء * ونجله سرى فى ليل المجد فما كره فلاحا * وحط رحله فى نادى الكرم فما تركه من أبيه مغدى ولا مراحا * ومن يشابه

أبيه فناظم فأفتى ودرس * ونزل فى ساحة الفضل وعرّس * وكنت قلت فيه فى زمن الشباب * وقد اجتنيت من ثمره المستطاب

للذئب نجل فضله * لاح على غير نمط
حاكى أباه فى العلا * فهل رأيت الذئب قط

وهو كقول ابن لؤلؤ

وذى قوام أهيف * بين الندامى قد نشط
قام يقط شمعة * فهل رأيت الظبى قط

وللشهاب الحجازى

وبدر تم قد سعى * بكأس راح وانبسط
حيي وقط كأسه * فهل رأيت البدر قط

وقلت أنا

وكاتب كأنه * غصن النقا اذا انشط
يقط أقلامه * فهل رأيت الغصن قط

فائدة القد والقط متقاربان معنى وهما نوعان من القطع وفيه لطيفة اتفاقية لان القد قطع الشئ من نصفه أو قطعه نصفين والقط قطع الطرف كما فى الشمع والقلم فكأنه لكونه قليلا من القطع نقص منه العين ثم ان هذا النوع من التشبيه غريب بديع تعرض له المبرّد فى الكامل ونقله الامام المرزوقى فى شرح ديوان أبى تمام وأهل المعانى لم يتعرضوا له وسماه المرزوقى بالايماء وهو غريب فى بابه ومنه قول المنازى فى وصف نهر

تروع حصاه حالية العذارى * فتلمس جانب العقد النظيم

وقد بسطنا الكلام عليه فى كتابنا طراز المجالس وفيه فوائد لا توجد فى غيره والشئ بالشئ يذكر فلنذكر هنا بعض من أدركناه من العلماء الأعلام * الذين هم مسك الختام * ولله درّ من قال

يادهر بع رتب المعالى بعدهم * بيع الكساد ربحت أم لم تربح
قدم وأخر من تشاء من الورى * مات الذى قد كنت منه تستحى

شيخ الاسلام على بن غانم المقدسى

❁ (فنهم شيخ الاسلام على بن غانم المقدسى) ❁ امام اقتدت به علماء الأمصار * وتنزهت من فضائله فى حدائق ذات بهجة وأنوار * أثمرت

أغصان

أغصان الأقلام فى رياض فضائله * وسالت فى بطاح المكارم بحار فواضله

فالناس كلهم لسان واحد * يتلو الثناء عليه والدنيا فم

فالعلم مدينة وعلى بابها * وكعبة حجت اليها آمال الفضلا والبابها * لومست راحته السحاب أمطر كرما ومجدا * أو النجوم السيارة جرين فى الربيع سعدا * لو رآه النعمان لقال هذا أخى وشقيق * أو الصاحب لقال له أنت فى طريق المعالى رفيق

صفاته لم تزده معرفة * وانما لذة ذكرناها

وله فى كل فن كعب على * وفكر بنقد جواهره جلى * مع نباهة تحلت بها الأشعار * وصيت طار بأجنحة الثناء فى الأقطار * وقطع كل سهل وجبل * كأنه بكر معنى سار فى مثل * كما قال من قصيدة

لله درك يا من نظمه درر * قلادة لنحور الغيد تدخر

أو روض فضل نضير لا نظير له * فى دوحه ثمر ما مثله ثمر

مسك الفصاحة من فحواه منتشق * واللؤلؤ الرطب من معناه منتثر

وكنت فى زمن الصبا * وأنا مسنون الأسنة حاد الشبا * دخلت ناديه والكون متعطر بنشره * والدهر مبتسم للقياه بثغر سروره وبشره * وقرأت عليه طرفا من العلوم وحديث الرسول * فامدنى بدعاء لا أشك انه على أكف القبول محمول * حتى كان ينوه باسمى * ويفتح جريدته برسمى * وأنا أجتنى باكورة التحصيل * فكتبت له عند ورود البشائر بوفاء النيل * بيتين هما

قسما ليس نيل كفك كالنيـ * ـل اذا راية المكارم تنشر

أنت عند الوفاء طلق المحيا * وأرى النيل فى الوفا يتكدر

فنثر عليهما نثار الاستحسان * وقال هكذا ينبغى أن تنظم عقود الجمان * وله شعر كان ينظمه لرياضة الخاطر * ولا يرتضى أن يلصق باسمه سمة الشاعر * فلذا لم يعتن بتشييد أركانه * ولا تمييز ياقوته من مرجانه * لاشتغاله بالتأليف والفتوى * وتهذيب نفسه القدسية اللابسة حلل التقوى * وله شرح نظم الكنز * المسمى بالرمز * ورسائل كثيرة منها الشمعة * فى أحكام الجمعة * التى يقول فيها شيخ الاسلام على بن أمر الله الحنائى

لقد آنست عيناى لمعة شمعة * توقد من مشكاة علم واتقان

جلا نورها البادى بصبح كماله * غياهب شك كان فى ليل نقصان

وكتبت عليها أنا الساقط العتها

شمعة تقطع رأس الشمع اذ * سرق الأنوار منها والنقط

ضوءها من غير قط ساطع * ما رأى شبها لها ذا الدهر قط

واعلم أن ابن بسام قال فى الذخيرة اشعار العلماء على قديم الدهر * وحديثه بينة التكليف * وشعرهم الذى روى لهم ضعيف * حاشا طائفة كخلف الأحمر وقطرب وليس كما قال وعندى انه كدعوة البخيل وحملة الجبان * على ما يعرفه من له أدنى اذعان

محمد الدمياطى الحنفى تلميذ شيخنا المقدسى المفتى بمصر بعده

(محمد الدمياطى الحنفى تلميذ شيخنا المقدسى المفتى بمصر بعده) فاضل مقدم فى نتائج الفضل وغيره التالى * ومشيد بنيان المكارم بطبعه العالى * بوقار تزل عنده الراسيات الشوامخ * ومحكم مجد لا يرد على آياته البينة نواسخ * ان خط فما خط الربيع والعذار * أو تكلم فما مطربات الأطيار والأوتار * ورد على بالروم اذ جاب الفيافى والبوادى * وعزمه لعنان مطايا الهمة ثان وحزمه لها حادى * وأنا بها عديم الأنيس * حتى اليعافير وحتى العيس * وشوقى الى الكرام * كما قال أبو تمام

واجد با لخليل من برحاء الشوق وجد ان غيره بالحبيب

فأنعم برقيق المكاتبه * وجاد على بالمؤانسة والمصاحبه * ففزت منه بأوفى نصيب * وكل غريب للغريب نسيب * فما كتبته لاستجلاء أنواره * واقتطاف جنى ثماره

أيا روض مجد منبتا زهر الحمد * ومن ذكره أزكى من العنبر الورد

ومعدن فضل منه تبدو جواهر * نفائس عزت أن تقابل بالنقد

أرى ثغر دمياط بكم كان باسما * ومذ سرت أمسى عابسا وهو ذو وجد

وكم شرف فى الروم من شمس ذاته * بمقدمه قد بدل النحس بالسعد

أحبك حبا لو تقسم فى الورى * غدوا فى أمان من عدو ومن ضد

وفى القلب جمر من بعادك فوقه * يفوح ثناءى فيك كالعود والند

ومن كان فى القلب المتيم حاضرا * يجاور فيه خالص الحب والود

فسيان منه القرب عندى والنوى * على أن قرب الدار خير من البعد

فلا زلت ذا فضل يخلد ذكره * ويظهر في جيد المكارم كالعقد

(فأجاب)

أفائق أهل العصر في كل ما بدى * وأوحد هذا الدهر في الحل والعقد
ومن مده هبانا وقسا فصاحة * ومن نظمه المشهور بالجوهر الفرد
نظمت قريضا في حلاوة لفظه * وفي الذوق ازرى بالنباتي والوردي
وضمنته معنى بديعا فمن يرم * لادراكه شأوا منه يخطئ في القصد
ملكت أساليب الكلام بأسرها * فأنت بارشاد الى طرقها تهدى
لقد كنت في مصر خلاصة أهلها * وفي الروم قد أصبحت واسطة العقد
وحق شهاب أصله الشمس أن يرى * حريا بأن يرقى الى غاية البعد
فعذرة مني اليك وما ترى * من العجز والتقصير قابله بالسد
فلا زلت في أوج العلا متنقلا * وشانئك الممقوت في العكس والطرد
ولا برحت أبياتك الغر في الذرى * وأبيات من عاداك في الدك والهد
ودمت فريدا للفرائد رائقا * مناهل فضل منهلا طيب الورد

فقلت لما ورد هذا الجواب

رعى الله اخوانا النسا من ذوى الود * لقد خيموا في روضة المجد والسعد
أناس كماء النيل صاف ودادهم * بهم أملى الظما آن يروى من الورد
لقد شرب الدهر الخؤون صفاءهم * وأبقى وجوها كدرت مورد الحمد
غسلنا بماء النيل ما دنس الوفا * وقد صبغوا من مثلهم أزرق الحقد
وعهدى بهم ورد اذا ما تكدرت * مشاربه فيها وفاء لدى المد
وقالوا لنا حد به يذهب الجفا * جفاء فتم الحد بالعكس والطرد

(شيخ الاسلام سراج الدين الحانوتي الحنفي المفتي) السراج الوهاج * والبحر المتلاطم بالامواج * من حاكته الشمس نورا فكانت سراجا * وفاخرت البدور فزادت ابتهاجا * روض نضير * ماله في سائر العلوم نظير * وهو في فقه أبي حنيفة الجامع الكبير * وقور حليم لا يعرف الطيش والخفة * وله ثروة عظيمة وعفة * حسن اللباس * منقطعا عن سائر الناس * قائلا لطارق الوسواس

ونفسك أكرم عن امور كثيرة * فما لك نفس غيرها نستعيرها

شيخ الاسلام سراج الدين الحانوتي الحنفي المفتي

ولم أرفى عصره من يضاهيه * الا الشمس وهيهات لها نيل معاليه * وان لم يكن لها ثانيا * ولا سميرا فى السماء مدانيا * فلله دره ما أعرفه بالزمان * وأقدره على الانس بالوحدة وترك الاخوان * كما قلت

لا تلمنى على انفرادى وحبى * وحدتى واعتزال أطماع وهمى
علمتنى الأيام مذ كنت حملا * خلوة الأربعين فى بطن امى

لا زالت سحب الرحمة تحدوها الصبا والجنوب * حتى تشق على ثرى جدثه غر السحاب الجيوب * آمين

(السيد عبد الرحيم العباسى) أنا وان لم أره * فهو لقرب عهده سمعت خبره * حسيب طرز كم المجد * وأعار رقة شمائله نسمات نجد * أنجبته أم الفضل كريم الحسب سعيدا * فأبى أن يكون على الفضائل الا مأمونا ورشيدا * وله رايات فضل عليه * تعممت الأقلام بسواد أنقاسها العباسية * وكتائب ثناء تعطرت الكتب بنفحاته القدسيه * طفح سكرا بشمولها فم الكاس * وابتسم فرحا بها كل زمان عباس

واذا أردت مديح قوم لم تمن * فى مدحهم فامدح بنى العباس

فنسبه ناهيك به من نسب * وعرف معارفه اذا رآه الروض نادى عليه أصبح الورد عجب

ابن عم النبى واللابس الفخـ * ـر بزمن نوره ومن برهانه

ولما ارتحل الى الروم وبها بقية من الأعيان * أجله علماؤها لما رواه به من نوادر الزمان * وكان المولى عبد الباقى عيبة لطفه * وظرفا ترشح منه رشحات ظرفه * فانه ممن قد من بردا لشمال شماله * وارتضعت أخلاف المزن مع طفل النور خلاله * يقطر منه ماء البراعه * وتثمر بما تزه أغصان البراعه * وله تآليف وآثار سطورها سبح اذا أتها سبحت الاقلام * وكبرت عجبا بها ألسنة الخاص والعام * اذا قدم معناها على الأسماع برزت لاستقباله طلائع الافهام * وتسجد الابصار لروائه * وتخضع الرقاب لزهوه وحسن بهائه * ولم أر من آثاره غير معاهد التنصيص * فى شرح شواهد التلخيص * وسمعت له شرحا على البخارى ورأيت له شعرا وانشاء ومدائح فى المولى المحقق سعدى فمما رويناه من شعره قوله

أرعشنى الدهر أى رعش * وكنت ذا قوة وبطش

السيد عبد الرحيم العباسى

قد كنت أمشي ولست أعيي * فصرت أعيي ولست أمشي

(وقوله أيضا)

مالي أرى أحبابنا في الناس * صاروا كمثل حبابنا في الكاس
بينا يروقك عند أول نظرة * كاللؤلؤ المتناسق الأجناس
فاذا أعدت الطرف فيهم لم تجد * شيأ وصار رجاؤهم كالياس

(وقوله أيضا)

من يبغ بالفضل معاشا يمت * جوعا وان كان بديع الزمان
تبغي الحجى ثم تروم الغنى * يا قلما تجتمع الضرتان

(وله أيضا)

ألؤلؤ نظم هذا الثغر أم حبب * وقرقف طعم ذاك الريق أم ضرب
وما أراه بصحن الخد ورّدها * أم وجنة بدم العشاق تختضب

(وله أيضا)

لست عن ودّ صديقي سائلا * غير قلبي فهو يدري ودّه
فكما أعلم ما عندي له * فكذا أعلم ما لي عنده

(وله أيضا)

لو كان ذا الكاشح في بلدتي * لم يستطع يومضني ومضا
وكنت في العز سماء له * وكان لي من ذله أرضا

(وله أيضا)

يعقد النقع فوقها سحبا كالليل فيه السيوف أضحت نجوما
ومتى ما رأت سواد شياطين بغات الحروب عادت رجوما

(وله أيضا)

رأيت لئيم قوم في عمر * وبين يديه أشخاص لئام
فسلم من جهالته ابتداء * فقلت له متى كسد السلام

(وله أيضا)

حال المقل ناطق * عما خفي من عيبه
فان رأيت عاريا * فلا تسل عن ثوبه

وهذا كقول الحريري

فكل ما حلا حين تؤتى به * ولا تسأل الشهد عن نحله
وقول الآخر
كل البقل من حيث تؤتى به * ولا تسئلن عن المبقله
وأمثاله كثيرة كما بيناها فى غير هذا الكتاب وله أيضا
اذا ما كنت فى قوم غريبا * فعاملهم بفعل يستطاب
ولا تحزن اذا فاهوا بفحش * غريب الدار تنبحه الكلاب
وهذا اشارة الى ماجرت به العادة من نبح الكلاب على من لم تعرف وكذلك أيضا تنبح على الفقراء وفى أنس الحكمة للزندوسى الكلب ينبح على الفقير دون الغنى لانه من جنسه ولانه يرجو منه المواساة بخلاف الفقير ولذا قال الشاعر
حتى الكلاب اذا رأت ذا ثروة * ذلت لديه وحركت أذنابها
واذا رأت يوما فقيرا معدما * هرت عليه وكشرت أنيابها
(وقوله أيضا)
أرى الدهر يكرم جهاله * وأعظم قدرا به الجاهل
وأنظر حظى به ناقصا * أيحسبنى اننى فاضل
ولما سمعه البدر الغزى أجابه بقوله
أعبد الرحيم سليل العلا * ويافاضلا دونه الفاضل
أتعتب دهرا غدا موقنا * بانك فى أهله الفاضل
وقرأت فى ديوان الزمخشرى
فلا ترض ياصدر الكفاة بأن ترى * أعالى قوم ألحقوا بالأسافل
والا فوقع للزمان فانه * غلامك يجعلنى كبعض الأراذل
وللدباسى البغدادى
انى رأيت الدهر فى صرفه * يمنح حظ العاقل الجاهلا
لما رآنى نائلا ثروة * أظنه يحسبنى عاقلا
ولمجير الدين بن تميم
الدهر عندى لامحالة أحول * فاسأل به من كان طبا عاقلا
يرنو اليك اذا فاضلا فيرده * حولى بعينيه فيلحظ جاهلا

قوله للزندوسى كذا فى نسخة وفى اخرى الزندوستى وحرر اه

وللباخرزى

كيف لا يمسك عنى برقه * بعد ما أمسك عنى وبله
ساءنى الدهر لانى عاقل * ليت انى مثل غيرى أبله

وأجاد القائل

ومالى لدى دهرى ذنوب أعدها * سوى تهمة الأعداء لى بالفضائل
وانى منه تبت توبة نادم * مقرا بأنى اليوم أجهل جاهل

وفى معناه قول المنجنيقى

ان كان ذنبى انى شاعر * فأصفح فقد تبت عن الشعر

وقال أبو تمام

ينال الفتى من دهره وهو جاهل * ويكدى الفتى من دهره وهو عالم
ولو كانت الارزاق تأتى على الحجى * هلكن اذا من جهلهن البهائم

وما ألطف قول الوزير ابن زيدون وقد سجن

لم يطو برد شبابى كبره وأرى * برق المشيب اعترى فى عارض الشعر
قبل الثلاثين اذ عهد الصبا كثب * وللشبيبة غصن غير مهتصر
أيهنأ الشامت المرتاح خاطره * أنى معنى الأمانى ضايع الخطر
هل الرياح بنجم الأرض عاصفة * أم الكسوف لغير الشمس والقمر
ان طال فى السجن ايداعى فلا عجب * قد يودع الجفن حد الصارم الذكر

(وله أيضا)

أما ترى البدر ان تأملت والشمس هما يكسفان دون النجوم
وهو الدهر ليس ينفك يحنو * بالمصاب العظيم نحو العظيم

سراج الدين عمر الفارسكورى

(سراج الدين عمر الفارسكورى) فاضل قلد جيد دهره من فضائله بحليها * ونظم عقد محاسنه فى صدر نديها * جنى من ثمرات العلوم الرياضية فواكه ذاقتها الافهام * واجتنى من رياضها أنوارا لم تبرز من الاكمام * وأجتلى أبكارها وعرفها وهى حور مقصورات فى الخيام * فلك من ذلك الفن خمائله ورياضه * وراض فى مضمارها جواد فكره أحسن رياضه * وكثيرا ما كنت أستنشق عرف خبره * واتحلى من الشقة الفارسكورية رقيق حبره * فسكرر من كماله ماشئ الاعجاب وعطفه *

وحقق أن عمر علم في العدل والمعرفة * وانه مفرد لا يثنى * وقد نال من الفضل ماتمنى * ورأيت له من الآثار * مالم يسمع به الفلك الدوار * فكم دار عليه * ثمار أبى له مثلا لديه * ككتابه ناشئة الليل وتلم الارتشاف * وغيره مما قطعت دونه توابع الأوصاف * وله شعر منه قوله

شكل اشتياقي ماله من حد * ونقطة الصبر محاها وجدى
وامتد خط الدمع من محاجرى * بلا تناه فوق سطح الخد
وهيئة الجسم اضمحلت مذ نأى * وانحدرت حباتها بالبعد
وضاق صدرى حرجا اذ أسندا * رت حركاتى حول قطب الصد
وأصبحت كرات حظى مركزا * مسكنها فى وسط جرم الجهد
ومن قسى الهجر كم من أسهم * نحوى ماشقت جيوب وجدى
والزمن انقطاع قد ألفهما * بين محاجرى وبين السهد

واعلم أن استعمال ألفاظ اصطلح عليها أرباب العلوم كما هنا قالوا انه مما يخل بالفصاحة لانها كالغريب بالنسبة أو ضعيف التأليف ولعلهم أرادوا الاكثار منها كقول الجاحظ على لسان طبيب

شرب الوصل دستينج الهجر فاستطلق بطن الوصال بالاسهال
ورمانى حبى بقولنج بين * جالنوس منه بأكسف بال

وابن هذا بينى وبينه مودة وصداقة وهو

(تقى الدين بن عمر الفارسكورى) فاضل عريق * وأديب فى بحار آدابه حاسده غريق * له خلق خليق بالألطاف * وفضل تقطع دونه النعوت والأوصاف

ونهى غادرت ضمير القراطيس مصيخا لألسن الأقلام

وهو بالروم صديقى * وفى الغربة القارظية رفيقى * فكم دار بينى وبينه رحيق مدامة من الكدر صفا (تحكى النسيم لطافة لماسرى) وحديث

كحدث الماء الزلال اذا صفا * فجرى النسيم عليه يسمع ماجرى

وللأمل فيه عدات يرجى وفاؤها * وله على الدهر ديون بينه يحق أداؤها * ومما أنشدنى لوالده قوله

اذا كانت الأفلاك وهى محيطة * علينا قسيا والسهام المصائب

تقى الدين بن عمر الفارسكورى

ومرسلها البارى فأين فرارنا * وسهم رماه الله لاشك صائب

وكان انشاده لى لماتذاكرنا امور الدهر وتصدر الجهلة وأنشدنه قول الشريف الرضى رضى الله تعالى عنه

أما تحرك للأقدار نابضة * أما يغير سلطان ولا ملك

قدهادن الدهر حتى لاقراع له * وأطرق الخطب حتى مابه حرك

كل يفوت الرزايا أن يقعن به * أما الأيدى المنايا فيهم درك

أقصر الدهر عجزا عن لحاقهم * وأين أين ذميل الدهر والرتك

أخلت السبعة العليا طرائقها * أم أخطأت نهجها أم سمر الفلك

وقلت أنا فى ذلك

مدافع بالنجوم وبالصواعق * بروج أرسلت منها شواهق

مصيبات تخرّ على الاعادى * تزمجر بالرعود وبالبوارق

ودارت دائرات قد أحاطت * من الأفلاك ماعنهن عائق

ومن كل الجوانب راميات * قسى قرطست هدف الخلائق

قسى فى الركوع له سهام * أصابعها تشير الى البوائق

ستدرك هذه الأوتار منها * قلوبا قدغدت فى فترخافق

فلا تيأس ستفتح عن قريب * حصون ذا الرخاء لهن طارق

وسهم الله لايخطى بليل * وان أمسى من الظلمات غاسق

وأنشدنى له قصيدة مطلعها

يامن محياه يستسقى به المطر * وعدله كاد ينسى عنده عمر

(ومنها)

ان كنت تبغى بنار الهجر تجربتى * انى على الحالتين العنبر العطر

وأهجر الماء ان كانت معلقة * به حياتى اذا ماشابه كدر

وسوف ينبيك عن صبرى جفاك على * لظاه هل أنا ياقوت أم الحجر

(ومنها)

أرى الدهر مامنه تؤمله * حتى نراك ومن انصارك القدر

وأنشدنى له من اخرى

ما الدرّ فى حقة الياقوت ان بسما * وما نسيم الصبا والندّ ان نسما

(ومنها)

ماشق سرح عذار روض وجنته * حاشا شقائقها أن لاتكون حمى
فلو سوالك غزانى كنت تمنعه * عن ساحتى لو يكون الشيب والهرما
ومما أنشد نيه قوله مضمنا

تقول سليمى بعدمابنت تبت عن * هواى وعن ذى الخال لست بتائب
تواصل واوات بخد معذر * وتجفو بلا ذنب ذوات الذوائب
اليك فانى لست ممن اذا اتقى * عضاض الافاعى نام فوق العقارب

(محمد بن أحمد الخنبانى) ريحانة الندمان * وفاكهة الخلطاء والاخوان * وفاكهة الظرفاء وهدية الزمان * مهر فى الفنون * فأتى بما تلذبه الاسماع وتقربه العيون * لاسيما فى الطب والحكمة * فانه كان فيهما اذا همة * ولما غلب عليه الهوى * سقط نجمه من افق السعادة وهوى * فلم يتنبه حظه بغير قهقهة القنانى * ودغدغة المثالث والمثانى * الا ان له شعرا يحط قدر الحطيئة ويبلد لبيدا وذهنا يدع اياس * من الذكاء فى اياس * وبديهة بديعه * كأن لها على كمين الغيب طليعه * وقد كان كثيراما يسامرنى فينشدنى من أشعاره * وينثر فى نادى الأدب فرائد نثاره * فمن ذلك قوله من قصيدة

نعم أتتك فلا خضاب الموعد * متنصل تبدى اعتذار المجتدى
جاءتك تدرع السعود كأنها * غصن من الياقوت فوق زبرجد

(وقوله أيضا)

فكم ليال كست بدر الدجا شرفا * تمنت الشمس فيه رتبة القمر
أبدى لنا ضوءه لحفا بطانتها * ريح الصبا وافترشنا زهرة الزهر
ويقرب من هذا قول بعض المغاربة

وفتيان صدق عرسوا تحت دوحة * وليس لهم الا الهناء فراش
كأنهم والنور يسقط بينهم * مصابيح يهوى نحوهن فراش

(وقوله أيضا)

أجل الله أعطاف الحبيب * وأينع قامة الغصن الرطيب
وأنبت وردها غضا طريا * وسيجه بريحان القلوب

(محمد بن احمد الخنبانى)

قوله الهناء فى نسخة البهار

ولا زالت شمائله نشاوى * مرنحة كغصن فى كثيب
وعطفها نسيم الشوق حتى * تميل الى معانقة الكثيب
وروى أرضها سحرا مطير * بغيث من سما جفن صبيب

(وقوله)

عمر الفتى قالوا زمان الرضى * بالصفو والأحباب واليسر
صدقت ما قالوه كى يقبلوا * لينظروا شيخا بلا عمر

وهذا كقول الأمير اسامة بن منقذ

قالوا نهته الأربعون عن الصبا * وأخو المشيب بحارثة يهتدى
كم حار فى ليل الشباب فدله * صبح المشيب على الطريق الأقصد
واذا عددت سنى ثم نقصتها * زمن الهموم فتلك ساعة مولدى

وللأمير أبى فراس الحمدانى

ما العمر ما طالت به الدهور * العمر ما تم به السرور
أيام عزى ونفاذ أمرى * هى التى أحسبها من عمرى
لو شئت مما قد قللن جدا * عددت أيام السرور عدا

وفى هذا أقول

يقولون أوقات السرور قصيرة * وأوقات عمر الغم قد رزقت طولا
فمن كان بالهم المبرح لابسا * يظن بأن العمر صار طويلا

وللأمير اسامة بن منقذ أيضا

ولا تحسدن على البقاء معمرا * فالموت أيسر ما يؤول اليه
واذا دعوت بطول عمر لامرء * فاعلم بأنك قد دعوت عليه

ومن بيوت العلم بالقاهرة العلاقمة فنهم

﴿ شيخنا العلامة ابراهيم العلقمى وأخوه شمس الملة والدين ﴾

شيخنا العلامة ابراهيم العلقمى واخوه شمس الملة والدين

أما الشمس صاحب الكوكب المنير * فى شرح الجامع الصغير * فشيخ الحديث * فى القديم والحديث * لم تزل سحب افادته فى رياض الفضل ذوارف * حتى صار وهو العلم المفرد من أعرف المعارف * فهو هضبة مجد * وفى النقى جوهر فرد * قد تحلى بخدمة الجلال السيوطى كمالا * ورقى الى سماء المعالى فازداد جمالا * وأما ابراهيم فللفضل خليل *

﴿ ابراهيم العلقمى ﴾

وطبعه لطفا يحكيه النسيم لو أنه عليل * لازمت القراءة عليه فى ابان الطلب * واجتنيت ثمراته الجنية من كثب * فتبرجت لى عرائس معانيه * وتجملت لى على منصة الكرم معاليه * ولعمرى انه روح فضل حلت فى جثمان علاه * وسماء مناقب تزينت بكواكب هدايته وحلاه * لازالت تهمى على جدثه عيون الغمائم * كما حيته حسان الحور ضاحكة المباسم * ومما مدحته به لما حضرت عنده وهو يفتى

أنادرة الزمان بقيت أنعم * باصغاء الى العبد الضعيف
زمانك كله أمسى ربيعا * خصيب الفضل ذا ظل وريف
فبابك الفتاوى فى انتشار * ببابك نثر أوراق الخريف

وله كتاب تهذيب الروضة للنووى سمعته منه بقراءة الفاضل الشيخ منصور الطبلاوى

(أحمد بن على العلقمى نزيل الخانقاه السرياقوسية) شمس تنجلى به الابصار والبصائر * وان كان وجه الشمس يعشى ناظر الناظر * وروض فضله نضير * وماله فى سعة الحفظ نظير * ومع ذلك لم يعرف استاذه * ولم يحتج سيف ذهنه أن يشحذ فولاذه * وله طبع بالصلاح زاه زاهد * ونقد فكر لم يصرف نضاره نقد ناقد * وشعره مدام الطل فى كأس الزهر * وحلل الربيع المنسوجة بأنامل المطر

يمد على الآفاق بيض خيوطه * فينسج منها للثرى حلة خضرا

وكان فى اقبال عمره * لمعرفته بمكر دهره * فان الشهوات اجرة تستخدم بها النفوس فى عمارة عالم الطبيعة لتذهل عما يلزمها من التعب ويلحقها من الكلال كما قال ابن التلميذ الحكيم اعتزل الناس * وارتضى من سفر الحياة بغنيمة الياس * فلذا جعل الخانقاه السرياقوسية مألف سكنه * ومراتع آماله ومرابع وطره ووطنه * ثم انتقل الى مصر فدرس بها وأفاد * وترفت ورق فصاحته بدوحها المياد * ثم اختار جوار بيت الله المعظم * وظفر من كيمياء السعادة بالحجر المكرم * وقد طغت بكعبة فضله فى ذلك المقام * ووردت صفاء موارده بالصفا والمقام

وملأت السمع منه كلما * يحسد القلب عليه الاذنا

أحمد بن على العلقمى نزيل الخانقاه السرياقوسية

قوله وكان فى اقبال عمره الخ كذا فى النسخ وفى هامش بعضها المظنون به الصحة مانصه تحريف باصله وعليه علامة اه اوانه سقط اه مصحح

وعقيب ذلك الاجتماع * طافت به المنية طواف الوداع * فانتقل لجوار الرحمن * واستوطن قصور الجنان * فجرعنا فراقه غصصا علقمية * وما جرد من لباسه حتى تردى حلل المغفرة السندسية * لازال يسقى ربعه ويروى مضجعه

سحاب حكى ثكلى اصيبت بواحد * فعاجت له نحو الرياض على قبر

ومما أنشدنيه من شعره قوله من قصيدة

بأبصارنا وجهك المذهب * يكاد سنا برقه يذهب
وأشواقنا فيك لا تنقضى * وشمس جمالك لا تغرب
وحبك فى الماء مستودع * واشربه كل من يشرب
وفى كل قلب وعين به * مشيرالك المنزل الأرحب
وذاتك جنة أهل النهى * ونفسك عنصرها طيب
فمن غير نطقك لا نشتفى * ومن غير ذاتك لا نطرب
وكم لك من رتب فى العلا * تعالى العلا اذ لها ينسب

*(وله من اخرى)

مذ نسيم الصبا على الرند هبا * سحرا نبه الفؤاد ونبا
هز غصن القوام فاهتز حتى * مال شوقا اليه شرقا وغربا
وروى عن عريب نجد حديثا * فدعا قلب من يحب قلبى
وركبنا سفينة الصبر لما * حال وجه دون السفينة غصبا
وقتلنا غلام من عاقنا عن * سيرنا نحوهم فأورث قربا
وأقمنا جدار وجد قديم * بعد ما انقض أو أراد فأربى

(شمس الدين البصير) ضرير كأن الله أراد أن لا ينظر الا الى جنانه * فأغمد صارم طرفه فى قراب أجفانه

والله ما فى الزمان شئ * تأسى على فقده العيون

ذكى لوذعى * فطن ألمعى * عجنت طينته بماء المعارف * وتآخت طبيعته مع العوارف * وكان فى غرة العمر رفيقى * وفى روض التحصيل شقيقى * الى أن اخترمته فى شبابه يد الأجل * فقطعت شمس عمره منطقة الأمل * وغابت فى عين حمئة من قبره * حتى بكى الافق بالشفق دما على اثره * فكأن

(شمس الدين البصير)

الدهر الحسود لما رآه جمع الكمال جمعا جما * عبس وتولى أن جاءه الأعمى * وكان يسكن الخانقاه وللفضل فيه أمانى * وطرف الكمال اليه رانى * الى ان آذنت شمسه بالزوال * وغربت بعدما طلعت من مشرق الاقبال * فن شموس معانيه * المشرقة من منازل مبانيه * قوله

بين حروب العيون والمهج * دمعى جرى عندما من الوهج
لاحلت والله أو أقطع عن * ريم من الترك كيس غنج
مكحل الناظرين ذى حور * مضرج الوجنتين ذى بلج
أمسيت من محنتى عليه ومن * دمعى بين اللجاج واللجج
لا انتهى عن تهتكى أبدا * ليس على المستهام من حرج

قلت ولا على الأعمى حرج وأنشدنى له أيضا

قلت لما أراد مسكا وخمرا * ذو دلال وأعين سحاره
لك والله نكهة فى رضاب * تلك عطارة وذى خماره

وهذا كقول ابن نباتة المصرى

لا تخف عيلة ولا تخش فقرا * يا كثير المحاسن المختاله
لك عين وقامة فى البرايا * تلك غزالة وذى قتاله

قوله وذى قتاله فى نسخة وذى عساله .

ومما أنشدنيه أيضا قوله

أحبب به قارئا امسى له نغم * أحلى وأملح من ضرب النواقيس
يا حسنه من مليح راق مبسمه * لكنه قارئ يروى عن السوسى

وهو كقول الفيومى

نسيم من ديار الخل هب على * موتى الفراق يحاكى النفخ فى الصور
يروى أحاديث نشر من دياركم * ما أحسن النشر اذ يروى عن الدورى

﴿ عبد الله الدنوشرى ﴾ جامع التقرير والتحرير * الراقى الى ربوة المجد الخطير * تآليفه عقائل أصبح الدهر من خطابها * وآثاره تتشوق الاسماع الى فوائد آدابها * طالما جلاها على * وأهدى باكورتها الى * الا انه كان يعد الشعر سهلا * ويمزج بالجد منه هزلا * فهو فى سماء الفضائل تحسد النجوم سناه * وأنى لها ان تشابه علو مجده وعلياه

وهى تخفى عند الصباح وهذا * ظاهر فى صباحه والمساء

﴿عبد الله الدنوشرى﴾

وكان

وكان بيني وبينه مودة وصداقة * وعلاقة محبة حقيقة لا تحتاج لعلاقه * كثيرا ما يجاملني بالمطايبه * ويتحفني بالمكاتبه * وهو جوهر نفيس في خزائن القبول * وسر مكتوم مستتر في ضمائر الخمول * ويعرض على تآليف له مفيده * وينشدني من أشعاره ما عنه القرائح بعيده * كقوله

أرى في مصر أقواما لئاما * وهم ما بين ذي جهل ونذل
شجاعتهم بألسنة حداد * وعيشهم بجبن وهو مقلي

وفي معناه قول الآخر

أقول وقد شنوا الى الحرب غارة * دعوني فاني آكل الخبز بالجبن

ومما كتبه الي بعد المهاجرة من مصر

نوالك يا شهاب الدين زائد * وبحر نداك يا مولاي زابد
تركت العبد لم تنظر اليه * وقد عودته أسنى العوائد
متى يأتيه منك جواب كتب * وتأتيه الصلات مع العوائد
ويكحل جفنه ميل التلاقي * ويغمد سيف هجرك عنه غامد
فلا برح الثناء عليك عقدا * نضيد النظم في جيد المحامد

وله في موسى قاضي مصر

لقد كان في مصر الامينة حاكم * تسمى بفرعون وكان لنا موسى
وفي عصرنا هذا القليل قسمنا * لنا الف فرعون وليس لنا موسى

ومما اتفق لي في نظيره قولي

يا من أذل النفس من حرصه * جرحك بالمرهم لا يوسى
لا تلم الناس فأنت الذي * أعطيت فرعون عصا موسى

وركب ثورا بعض الشهود تشهيرا له فكتب له

ان ركوبك الثور في مصر اذ * جرست بالظلم وبالجور
فاصبر ولا تحزن لما قد جرى * فالناس والدنيا على ثور

قلت وعلى ذكر فرعون فقد ورد في مناجاة موسى انه قال يارب لم أمهلت فرعون وقد كفر بك فقال انه كان سهل الحجاب فأحببت أن أكافيه على ذلك في الدنيا وقد قلت أنا

في مصر جبار علينا اعتدى * حكم فينا بخلاف الصواب

ان كان فرعون شاباله * لم يحكه اذ كان سهل الحجاب

وله شعر كثير * لم يعلق بسمعى منه الا اليسير * وقد عرفت أن خير الكلام ما دعا بلفظه الاسماع الى حفظه

يستنبط الروح اللطيف نسيمه * أبدا ويؤكل فى الضمير ويشرب

﴿عبد الواحد الرشيدى﴾ شيخ عده بعضهم حسنة بها ذنب الزمان غفر * وأصبح به الدهر عما قدم من اساءته يعتذر * وعندى ان عذره أقبح من ذنبه * وتوبته لا أراها مقبولة عند ربه

والشوك يعمل فى ثيابى مثلما * عمل الهجاء بعرض عبد الواحد

فمن لؤلؤه الرطب * ورشح قلمه العذب * قوله

قلت للنائب الذى * قد رأينا معائبه

لست عندى بنائب * انما أنت نائبه

وهذا كقول الآخر

وقاض لنا حكمه باطل * وأحكام زوجته ماضيه

فياليته لم يكن قاضيا * ويا ليتها كانت القاضيه

(وللأرجانى)

ومن النوائب اننى * فى مثل هذا الأمر نائب

ومن العجائب أن لى * صبرا على هذى العجائب

وأنشدنى له بعضهم

لا تحسبن أن هجوى فيك مكرمة * شعرى بهجو لئيم قط ما سمحا

لكن اجرب طبعى فيك فهو كما * جربت فى الكلب سيفا عندما نبحا

وهو كقول الآخر

هجوتك لا لانك أهل هجو * ولكن كى اجرب فيك نفسى

وليس بضائر شفرة لهذمى * اذا ما جربت فى جلد كلب

وكان مع انه بزى اهل الصلاح * تصدر عنه كلمات سخيفة قباح * كما أنشدنى له بعضهم فى رشيد وكثرة أمطارها

كل قطر عند من يدرى محاذ * قطعة من فلك من غير شك

فلئن صح مقال الناس ذا * فرشيد تحت سنداس الفلك

وسنداس لفظة عامية معناها بيت الخلاء وهذا مع سخافته ومافيه من رائحة الكفر الكريهة لما سمعته قلت لله دره ما أعرفه * لولم يصدق فيما جرى * لم يخرج منها مثل هذا الخرا * وأين هذا من قول ابن لؤلؤ الذهبى لما توالت الأمطار

ان أقام الغيث شهرا هكذا * جاء بالطوفان والبحر المحيط
ماهم من قوم نوح يا سما * اقلعى عنهم فهم من قوم لوط

(رمضان الهوى) أقبح وأحمق من الشيخ المهوى * طال عمره على الأيام وثقل حتى أقلقها * ولبس حلل الجديدين حتى أخلقها

وسخ الثوب والعمامة والبر دون والوجه والقفا والغلام

ذو أخلاق مجعده * وألفاظ محلولة مبدّده * أثقل من القهر * وأكثر ذنوبا من الدهر * وأشأم من طويس * وأثقل على الراجى من لا وليس * يعتنى كثيرا بغريب الكلام * والتصرف فى أنواع الالتزام * حتى عارض المقامات الحريرية * فأصمت الاسماع كلماته الحوشيه * ولم يزل مبتلى بالفقر لما له من بذاءة لسان وقبح كلمات * ولقد أنصف الدهر فى مقته وللبله اصابات * فهو على مابه من مكر وكيد * كما قال الصاحب فى أبى زيد

انظر الى وجه أبى زيد * أوحش من حبس ومن قيد
وحوشه ترتع فى ثوبه * وظفره يركب للصيد

وهو ببلدة بالصعيد * لم يخرج منها نجيب ولا سعيد * ومايسوء الفؤاد الا هو

(أحمد بن عبد السلام) رأيت والده وقد أحالت الأيام سجه فضه * وقد ذبلت بعواصف الهرم زهرة حياته الغضه * متسما بسمة الصلاح * قد لبس حلل الخلاعة واستراح * وأما ولده فكان فى ريعان عمره * يتجر فى بضائع شعره * ثم ارتحل الى الروم فلبس حداد فقر كاد لابسه * وابتسمت فى وجوه آماله ثغور حظه العابسه * الا انه مكثار * متشدق متفيهق ثرثار * ولعدم تهذيبه * لاتزال أفكاره تهذى به * وربما عزت عليه مطالبه * حتى نظم الجزع ثاقبه * ولم يزل كذلك حتى اجتثت دوحته بعد ماسقاها ماء الشباب * وقطعت يد المنون ثمراتها العذاب *

قوله قد لبس حلل الخلاعة فى نسخة قد لبس خلع الخلاعة وعلى كليهما فهو غير ملائم لما قبله فالمناسب قد خلع حلل الخلاعة فتأمل اه مصحح

ومن شعره قوله من قصيدة له

فى كل حين يطلعون على ذرا * فلك المعالى طالعا مسعودا

لم يعض دون الملك أن ملكوا به * ملكا على مر الجديد جديدا

تجنى لهم ثمرات هذا الملك اذ * غرسوا به لدن القنا أملودا

وثمرات هذه الأغصان * من بدايع المعانى الحسان * ومما يضاهيه قول البحترى فى السيف

حملت حمائله القديمة بقلة * من عهد تبع غضة لم تذبل

الا أن هذه بقلة حمقاء والأحسن فيه قول ابن هانئ الاندلسى

وجنيتم ثمر الوقائع يانعا * بالنصر من ورق الحديد الأخضر

ولقد أخذ منه عباءه ورد ديباجه ومن شعره أيضا

قيل شبه لنا الشقيق وقد كنا نشاوى جمعنا بالرحيق

قلت قضب من الزبرجد يحملـ * ـن على الهام أكوسا من عقيق

وهذا من قول غيره فى النرجس

أنامل من فضة * يحملن كأسا من ذهب

ومن المعانى الغريبة فيه أن العجم والروم فى ايام الزينة يصبون فى طشت ذهبا ويدور به انسان فى الأسواق يعلنون به الأمان * ويشهرون به عدل السلطان فى ذلك الزمان * فقال على الباخرزى فى قصيدة له

ان شئت آن تعرف أن عدله * قد فرش الامن فلاق النرجسا

اذ حمل الطست من التبر على الرأس فلولا امنه لاحترسا

والمشهور هنا قول الصنوبرى فى قصيدة له

وكأن محمر الشقيق * اذا تصوب أو تصعد

أعلام ياقوت نشر * ن على رماح من زبرجد

(وله)

وجوه شقائق تبدوا وتخفى * على قضب تميس بهن ضعفا

اذا طلعت أرتك الشمس تذكو * وان غربت أرتك المرج نطفى

وللقاضى عياض

انظر الى الزرع وخاماته * تحكى وقد ماست امام الرياح

كتيبة خضراء مهزومة * شقائق النعمان فيها جراح

ونحوه قول ابن الزقاق

نثر الورد فى الغدير وقد * درجه بالهبوب نشر الرياح

مثل درع الكمى مزقه الطعـ * ـن فسالت به دماء الجراح

ومما قلته هنا

كأس الشقيق امتلأت * خمرًا ندا لم يعصر

كمجمر من ذهب * فيه بقايا عنبر

أو مشعل يهدى به * للهو من لم يشعر

وهذا أمر استطردناه قضاء لحق الآداب * ولولا خوف الملل أرسلنا هنا من السحر الحلال من ثمرات الألباب * ما لا عين رأت ولا اذن سمعت لتعلم مامنّ الله به علينا من الوقوف على كنوز مطالب لم يقف عليها غيرنا .

(محمد بن بدر الدين الزيات) شاعر كان فى عنفوان شبابه * قبل أن تجب عليه زكاة نصابه * يحترف بالزيت والاسمان من قوم سمنهم فى أديمهم * جفانهم مملوءة للوافدين لحريمهم * من أولاد جفنه * أترع فيها زيته وسمنه * حتى ترعت به همته عن ميزان السعر * الى ميزان الشعر * والدهر كالميزان يخفض ويرفع * ويعطى من يريد ويمنع * الا انه كان مولعا بالسرقة ولص البيت لا يؤمن * فاذا أنشد شعرا قيل له أحسن الناس ولله درّ من أحسن

ومن العجائب انه لا يشترى * ويخان فيه مع الكساد ويسرق

فراقت آدابه * وان لم تساعده أحسابه * فكان كما قيل فى المثل * كل العسل ولا تسل * فمما أنشدنى قوله فى الفاضل العزى

الى الفاضل العزى وجهت مطلبى * لأظفر منه بالذخيرة والكنز

وقالوا تذلل تبلغ المجد والعلا فقلت * لهم قد نلت ذلك بالعز (ى)

وهذا العزى ممن له بيت شرف وفضل بالقاهرة فمنهم

(صفى الدين بن محمد العزى) ماجد اذا تليت آيات أوصافه ركع لها القلم وسجد * تفرد بعلو سنده فى الحديث فاصبح دار علم بين العلماء والسند * فحديثه فى الفضل مرفوع * وأثر سواه ضعيف ومقطوع *

(محمد بن بدر الدين الزيات)

(صفى الدين بن محمد العزى)

فلفظه مما يستحق أن يرسم بنور البصر * فى عنوان صحائف الاذهان والفكر * وسكر طبعه المصرى مما يحلو مكرره ومعاده * ولم يزل بالقاهرة وثناؤه يتلوه لسان الدهر ويحفظه فؤاده * وهو أحد شيوخى الذين رويت عنهم السنن * وتشرفت بلقائه ورويت حديثه الحسن * فما أنشدنى له فى مليح نحاس

على رفقا بمن ذابت حشاه ضنى * صب أزال الكرى من مقلتيه وصب
حديد قلبك يا نحاس يمنعه * بلجين جسمك والنوم المصون ذهب

وله فى صديقه الصحافى

يا عاذلى فى هواه * تلاف قبل تلافى
وهات لى الدن وأجمع * بينى وبين الصحاف (ى)

(أحمد بن على العزى) أحد اترابى ولداتى * ورفيقى فى اجتناء لذاتى * وهو شاب رقيق الجلباب * يقطر من اهابه ماء اللطف والشباب * تأدب وبرع * ووعى ماجمع * معتكفا فى زوايا الخمول * قانعا بشقاشق آبائه الفحول * وكان فى ابان الطلب خدنى * يجنى من خمائله كما أجنى * حتى قطع عليه الطريق الأجل * وناداه عجلا فقال أجل * فما سمعته من شعره قوله

لازال هذا الجمع جمع سلامة * لانقص يعروه ولا تغيير
والجمع من أعدائكم فى قلة * ونقيض تلك القلة التكثير

ووالده من شيوخ العربية * وصدور أنديتها الندية

(عمر العزى) أديب نظم ونثر * وشعر بعدما شعر * فى حالة أضيق من فم الحبيب * وصدر العاشق اذا حضر الرقيب * كمصحف فى بيت زنديق * أو سر فى صدر أحمق غير صديق * ومن شعره قوله

رب ثقيل امام قوم * يؤم بالناس ثم يجحف
خالف فى الفعل قول طه * من أم بالناس فليخفف

(رجب الشنوانى) ناظم قلائد المدح * وخاطب خرائد الملح * مضى له بمصر زمن وهو يهدى نثار كلماته * ويطلع فى رياضها النضرة غض نباته * ويأتى العلوم من أبوابها * ويجرد مرهفات لسنه من قرابها *

ومولده بشنوان * وهى بلدة بالمنوفية صورتها الجنان * كانت مخيم لذاته * ومنبت أترابه ولداته * ثم ارتحل الى الجامع الازهر * فأثمر به غصنه الرطيب وأزهر * ولم يزل به معانقا للخمول * وروضه بطل آدابه مطلول * وكنت كثيرا ما اجتلى وجه وداده * وأوقد نار الفكر بقدح وارى زناده * واستظل بدوحه المريع * واستمد من بحر فكره السريع * واسامره بمايذكرنا عهود الرقتين * وأتنزه من صفات رجب وذاته فى الربيعين * كما قيل

وكانت بالعراق لنا ليال * سرقناهن من ريب الزمان
جعلناهن تاريخ الليالى * وعنوان المسرة والأمانى

وكانت مفاكهة أسماره * ألذ عندى من فواكه أشعاره * وأخلاقه وندود آدابه نضة أطوع من الكأس للنديم * ومن قدود القضب لأيادى النسيم * فمن رأى رجبا * فقد رأى عجبا * وبدا عيد السرور والطرب * وقال من شاهده من رأى عيدا فى غرة رجب
(ياليت أن شهورى كلها رجب) لازال ضجيع الغفران * وجليس ملائكة الرضوان * فمن حباب مدامه * الرائق فى انتظامه * قوله

عذار معذبى قد خط خطا * من الريحان فى روض الدلال
كتاب بالأمان له أتانا * وعنوان المسرة والوصال

ومما كتبه الى وأنا بالروم

اقبل بالأجفان ياسادتى أرضا * وبالقرب لا بالبعد من حيكم أرضى
وان سار نجم فى السماء ذكرتكم * وحنت لكم من بعدكم سائر الأعضا
وان جعل الناس المحبة سنة * جعلت على طول المدى حبكم فرضا
ووالله ان العين من بعد بعدكم * جفاها الكرى عمدا فليست ترى غمضا
وان لم تفز منكم برؤية وجهكم * فأرواحنا حتى جوار حنا مرضى

وأنشدنى له أيضا

لاتجعلن على الحشا * وغيرها مأسفتك
واعشق مليحا أهيفا * كالرمح ان ماس فتك

(وله من قصيدة)

تهلل وجه الدهر بالنور والهدى * وأشرق روض الزهر بالقطر والندا
وفتح أحداق الحدائق هاطل * من الطل خد الورد منه تورّدا
ومن لطف خلق النيل جاء مخلقا * ومن عظم غيظ البحر أرغى وأزبدا
وما يستوى البحران هذا مالح * أجاج وهذا طاب للناس موردا

القاضى بدر الدين القرافى المالكى

(القاضى بدر الدين القرافى المالكى) القاضى الفاضل * والحاكم العادل الفاصل * بدر كماله من افق المعالى مشرق * وغصن دوحه من سحائب الفضل مورق * رأيته ولياليه محمرة خدود الشفق * وعيون النجم فى خدمة سعده لا تكتحل بغير الأرق * وقد طلع بدره فى هالة التدريس * وأحاطت به منطقة نادله المجد جليس * وأقلام الفتاوى تسعى لخدمته على رأسها * وتجعل وجه الطرس كعبة مستورة بسواد أنفاسها * فتحج لها الأبصار والبصائر * وتعتكف فى حرم افادتها الاسماع والضمائر * وآثاره فى فقه مالك مدونه * وفواضله بموطأ أخلاقه معنونه * وشرح مختصر خليل * شرحا شفى به الغليل * وله القول المأنوس * فى حل مشكلات القاموس * كادت له الصحاح الجوهرية * تغوص فى البحار خجلا من انساق عقوده الدرية * ولم يزل فى القضاء على سنن السنة سالكا * ولمحرر رقها الموشى بالكتابة مالكا * فهو ثالث العمرين * ونديم القمرين * أظهر فيه اليد البيضاء * ولم يلتفت بهمته المسودة الى الصفراء والبيضاء

وما سمعنا قط ان امرءا * أهدى له شيأ ولا قدر شاه

والآن قد قام من غلط الدهر بوجوده فاحتاج للحك * وجهل الحكم والتسجيل فاحتاج للصك * ولم يزل طالعا فى افق العز حتى غرب بدره * وانمحق بسرار الضعف فكسف عمره * فبدا زواله * وتم كماله

ان فراق الكمال صعب * حتى على البدر فى السماء

وله شعر العلماء * ونثر طار مع العنقاء * تأنق فيه وتصلف * ولا عجب للبدر أن يتكلف * كقوله

منك البداءة بالاحسان حاصلة * ملكتنى الرق فضلا منك لى سارى
ألهمتنى بعده عتقا لتكرمنى * فاختم بخير به عتقى من النار

وفى معناه قول النور بن حجر العسقلانى

يارب أعضاء السجود عتقتها * من فضلك الوافى وأنت الواقى
والعتق يسرى بالغنى ياذا الغنى * فامنن على الفانى بعتق الباقى

ولغيره فى معناه

ان الكرام اذا شابت عبيدهم * فى رقهم عتقوهم عتق احرار
وأنت ياخالقى أولى بذا كرما * قد شبت فى الرق فاعتقنى من النار

وهو ممن يروى عن خاتمة المحدثين الديبى وفيه يقول

وشيخ حديث طبق الأرض علمه * وصار بعلم فى الأنام كالعلم
هو الديبى كالغيث منهل فضله * فلا تعجبن فالغيث تاتى به الديم

وأحسن منه قولى مضمنا وكتبته على شرحه للبخارى

فاق الورى الديبى الحبر حين أتى * فى خدمة السنة الغراء كالعلم
وكلهم من رسول الله ملتمس * غرفا من البحر أو رشفا من الديم

(أحمد بن عواد) أديب استمرى أخلاف الصناعة * وجلب الى مدينة العلم المعمورة متاعه * الا أنه جعل الشعر له سلاحا وسطا * وجاء شعره فى أمته امة وسطا * فما أورد له صاحبنا علاء الدين المكى فى كتابه الطراز المنقوش * قوله فى بعض الحبوش

حبشية حسنية أبصرتها * تهتز كالغصن الرطيب المثمر
فسألتها عن جنسها مع ما خفى * قالت فما تبغيه جنسى أم حرى

وهذا كقول الآخر

بى أحمرى ناعم الخدين ذو شفر * طبن فعلهما كفعل السمهرى
لم أدر اذ صابغت صفحة خده * ورد زهى أم خديد أم حرى (د)

(وللنواجى)

رمت التغزل فى أجفانه فبدا * عذاره فوق ورد الوجنتين طرى
وقال قلبى لاتحفل بغزلهما * وخص عارضه بالمدح فهو حرى

وهاهنا أمر لابد من التنبيه عليه وهو انهم عدوا من أنواع البديع الاكتفاء وقد ألف فيه النواجى كتابا سماه الشفاء فى بديع الاكتفاء * وقد طالعته وهو كتاب لطيف كما قال هو فيه

(أحمد بن عواد)

من كل معنى بديع لو يمرّ على * فهم السقيم ولو فى نومه شفيا
وقلما أبصرته عين ذى أدب * الا وراح بذاك البرّ مكتفيا

ومما أفاده فيه أن ابن رشيق حدّه بقوله وهو أن يدل موجود الكلام على محذوفه واعترض عليه بدر الدين بن الصاحب بأنه يدخل فيه كل حذف وتقدير وقال انه لم يجد له حدا سالما من الاعتراض ألا ترى انه دخل فيه نحو واسأل القرية وليس منه والمشهور من شواهده قوله تعالى سرابيل تقيكم الحر وهو على أنواع فمنه ما يكون بجملة ومنه ما يكون بكلمة ومنه ما يكون بكلمتين فأكثر ومنه ما يكون ببعض كلمة حرف أو نحوه وهذا اما أن يخرجه الحاقها عن الوزن أولا وكل منهما امامع التورية أو بدونها واعلم انه فى الآية المستشهد بها نكتة لطيفة لم ينبهوا عليها وهو انه انما اقتصر على الحر لانه أهم هنا لما عرف من غلبة الحر على ديار العرب ثم ان ما يقى الحر يحصل به برودة فى الهواء فى الجملة فوقاية الحر انما هى لتحصيل البرد وهذا فيه من اللطف ماهو ألطف من النسيم فلله در التنزيل فكم فيه من أسرار لا تتناهى * بقى هاهنا بحث جليل وهو ان المتأخرين من أصحاب البديعيات لما أكثروا من أنواع البديع وفيهم بعض من لا خبرة له بدقائق المعانى والعلوم زادوا فيها أنواعا مدخولة فنها الاكتفاء ببعض الكلمات وتبعهم من بعدهم كالدماميني فى شرح الخزرجية حيث ذكره وأنشد عليه قول ابن نباتة المصرى

بروحى أمرّ الناس نأيا وجفوة * وأحلاهم ثغرا وأملحهم شكلا
يقولون فى الاحلام يوجد شخصه * فقلت ومن ذا بعده يجد الاحلا(م)

ولابن مكانس

لم أنس بدرا زارنى ليلة * مستوفزا ممتطيا للخطر
فلم يقم الا بمقدار أن * قلت له أهلا وسهلا ومر(حبا)

(وللبدر الدماميني)

الدمع قاض بافتضاحى فى هوى * رشأ بغار الغصن منه اذا مشى
وغدا بوجدى شاهدا ووشى بما * أخفى فيالله من قاض وشا(هد)

(وله أيضا)

يقول مصاحبى والروض زاه * وقد بسط الربيع بساط زهر

تعال

تعالى نبا كرالروض المفدى * وقم نسع الى روض ونسر (ين)
وقال ابن جنى فى كتاب التعاقب باب الايماء وهو الاكتفاء عن الكلمة بحرف
من اولها كقوله قد وعدتنى أم عمرو أن تا
أى ان تسمح وليس منه قلنا لها قفى قالت قاف لانه اسم لا حرف ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم كفى بالسيف شا يريد شاهدا وقول علقمة
(مقدم بسبا الكتان مختوم) أى بسبائب وقول لبيد
(درس المنا بمتالع فأبان) أراد المنازل اهـ وقد ذكر فيه الحديث وذكر انه اكتفاء عن شاهد كقول ابن الرومى والدم فى النصل شاهد عجب وهو ثقة وقال غيره انه مكتفى به عن شافى وله وجه مع انهم ذكروا أيضا من الاكتفاء ما اكتفى فيه بحرف الجر عن مجروره كقوله
(ان غاب عن انسان عينى فهو فى) وما حذف منه شرط ومجزوم وصلة موصول ونحوه ويرد عليهم قاطبة ان المحسنات البديعية انما تعد محسنة بعد مراعاة الفصاحة فما خالفها بعد قبيحا ممنوعا عند أهل العربية وقد صرحوا بأنه لا يجوز حذف بعض الكلمة الا فى ترخيم المنادى على اللغتين بشروطه وما عداه وان سمع من العرب شاذ مناف للفصاحة فعدهم له محسنا لا يصح وكونه مع التورية كما مر لا يسوغه ولو صح كان المحسن له التورية لا هذا الاكتفاء فعدهم له منها وهم على وهم نعم لو جرى هذا على وفق العربية كان حسنا وقد نظمت له مثالا لم أسبق اليه فقلت

رمت النداء لمالك وفرا الكى * يولى الجميل لرقة فى الحال
فنهانى الصبر الجميل وقال لى * للكيس ناد وقل له يا مال (ك)

ففيه اكتفاء وتورية مستوفية لشروط الترخيم وهذا من السحر الحلال الذى يعرفه من له ذوق فان قلت ما وقع فى الحديث من قوله كفى بالسيف شا ان كان صحيحا فصحيحا نقض ما قلته والا يلزمك أن يصدر من النبى صلى الله عليه وسلم كلام غير فصيح وهو أفصح الفصحاء قلت أفعاله وأقواله لا يقاس عليها غيرها وكما كان يتكلم مع كل قوم بلغتهم حتى صدر منه احيانا ألفاظ فارسية وحشية وغيرها مما لا يوصف بالفصاحة فعدت من معجزاته صلى الله عليه وسلم جاز صدور مثل هذا عنه لسر ظاهر أو خفى واما ما قاله شارح البردة السيد الغبريني

قوله وحشية كذا فى النسخ ولعله تحريف من النساخ صوابه حوشية

المقرى من قوله ان كونه أميا معجزة له كما قرروه حتى لا يرتاب أحد فى كلام الله يرد عليه انه لو تم قيل عليه لم خلق أفصح الناس ولم يخلق غير فصيح حتى يعلم أن ما يتلوه من الكلام المعجز ببلاغته ليس كلامه فليس بشئ لان الامية شائعة فى أكثر فصحاء العرب وهم فى غناء عن الكتابة وأما عدم الفصاحة فلكنة وعيب عظيم منزه عنه عالى مقامه وطاهر فطرته وجوهر جبلته ومن هذا علم أن الحروف المقطعة فى أوائل السور ليست من حذف بعض الكلمات المحظور وهذا البحث مما لا تراه فى غير كتابنا هذا وممن صنف فى جمع أنواع البديع فى عصرنا ولم يهذبه حتى كان بينى وبينه منافاة ومنافسة لأجل هذا

قوله شائعة فى نسخة سابقة

﴿ عبد الرحمن بن محمد الحيدى شيخ أهل الوراقة بالقاهرة ﴾ الأديب الذى تفتحت بصبا اللطف أنوار شمائله * ورقت على منابر الآداب خطباء بلابله * اذا صدحت بلابل معانيه * وتبرجت حدائق معاليه *

جلبن الهوى من حيث أدرى ولا أدرى

عبد الرحمن بن محمد الحيدى شيخ أهل الوراقة بالقاهرة

نظم فى جيد الدهر جمانه * وسلم الى يد الشرف عنانه * خاطرا فى رداء مجد ذى حواش وبطانه * ناثرا فرائد بيان بنثرها اللسان * فتودع حقاق الآذان * وله فى الطب يد مسيحية تحيى ميت الأمراض * وتبدل جواهر الجواهر بالأعراض

مبارك الطلعة ميمونها * لكن على الحفار والغاسل

وديوان شعره شائع وذائع * الا انى استودعته النسيان (ولا بد يوما أن ترد الودائع) ولما نظم بديعيته أرسلها الى فنظرت فيها فى الأوائل والصبا تنافس على أرجه وقد فاح * مسك الليل وكافور الصباح

ولا عقرب الا بصدغ مليحة * ولا جور الا فى ولاية ساقى

ومما اعترضت عليه فيه تشابه الأطراف فانه أخطأ فى حده ومثاله فلما كتبته له ووافقنى فيه بعض الأصحاب لم يعترف بخطائه وكتب أبياتا منها

بكم علمت تشابه الأطراف من * فن البديع بحثه وجداله

فكتبت له منهكما مولاى أسرفت فى الامتنان * وأسأت لتقبل الاحسان *

وعاتبت

وعاقبت من غير جناية سابقه * وحرمت من ليس له فيك آمال رائقه *
فكانت حالى معك كما قيل ان هبت ريح شديدة فصاح الناس القيامة القيامة
قال بعض المجان ماهذه القيامة على الريق وأين الدجال والمهدى واشراطها
وفى ذلك أقول

أسرفت فى الصد نخف خالقا * لا يرتضى اسراف مخلوق
ياهاجرا من لم يذق وصله * جرعته الصبر على الريق

(الرئيس داود الحكيم)

(الرئيس داود الحكيم) ضرير بالفضل بصير * كأنما ينظر ما
خلف ستارة الغيب بعين فكر خبير * لم تر العين بل لم تسمع الآذان * ولم تحدث
بأعجب منه مسائلة الركبان * اذا جس نبضا للتشخيص مرض عرض * أظهر
من أعراض الجواهر كل غرض * فيفتن الاسماع والأبصار * ويطرب
بجس النبض مالا يطرب به جس الأوتار

يكاد من رقة أفكاره * يجول بين الدم واللحم
لو غضبت روح على جسمها * ألف بين الروح والجسم

فسبحان من أطفأ نور بصره وجعل صدره مشكاة نور * فانها لا تعمى
الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور * وله فى كل علم سهم مصيب *
ومنطق محلى بتهذيب التهذيب * وكنت قرأت عليه الطب وغيره فى سن
الصغر * فسمعت منه مايغار له نسيم السحر * ويطرب من لطفه نغمات
الوتر * ينثر فيه نثار العلوم * على عرائس المنثور والمنظوم * وكان يقول
لو رآنى ابن سينا لوقف ببابى * أو ابن دانيال لاكتحل بتراب أعتابى * الا انه
على مذهب الحكماء * ومشرب الندماء * ولذا كثر كلام الناس
فى اعتقاده * ونقل عنه رشح قطرات من حنق الحاده * ثم لما كثر اللغط
فيه ارتحل للبيت العتيق * فطافت به المنية من كل فج عميق * فقضى
نحبه * ولقى ربه * ومما سمعته من شعره قوله

من طول ابعاد ودهر جائر * ونبيس حاجات وقلة منصف
ومغيب الف لا اعتياض بغيره * شط الزمان به فليس بمسعف
أواه لوحانت لى الصهباء كى * انشا فاذهل عن غرام متلف

وهو كقول شيخ المعرة

تمنيت أن الخمر حلت لنشوة * فتذهلنى كيف اطمأنت بى الحال
فاذهل انى بالعراق على شفى * ردئ الأمانى لا أنيس ولا مال

وله تآليف منها شرح قصيدة ابن سينا فى الروح والتذكرة الكبرى والصغرى فى الطب وغير ذلك رحمه الله تعالى

محمد بن بدر الدين القوصونى الطبيب

(محمد بن بدر الدين القوصونى الطبيب) سماء مجد أشرق بدرها * ودرت سحائبها فلله درها * فياله من بدر فى سماء الكمال وحيد * صب بعقائل المجد المخدرة عميد * قليب كرم لا يرد رشا ماتح * فهو لعمرى غفلة المستوفز وعقلة لسان المادح * وهو فى الطب رئيس لم يخرج عن القانون * وفارس فى حلبته لا تدركه سوابق الظنون * فلو راجعه الهلال لابراه من المحاق والدنف * بلا تكاف من وصمة البرص والكلف * ارتحل الى نحر آل عثمان * المرحوم السلطان سليمان * فاعتكف عنده فى حرم الاحسان * فاصطاد فى حرمه أوابد الكرم * فواعجبا أنى حل له الصيد فى الحرم * فداوى سقامه * وقد قبل النقرس أقدامه * وله مآثر لها الدهر مستزيد * والمجد سامع له مستفيد * منها ما كتبه لفضل الله الرومى وقد أهدى له شرح الموجز للنفيسى

سطور أودعت بطن الطروس * أم السحر المؤثر فى النفوس
ومكتوب بديع اللفظ وافى * أم الصهباء تجلى فى الكؤس
قرأناه فانشأ نا كأنا * طربنا باحتساء الخندريس
فقبلناه تعظيما وشوقا * لمنشئه الرئيس ابن الرئيس
تفضل ثم كاتب عبد رق * فاعتق رقه من كل بوس
ولم يقنعه اهداء القوافى * تحلت بالجواهر كالعروس
فزاد هدية اخرى فأهلا * وسهلا بالنفيس من النفيس
أبا الفضل ابن ادريس فاكرم * به نسبا يضئ ضيا الشموس
قبول العذر مأمول فانى * أجبتك عن جليلك بالخسيس
وهل أبكار فكرك لائق أن * تقابل بالعجوز الدرديس

بقيت الدهر مسرورا مهنا * وشانيك المعنى فى عبوس

﴿ابراهيم بن المبلط﴾ أديب أدار على الألباب رحيقه المصفى * ان قصر سواه فابراهيم الذى وفى * ملأ بيوته جواهر وياقوتا * وغيره من الشعراء ينحتون من الجبال بيوتا * حتى هدم بما بناه من الأشعار * ما شيده من قصوره المعمار * فالتحق بصناعة الشعر بالأشراف * فغاص فى بحوره واستخرج منها لآلئها الا آذان أصداف * وكان شيخ سوق الوراقة بالقاهره * وثمرات آدابه فى رياضها زاهية الأوراق زاهره * الا انه كان يجيد نسج مقطعات الأبيات * ويقصر اذا نظم المطولات * وقد طالعت ديوانه فمن معمور أبياته * ومبانى كلماته * قوله من قصيدة له

حدثت بانة الحمى عن صباها * عن ثنيات مكة عن صفاها
ان عصر اللقاء آن ووافى * وزمان النوى انقضى وتناهى
ونسيم الصبا يؤدى الامانا * ت الى أهلها كما قد رواها
كم نسيم سرى فسر قلوبا * شفها البعد والنوى فشفاها
تعرف العاشقين منها نسيما * ت وهم يعرفونها بشذاها
ان أيدى الفراق جارت علينا * فى قضاء بخسها وكفاها
آه وا وحشتى لأحشاء قلبى * وقليل قولى على البعد آها
كان للبين ساعة يا الهامين * ساعة ان نسيت ما أنساها
حملوا العيس بالهوادج حتى * ضل فى ركبها الفؤاد وتاها
واستقلت ظهورها ببدور * ظال فى ظلمة الدياجى سراها
وظباء عهدى بها فى قصور * فاذا بالظباء وسط فلاها
ولكم فى غصونها من غصون * قد حلا ثمرها ومر نواها
ما أمر الفراق طعما وأهنى * ساعة الملتقى وما أحلاها
وقسيمى فى الشوق ذات جناح * ظاهر حزنها وباد جواها
فارقت من تحب مثلى ولكن * ما هواى المصون مثل هواها
فعيونى على الدوام دوام * وهى لم تبك مرة عيناها
وكتمت الهوى عن الناس طرا * وهى باحت به لمن فى حماها
وهجرت الرياض وهى نوتها * ورقت من غصونها أعلاها

فاجتمعنا فى صورة من بعيد * وافترقنا من بعد فيما عداها

وهذا كقول ابن لؤلؤ الذهبى من قصيدة له

وتنبهت ذات الجناح بسحرة * فى الواديين فنبهت أشواقى
ورقاء قد أخذت فنون الحزن عن * يعقوب والالحان عن اسحاق
قامت على ساق تطارحنى الجوى * من دون صحبى بالحمى ورفاقى
أنى تباريني جوى وصبابة * وكآبة وأسى وفيض مآقى
وأنا الذى أملى الهوى من خاطرى * وهى التى تملى من الأوراق

ونظائره كثيرة لا تحصى ولصاحب الترجمة

ياعائبا السواد قهوتنا التى * فيها شفاء النفس من امراضها
أفلا تراها وهى فى فنجانها * تحكى سواد العين وسط بياضها

بدر الدين بن الأزهرى شاعر عصرى

(بدر الدين بن الأزهرى شاعر عصرى) طلع فى هالة الكمال بدرا * وسابق فى حلبة الآداب نظما ونثرا * فصحت معانيه * وقويت مبانيه * ولذت بأفواه القائلين * وساغت بأسماع السامعين * فحلاوتها على اللسان * وموقعها فى الآذان * مواقع ماء المزن فى البلد القفر * أورد له بعض أدباء عصرنا شعرا فاخترت منه قوله

شكى الى من أحب دملا * فى ردفه وقال قول جازع
يطلع فى كل مكان ضيق * فقلت ذا فى أوسع المواضع

وفيه كناية فيها نسكاية مع تلميحه لمثل العوام لمن يجيء فى غير محله كالدمل يطلع فى أضيق المواضع وقوله أيضا

لقد عثرت بجنح الليل رجلى * على شخص ولم يك فى حسابى
فقال مجاوبا لى أنت أعمى * فقلت نعم ودواس الكلاب

(وله)

هذا حشيش أخضر * مخدر الجسد
يقول من يبلعه * يارجلا خذ بيدى

(وله)

أمنت من خوف العدا ونبزهم * مذ جاءنى بخاتم الأمان

(وله)

لاترجى الشفاء الامن اللـــه فان الحكيم رب الوجود
وعجيب فى ذا الزمان غريب * مسلم يرتجى الشفامن يهودى
اشارة الى ماعرف من غش اليهود للمسلين والى ماخلا يهودى بمسلم الاهتم بقتله
ومماقلته فى معناه
أيرضينى الدهر الخؤون بمادهى * ويخلف فى وقت المضيق وعودى
فان رمت من يشفى الفؤاد بطبه * فيومى سبت والطبيب يهودى
*(وله أيضا فى شبابة)
ياحسنها شبابة لم ينقطع * موصولها الماغدت تترنم
بالرمز تفهمنى اشارات الهوى * أومانراها بالعيون تكلم
وهذا كقولى مضمنا
لنا مجلس فيه من اللهو مطرب * وادابنا ما بيننا تـــترنم
وناى يناجينا بأسرار ربنا * فنحن سكوت والهوى يتكلم
ومثله قول مجير الدين بن تميم مضمنا
وناطقة بالروح عن أمر ربها * تعبر عما عندها وتترجم
سكتنا وقالت للقلوب فاطربت * ونحن سكوت والهوى يتكلم
(وله أيضا)
تماطلى رجلى شكت * ترددى اليـــه
وكان لى سرموزة * قطعتها عليـــه
وسرموزة لفظ فارسى عربوه وهى النعل المعروف والعامة تقول له سرموجة
على قاعدة التعريب فانه تبدل فيه الزاى جيما

(محمد الايبارى القبانى) لبيب ان ذكر الحساب فهو أول من يسجد له البيان * أوالشعر تلا لسانه أقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان * أهابه ظرف ملئ بالظرف * وبوارق فكره أسرع من لمحة الطرف * فما نسيم الصبا * وماعتب صب صبا * ومع ذلك فكوكب سعده لم يزل ساقطا * وعاثر جده لم يبرح فى ظلمات الخمول هابطا
والدهر كالميزان يرفع ناقصا * أبدا ويخفض كامل المقدار
فاذا انتحى الانصاف عادل عدله * فى الوزن بين حديدة ونضار

(محمد الايبارى القبانى)

ان أنشد الشعر أقام أوزانه * وأهدى درة المنظوم من فكره أوزانه * فمن درة المكنون * وتبره الموزون * قوله

وهيفاء تهوى الراح قالت اصبها * بمجلس انس وهو يخشى ملالها
اذا لم تدرلى الكاس ملأى فانى * أبيتك مهجورا نخاف ملالها

وهو كقول البدر الدماميني

يقول لها هل لاحكيت بناظرى * مهاة سبتنى اذ سمعت كلامها
واعرض عنى ثم وجه عتبه * لها حين لم تشبه غزالا ولامها

وقول ابن مكانس

أقول لحبى قم ومص يامعذبى * كميسة خود حرك السكر راسها
ولاتسه عن شئ اذا ما حكيتها * فقام كغصن البان لينا ومامها

(وله)

رونق البدر فى صفا الماء لما * جعدته أيدى الصبا كالاسارير
شبه جام من لؤلؤ يتلالا * فوق صرح ممرد من قوارير

(وله من قصيدة)

لقد حل فى مصر بلاء من البرش * به غدت الأرواح والمال فى ارش
وكان بها حرث ونسل فزقوا * وأهلك ذاك الحرث والنسل بالبرش

والبرش اسم معجون معروف وأصله برشعنا ومعناه برءساعه باليونانية فعرب وهو نوع من الحرافة عند أهل مصر وبه يتم التلفيق والتوريه والله أعلم

(يحيى بن الخطيب القبانى) غلام هذا الأديب المقدم * وممن صحبه فاصبح طراز مجده به معلم * ففتحت صبا اللطف نور شمائله * وسقى ربع كماله بطل أدبه ووابله * وصحبة الأ لباء صيقل الألباب * كما ان الشجاعة صيقل الاحساب * وكان كثيرا ما يخصنى بانس مذاكرته * ويتحفنى بدائم مفاكهته * فكتب الى مرة يدعونى لبيت له على الخليج

نحيط علوم مولانا بأنا * على النهر المقلد بالخليج
فان شئتم تفضلتم وجئتم * الى سكن يقول الى الخلى جى

وكتب له بعض أدباء الشام يفاكهه

ماقولكم سادتى فى أهيف خطرا * غصبته قبلة مذ صرت فى خطر

فرام قتلى بلحظ للنهى سحرا * وبت منه أراعى النجم للسحر
هل جائز قتلى أفتوا لمن حضرا * لباب مولى رئيس البدو والحضر

(فأجاب بقوله)

ياسائلى عن حبيب بدره سفرا * عن برق ثغر هدى الركبان فى السفر
فراح يغصب لماعند ما نظرا * فى عاقبات مرامى ذلك النظر
وغاية الغاصب استرجاع ماصدرا * منه بعذب اللمى فى الورد والصدر
وفى القصاص حياة للذى ظفرا * بلثمه وما ل الصبر للظفر
والله يغفر للجانى الذى شجرا * بمن اليه سعى جذع من الشجر

وفى ذخيرة ابن بسام روى أن رجلا قبل امرأة فشكته الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال له ما تقول فقال صدقت يارسول الله فاقتصها منى فتبسم النبى صلى الله عليه وسلم وقال له لاتعد فقال لا أعود والى هذا نظر ابن نباتة فى قوله

لئن لثمتك يوماً * وللسرور اقتناص
فهاك فاقتص منى * ان الجروح قصاص

قوله فاقتصها كذا فى النسخ ولعله تحريف صوابه فأقصها بهمزة القطع أى مكنها من الاقتصاص اه مصحح

وللقاضى أبى عامر الجرجانى

ومنتقب بالورد قبلت خده * ومالفؤادى من هواه خلاص
فاعرض عنى مغضبا قلت لاتجر * وقبل فمى ان الجروح قصاص

وللقاضى عبد الوهاب المالكى البغدادى

ونائمة قبلتها فتنبهت * وقالت تعالوا فاطلبوا اللص بالحد
فقلت لها انى وحقك غاصب * وما حكموا فى غاصب بسوى الرد

وتلطف من قال

بالردف قد قتلتنى * وقاتل النفس يقتل
قالت فنعمان خدى * نفى قصاص المثقل

شهاب الدين أحمد السنفى المعروف بقعود

﴿شهاب الدين أحمد السنفى المعروف بقعود﴾ بليغ سحب ذيل بلاغته على سحبان * وروض أدب فى كل ورقة خطها بستان * ألفاظه أرق من دمع السحاب * وأطرب من كأس يضحك بثغر الحباب سطور شعره قضب عليها من قوافيه حمام * وعصره وان تأخر لدام الأدب مسك ختام * ان ورى فالنكامات خيامها ذات توارى * أوزف أبكار أفكاره فالكنس

اشهبها جوارى * وهو من أعيان مصرنا فضلا وأدبا * وممن مال لرقته كل نسيم وصبا * وربما جعل الشعر لكسبه سببا * واتخذ سبيله فى البحر عجبا * وله مكارم أخلاق * بجدد ماثر الجود الأخلاق * كما قال فيه صاحبنا الأصيلى

لله در شهاب الدين مرتقيا * فى الجود والنسب السامى على السلف
من رام يحيى وفا أو منتقى نسب * قالت فضائله فى ذا وذا سنتى

ومع كون طبعه يزرى بالشمال والشمول * أدركته حرفة الأدب فاعتكف فى زوايا الخمول * ومن شعره قوله

ياصاحباى ازكامعى * أوقاعذلاه وعارضاه
فما تطيقان رشد غاو * بما يلاقى وعى رضاه
سباحشاه والعقل منه * عينا غزال وعارضاه
يا جمع من صيروا التصابى * فى الحسن عارا بالعارضاهوا

(وله)

لى حبيب من هجره زاد مكرى * وسلوى هواه أقبح ذنب
جاءنى داعيا وقال انت انى * أولم اليوم قلت قلب المحب

ولابن مكانس

قال خلى لحبيبى صل فتى * فيك قد أضحى معنى مغرما
قال هل يولم ان واصلته * قال ان فاز بثغر أولما (لمى)

(وله)

وحقك لو أتلفت مالى جميعه * لما رضى الواشون فيك مكارمى
ولو اننى أولمت ألف وليمة * لأجلك لم يشكر عذولى ولائمى

وللصلاح الصفدى

يامن اذا ما أتاه * أهل المحبة أولم
أنا محبك حقا * ان كنت فى القوم أولم

(وله من قصيدة)

تفت فؤادك الأيام فتا * وتنحت جسمك الساعات نحتا
وتدعوك المنون دعاء صدق * ألا ياصاح أنت أريد أنت

*(ومنها فى العلم)

وكنز لا تخاف عليه لصا * خفيف الحمل يوجد حيث كنتا
ستجنى من ثمار الجهل عجزا * وتصغر فى العيون اذا كبرتا

(وله)

هم يابنة البن فقد ودها * للطف هارب الحجى والدها
مذ سادت العنبر لونا شذا * لا تدعنى الا ياعبدها

ونحوه قول القيراطى

فى خد من أحببته شامة * ما المسك فى نكهتها ندها
والعنبر الرطب غدا قائلا * لا تدعنى الا ياعبدها

وهو تضمين لقول الشاعر

لا تدعنى الا ياعبدها * فانه أشرف أسماءى

(محمد البلبنى) فاضل شافعى المذهب * ولبيب طراز فضله بالآداب مذهب * وشمأل لطفه سلسل ماء براعته رائق المشرب * من القوم الذين هم فى طرق الخيرات ساعون * والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون * الا انه تجاوز عن رقة النسيب * الى كثرة التجنيس والوحشى الغريب * فلذا لم أثبت من شعره الا القليل النزر فمنه قوله من قصيدة أولها

أهلا به ملكا فى زى انسان * أهلا بدر أتى فى شهر نيسان

(ومنها أيضا)

واتاشنى باليد البيضاء سودده * من أسود الخطب لما أن تخطانى
قد كنت غصان بالماء الزلال وهل * يجرى سوى الماء فى ثغر لغصان

(ومنها)

حييت غيرك عما ظلت تملكه * ارثا من الفضل حيا حب حرمان

وهذا على ما تراه معنى مبذول كقول الشاعر

من غص داوى بشرب الماء غصته * فكيف يصنع من قد غص بالماء

وهو فى معنى قوله

كنت فى محنتى أفر اليهم * وهم محنتى فأين الفرار

(ولابن فرلس)

قوله والوحشى هكذا فى النسخ ولعله تحريف صوابه الحوشى

غصصت منك بما لا يدفع الماء * وصح حبك حتى ما به داء

(وله)

قد كنت عدتي التي أسطو بها * ويدي اذا اشتد الزمان وساعدي
فرميت منك بضد ما أملته * والمرء يشرق بالزلال البارد

والاصل فيه قول زيد بن عدي

لو بغير الماء حلقي شرق * كنت كالغصان بالماء اعتصاري

ومن كلام ابن المعتز ربما شرق شارب الماء قبل ريه ومن فصول القصار واعجبا لمن اكتحل بالعمى وغص بالظما وقات مضمنا

قد كنت أرجوك للجلى اذا طرقت * فصرت عونا لحسادي وأعدائي
من غص داوى بشرب الماء غصته * فكيف يصنع من قد غص بالماء

ومن البديع هنا قولي

يا من أطال مطالي في مضايقتي * المطل في شدة المطول يرديه
اذا المياه أطالت مطل ذي غصص * فمن حياض المنايا المطل يرويه

(محمد الاسيوطي التاجر) تاجر بحت بالآداب منه التجاره * وبدت وجوه كماله وعليها من رونقه نضاره * فنشرت بين يديه بضائع الأدب الزاهر * وقالت للطف طبعه النقاد على عينك يا تاجر * وكان بينه وبين والدي عهود موده * وعروة ميثاق أحكمت يد الأيام عقده * وله شعر محته من صحف الفكر السنون * ولم يعلق به الا قوله في المجون * والهزل احيانا جلاء العقول

لنا صديق له في الصلج معرفة * تفضي الى انه يمني بغير تعب
اذا رأى أمردا كالورد وجنته * تذكر الشام ثم قد رأى وحلب

والصلج بصاد مهملة وجيم لغة عامية رديئة معناها النظر بشهوة

(القاضي أحمد المحلي المالكي) فاضل فضائله مدونه * وما ثره بأنوار فوائده ملونه * لم يزل فيما مضى مرفوعا بنصب القضاء مع قطع وقته النفيس * في أنواع الافادة والتدريس * وكان يجمعني واياه نطاق الزمان * في هالة ناد طلعت فيه بدور الاخوان * فرأيته يظن النملة جملا * ويرى مشهور المسائل مشكلا * اذا رأى غير شيء ظنه رجلا * فقال لي لم منع

صرف

صرف أشياء مع صرف أسماء * فقلت له ملاطفا يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء * ثم كتبت له مضمنا

أشياء لفعاء فى وزن وقد قلبوا * لا مالها وهى قبل القلب شيآء
وقيل أفعال لم تصرف بلا سبب * منهم وهذا الوجه الضعف ايماء
أو أشيئاء وحذف اللام عن ثقل * وشيئ أصل شئ وهى آراء
وأصل أسماء أسماو كباب كسا * فاصرفه حتما ولا يغررك أسماء
ومنع صرف اذا ما كان فى علم * لأجل تأنيثه والأصل وسماء
فقل لمن يدعى فى العلم توسعة * حفظت شيأ وغابت عنك أشياء

سرى الدين بن الصائغ الحنفى

(سرى الدين بن الصائغ الحنفى) سرى طابق اسمه مسماه * وكاد أن ينطق بلفظه معناه * تدفقت جداول علمه * ونبتت فى شاطئها حدائق نثره ونظمه * ترفع عن صناعة الصياغة * لما وصل الى معدن جواهر البلاغة * فأصبحت ذاته للمعالى الفا * ولبس حلل الكمال فأين منه السرى الرفاء * أبرز فى الطب نفيس جواهر لم يدركها ابن النفيس * وجرى فى الشفاء على قانون الصناعة حتى لقب بالرئيس * فأصبح به وشى صناعته مطرزا * وعد الكلام المسهب فى احصاء أوصافه موجزا * وله فرائد أخلاق * فى سلك الأيام ذات اتساق * حكت الروضة الغنا * اذا وقع قطرها بلا وبلبلها غنى * فى معال لو رآها ابن جلا * ستر وجهه ورأسه خجلا * كأنما الصبح تنفس عن محياه * والعنبر الرطب فاح منه رياه * صاغ بفضله حلى المكارم * فمنها فى سواعد المجد أساور وفى أكفها خواتم

سمح البديه ليس يملك لفظه * فكأنما ألفاظه من ماله

وجرت بينه وبين ابن نجيم مكاتبات معسولة الألفاظ مدنسة المعانى * أكثرها من رسالة ابن زيدون منحولة المبانى * ومما صاغه من تبره * وصبه فى قالب شعره * قوله

ما الناس الاحباب * والدهر لجة ماء
فعالم فى طفو * وعالم فى انطفاء

(ومنه قولى)

انما الدنيا ظلال * فى أويقات قليله

أورذاذ متوال * فوق كثبان مهيله

(منصور البلبيسى) ندب انجر فى حرفة الأدب * واقتطف بيد فكره فواكه الفضة من كثب * ثم غلبت عليه السوداء * ولعبت به الصفراء والبيضاء * فانعكست تلك الفنون بالجنون * والجنون كما يقال فنون * فجعل دساكر القهوة رحلة صيفه وشتائه * وهوى الأحبة منه فى سويدائه * فمما أنشدنيه قوله فى التاج بن الجيعان * حيث رماه بمرض أكابر الزمان

قلت لتاج الدين فى خلوة * وقد علاه عبده الأكبر
التاج يعلو فوقه غيره * قال نعم ياقوت أو جوهر

(عبد النافع الطرابلسى نزيل مصر) فاضل تودّ العيون قربه * وترى القلوب ودّه أعظم قربه * وأديب هو بديع زمانه * وتاج مرصع بجواهر المناقب على رؤس أقرانه * يستعير المجد مقامه الرفيع * ولا تنكر الاستعارة من صاحب البيان البديع * درّس وأفتى * وصنف فى فنون شتى * الا انه اقتدى فى شعره بابن حجاج * كقوله فى هجاء من لقب بالتاج

أقبح خلق الله فى خلقه * وخلقه وهو خسيس وضيع
لقب بالتاج ولكنه * تاج الخصى ومجاز وسيع

(صاحبنا عبد المنعم الماطى) أديب أسكرنا بلفظه العذب الانسجام * وأدار علينا من مدام لطفه فى مجالس الانس جام * وكان فى شرخ الشباب * والعيش غض أغصانه الرطاب

زمانى به كالورد طيبا وبهجة * فياليت ذاك الورد كان نصيبى

ونشر أفكاره دارى * ومن موارد انسه نشارى * وانه مع ذلك توقد ذكائه لنارى * وله أخلاق * ذات حواش رقاق * الا انه على الشعر مقصور وليس له من الاعراب نصيب * فطبعه على عامينه يخطئ وقد لا يصيب * وأكثر شعره نتف وهجو وهزل * وقلما يقع فيها المطبوع الجزل * كقوله

اذا رام محفوظ ربى للثرا * من الدفن قطرا الانظير لحسنه
فقولا له انى وحق حياته * مرادى أرى تعليقه قبل دفنه

وقوله

(وقوله)

وعن كبش الذبيح سألت يوما * خبيرا عالما بعلوم الاحيا
أيحيي الكبش بعد البعث أيضا * فأخبرني بأن الكبش يحيى

وهاهنا أمر نفيس نمحو به السيئات * وبحث عظيم نحيي به عظام الرفات * وهو أن الحيوانات هل يحييها الله تعالى وتحشر ويقتص لبعضها من بعض فأكثر أهل الحديث والسنة والاصول على انه كذلك لوروده في القرآن في قوله تعالى واذا الوحوش حشرت واقول سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم في خبر القصاص يوم القيامة يؤخذ للجماء من القرناء وخالفهم الامام أبو الحسن الأشعري فقال في كتاب الايجاز مانصه لايجب على الله تعالى أن يعوض البهائم والأطفال والمجانين وجميع الخلق الذين خلق فيهم الألم خلافا للقدرية حيث قالوا ان الله تعالى اذا آلم الحيوان لاعلى سبيل الاستحقاق وجب عليه أن يعوضهم والا يكون ظالما ودليلنا أن العقل لايوجب على الله شيأ واذا ثبت أن البهائم وغيرها من الحيوان الذي خلق فيه الألم من غير جرم ولاذنب لايستحقون ذلك لم تجب اعادتهم ولا نشرهم ولا حشرهم يوم القيامة وقالت القدرية ان لم يعوضهم في الدنيا فانه يجب عليه حشرهم في الآخرة وبعثهم كبعث المكلفين فان قالوا قد قال النبي صلى الله عليه وسلم في خبر القصاص حتى يؤخذ للجماء من القرناء قلنا المراد به حتى يؤخذ للضعيف من القوي فكنى بذلك عنهم لان الدليل قد قام على انهم غير مكلفين ومن لاتكليف عليه لايعاقب ولا يقتص منه انتهى وفي سراج الملوك اختلف السلف في هذا فقال ابن عباس رضي الله عنهما حشرها موتها وهو تأويل بعيد لان الحشر الجمع وليس في موتها جمعها بل تفريقها بتمزيقها ومعظم المفسرين على انها تحشر كلها حتى الذباب يقتص منها ثم يقال لها كوني ترابا وقال بعضهم لانقطع باعادتها كالمجانين ومن لم تبلغه الدعوة وتوقف بعضهم في ذلك والدليل عليه الآية واذا الوحوش حشرت والحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه لتؤدن الحقوق الى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء وأنكره الأشعري لانها غير مكلفة والخبر تمثيل لشدة التقصي في الحساب وقال الاسفرايني يقتص منها بما تفعله في الدنيا ورد بأنها ليست مكلفة فهي في المشيئة يفعل الله بها ما أراد انتهى أقول قد حصل بهذا التفصيل الوقوف على

الأقوال الأربعة وأدلتها والحق الذى تشتفى به الصدور أن لا تؤول الآية والحديث بما هو خلاف الظاهر والشبهة الداعية له من انها غير عاقلة ولا مكلفة والحشر والحساب مبنى على ذلك فاذا اسقط الاساس سقط ما بنى عليه فالجواب عنها أن نسلم انها غير مكلفة لانها لا تعقل والنزاع فيه مكابرة الا انها لما كانت فى المشيئة يفعل الله بها ما يريد وهو لا يسئل عما يفعل باتفاق أهل السنة بل العقلاء فنقول ان الله تعالى يعيدها وينصف بعضها من بعض بما فعلته بارادتها لادراكها للجزئيات وليس هذا بتكليف ولا مبنى عليه لان جزاء التكليف انما يكون فى دارى الخلود الجنة والنار وهى تعود ترابا قبل دخول أهليهما فيهما وأما فعل الحكيم القدير لذلك فليعرف أهل الحشر انه عز وجل لا يترك مثقال ذرة من العدل ليتحقق أهل النعيم ما لهم من النعيم المقيم وأهل الجحيم ما أعد لهم من العذاب الأليم تنويرا لهم وارشادا الان يعلوا اعظمة كبريائه وتساوى جميع مخلوقاته عنده بالنسبة لذلك ولك أن تقول قول ابن عباس حشرها موتها معناه أن حشرها الاجلى أن يفنيها ويقول لها كونى ترابا ولولا بعد كلام الأشعرى بتصريحه بما ينافيه حملنا انه تمثيل على ما ذكر أو قلنا انه انما أنكر الوجوب ولكن الحق أحق أن يتبع وهذا مما ينبغى أن يكتب بالنور على صحف خدود الحور وانما ذكرنا هذا مع طوله وعدم مناسبته لموضوع الكتاب تصدقا على من طالعه بجواهر الفرائد ومما ينبغى ايراده هنا ما قلته فى عتاب بعض الناس وهو

قل للذى لام ولم يحتشم * لخبث لؤم حشو طبع دنى
هب انك النور تغير على * جم له مرعى فلم يذعن
أما تخافن غدا مالكا * يقتص للجم من الأقرن

﴿حسن بن الشامى﴾ ماجد صيغ من معدن السماح * وابتسمت فى جبينه غرة الصباح * اللطف حشو اهابه * والفضل لا يلبس غير جلبابه

لو مثل اللطف جسما * لكان للطف روحا

اذا نزل بنادار تحلت الهموم * وارتضع من أخلافه أخلاق بنت الكروم * فمما أنشدنيه من أبياته * ونزه سمعى فى رياض قطعاته * قوله

مصر تفوق على البلاد بحسنها * وبنيلها العالى ورقة نابها
من كان ينكر فالتحاكم بيننا * فى روضة والجمع فى مقياسها

اسماعيل بن الحسين كاتب السر الخزرجى

❁(اسماعيل بن الحسين كاتب السر الخزرجى)❁ تاج مفرق عصره * وعقد ترائب نحره * اشتعلت فحمة الليل بأسماره * وسال نهر الصبح فى أخباره * فتخمرت طينته بالندى * وافرغت فى قالب الهدى * وسقى عصره صيب الافضال * حتى أورقت به رياض الكمال * وهو قريب العهد فمن لم يره * فقد سمع فى بديع الآثار خبره * وقد طالعت ديوانه فلم أر فيه ما يلذ به الذوق السليم * ويعترف به الطبع المستقيم * كقوله فى سطل

ضربت وأدخلت نار الجحيم * فنلت بصبرى نعيما مقيما
وصيرت بينكم عبرة * لمن شاء منكم أن يستقيما (يستقى ما)

ومثله قولى مضمنا

يقول مؤاجر غضبا لماذا * أيور الناس أمست لن تقوما
وكنت اذا غمزت قناة قوم * كسرت كعوبها أو تستقيما (تستقى ما)

ومن البيوت بمصر بيوت الغزية

❁(محيي الدين الغزى)❁

❁(فنهم محيي الدين الغزى)❁ بدر سماء الكمال * كوكب غرة الاقبال * فاح من أخلاقه روح الجنان * وفضحت كلماته عقود الدر والمرجان * رأيته بمصر ومورد عيشه صافى * وبرد نعيمه على معاطف النعمة ضافى * وله شعر ردى * وربما ورد فيه ما هو نبذى ندى * فمنه قوله يداعب صديقا له يسمى الخصوصى

ياراكب البغلة الشموص * وقائد المهرة والقلوص
بساحل المرج لا تعرج * وانزل على ساحة الخصوص
أحب مصر التى تسامت * ففضلها جاء بالنصوص
لان مقتى الاله ربى * قد حل فى الروم بالخصوص

❁(احمد الغزى)❁

❁(أحمد الغزى ابنه)❁ شهاب طلع فى افق الكمال غره * وجر أذيال همته على ساحل جدول المجره * فنثر ونظم * ومن يشابه أبه فما ظلم * فمن لمعات ذلك الشهاب * وقطراته العذاب * قوله من قصيدة

الجوهر الفرد من معناه منتثر * والمندل الرطب من رياه منتشر

(ومنها)

كل الشهور ربيع عند مقدمه * وكل شهر سوى أيامه صفر
يا من أياديه أبكار أفوز بها * ومن زماني لديه كله بكر

ومن بيوتها بيوت الطورية

(عبد القادر الطوري)

(ومنهم عبد القادر الطوري) والطور وكتاب مسطور * لهو الصديق لي تجزبه المودة حال الحبور * وروض مجد ناضر * وبحر أدب وافر * لكن طبعه أم الصقور * مقلات نزور * ولم يورق حتى احتضر * ومضى بأمر عزيز مقتدر * فما أنشدني قوله

تنور بغيتي ببديع صنع * معاني حسنه أضحت غزيره
له قد رشيق ثم جسم * عليه حين لاح رأيت نوره

وفي تحرير التحريف يقولون تنور الرجل من النورة والصواب انتور واتار ولا يقال تنور من النورة بل اذا أبصر النار قال امرؤ القيس

تنورتها من أذرعات ودارها * بيثرب أدنى دارها نظر عالي

انتهى وقد صرح بعض أهل اللغة بخلافه وكنا يوما في جمع جسم بسفح الجبل المقطم وبعض المشايخ يدعو بالاستسقا * والسحاب قد تمطى على وسادة الجو واستلقى * فلما دعا ارتفعت حجب السماء بدعائه * حتى لا تحول بينه وبين سمائه * فأنشدني قول الشاعر وهو لبعض شعراء الاندلس

خرجوا ليستسقوا وقد نشأت * غريبة فمن بها السح
حتى اذا اصطفوا لدعوتهم * وجرى لبعض دموعهم سفح
كشف السحاب اجابة لهم * فكأنما خرجوا ليستصحوا

فأنشدته قول التنوخي

خرجنا لنستسقي بيمن دعائه * وقد كاد هدب الغيم أن يبلغ الأرضا
فلما ابتدا يدعو تقشعت السما * فما تم الا والغمام قد انفضا

ثم قلت أنا

وولي قطب لرب السما * أسرع الصحو اذ دعا بالماء
في صراخ وادمع وهو يغني * عن رعود منهلة الانواء

كان

كان فى الجو للغمام ازدحام * فاشتفى صدره ببرء الدعاء
فكأن السحاب كان مريضا * مات لما دعا بالاستسقاء

وكان رجل منحوس له قميص واحد اذا غسله يجلس فى بيته حتى ينشفه كما قيل

قوم اذا غسلوا الثياب رأيتهم * لبسوا البيوت وزرروا الأبوابا

فاذا نشره لم تزل السماء مغيمة ماطرة فرأى الناس منصرفين من الاستسقاء وقد اجيب دعاؤهم لما غسل ثوبه فقال

غدا الناس يستسقون من كل وجهة * بكل كريم للدعاء مجاب
فوافاهم الغيث الذى سمحت به * يد المزن هطالا بكل سحاب
وفى ظنهم أن قد اجيب دعاؤهم * وما علموا انى غسلت ثيابى

وما أحسن قول القائل

قام قوم بسنة الدين حتى * غلب النجح بالاجابة ياسا
فكأن الغمام لما أتاهم * ضاحكا ظن فى الورى عباسا

ومما كتبته له مضمنا

أيا صديقا عرفه ندى * وكفه من الندى ندى
لم يحل من بعدك لى ندى * وبلدة ليس بها طورى

على بن الجزرجى شيخ الشيوخ بالسيوفية الضرير

(على بن الجزرجى شيخ الشيوخ بالسيوفية الضرير) فاضل مكفوف * وأديب بالمعروف معروف * له شعر وسط * وأثر عن علو مرتبته منحط * كقوله فيمن عابه بالعمى

ليس العمى داء ولكنه * شطفة تشريف على ضره
ما الهم والداء وكل البلا * الا ابتلاء المرء فى دبره
فالحمد لله الذى صاننا * مما يحار الطب فى أمره

أنشده فى كتاب له سماه نيل المنى * فى الكلام على أولاد الزنى * وذكر فيه حديثا لا يدخل الجنة ابن زانيه وقال فيه ان ولد الزنى فى أصله خبيث وهو فى نفسه خبيث وذلك الخبث يدل على سلب الايمان منه وكذا الملوط وذو الابنة المستمر على ذلك أقول فى اللآلى المصنوعة للسيوطى عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة ولد زنى ولا ولده ولا ولد ولده وفى رواية فرخ الزنى لا يدخل الجنة وفى رواية لا يدخل الجنة ولا شئ من

نسله الى سبعة آباء قيل هذا لا يصح وفى الحلية له رواية وقال عبد الرزاق عن ابن التيمى قال حدثنى أبو بكر وكان عندنا مثل وهب عندكم انه قرأ فى بعض الكتب أن ولد الزنى لا يدخل الجنة الى سبعة آباء فخفف عن هذه الامة فجعلها الى خمسة آباء وسأل بعضهم أبا الخير الطالقانى عن هذا فى جمع من الفقهاء فقال هذا لا يصح لقوله تعالى ولا تزر وازرة وزر أخرى وذكر بعضهم قال فى معناه انه اذا عمل عمل أصليه وارتكب الفاحشة لا يدخل الجنة وزيفه بأنه لا يختص بولد الزنى بل حال ولد الرشدة مثله ثم فتح الله على جوابا شافيا لا أدرى هل سبقت اليه أولا فقلت انه لا يدخل الجنة بعمل أصليه بخلاف ولد الرشدة فانه اذا مات طفلا وأبواه مؤمنان الحق بهما وبلغ درجتهما بصلاحهما كما قال تعالى واتبعناهم ذرياتهم بايمان فولد الزنى لا يدخل الجنة بعمل أبويه أما الزانى فنسبه منقطع وأما الزانية فشؤمها منع من وصول بركة عملها اليه انتهى وقد يقال انه لخبث طينته ونطفته وفساد بذره يقدر الله ويكتب شقاوته فى الأزل بخلاف ولد الرشدة ولا بعد فى هذا وكونه من الأخبار بالمغيبات ومن كفريات أبي العلاء المعرى قوله فى لزوم مالا يلزم

اذا ما ذكرنا آدما وفعاله * وتزويجه بنتيه لابنيه فى الخنا
علمنا بأن الناس من نسل فاجر * وان جميع الخلق من عنصر الزنى

وأجابه الحسن بن أبى عقامة اليمنى بقوله

لعمرك أما فيك فالقول صادق * وتكذب فى الباقين من شط أودنا
كذلك اقرار الفتى لازم له * وفى غيره لغو كذا جاء شرعنا

وفى الحديث نكتة وهى انه سمى ولد الزنى فرخا وهو استعارة بديعة وعليها استعمال أهل الحجاز فيقولون فى الشتم هو فرخ يعنى ولد زنى لان الفرخ لا يعرف له أب وانما يعرف الدجاجة التى باضته ففيه لطف لا يخفى ومما قلته

كم من كريم قد بات فى دعة * أتاه سيل الصباح بالنكد
ورب فرخ أراشه زمن * فصار بالعز بيضة البلد

زين الدين محمد الانصارى الخزرجى الحنبلى

﴿زين الدين محمد الانصارى الخزرجى الحنبلى﴾ زين زمانه * وعين أعيانه * درة تاجه * عقيلة نتاجه * كان فى عصره بيت القصيدة * وعنوان الأدب وأول الجريدة * لم تعقد على مثله الخناصر * ولم تحمل

بتوأم

ـتوأم له بطون الدفاتر * ولم يدر على نظيره نطاق نادى * ولم تحمل كتحف أخباره الركبان من حاضر وبادى * تفقه على مذهب أحمد بن حنبل * فكان لطلابه سهل المورد عذب المنهل . (وللناس فيما يعشقون مذاهب) وهم فى كل عصر أقل من القليل * وهكذا الكرام كما قيل

يقولون لى قد قل مذهب أحمد * وكل قليل فى الأنام ضئيل
فقلت لهم مهلا غلطتم بزعمكم * ألم تعلموا أن الكرام قليل
وما ضرنا أنا قليل وجارنا * عزيز وجار الاكثرين ذليل

وهو جواد لم يهب ان وهب * فالذهب عنده كاسمه ذهب * وكان له بالقطب المكى صحبة واجتماع * حتى كأنه نديم جذيمة وجار القعقاع * ولم يزل كذلك حتى أغار عليه الدهر وانتهب * ورآه هبة نفيسة فرجع فيما وهب * فمما كتبه للقطب المكى

يقبل أرضا أشرقت شمس علمها * به شرفت أصلا وفرعا ومحتدا
محب يرى بذل الدعاء فريضة * لماوى العلا والشوق قد زاد واعتدا
ترنحه ذكراكم كل ساعة * على ما به من حر وجد توقدا
يهيم الى مغناكم وفؤاده * أقام وبعد الجسم قد زاد فى المدى
فيا آل ليلى هل أبيت بحيكم * وطائر ليل الوصل يمسى مغردا
وهل تسمح الأقدار يوما بعودة * فأطرب فى تلك المعالم منشدا
أعينىّ ناما طالما قد سهرتما * فهذا زمان الوصل أصبح مسعدا
لكم من محب ألف ألف تحية * لها المسك يعنو بالخضوع تعبدا

(فأجابه)

اذا كتبت كفى كتابا اليكم * محته دموع طول أوقاتها تجرى
وان سطرت سطرا تمنيت اننى * أكون من الأشواق فى ذلك السطر
عليكم سلام الله مالاح بارق * وماسارت الركبان فى البر والبحر
وانى محب مستقر على الدعا * لحضرتكم فى الصبح والليل اذ يسرى
واسألكم ردّ الجواب فعاسى * يفرج مما قد تمكن فى صدرى
فأوراقكم عندى أجل من الرضى * وأحلى من الايسار عند ذوى العسر

* (نور الدين بن الجزار الشافعى) * بدر أشرقت من افق الكمال أنواره *

نور الدين بن الجزار الشافعى

وخطت فى صحائف المحاسن آثاره * جنيت اليه ثمرات الألباب * فجبى زكاتها لفقراء الطلاب * عذب المشرب * واسع المذهب * ضاعف الله حبوره * ويأبى الله الا أن يتم نوره * دعاه الندا فأجاب * ورمى حدق المعانى فقرطس وأصاب * فلم تكن الآراء فى فواضله تختلف * فابن الجزار يعرف من أين تؤكل الكتف * اذا طبق مفاصل الاشعار * أنسى محاسن الشواء والجزار * نحر الامور نحرا * وقتل الدهر خبرا * فمن محاسنه قوله فى الوجه وهو منهل معروف بطريق مكة شرفها الله تعالى امين

ولما رأيت الوجه سال من الحيا * وقد طاب فيه للحجيج مقام
وعاينت ركب الحج حل بسفحه * وقد ضربت فى جانبيه خيام
ومدوا الى الغيث الهطول أكفهم * فجاد عليهم بالعطاء غمام
فقلت على الوجه المليح تحية * من الله ماسح الحيا وسلام

ومثله لابن أبى حجلة

أيا سادة فى الوجه فزت بقربهم * ولم أدر أن القرب يؤذن بالبعد
سريتم الى أكرى فشرذتم الكرى * وخلفتموا فى الوجه دمعى على خدى

ومثله للقطب المكى أيضا

أقول ووادى الوجه سال من الحيا * وقد طاب فيه للحجيج مقام
على ذلك الوجه المليح تحية * مباركة من ربنا وسلام

وللقيراطى أيضا

أتيت الى الجحاز فقلت لما * تبدى وجهه لى وارتويت
وكم فى الارض من وجه مليح * ولكن مثل وجهك ما رأيت

وقلت فيه عند قلة مائه

أقول وقد جئنا الى الوجه مرة * عطاشا وكل خاب فيه رجاؤه
اذا قل ماء الوجه قل حياؤه * ولا خير فى وجه اذا قل ماؤه

وللفارضى فى بعض مناهله أيضا

روّنى من ماء نبط * لو يكن فى العمر مرّه
ودع الحورا فانى * أبغض الحورا وأكره

ولابن حجر العسقلانى

أحبتنا لا تنسوا العهد من فتى * غريب أليف الحزن مقلته عبرى
تذكرت فى درب الحجاز عهودكم * فلم يتوسن فى العهود ولا أكرى
وقد جعل أكرى مقصورا وغيره جعله بالهاء فكأنه منقول من الفعل وهو الجارى على الألسنة

(محمد الفارضى)

(محمد الفارضى) فاضل جرت فى مضمار الأدب سوابقه * وتألق فى سماء الفضل من خلال سحائبها بوارقه * حتى ترنمت بمآثره ورق الحمائم * ومزقت طربا لها جيوب الغمائم * وطال عمره حتى لف الدهر على هامته ثلاث عمائم * وصفا ماؤه فتلون بلون انائه * ونفض الزمان عليه صبغ صباحه ومسائه * وله سهم عائل فى العربية والفرائض * وبديهة فى ارتجالها تسبق لما يعجز عنه ألف رائض * فاذا خاطب بالخطابة تهتز له أعواد المنابر * ويورق بفضل فضائله روضها الناضر * واذا ارتجز فلا يشق رؤبة غباره العجاج * واذا أحمض بهزله ذهبت مجانا لطائف ابن حجاج * وربما مال الى جعله مقراض الاعراض منهجا * سالكا بحروف الهجاء مسلك من هجا * وشعره بديارنا يتلوه فم الدهر * وتتفكه الاسماع منه بغض الثمر والزهر * فمنه قوله فى قصيدة يهنى بوفاء النيل

أناس بهذا البحر قاسوا نوالكم * وبينكما فرق يحققه الخبر
فنى العام جبر النيل يحصل مرة * وفى كل يوم من نداكم لنا جبر

وقوله مضمنا

لى جوخة مجرودة يا طالما * قد كنت ألبسها بغير تكلف
كم رمت أقلبها فقالت جهرة * قلبى يحدثنى بانك متلفى

وهذه الجوخة لو ركب عليها فروة ابن نباتة وابن سارة وأسدل عليها طيلسان ابن حرب كانت أفخر لباس يهدى لملوك الافلاس كما قال ابن سارة

أودت بذات يدى فروة أرنب * كفؤاد عروة فى الضنى والرقة
لو أن ما أنفقت فى اصلاحها * يحصى لزاد على رمال الرقة
ان قلت بسم الله عند لباسها * قرأت على اذا السماء انشقت

ومما أنشدت له أيضا قوله

فى مصر من القضاة قاض وله * فى أكل موارث اليتامى وله

ان رمت عدالة فقم عدله * من عذله دراهما عدله

(وله أيضا)

ألا يا أيها القاضي تيقظ * لأمرك واحترز من ترجمانك
ألم تنظر يداه كل حين * يكروه وسوء ترجمانك

وهذا مأخوذ من قول الميكالي

صل محبا أعياه وصف هواه * فضناه ينوب عن ترجمانه
كلما راقه سوالك تصدت * مقلتاه بدمعه ترجمانه

(وله أيضا)

كونوا على الحق لكي تسلوا * من مغرم يذهب بالمال
لو سلك الناس سبيل التقى * ما استفتح القاضي ولا الوالي

(وله)

تزود حكمة مني * وخل القيل والقالا
فساد الدين والدنيا * قبول الحاكم المالا

(وله)

يصلح للحكام في عصرنا * وذاك في الأحكام مما يجب
الصلب للوالي على شعبة * والضرب بالدرة للمحتسب

وله في العلامة منوش التونسي

توفى التونسي فقلت بيتا * يؤرق كل ذي شجن ويونس
أبو حسن ثنا ونوى بطن أرض * ولكن مثلما أوحشت تونس

ونحوه قول الشهاب المنصوري في مليح اسمه يونس

لست لأغصان النقا مادحا * لان حبي قده أميس
ولست بالأقمار مستأنسا * لان عندي قمري يونس

ومن هزلياته قوله

اذا قام في سوق مناد لحاكم * معاشر جمع الناس ينصت من حضر
فغايته ما يأتي به أن يقول ما * مقدم باب اللوق الا أبو عكر

وله قصيدة مقصورة عارض بها مقصورة ابن دريد وهي

انهض اذا خفت كلالا أو وجا * بعيسجور ألفت جذب البرا

ومربها الوخد اذا علتها * أو الزميل ماتحريت الوجا
مهد لها ظلال شعب المنحنى * ورد بها ماء نميرا بالنقا
ان قصارى العزم جد وغنى * وقيل جد واحمد واغب السرى
من طلب العلياء يشقى دونها * وعدم السباب أحلى مجتنى
من قعد الجبن وآثر الثرا * بجانب المجد فقد أعيى الأسى
فلا يهولنك بقبح بتك * ان لحن يورين المنايا فى المنى
يارب خبت جبته فى حالك * يستمخر دون مرماه الحمى
يمور مورا كظليم نافر * أهوج محبوك القرى عبل الشوى
ثم انبرى يخب فى حزن وما * تمزقت بعد سرابيل الدجا
أطلب نجدا وبنجد شجنى * مهاجرا من الهوى الى الهوى
لله حين سمح الدهر به * فى دارة تم بها نسم المنى
كنت بها لم أخش بينا آمنا * ارفل بين الأخشبين فى غنى
بها وفودى فاحم همت فما * أسلو وللشيب برأسى مختطى
لم يثنه العذل ولا يعطفه * طول المدى ولا تداويه الرقى
اقصر أخا اللوم ملاما أو اطل * صب صبا لا يلتوى عن اللوى
لو جرع الصاب كؤوسا ماسلا * فاقطع رجاء وقل قد انقضى السلى
لا يطبيه دون سلع مربع * ولم يرقه للبقا الا النقا

(ومنها)

أين الجهام الخلب البرق من الكنهور الواهى العزالى بالحيا

وهى طويلة عديمة الطول والبعرة تدل على البعير

ومن الوافدين عليها من الفضلاء الاعلام * وكرام مشايخ الاسلام

(العلامة شهاب الدين أحمد بن محمد المقرى المغربى المالكى نزيل مصر) فاضل لغر المناقب مشرق * وبدر لعلو همته سار من المغرب المشرق * وهو رفيق السداد * وبيت مجده منتظم الاسباب ثابت الأوتاد * وهو كما قيل فيه دمث من غير خفر * ولين جانب من غير خور * ذو رأى يرد اللبن فى الضرع والنار فى الزند * وله آثار يثنى عليها ثناء النسيم على الند * وأدب امتزج باللطف امتزاج الماء بالخمر * وفيصل حكم رفع به التنازع بين زيد

العلامة شهاب الدين أحمد بن محمد المقرى المغربى المالكى نزيل مصر

وعمرو * وهو لفقه مالك * أكرم سيد مالك * وقد بوأه الله فى الحديث تكرمة بين العليا والمسند * وجد فى ارث المجد * بغير كلالة عن أكرم أب وجد

مضت الدهور وما أتين بمثله * ولقد أتى فعجزن عن نظرائه

أما الشعر فهو أصمعى باديته * وسلمان بيته وحسان فصاحته * فما مس قضب الاقلام الاسجدت شكرا اذرأته قبلة الآمال * وأقسمت ان من البيان لسحرا لكنه السحر الحلال * وهو من قوم تعاويذهم الصوارم * وآثارهم فى كل جيد تمائم * أنفق عمره فى كسب الخير الرابح * لما علم أن مآل المال غاد ورائح * ولما رأى ما بمصر من الحسد والنفاق * وتجارة الآداب ليس لها بسوقها انفاق * ولم يرض بالكساد * ومسابقة الحمير للجواد * ارتحل للشأم ذات العماد * فقال له رائد السداد

من سابق الجواد بالحمار * جنت يداه ثمر الغبار

وقد كنت استقطر خبره واستودقه * وأومل أن ربيع التلاقى يخضر ورقه * ويرد على منه ما يسر الثكالى * وينسيها صعاب الآفات والرزايا * مما يستنزل العصم للوهاد * وتصغى له أوابد الأيام حتى تصاد * وعصر اللئيم لئيم * وزمان الكريم كريم

والورد فى زمن الربيع طلوعه * والعقد ليس يزين غير الجيد

فضن على بالاثر والعين * ولم يرض أن يجمع بين ساكنين * فسبقت المنايا الأمانى * وباءنى بنعيه من كنت أرجوه بشير التهانى

فبكيت للظل الذى * لم ينبسط حتى انطوى

وعلى اناء شبيبة * فى وقت ما امتلأ انكفا

وقد نزهت طرفى فى رياض آثاره * وملأت اردان المسامع بجنى أخباره * فرأيت له نظما ونثرا * ومحاسن تملأ الأفواه والأسماع درا * ومن تآليفه ازهار الرياض * فى اخبار عياض * وفتح المتعال * فى وصف النعال * وغير ذلك ولما مر فى طريقه بمحمد بن يوسف التاولى المغربى كتب له يستدعى منه الاجازة

أموقظ جفن العلم من بعد ما أغفى * وباسط كف البذل من بعد ما كفا

ومحيي رسوم الاكرمين التي عفت * ومجري معين الفضل من بعد ما جفا
أجزني بما قد قلته ورويتـه * ففضلك ياذا الفضل قد حير الوصفا

فأجابه بقوله سقى الله ثراه * وعطر مثواه

أيا فاضلا أعيت محاسنه الوصفا * وانسان عين الود والمنهل الاصفى
ومشكاة أنوار القرآآت والأدا * وساحب أذيال الكمال على الاكفا
وحائز أشتات الفضائل اذ غدت * مفاخرة في اذن مغربنا شنفا
بعثتم بطرس بل بروض بلاغة * تعطرت الأرجاء من نشره عرفا
وأملتم أعلى الاله مقامكم * والبسكم من عزه المطرف الأضفى
من القاصر الباع الضعيف اجازة * ألم تعلموا أن الصواب هو الاعفا
ولست باهل أن أجاز فكيف أن * أجيز على أن الحقائق قد تخفى
فأضواء فكري أظلمتها حوادث * فآونة تبدو وآونة تطفى
ولولا رجائي منكم صالح الدعا * لما سطرت يمناي في مثل ذا حرفا
فأرجو من الرحمن جل جلاله * ومن فضله أن يقبل العدل والصرفا
وها انا ذا اشهدت أني أجزتكم * على سنن المألوف والمقصد الاوفى
جميع تآليفي ونظمي وان وهي * ونثري وان حاز الركاكة والضعفا
وكل الذي أرويه عمن لقيته * من السادة الغر الاولى احسنوا الوصفا
كسيدنا شيخ الأئمة عمنا * سعيد فكم نلنا معارفه قطفا
عن اشياخهم من أهل فاس وغيرهم * كمثل ابن هارون فاعظم بهم كهفا
وهذا هو الشيخ ابن غازي ووصفه * شهير فلم يحتج لتشهيره كشفا
رعى الله عهدا كان فيه امامنا * ووالى على مثواه رحمته عطفا
ولا تغفلوني من دعائكم اذا * مددتم بباب الله سبحانه الكفا
وعند ضريح الاولياء وذكرهم * عسى نرتوي من بحر غفرانهم رشفا
وان جهل الناس الحقوق بعصرنا * فشانك من راعى الحقوق وما وفى
وكاتبه المقري أحمد مرتج * من الله جل العون والبر والعطفا
بجاه شفيع الخلق مأملنا الذي * نؤمل يوم الدين من حوضه رشفا
عليه من الرحمن ألف تحية * تنال بها حسن الختام مع الزلفى

وله في مثال نعل النبي صلى الله عليه وسلم

لك الله من تمثال نعل كريمة * بخير الورى فاقت سنا وسناء
يحق لذى داء يلازم وضعه * على جرحه منه ينال شفاء
وذا القليل فى ما تزمن علا * على كل اوج اذ أجاب نداء
ومن ذا الذى يحصى فضائل أحمد وقد جود القرآن فيه ثناء
عليه من الرحمن أزكى تحية * تؤسس للمدح الشريف بناء

(وله)

يامثل نعال خير فخر العرب * بس أجل واطئ للترب
كم رمت مديحه بقصد القرب * والعذر أجل والمعانى ترب

(وله)

أعظم بمثال نعل عز العرب * من أرشدنا الى أجل القرب
قبله وكن بحقه معتنيا * واجعله وسيلة لدفع الكرب

(وله)

ومثال نعل عرفه متأرج * فى الخافقين ونوره متبلج
حاكى نعال أجل من وطئ الثرى * وبدت كواعب مجده تتبرج
فاجعله خير وسيلة ترجو بها * دفع المكاره حين ضاق المخرج
صلى الاله على مشرفه الذى * اشكال منطقه الهداية تنتج

ولما وقفت على كتابه فتح المتعال قلت مضمنا البيتى المعرى

حكى المحراب تمثال ففيه * لنا سجدات تقبيل توالى
أقول لنعل خير الخلق طرا * وقد حاز المهابة والجلالا
وعز به التراب فكل مسك * لرياه لقد هجر الغزالا
ليهنك فى المكارم والمعالى * كمال علم القمر الكمالا
وانك لو تعالت الثريا * يشسعك ما قطعت له قبالا

وكتب له صاحبنا عبد العزيز الفشتالى بارك الله فيه

يانسمة عطرت بهار يح الصبا * فتضمخت بعبيرها حلل الربا
هبى الى ساحات أحمد واشرحى * شوقى الى لقياه شرحا مطنبا
وصفى له بالمنحنى من أضلعى * قلبا على جمر الغضا متقلبا
بان الاحبة عنه حتى قد نوى * منهم وآخر قد نأى وتغيبا

فعسى الدهر تسعد يازمان بقربهم * فأقول أهلا باللقاء ومرحبا

أقول استعارة العطاس للنسيم غير مستحسنة والمعروف فى كلام فصحاء العرب عطس الصبح والفجر وفى شرح الفصيح للمرزوقى يقال عطس اذا فجأته صيحة من غير ارادة ومصدره العطس والعطاس الاسم جعل كالادواء ويقال أرغم الله معطسه أى انفه وعطس الصبح انفجر على التشبيه ولابى اسحاق الغزى فى قصيدته المشهورة التى أولها

امط عن الدرر الزهر اليواقيتا * واجعل لحج تلاقينا مواقيتا

كم من بكورالى احراز منصبة * جعلته لعطاس الفجر تشميتا

ومن لطائف بعض المتأخرين قوله

قلت له والدجا مولى * ونحن فى الانس بالتلاقى

قدعطس الصبح ياحبيبى * فلا تشمته بالفراق

وكتب أبو عبدالله محمد بن أحمد المكلاتى على كتابه زهر الرياض * فى أخبار عياض

أهذه أزهار هذى الرياض * أم هذه غدرانها والحياض

يبيت معتل الصبا عندها * يروى حديث الشفاعن عياض

فياامام جامعا للعلا * ومن غدابحرا على الناس فاض

أبكار فكرى بين أبوابكم * تنزه الأحداق بين الرياض

اليكم قد رفعت أمرها * فاقض على الأفكار ما أنت قاض

قد بايعت بالحق سلطانكم * توفية للعهد دون انتقاض

ومن البيوت بمصر بيت الجيعان وأولاده وآثارهم تدل عليهم وممن أدركناه منهم وهو آخرهم

(القاضى أحمد بن الجيعان) شقيق النسيم * ربيب النعيم * وريحانة الأدب * شمامة الطرب * طراز كم المكارم * خليفة هطال الغمائم * جواد طليق * غصن فى ساحة المجد عريق * ملكى الصفات ملكى السمات * بسام العشيات * راحته سحابة نداها يروى الأقطار * وبرقها اللامع فى أياديه النضار * اذا قدمت وفود الحاجات كان رحيب النادى * واذا ضاق صدر الدهر فنديه واسع الصدر للحاضر والبادى *

(القاضى أحمد بن الجيعان)

غض الأدب * مورق الحسب * لم يزل يجنى زهره الحياة من حدائق الأيام * ويحسو صفوها من مناهل اللذة والناس صيام * حتى كدر الموت ورده * وبدد الدهر الحسود بنوائبه عقده * وكان كثيرا ما يذكرنى الآداب والمعارف * ويأخذ منى على رغم الزمن تحف اللطائف * فى أويقات كانت لعين الفضل قرة * وعلى مكتوب العمر عنوان المسرة

اذا ما مضى يوم ولم أصطنع يدا * ولم أقتبس علما فما ذاك من عمرى

والدهر يهيم بالاحسان * ويلف برد الشمل على أعطافه الحسان * وهو لا يحسب من عمره غير أوقات صفوه * ولا يسطر فى صحف أعماله غير لذته ولهوه * كما قلته له مخاطبا * وأنشدته مداعبا

لا تبك هندا ولا تعتب بأسماء * واصرف زمانك فى لهو واهواء
يوما ببرش ويوما بالحشيش وبالأفيون يوما ويوما كأس صهباء

وسألنى يوما أن أصف له الشمعة * واذكر من السمات على لسانها لمعة * فقلت له لم يترك الأرجانى فى قوس الوصف لها منزعا * ولا لأهل البيان لمعانيها مطمعا * ثم بدا لى امتثال أمره * لما كان له من حقوق ألطافه وبره * فقلت

لعسال الشموع سنان نار * اذا ما لاح ينهزم الظلام
أقول له وقد وافى ببشر * كأنك فى فم الدنيا ابتسام

لما لاحت الشمعة وهى صاحب مستقيم * ولطفت حتى ضرها مرور النسيم * مسامر أينما طلبت كان معك * وصاحب يضر نفسه لينفعك * يقف طول ليله فى خدمة الأصحاب * ويؤتمن على الخلوة بالحريم والاحباب

لما رأت أن الظلام يكيدها * ويكاد يؤذن شملها بشتات
أكلت من الغيظ المبرح نفسها * وتلمظت كتلمظ الحيات

فقامت على الكرسى تجلو نفسها فى الظلمات * ذات غرة تشق قناتها جيوب الدياجى عن صدر الخلوات * لا يرتضى ثالث سواها * اذا اختلى المحب بحبيبه فى دجاها

فلئن قضيت لنا بصحبة ثالث * يارب فلتك شمعة فى المجلس

أحببت أن ألذذ السمع * بوصف محاسن الشمع * فأقول هى غصن فضة

مثمر بالنضار * أو هندية تحرق نفسها بالنار * بأنفاس النسيم يدنو مماتها * وبقطع رأسها تزداد حياتها * تدب النار في جسمها كما دب في العمر الاجل * وتبكي فما ندري اذلك لحرقة النار أم لفرقة العسل * ويقول لسانها للحوادث لما أدنت بينه * وفرقت يد الدهر بينها وبينه

بالنار فرقت الحوادث بيننا * وبها نذرت أعود أقتل روحي

تساقط على معصمها من الدمع * سلاسل فضة أو شماريخ طلع * كأنها عاشق ناحل * ملتهب الاحشاء ذو مدمع سائل * وموتها من قلبها وهو عجيب * فان القلوب تحيي أجسامها وهذه اهاتذيب * اذا جن الظلام زادت أشواقها * وظهر اشتعالها واحتراقها * وكيف تحاكيه وهي تنعم بالنهار وتعذب بالليل * وذلك في كل حين حريق بشجن كالنار وغريق بدمع كالسيل

هيهات ما أنت مثلي أنت في دعة * طول النهار ويومي كله حرق

لا يرجع عن معشوقه ولو بقطع رأسه * وينشد اذا رفع صدر أمله براحة يأسه

علقت به كالنار في الشمع فهي لا * تفك يدا عنه ولو جز رأسها

وفي معناه قولي

ويلاه مما أقاسي * اذ صرت في الناس سمعه

قد أحرق القلب مني * حتى كأني شمعه

وأني يستوي من عذابه في عذباته * بمن ناره في احشائه بعد ما أحاطت بسائر جهاته * غصن أثماره تجني على من يجنيها * تميتها الليالي وهي تبيت تحييها (طرة صبح تحت أذيال الدجا) غرة في وجه أدهم الليل اذا دجا * سحارة اذا أخذ منها المقص وردة ردها عنبرا * واذا بدت في محل مظلم جعلته مقمرا

ويقطف من رأسها الجلنار * فيرجع اهليلجا أسودا

أظهرت من قبسها نارا على علم * ونضدت بمعصمها درا ما ثقب فكيف انتظم * فتاة اشتعل بالشيب رأسها * وحميت من حرارة القلب أنفاسها *

أو ضرة خلقت للشمس حاسدة * فكلما احتجبت قامت تحاكيها

أم يتولد منها سنا نطف * فاياك أن تقول لها أف * فهى على ماتريد من طرب واقتراح * فى وقت عبادة أووقت راح * تارة فى مجلس شراب * وطورا فى وسط محراب

فلله منها جانب لانضيعه * وللهو منها والخلاعة جانب

تبكى فى حالة التدانى * قائلة (من عظم ماقدسرنى أبكانى) (فقد تدمع العينان من شدة الضحك) ومن غريب امورها * حرارة دمعها فى وقت سرورها * ألف عليها همزة من النضار * همزة قطع لاتزال تستفهم عما خفى من الأسرار * شجرة تسقى أسافلها من أعاليها * أطلعت وردة لاشوك اها تجنى على يد جانيها * قامة هيفاء لو لحت صبغ الدجى لمحت * ولولا خوف نارها الغنت الورق عليها وصدحت

فالوجنة الورد الا فى تناولها * والقامة الغصن الا فى تثنيها

ظلت على مشابهة الخدود تجترى * فقطع لسانها وهذا جزاء المفترى * اذا أشارت الى الظلام بلسان أفعى شمر ذيله وهرب * واذا وافت النار حاسرة رأسها أعادته بتاج من ذهب * واذا أرخت الليالى أستارها السود أمست بنورها مطرزة * ولو رام المتنبى وصفها بكافور بانه كانت له معجزة * صدقت رأى المانوية المشهور * فى القول بأن الخير مخلوق من النور

وأظنها لما تلهب قلبها * حسدا أسالت دمعها مدرارا

وغدت لفرط الغيظ تعطى كل من * وافى ليقطع رأسها دينارا

سرقت مافى وجنات الغيد من الاشراق * ومافى قلب الصب الكئيب من الاحتراق * فلزمها بحكم الهوى جناية السراق * فانتدب المقص ونشط * وقام لقطع رأسها فقط * فوا عجبا والسارق يقطع منه اليد والبنان * فلم قطعوا منها الرأس واللسان * فكأن ذلك الجلم * رأس غراب أسحم * أوفراش رفرف على اللظى * أوطائر يلتذ بقطف شقيق السنا (كأنه نعامة * يقطف منها الهبا) ومافصها عند ظهور لهيبها * الالظنه انها ذوائب اشتعلت بشيبها * فزاد ذلك القطع فى الأنوار * كاتنمو بالتقليم الغصون ذات الأنوار * فمحياها مبتسم مسرور * ومن لم يجعل الله له نورا فماله من

نور

نور * كما قلت

وترى الشمع اذا زاد السنا * ضاحكا مبتسما من بشره
كالفتى قد سرّه أوقاته * وهى نقص زائد من عمره

تغنى الندامى عن الغلق أضواءها * وان مرضت فضرب العنق شفاؤها * فطرفها من اللهب * قطعة سبج ملبسة بذهب * أو بنفسج تحت ورد * أو كافور على جنى ند * أو اصبع بشير الى الصباح * أو لسان أخرس يحركه ولا يقدر على الصياح * مشعبذة تلعب بالريح فتصيره أنمله * ثم تسيله على يدها فتبدى منه سلسله * وتارة تجوفه فتصيره مدهنه * وطورا تنشره فتراه أوراق سوسنه * وآونة تنشره منديلا * وترفعه فوق رأسها اكليلا * وطورا تسدده سنانا * ثم تحركه فتراه لسانا * وتارة تطويه ثعبانا * ثم تدقه ابرة ذهب * أو تجعله حمة عقرب * فاذا طلع الصباح * انطفأ منها المصباح * فهى صب أظهر ما فى سويدائه * وأفناه ما تقطر من دموع بكائه * وليس معذب بنار عدمائه * كمعذب ناره فى احشائه

يقول لسان الشمع للنار عندما * بكى بدموع عقدها ظل ينتثر
ترفق فما هذى دموعى التى ترى * ولكنها نفس تذوب فتقطر

فى أول عمرها ترى فرقها شابا * ثم اذا طفئت يرجع اليها سواد الشباب * واذا أسبل الليل أذياله * تراها واقفة كأنها تريد صيد الغزاله * لكنها اذا دنت تهرب * فكأنها خافت من الصبح اذ خرج خائفا يترقب * واذا أوقدت بجانب الغدران * تخالها بانعكاسها خياما على عمد من المرجان * وكأنما الخليج وسناها الملتهب * صرح زجاج على عمد من ذهب

والشمع فوق البحر تحسب أنه * من لجة قد أطلع المرجان
والماء درع والشموع أسنة * ولها اذا خفق النسيم طعان

تارة تبدو سافرة كالعروس * وتارة تحتجب فى خدر الفانوس * فتراه حانيا ضلوعه على النيران * متنفسا من حرارة الاشجان * متصبرا على الأوصاب * تعد ضلوعه من تحت الثياب * فى حالة ليست تنكر * لكنه لكتمانه يتستر

انظر الى الفانوس تلقى متيما * زرفت على فقد الحبيب دموعه

يبدو تلهب قلبه لنحوله * ونعد من تحت القميص ضلوعه

فهو رواق النور * ونديم السرور * والشمعة منه فى حجاب * كنجم خلف رقيق سحاب * كليم لايخاف الردى * اذا وجد على النار هدى * يستر نور الشمع بكمائمه * ويفنى قلبه فيجد قلبا آخر من منادمه * وقد جنت القناديل لغيرتها منه فهى مسلسله * وصارت بنار الهوى مشتغلة مشتعله * فاشتعلت النار على رأسها معلنة بالشكوى * منتظلمة الى عالم السر والنجوى * وقال لسانها وهى بخضاب السنا مخلقه * ولا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقه * وكيف لا وقد أفنت نفسها فى خدمة من أشرقت ببهجة ذاته * واشتعل رأس الشمس وحاجب الهلال شيبا وما أبصر انظير السنا صفاته * وانى لأعجب كيف لقب بالجيعان * والدهر من موائد كرمه يذوق ألوان الاحسان * وكل سمع ظمآن * من موارد نداه ريان * ومن سمع قام فى مجلسه منتصبا * لم لاينثنى من سروره برؤياه طربا

كأن الشموع وقد أظهرت * من النار فى كل رأس سنانا

أصابع أعداك الخائفين * تضرع تطلب منك الامانا

كما أعجب من قلم مسه بأنامله * كيف لايورق وقد سقته بحور فضائله * وأظن الشموع ما أدرت دموعها * وأطالت ولهها وولوعها * الا لانها علمت فراقها رؤياه * وبعدها عن وجه تستمد من سناه * ويعوض الليل عن الشمس محياه

ليس فيه عيب يعد سوى أن أياديه تجعل الحر عبدا

فهل ناديه سماء طلعت فيها الدرارى * أم النجوم هوت ترجو سعد اقباله السارى

أم أنت يوسف موعودا وقد سجدت * لك النجوم وهذا كله حلم

ولو كان الشمع استجار * ماقدرت نسطو عليه يد النار * فان حماه جنة من الجنان * فكيف يعذب فيه بالنيران * كما أنى لما لذت بجنابه * وانتظمت فى سلك أحبابه * اعتذر الى الزمان عما جنى * ولم أعرف من أحواله الا الغنى * تخلص روحى من يد الأجل * وتركنى أصحب الدنيا بلا أمل * وقد اهتديت لسدته بأضوائه * ولولا نداه خفت عليه نار

ذكائه

كن محسنا مهما استطعت فهذه الدنيا وان طالت قصير عمرها
ان المآثر فى الورى ذرية * يفنى مؤثرها ويبقى ذكرها
فترى الكريم كشمعة من عنبر ضاءت فان طفئت تضوع نشرها

لازال حماه روضا تقطف منه زهرات الأمانى * ولا تصل الى سياج حمايته يد الجانى * ما تلا لسان الشمع سورة النور * ونسخ سورة الليل من صحائف الديجور * وجلى كف الصباح نور النجوم * وانحل من جيد الدجا عقدها المنظوم * وأراها ما أهلكت نفسها بالنار * الا لانها لم تقف بين يدى النبى المختار * حتى تقتبس من أنواره * وتقطف من روضته معطر أنواره * صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه * مادامت الشموع معتكفة بين حرقده ومحرابه * قولى انها لم تقف بين يدى النبى المختار اشارة الى أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يوقد فى مجلسه شمع أصلا وان كان الشمع موجودا فى عصره وقبله وقد سئل خاتمة الحفاظ الجلال السيوطى عن ذلك فأجاب بأنه كان فى القديم وقبل عصر النبوة وأول من أوقده من العرب جذيمة الأبرش وكان موجودا فى زمنه صلى الله عليه وسلم ولم ينه عنه فهو مباح وقد روى فى حديث انه أوقد للنبى صلى الله عليه وسلم عند دفنه عبد الله ذا البجادين وله فيه مؤلف سماه مسامرة الشموع فى ضوء الشموع وقد نحونا فى هذه الشمعة نحو القاضى ناصح الدين الأرجانى فى قصيدته الشمعية وهى من بدائعه وهى هذه

نمت بأسرار ليل كان يخفيها * وأظهرت قلبها للناس من فيها
قلب لها لم يرعنا وهو مكتمن * الا ترقيه نارا من تراقيها
سفيهة لم يزل طول اللسان لها * فى الحى يجنى عليها ضرب هاديها
غريقة فى دموع وهى تحرقها * أنفاسها بدوام من تلظيها
تنفست نفس المهجور اذ ذكرت * عهد الخليط فبات الوجد يبكيها
يخشى عليها الردى مهما ألم بها * نسيم ريح اذا وافى يحييها
بدت كنجم هوى فى اثر عفرية * فى الارض فاشتعلت منه نواصيها
نجم رأى الارض أولى أن ينورها * من السماء فأمسى طوع أهليها

كأنها غرة قد سال شادخها * فى وجه دهماء يزهيها تجليها
أو ضرة خلقت للشمس حاسدة * فكلما احتجبت قامت تحاكيها
وحيدة بسنان الرمح هازمة * عساكر الليل اذ حلت بواديها
ماطنبت قط فى أرض مخيمة * الا وأقمر للأبصار داجيها
لها غرائب تبدو من محاسنها * اذا تفكرت يوما فى معانيها
فالوجنة الورد الا فى تناولها * والقامة الغصن الا فى تثنيها
قد أثمرت وردة حمراء طالعة * تجنى على الكف ان أهويت تجنيها
وردتشائيه الأيدى اذا قطفت * وما على غصنها شوك يوقيها
صفر غلائلها حمر عمائمها * سود ذوائبها بيض لياليها
كصعدة فى حشا الظلماء طاعنة * تسقى أسافلها غيثا أعاليها
ككوة الليل مهما أقبلت ظلم * أمست لها لحظة الصبح تذكيها
وصيفة لست منها قاضيا وطرا * ان أنت لم تكسها تاجا يحليها
صفراء هندية فى اللون ان نعتت * والقد واللين ان أتممت تشبيها
فالهند تقتل بالنيران أنفسها * وعندها ان ذاك القتل يحييها
ما ان تزال ببيت الله لاهية * ومابها علة فى الصدر تلهيها
تحيي الليالى نورا وهى تقتلها * بئس الجزاء لعمر الله تجزيها
قدت على قدر ثوب قد تبطنها * ولم يقد عليه النوب كاسيها
غراء فرعاء ماتنفك قاليه * تقص لمتها طورا وتفليها
شيباء شعثاء لاتكسى غدائرها * ليل الشبيبة الا حين تبليها
قناة ظلماء ماتنفك يأكلها * سنانها طول طعن اذ يشظيها
مفتوحة العين تفنى ليلها سهرا * نعم وافناؤها اياه يفنيها
وربما نال من أطرافها مرض * لم يشف منه بغير القطع شافيها
أهلا بها فى سواد الليل مسعدة * اذا الهموم دعت قلبى دواعيها
لولا اختلاف طباعينا بواحدة * وللطباع اختلاف فى مبانيها
بأنها فى سواد الليل مظهرة * تلك التى فى سواد القلب أخفيها
وبيننا عبرات ان هم نظروا * غيضتها خوف واش وهى تجريها
ماعاندتها الليالى فى مطالبها * ولا عدتها العوادى فى مباغيها

ولا رمتها ببعيد من أحبتها * كما رمتني بقرب من أعاديها
ولا تكابد حسادا أكابدها * ولا تداجي بني دهر أداجيها
أبدت الي ابتساما في خلال بكى * وغرني أن محض الحزن يمريها
فقلت في جنح ليلي وهي واقفة * ونحن في حضرة جلت أياديها
لوانها علمت في قرب من نصبت * من الورى لثنت أعطافها تيها
ترى المصابيح زهرا من جوانبها * وقد جلا صفحة الغبراء ذاكيها
كأنهن نجوم الافق نازلة * جاءت تقبل أرضا أنت واطيها

وللصابي فيها ايضا

غصن من الذهب الابريز اثمر في * أعلاه ياقوتة حمراء تستعر
ترنو بعين لها نور تقلبه * ليلا وتغمضه والصبح ينفجر
حتى اذا قذيت كان الجلاء لها * قلع السواد فعاد النور ينتشر
تاتيك ليلا كما يأتي المريب فان * لاح الصباح طواها دونك الحذر

﴿نور الدين علي العسيلي﴾ نور حدقة الزمان * ونور حديقة الحسن والاحسان * وكحل عيون الفضلاء والأعيان * وانسان طرف الظرف * وعارض وجنات اللطف * وقبلة وفود الفضلاء * وفاكهة تتنقل بحديثه الندماء * ألفاظه ريحانة الأدب * وشمامة الطرب * وكان في عنفوان عمره * يقطف بالجامع الأزهر من رياض العلم غض زهره * في ربوة ذات قرار * وجنة تجري من تحتها الأنهار * حتى عبقت من شمائل نسمات الندّ * وقطرت من سلسبيل أوصافه مياه المجد * ومازال يشتري متاع الحياة بجوهر عمره النفيس * معتكفا في حرم التأليف والتدريس * حتى جذبه ساعد الافتقار * الى مخالطة دهماء الامصار * فاندرج في مقولة الكيف * وحاكت ذاته بالنحول ضيف الطيف * حتى قاسى الأمرين الفقر والهرم * وهما اسوأ من الفضيحتين المعصية والندم

وما كل افضال وان جل قدره * يخف على ظهر المروءة حمله
وأكثر من تلقى يسرك قوله * ولكن قليل من يسرك فعله
وقد كان حسن الظن بعض مذاهبي * فأدبني هذا الزمان وأهله

فما كل ثمرة تحلو على غمائها * ولا كل بارقة تجود بمائها * فلما يئس من

﴿نور الدين علي العسيلي﴾

الدهر والكرم * حط رحل أمله عند الاستاذ البكري في أجل حرم *
وصيته لركاب أمله حادي * ونور غرته في ظلم الخطوب له هادي * ففتح
عادي الكنوز برقة أسمائه * ومندل ذكره وعطر آلائه * نحل منه محل
النوم من الأحداق والمدام من الاقداح * وتوجه وجه أمله بعد ما احرم
من الرجاء الى كعبة المجد والسماح * وله به وله المحب بالحبيب * ونظرت اليه
عيون أمانيه نظر المريض للطبيب * فقابله الدهر بوجه طليق * واهتز
في روض كرمه غصنه الوريق * فكانت غررا زمانه * تحت طراز حلله
واحسانه

عقودا في طلا الايام تجلى * وطرزا فوق اكمام الليالي

حتى تم عليه الكمال نمم ثغر النور بلسان النسيم * ونثر كف الدهر
حسدا عقد ذلك الاجتماع النظيم * فأطفأ صرصر الموت أنواره * ومحى
عينه وما قدر أن يمحو آثاره * وله شعر رائق * ونثر فائق * فمنه قوله من
قصيدة له

هل بالحمى من بدور التم امكان * أم في خلال بيوت الحي غزلان
ام الغواني تهادى وهي سافرة * أم الشموس اقلتهن اغصان
سقى الحمى ولياليه التي سلفت * من أدمعي ومن الوسمي هتان
حيث الرقيب عم والضد ذو صمم * والحب ذو كرم والوقت امكان
وحيث نرفل في برد الشباب الى * تيك القباب وغصن العيش ريان
ياصاح ان لم تمت من بعدها أسفا * فان عيشك بعد اليوم خسران
لي في الديار سقاها المزن صيبه * غزال حسن بديع الخلق فتان
يا رب الحسن قد بالغت في تلفي * أما لهجرك يا لمياء هجران
هلا نظرت الى مضناك راحمة * فكان يشفع منك الحسن احسان
ولائم ظل يبدي لي نصيحته * لو لم تمج اجاج اللوم آذان
وكان ظاهره عنوان باطنه * والوجه للقلب فيما قيل عنوان

(ومنها)

اني امرء ما حييت الدهر أمدحكم * لعل جائزتي عفو وغفران
حسنت ظني ومدحي فيكم فعسى * يقال اني على الحالين حسان

ومن

ومن مقطعاته قوله

كأن الخال فى شفة الذى قد * كسانى الشيب قبل أوان شيبى
قطاة أفردت من بين سرب * تروم الورد من ماء العذيب

(وقوله)

بكل فعال الحب محمودة * وان تجافى وتجنى وتاه
فوصله قطع لداء الأسى * وهجره قطع لقول الوشاه

(وقوله)

دبت له ذؤابة * حكيته من خلفه
تحمى ضعيف خصره * من خارجى ردفه

(وقوله)

كأن الذى أهوى على نفسه جنى * فمال على تلك المحاسن بالفتك
فأغرق خديه بماء جماله * واوقع فى الظلماء ناظره التركى
وألقى بنار الخد خالا كأنه * من المسك مطبوع فناديت يامسكى
وها جفنه يبكى عليه من الضنى * وها خصره من ثقل أردافه يشكى

(وقوله)

صحيفة الخد التى * للحسن فيها سود
مذ حشيت بعارض * لم يبق فيها نظر

وفيه توجيه وجيه وفى معناه قول ابن النبيه

كأن ذاك العذار حاشية * خرجها كاتب لنسيانه

ومما قلته من الرباعيات فى معناه

غصن غض له المعانى ثمر * يجنى فيظل دائما يعتذر
لم ألق شبيه وجهه فى أحد * الا المرآ صفت وفيها نظروا

قوله المرا اصله المرآة كسماه رخم لضرورة النظم اه مصحح

(وقوله)

وفاعل يتركنى عامدا * وهو لرقى فى الهوى مالكى
أقول للناس الا فاعجبوا * من صنع هذا الفاعل التارك

الفاعل بلغة أهل مصر خادم البناء ويقال الفاعل التارك عندهم كناية عن القبائح ففيه ايهام ظاهر وله

بكفك طوفان تروى به الورى * وعهدى بالطوفان يأتى بتنكيد
ولاغروأن أرست بناسفن الرجا * ببابك يامولى النوال على الجودى (د)

وله فى عبد له يسمى فرجا

انى ابتليت بزنجى قبائحه * ليست تعدّ على ماقيه من عوج
كل الامور اذا ضاقت لها فرج * الا امورى اذا ضاقت فمن فرج

(وله)

يا بحر جود نوال * نداه للناس مطمع
لاتخش فى الدهر سوءا * ان الحدا رلئ يقلع

وفيه تورية على متعارف أهل مصر يعرفها من له خبرة باللسان وله فى دولاب

ودولاب مررت به سحيرا * يئن كأنه الصب المروع
غدت أضلاعه تنعدّ سقما * ويفنى جسمه صب الدموع
يدور لكن أضل الالف منه * وذاق تشتت الشمل الجميع
فقلت له فديتك من كئيب * كساه الهمّ أثواب الخشوع
على م أراك تبكى كل وقت * وتهتف فى المنازل والربوع
فقد قربت لى حزنا بعيدا * ونحانى نواحك عن هجوعى
فقال أما علمت بأن مثلى * خليق بالصبابة والولوع
فانى كنت فى روض رفيعا * أبيت من الأزاهر فى جموع
ولى فى المنتمى أعراق صدق * اصول انجبت أزكى فروع
اذا ما الورد قابلنى وحيا * تضرج وجنتاه بالنجيع
ويصفرّ البهار لدىّ خوفا * كصفرة عاشق صب مروع
وان قصدت بنو الآداب ربعى * أجود من الثمار على الجميع
فقيضنى الشقاء الى غبىّ * شديد البطش جبار قطوع
فألقانى على رأسى صريعا * وأنت مشاهد حال الصريع
وقطع لطف أوصالى بعنف * وصار يدق عظمى فى ضلوعى
فصرت أرى الذى قد كان دونى * أناف وصار ذا شأو رفيع
على قلبى أدور عنى وأبكى * عليه أسى كمقلات هلوع
فكيف ألام ان أدمنت نوحى وجدت بدمع الطرف الهموع

وحالى ناصح أبناء جنسي * فلا تعتمد بالجدع المنيع
فان الدهر كالصياد كيدا * وأسباب القضا شرك الوقوع

والدولاب لفظة معربة لها معان منها الساقية وهو المراد وللشعراء فيه معان كثيرة من بديعها قول الامير مجير الدين ابن تميم رحمه الله تعالى

ودولاب روض كان من قبل اغصنا * تميس فلما فرقتها يد الدهر
تذكر عهدا بالرياض فكله * عيون على أيام عهد الصبا تجرى

وله مضمنا

اذا حل الشيخ الكبير له عصا * فقد رحلت عنه اللذاذة والهوى
وعممه الدهر اللئيم عمامة * ثلاثة ألوان بها تكسف القوى
وجاءت له الأحزان من كل جانب * وألقت عصاها واستقر بها النوى

والمصراع الأخير مضمن من قصيدة معقر بن الحارث البارقى وقبله

تهيبك الأسفار من خشية الردى * وكم قد رأينا من ردى لا يسافر
وألقت عصاها واستقر بها النوى * كما قر عينا بالاياب المسافر

والقاء العصا تجعله العرب كناية عن الاقامة وقد يجعل عبارة عن الظفر والمسرة ولقد أجاد الباخرزى فى قوله

حمل العصا للمبتلى * بالشيب عنوان البلى
وصف المسافر انه * ألقى العصا كى ينزلا
فعلى القياس سبيل من * حمل العصا أن يرحلا

ولعمر بن أبى حجلة الدمشقى وينسب لغيره

ولى عصا من جريد النخل أحملها * بها أقدم فى نقل الخطا قدمى
ولى ما رب اخرى أن أهش بها * على ثمانين عاما لا على غنمى
كأننى قوس رام وهى لى وتر * أرمى عليها بريد الشيب والهرم

ولابى العلاء المعرى

رميح أبى سعد حملت وقد أرى * وانى بلدن السمهرى لرامح

أبو سعد كنية الهرم ورميح أبى سعد عصا الشيخ الهرم وقال صدر الأفاضل وهو أبو سعد بن عاد وكان من المعمرين وهو أول من اتكأ على العصا وقال بعض المعمرين

أعار أبو زيد عيسى سلاحه * وبعض سلاح الدهر للمرء كالم

وأبو زيد كنية الدهر ويقال له أبو سعد أيضا وسلاحه العصا التي يتوكأ عليها الشيخ وقيل انه كنية الهرم وقال أبو الاصبع العدوى المعمر

أما ترى شكني رميح أبي * سعد فقد أحمل السلاح معا

وفي شرح أبيات الكتاب أبو سعد لقيم بن لقمان وكان كبر حتى مشى على العصا وقال الجاحظ رميحه عصاه ولذا صغرت وقلت أنا

رميح أبي سعد اذا حملت يد * وفي السن طعن ليس عنه يحول
فقد حارب الأيام في خومة الفنى * ومن نازل الأيام فهو قتيل

(وقلت أيضا)

اذا حمل العصا شيخ فاسى * ولا يكفيه رجلان اثنتان
فسوف يزيدها حتى تراها * وقد تمت ثلاثتها ثمان

كناية عن الموت فان تابوته يرفع بأربعة رجال وثمانا قيل فيها

قوس الدهر قامتي * فاتخذت العصا وتر

وقال اسامة بن منقذ

جفاني الدهر وابـ*ـتلتني الليالي والعبر
فصرت كالقوس ومن * عصاى للقوس وتر
أهدج في مشيي وفي * خطوى فتور وقصر

وقال الشريشي

لما تقوس مني الظهر من كبر * وابيض ما كان مسودا من الشعر
جعلت أمشي كأني نصف دائرة * لاحت على الأرض أو قوس بلا وتر

وقوله وعممه الدهر ثلاث عمائم وثلاثة ألوان هي عبارة عن ألوان الشعر فانه يكون اسود ثم يصير أشمط ثم يصير أبيض وهذا معنى وقع في كلام العرب قديما كما قال بعض العرب

قصر الليالي خطوه فتدانى * وحنون قائم صلبه فتحانى
يامن لشيخ قد تخدد لحمه * أفنى ثلاث عمائم ألوانا
سوداء حالكة وسحق مفوف * وأجد لونا بعد ذاك هجانا
والموت يأتي بعد ذلك كله * وكأنما يعنى بذاك سوانا

وله تآليف كثيرة أجلها شرح المغنى وهو تأليف جليل عما سواه مغنى وقال فيه انه هذب معانيه وأودع فيه حورا عينا فى جنة أبوابها ثمانية بشيرا الى قول البدر الدمامينى

الا انما مغنى اللبيب مصنف * جليل به النحوى يحوى أمانيه
فما هو الا جنة قد تزخرفت * ألم تنظر الأبواب فيه ثمانيه

وهو من قول الحسين بن مصدق الواسطى من شعراء الخريدة

دمشق فى أوصافها * جنة خلد راضيه
أما ترى أبوابها * قد جعلت ثمانيه

وقلت أنا

مغنى اللبيب جنة * أبوابها ثمانيه
أما تراها وهى لا * تسمع فيها لاغيه

ومن البيوت العامرة بمصر بيت السادة الوفائية

السيد على وفاء وأولاده المعلق على عاتق السيادة نجاده

﴿فنهم السيد على وفاء وأولاده * المعلق على عاتق السيادة نجاده﴾ سادات السادات * لهم المجد والزهد عادات * لهم أنفس قدسيه * افيضت عليها العلوم اللدنيه * لم يخالف أحد منهم ملة جده المختار * الا انه نظم جواهر الأشعار * ولهم شوارد مقال * لها السمع مناخ والعقل عقال * تخالها تربت فى سويداء البطاح وآباط الجبال * بحار طمت وعلت ربا المعالى والقلل * فتوارت البحار فى منخفض الوهاد من الخجل * وبيتهم الآن معمور ولواء فضلهم على كاهل الدهر منشور * ولهم مساع ومآثر * ورثوها كابرا عن كابر * ورى زندهم ولم يقدح فيه قادح * فضربت لهم آباط المفاوز (وسالت بأعناق المطى الاباطح) وتوقدت من مشكاة الحقيقة مصابيحهم ذات اللألاء * نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء * ما منهم الا صاحب ديوان * نافذ فى سبيل البلاغة بسلطان * ألطف من الأمطار * اذا وسمت بالنبت شفاه الأنهار * فمن ديوان السيد على وفا قوله

تغيبت عن عينى فغيبك شاهدى * ووجهك مشهودى وما عنك عائق
فان غبت فالأشباح منى مغارب * وان لحت فالأرواح منى مشارق

ولابى اليقظان الوفاءى

كأن وجهك مغناطيس أنفسنا * فحيثما درت دارت نحوه الصور

ولابى التدانى الوفاءى

كل ما فى الوجود منك مليح * ليس فيه يا نور عينى قبيح
مذهبى فيك يا وجودى وعينى * مذهب صادق قويم صحيح
لم تزل قائلا لكل محب * كلما يفعل المليح مليح

ولسيدى محمد بن أبى الفضل الوفاءى من قصيدة له

الا صاحب كالسيف حلو شمائله * يسائلنى عن فتيتى وأسائله
يدور غرام بيننا كلما انقضت * أواخره عادت الينا أوائله
رعى الله أياما أهاج بلابلى * اليهن روض قد تناجت بلابله
فما راقنى فى الماء الا صفاؤه * ولا شاقنى فى الغصن الا تمايله
كأن به القمرى صب له الصبا * رسول وأوراق الغصون رسائله
مصارف همى فى مناجاة طيره * اذا أنفذت لى ما حوته حواصله

(منها)

رشافيه قد أملت مالا أناله * مغالطة حتى كأنى نائله
وكان حسابى أن غلطات خاطرى * تصح اذا بالجبر منه يقابله

(وله أيضا)

على وجنتيه جنة ذات بهجة * ترى لعيون الناس فيها تزاحما
حمى ورد خديه حماة عذاره * فيا حسن ريحان العذار حماحما (حمى حمى)
والحماحم نوع من الريحان معروف فى اللغة والعرف وله أيضا قدس الله سره

يا من يبالغ فى سقية خده * ماء الحيا ولذا الثقيل مورد
فى خدك الراح التى بكؤوسها * سكرت لحاظك فهى فى تعربد
سدت الأنام غداة خدك أبيض * واليوم خدك بالعذار مسود
نسخ العذار ملاحة بملاحة * قلم بسعد لك لا يزال يجود
قلب يميل الى حديثك هل له * فيما يؤمل من ودائك مسعد
عكفت على مضناك أرواح الضنى * فلأنت للطرب المحرك مبعد
فعلى شمائلك السلام فديته * بالنفس بل بالعين فهو مؤكد

وعلى فؤادى المستجير تحية * ماطار نحو ربا الرياض مغترد
وفيه مع التورية مراعاة النظير * التى ليس لها فى الحسن نظير * لما فيه من الجمع بين التبييض والتسويد المعروف بين المصنفين وكذا التجويد فان معناه التحسين ويطلق فى العرف العام على تحسين الخط وفى عرف أهل الأداء على تحسين مخارج الحروف وهيآتها * ومما يجيبنى هنا قول القاضى الفاضل فى وصف المسودات المسوّدات للأقوال * كالاحشاء للأجنة والحجور للأطفال * ان خرج منها مالم تنضجه الأرحام * لم يبلغ التمام * وان فطم قبل بلوغ أشد الفطام * فربما كان عرضة للسقام * وماجعلت الا ايستبد لها صاحبها لانها بذلة الخياطر تارة يخلع الثياب فيكون عريانا * وتارة يأخذ معول قلمه فينقب من الناس جدرانا
ومنهم الآن شيخ السالكين * ورأس العلماء العاملين

﴿ شيخنا أبو المكارم وأبو الاسعاد قدس الله سره ﴾ ولما عاد من الحج أدركه الأجل فقلت أرثيه

شيخنا أبو المكارم وأبو الاسعاد قدس الله سره

قضى نحبه والحج قطب لروحه * دعا ربه نحو الجنان فلبت
فمن حج للبيت العتيق على تقى * فروح أبي الاسعاد لله حجت
وقد أحرمت لله احرام حجة * مجردة عن جسمه دون موقت
فلا برحت سحب الرضى فوق قبره * مظللة هطالة سحب رحمة

ومن البيوت التى كانت بالفضائل آهلة * ومن مياه النعيم المقيم ناهلة * بيت الطبلاوى فنهم

﴿ العلامة ناصر الدين ﴾ وقد أدركته فى زمن الطفولية * فرأيت له رتبة عليه * وآثارا فى التحقيق والتدقيق جليه * وحفيده صديقى * وفى زمن التحصيل رفيقى * وهو

العلامة ناصر الدين

﴿ العلامة منصور ﴾ حامل علم المجد وناشره * وجالب متاع الفضل وتاجره * وكان ممن شدت اليه مسائلة الفضل رحالها * اذ ورث من سماء المعالى بدرها وهلالها * وحوى طارفها وتليدها * وأرضع من در العلوم كهلها ووليدها * ووضع الهناء مواضع النقب * وسفرت له خرائد العلوم رافعة النقب * وتزينت بمنظومه ومنثوره صدور المجالس والكتب مع

العلامة منصور

رياض مكارم عطر نفحاتها * عليل من فرط الدل نسماتها * وكانت تهب على بالمكاتبة نسمات أسحاره * ولم أزل أتلقى الركبان لاشتراء أخباره * حتى طن نعيه على آذانى * فكدر على مشرب الحياة وآذانى * ومن أتباعه ومواليه * الواردين لماء الحياة بناديه

السيد محمد واخوه عبد الله

(السيد محمد وأخوه عبد الله) هما روضا فضل وبيان * فبهما من الفضل عينان تجريان * وبحر المجد يحفهما مرجان * ويخرج منهما اللؤلؤ والمرجان * وهما زهرتان من شجرة النبوة * وتبعتان من وشيج الفتوة * سقيا بماء المكارم * وسحت على رياض سجيتهما غزار الغمائم * حتى تدفقت جنباتهما * واخضرت بالندا عذباتهما * وكسيا من سندس الجنات * ونشرا بخصيب أوديتهما الحسنات * فاخضل بهما وادى الهدى * حتى أثقلته ثمار المكارم والندا

تكاد يدى تندى اذا ما لمسته * وينبت فى أطرافها الورق الخضر

مصابيح فكرهما مشارق الأنوار * وأحاديث كمالهما صحيحة الآثار * ومطارف ناديهما موشاة بالحبور * ورياض نداهما مبتسمة الثغور * وطرف همتهما فى مضمار العلياء سابق * ومخيم علاهما له على الأثير سرادق * ولسان براعتهما بالبلاغة ناطق * وجعفر فضلهما اذا وعد واردا عليه فياله من جعفر صادق * وشعرهما ونثرهما مأثور * ولواء مجدهما على كاهل الدهر منشور * وقصيدة السيد عبد الله التى مدح بها استاذه ناصر الدين والتزم فى قوافيها تجنيس الخال التى مطلعها

يا علة الصدغ من لوائه على الخال مشهورة

ومما رويناه للسيد محمد قوله

لم أنس يا روضة المحاسن اذ * خلى بك الصب والخلى جمعا
ونحن فى روضة ممنعة * يروقنا البحر والخليج معا

(وقوله)

لم أدر أيهما أحرى بمرحمة * قلبى وعينى على الاحراق والسهر
حتى أنار فؤادى صبح جبهته * وقال انى على طول الزمان حرى (بق)

(وقوله)

يا ربة الخال كفى * عبديك عما أمرت
فقد سلبت البرايا * بأمحرى وسحرت

(وقوله رحمه الله تعالى)

يارب أطلبها وتنفر دائما * لما ترى منى تملق صائد
ان رمت أنظرها يقول عواذلى * أو رمت أمدحها تمل قصائدى

(وقوله)

سرقت نومى بعيد بين * فعز صبرى وقد تعسر
وسر ضدى بطول صدى * فكنت فى ذا الرأس منسر

وهذا كقول صاحبنا يحيى الأصيلى

قيل لى أن فلانا * قد تعالى وتكبر
ولمن قد ساء رأس * قلت لا بل رأس منسر

والمنسر قوم من المكابرين السراقين معروفون

ومن البيوت بمصر بيت السادة البكرية وهو البيت المعمور

ان الذى سمك السما بنى لنا * بيتا دعائمه أعز وأطول

الاستاذ أبو الحسن البكرى

﴿(الاستاذ أبو الحسن البكرى)﴾ وهو جامع الفضائل والمحاسن * ومظهر اسم الظاهر والباطن * الذى شيد لهم منار الطريقة * وجاز من قنطرة المجاز الى الحقيقة * وتآليفه وآثاره * وكلماته التامة وأخباره * غنية عن البيان * مسطرة فى صحف الامكان * ثم خلفه من بعده * ونشر فى الخافقين لواء مجده *

الاستاذ محمد بن أبى الحسن

﴿(الاستاذ محمد بن أبى الحسن)﴾ وله فروع بسقت من دوحة المجد * وربت فى رباه بين تهامة ونجد * من كل من لبس رداء النجابة فى صباه * ولاح عنوان المكارم على صحائف علاه * ولم تقصر عليه أثواب مجده * التى ورثها عن أبيه وجده * فعلى جبينه نور نسب * يخبر أن خلف الدخان لهب * وتحت الرغوة الفصيح * من اللبن الصريح * غادة دولته سابغة المرط * بعيدة مهوى القرط * يصغى له الدهر اذا نهى وأمر * اصغاء نشوان الى صوت وتر

مستيقظ الحزم وارى العزم ثاقبه * همومه حين تبلوهن همات

صافى الطوية من غل يكدرها * وأول المجد ان تصفو الطويات
وقد جرت بينهم منافسات * وامور تسكب عندها العبرات * فلم يزل كل منهم ينقص أخاه ويغص منه * ويقول لسان حاله أخوك البكرى فلا تأمنه *
كما قال الصنوبرى

أحذ الله قد ألاحت بروق * منك بالود لا تزال مليحه
حسن قول وسوء فعل كما يسمى المسمى فى وقت ذبح الذبيحه

ومنه أخذ ابن الوردى قوله

قد بلينا بأمير * ظلم الناس وسبح
فهو كالجزار فيهم * يذكر الله ويذبح

الاستاذ زين العابدين

(والاستاذ زين العابدين) زينهم ونور غرتهم * وقائد جيش أسرتهم * وحامل لواء عزتهم * لم يزل سمح السجية * بسام العشية * لم تلن لغامز قناته * ولم تغص بماء بشره عداته * الى ان أصابته الرزايا * ورمت فؤاده بسهام المنايا * فنضبت جداوله * واستراحت حساده وعواذله * وصم صداه * وسرت عداه * وله نظم ونثر * وفضل طيب النشر * وخلقه

الاستاذ الامام أبو المواهب البكرى

(الاستاذ الامام أبو المواهب البكرى) بدر لاح فى سماء المناقب * وسما شرفا على الكواكب * فأورق روض نداه واثمر * ونادم العيش والعيش اخضر * وله شعر منه قوله

عبد النبى قاتلى * بعينه وحاجبه
واعجبا لعبده * يقتل نجل صاحبه

اما أصل هذه الشجرة فهو نادرة الدهر * وغرة وجه العصر * انسان عين الأقاليم * فريد عقد المجد النظيم * مورد فضل عذبت مناهل ورده * وربيع كرم تقطف أيدى الآمال غض وروده * سائله يرفل فى برود الغنى حاليا * ويكفيه تسليمه عليه تقاضيا * فالنيل يشير بالأصابع الى وفائه * والعنبر الرطب عبد لحر جوده وثنائه

من ليس يشرق بالسؤا * ل ولا يغص من الندامه

جامع ما تفرق من شمل الفضائل * تهزه الاريحيه بشمائل الشمائل * مالك

أزمة البيان * سابق لمن يجاريه فى مضماره من الفرسان * أوحد الفضلاء مجدا * وأصفاهم من قذا الرياء وردا * حديث أخلاقه الغر * وغرر سماته الزهر * عنوان كتاب المكارم * ورياض فضائله الخضر * ورقيق نائله الحر * لمآثر حاتم خاتم * ناظم ما انتثر من المآثر * فذلكة دفتر كمال الأوائل والأواخر * ترب الحدائق جرعليها النسيم أذياله * فتنبهت عيون أزهارها وتثنت قدودها المياسة المياله * والشمس وضحاها والقمر اذا تلاها * للارض بعس نعاله يفاخر العنبر الرطب ثراها * فعلمه حدث عن البحر ولا حرج * وبراعة منطقه تنتج سلب الألباب والمهج * مع حسن منظر تتزاحم عليه وفود الأبصار * وفيض نوال تضطرب لغيرتها منه البحار * كم سارت الصبا معطرة بنشره * ونشرت له صيت كرم طوى ذكر حاتم طيئ بنشره * سار سيرة الملوك * ونثر فرائد النصائح من اسلاك السلوك * ليحسن نظمها فى عقد العلم والعمل * وتصان فى حقاق الآذان ذخيرة للأمل * فلو فهمت الورق سجعه فى الخطب * خلعت عليه أطواقها من الطرب * وقد اجتمع فيه من الكمال * ما تضرب به الأمثال * ان ذكر جوده فالطاءى * أوفصاحته فابو تمام الطاءى * أوحدة ذكائه فاياس * أوهمته الهاشمية فأبو فراس * وزمانه كان عرس الفلك * فكم قال له الدهر أما الكمال فلك

بحر من الفضل الغزير خضمه * طامى العباب وماله من ساحل

ولم يزل كذلك حتى غربت شمسه * وواراها فى عين حمئة رمسه * وقد رأيته وقد شدت بالصبا أمراسى * وطيلسان الذوائب عباسى * وتمائم الصبا فى جيد عمرى * وماشب عن طوق الصبا عمرى * ودخلت فى اجازته العامة * مع جملة الخاصة والعامة * فمارويته من آثاره * وخبأت فى حقيبة الفكر من متاع أشعاره * قوله

يا يوم بولاق وانسى به * حكاك من شوال يوم الهلال
واقبل النيل جنوبا وما * من عارض الانسيم الشمال
يا عارضا أوجب للنيل ما * سلسله وهو طليق الجمال
وقهوة تنفح مسكا ولا * بدع فى الفنجان شكل الغزال

حبابها من فوقها مانع * نفاره فهو شباك اللآل
تديرها هيفاء ممشوقة * خود تثنت فى برود الدلال
كادجى من أقبلت نحوه * يذهب من رنات تلك الجبال
بغرة أوطرة وزعت * أفكارنا بين الهدى والضلال
تقول للشمس وقد أقبلت * تلثمى ما أنت الا خيال

وبيت الغزال من السحر الحلال وهو بيت القصيد وقد قلت فى معناه

أقول وقد دارت بنادى قهوة * وقد سرنى منها الفداة صبوح
أصورة غزلان بفنجان قهوة * اذا زفها ساق الى صبيح
أم الظبى حتاقد تردى به فمن * دم طفح المسك الذكى يفوح

وقوله حبابها الى آخره كقول ابن حمديس

بكر حصان اذا ما الماء واقعها * أبدت لنا زبدا من شدة الغضب
كادت تطير وقد طرنا بها فرحا * لولا الشباك التى صيغت من الحبب

ومنه أخذ القيراطى قوله

صب فى الكأس عقيق يجرى * وطفا الدر عليه فطفح
فصب الساقى على حافاته * شبك الفضة فاصطاد الفرح

(وله أيضا)

ما أرسل الرحمن أويرسل * من رحمة تصعد أوتنزل
فى ملكوت الله أوملكه * من كل مايختص أويشمل
الاوطه المصطفى عبده * نبيه مختاره المرسل
واسطة فيها وأصل لها * يعلم هذا كل من يعقل
فلذبه فى كل ما ترتجى * فهو شفيع دائما يقبل
وعذبه فى كل ماتختشى * فانه المرجع والموئل
وحط أحمال الرجا عنده * فانه المأمل والمعقل
وناده ان أزمة أنشبت * أظفارها واستحكم المعضل
يا أكرم الخلق على ربه * وخير من فيهم به يسأل
قد مسنى الكرب وكم مرة * فرجت كربا بعضه يذهل
ولن ترى أعجز منى فما * لشدة أقوى ولا أحمل

فبالذى

فبالذى خصك بين الورى * برتبة عنها العلا ينزل
عجل باذهاب الذى اشتكى * وان توقفت فمن أسأل
فحيلتى ضاقت وصبرى انقضى * ولست أدرى ما الذى أفعل
فأنت باب الله أى امرىء * أتاه من غيرك لا يدخل
صلى عليك الله ما صافحت * زهر الروابى نسمة شمأل
مسلما ما فاح عطر الحمى * وطاب منه الند والمندل
والآل والأصحاب ما غردت * قمرية أملودها مخضل

ومما يقطر منه ماء الفصاحة * وتمسح وجه جواده راحة الملاحة * من السهل الممتنع * والعذب السائغ فى مذاق كل مستمع * قوله فى مناجاته * وظهر أنوار التجلى بمشكاته

ان يوما يمر ذكرك فيه * ذاك عندى لأى يوم مبارك
رب انى عبد ذليل ضعيف * فلحالى باللطف منك تدارك
كل قطر أصابنى منك بحر * كيف والحال فى تجرى بحارك
كل جزء منى اسير لذا دار * عمر الله يا حبيبى ديارك
من رآنى رآك من غير شك * أى شك وقد جعلت مزارك

(وقوله)

أقول وقد قيل لى كم مضى * أديب له حسن نظم جليل
دعوا كل ذى أدب ينقضى * ويحيى العسيلى ويحيى الأصيلى

وكان يوما فى منتزه نضر * تلاقى فى شاطئه ماء الحياة والخضر * فى منازه منازل انتظمت انتظام النجوم فى نهر المجرة * والنيل يجرى مضطربا لما فى مفارقة أوطانه من المسرة * ولسان النسيم يصف نشره * ويعطر بالثناء عليه بره وبحره * وحصباؤه تفوق الجوهر * ومسود طينه يفاخر المسك والعنبر * فكتب الى النور العسيلى ليتحلى بفاكهته * ويجتنى من أدبه غض فاكهته * يستدعيه الى أن ينزل بدره فى بروج تلك المنازل * ويسليه عن عرض ألم بجوهر ذاته من الدمامل (رقعة صورتها) سيدنا البر الذى يجرى بحر الفضائل من بره * ويعذب الورد والصدر بما يصدر من صدره * ويفيض احسانه نهرا لراجيه وآمله * وتبتدر الأنام لتلقى

تيار أنامله * وتتزاحم على سيف زخارعلومه * تزاحم رقاب أعدائه على سيفه وخصومه * ويخضر خضارة الدو * وقد أسبل عليها من صوب مدده برد الجو * لينام الأنام من ظله بوريفه * وتأمن من صروف الدهروحيفه * أبقاك الله وبحرافضالك فى مزيد يشار اليه بالأصابع والوفاء طبائع * فغير الخلق برده اذا تخلق بقياسك لكل أصفر فاقع * والجبر يتاح من كسر عدوك بعامل الجزم من الرفع الى الخفض * فالمد والاطناب والوصل بهمز القطع بالطول والعرض * مما لم يدركه فلكى ولوطرح فى نهر المجرة شباك الجداول * ولارصدى ولو تجاوز السرطان والسماك من المنازل * علم سيدنا لازالت أمواج فضله تنثر لآلى الاحسان وتنثل * ولافتى نهر الله اذا كان غيره نهر معقل * أن مدينة بولاق هى مجتمع البحور * ومدار فلك السرور بفلك الحبور * طفحت بالنيل لاجزرعن الجزرمده المديد * واستلت سيف النهر لقطع حروف الجروف من أقصى الصعيد * والمنتهى سعيد رشيد * غيرانها على طمو بحارها اشتاقت الى مدد تلك العين * وقالت استفت قلبك هل مد يشغل عن هذا البحر الذى تقصر عنه الانهار من أين والى اين * على انى أقسم بالفجر ان الفرج لحاصل * وان معدل السطح لا يظهر فيه للكرة أثر هائل * والله جل كبرياؤه مصغر الكبير بفضله * فلا حاجة للمعونة بعصره وأهله * وعلينا أن نلقى دلو الطلب ولو الى ما تحت الحوت * عسى يفيض فتجرى البحور فى البيوت * ويحصل توشيح هذا البيت بكل خرجة داخلة فى الطرب * نادرة على لزومها المقيس ولا يقاس عليها وهذا من العجب * (والسلام) وهذا تسلية له عن دملة اصابته واليه أشار بقلب هل مدو بالفجر ومثله فى التورية قول ابن نباتة

لا تخش من هم كغيم عارض * فلسوف يسفر عن اضاءة بدره
ان تمس عن عباس حالك راويا * فكأننى بك راويا عن بشره
ولقد تمر الحادثات على الفتى * وتزول حتى ما تمر بفكره
ولرب ليل فى الهموم كدمل * صابرته حتى ظفرت بفجره

ونهر معقل الذى ذكره بالبصرة وهو معقل بن يسار المزنى البصرى الصحابى

واليه ينسب التمر المعقلى وفى المثل اذا جاء نهر الله بطل نهر معقل والمراد بنهر الله المطر والسيل فانه يغلب سائر المياه و يطم على الأنهار كلها وله أيضا سقى الله ثراه

يا ظباء بقاعة الوعساء * وملاحا بأيمن الجرعاء
نزلوا بالعقيق أنضر روض * نسجت برده يد الانواء
باكرته هواطل المزن فافتر بنا لا لئ الانداء
ما خيام على النقا والمصلى * وقباب بالحلة الفيحاء
ما ارتقاء من العلا المقام * دون علياه أنجم الجوزاء
ما سليمى وزينب وسعاد * الغوانى عن الحلا بالبهاء

(ومنها)

انه العبد لو تملك روحا * كان أعطى هدية الفقراء

وله من اخرى

لا يعجبنك منه زخرف لهوه * أحواله أين الهبات من الهبا
فبعزتى آليت ما بعد امرء * عن نفسه الا وكان مقربا

وله من اخرى

ولى رتبة تقضى بان مشاهدى * جميعا بها قلبى اليه منيب
فأيان يممت المعاهد يلقنى * حبيب الى كل القلوب حبيب
تفاوحت الأزهار من روض وصله فرق نسيم بينها ونسيب

(وله أيضا)

يا نسيم الصبا ويا عبقة الزهـ * ـر أفاحت لنا شميم الحبيب
كيف قالت حمامة الايك لما * غردت فوق بانة بالكثيب
هل ترى بلغت حديث غرامى * واشتياقى لمنيتى ونصيبى
أوتراها تخوفت من عذول * وعدو وحاسد ورقيب
لست أخشى اذا ذكرت لدى الحب مقالا للائم ومريب
أنا فى خطة السقام ولكن * عرض حالى على الحبيب طبيبى
عمرك الله يا حمامة جرعى * ان يقل كيف حالتى فأجيبى
ذاب من لوعة وفرط غرام * واشتياق وأنة ووجيب
عل ليلى تمن بعد التجافى * ببلوغ المنى وفتح قريب

ليس والله بالعجيب انعطاف * من حبيب قوامه كالقضيب
لا ولا بالعجيب أيضا تلظى * مهجتى والخدود نار اللهيب

وله من اخرى

حبيبك دان رقيب قريب * فماذا البكاء وماذا النحيب
نعم هو دان ولكننى * بعيد فقيد طريد غريب
بكاءى على انى بليت * بداء الصدود وعز الطبيب
وفاز المحبون دونى بما * به كل وقت لديهم يطيب
فهمى وفهمى زادا فما * بقاءى فى النقص أمر عجيب
فيا هل ترى بعد هذا البعاد * يزول الصدود ويرضى الحبيب
نعم هو ذا المستعطى منالك * بأوفر حظ وأوفى نصيب
وتهتز بالبسط فى مربع * به مرتع للأمانى خصيب
وحبس الكواعب عيدانها * وجس رباب الغزال الربيب
وتقضى حقوق الفؤاد المشوق * بخمر يروق وساق أريب
يهز من التيه أعطافه * فتحسبه بانة فى كثيب
ونحن عكوف على لهونا * وليس سوى القبض عنا يغيب

وله استغاثات يعجبنى منها قوله

الى كم نحن فى ظما * وهذا المنهل الاعذب
وهذا المشرع الاحلى * وهذا المورد الأطيب
وهذا باب مولانا * وهذا بيته الأعجب
وهذا سره الأعلى * وهذا فتحه الأقرب
وهذا السؤل والمأمو * ل والمقصود والمأرب
حبيب الله نور النو * ر كنز السر والمطلب
ومن فى لوح حضرته * بدائع سره تكتب
ومن فى تاء غرته * مرامات النهى تخطب
جمال عصابة الرسل الـ * ـكرام طرازها المذهب
ألا يا خير مبعوث * له مولاه قد قرب
ومن بالعين أبصره * فعنه قط لا يحجب

ويامن لا يبقى شخص * بمدحته ولو أطنب
أقلنى عثرة عظمت * فانى ضاق بى المذهب
وخاصنى وخصصنى * بسر منه لا أسلب
أغث ياسيدى لهفى * والا من له أذهب
وقل لى أنت فى جاهى * فلا تخش ولا تتعب
بك استنصرت فانصرنى * فمن تنصره لا يغلب
بك استشفعت فاشفع لى * فمن ذنبى لك المهرب

ومن اشاراته قوله

فيه تجردت عن وهم وعن شبه * لله أحرمت والتوحيد ميقاتى

(وله أيضا)

لست أنسى يوم اللقا خذ وهات * وادرها باكؤس اللذات
فاجلها الشمس فى بروج زجاج * من سناها تالق المزهرات
واسقنيها فدا انفسك نفسى * بين صحبى وفتيتى ولداتى
لا تبالى بعاذليك عليها * وادرها رغما لا نف الصحاة
كيف أنسى وكيف تنسى حياة * فتدانيك يا حبيبى حياتى
يوم لقياك عيد روحى ومغنى * فيه القاك أشرف الجنات
فبحق الجمال اقسام صب * أحرقته لواعج الزفرات
أرسل الدمع من جفان شا المز * ن استهلت بهاطل المنشآت
وبكى مذ بكى الحمام عليه * نائحا من بواتر الآنات
فكأنى مع الحمام ثكالى * نائحات لما دها نائبات
لا أذوق الكرى وسل أنجم الليـ * ـل وهذا السقام من بيناتى
فاغثنى فهل أتى خبر العين أفاضت سحائب المرسلات
أو أتاك النبا بأن فؤادى * لم يزل فى اللهيب والنازعات
لم تزل من كنانة الجفن ترمى * قرشيا بأسهم صائبات
انا اياه قاربح الأجو فى نفـ * ـس نفيس الآباء والامهات
وتدارك فدتك روحى بروحى * أى شئ تناله من مماتى
ان لى فى الغرام خير خلال * باقيات من الهوى صالحات

أنا فيه من ألطف الناس طبعا * وصفاتي به أجل الصفات
بي بفتر فتغير وقتي سرورا * ونسيم الصبا شقيق لذاتي
قم فهذا الشمال هب بشيرا * بتداني اللقا وجمع الشتات
ثم من بعد لمحة شمت برقا * لاح للعين من جميع الجهات
قلت ما البارق المضيء وما نفحة هذا العبير في النسمات
قيل سلمى أتت وهذا بشير * بالتداني فقلت طابت حياتي
وابتدرت الطريق أسعى وادعو * ياصحابي ليهنكم لذاتي
أدركتني عناية الله حتى * وصلتني سلمى وتمت هباتي

(وله أيضا)

أماونسيم الروض ينفح عن نقد * وريح الصبا تهفو باعطافه الملد
لقد نعمت نفسي بعزة ليلة * تحدث بما تختار عن زمن السعد
وباتت تعاطيني المدام وتارة * حديثا كما هب النسيم من الورد
واجني مذاب الاقحوانة من فم * واثني رشيق الخيزرانة من قد
وقد مالت الصهباء سكرا بها و بي * فوسدتها زندي وألحفتها بردي
وألقت ذارعيها على حمائلا * فعانقت منها السيف جرد من غمد
وما صدني طيب الوصال عن العلا * ولم يلهني هزل عن الجد في المجد
فعزمي كما زاحمت منكب يذبل * وبأسي كما أنبئت عن أسد ورد
أنازل بالعضب الصقيل بواسلا * شدوا للوغى من فوق صاهلة جرد
والبتك شاهدت الرقاب تطايرت * بسيفي كما طار الشرار من الزند
ونظمي في رمح الرؤس قلائدا * وناهيك من نظم وناهيك من عقد
فكن واثقا أني وان كنت مفردا * اذا ما لقيت الجيش أهزمه وحدي
وأني فتى الحي العزيز صحابه * وطالع من أهواه في فلك السعد

وله من اخرى

رب ورد قطفته يد اللثم * من الوجنتين ورد الخدود
وقضيب عطفته يد الضم * رشيق مهفهف أملود
ياسقى الله يومنا والاماني * منجزات لنا جميع الوعود
اذ بدت أنجم السعادة تزهو * طالعات لنا بسعد السعود

حيث كنا ولا رقيب ونلنا * كلما نبتغى بغيظ الحسود
برياض مكللات بدر الدر تزهو على لآلى العقود
كم بنات الدنان زوجن بالما * ء لدينا وكنت بعض الشهود
واقتنالهن عرس التهانى * بوريف من الهنا ممدود

(وله أيضا)

ياأهيف القد جاوز * ت فى التمايل حدك
كم ذا تتيه على من * يرعى لك الدهر ودك
والله مذ مال قلبى * اليك ماخنت عهدك
كم نمت عندى أجنى * من روض خدك وردك
وبت تشرب نفسى * وبت أشرب خدك

(وله أيضا)

وحياة العيون تنفث سحرا * وغصون القدود تثمر بدرا
وجمال سبى عيون البرايا * فهى سكرى به وليست بسكرى
وبمينا بمنطق ينثر الدر * على مفرق البلاغة نثرا
ماأرى فى الورى سواك وأنى * ملت أشهدتنى جمالك جهرا
لاولا فى الفؤاد غيرك فاشهد * ياحبيبى فصاحب الدار أدرى
أنت رب الجمال حسا ومعنى * ومليك الجمال نهيا وأمرا
رب صب يبيت حيران حرا * ن به فى الغرام أشعلت جمرا
ذل فى وجده لديك ولكن * تتصابيه عزقدرا وصبرا
فتداركه واربح الأجر أولا * أعظم الله فيه عندك أجرا

(وقال أيضا)

هل المجد الاعزمة قرشية * تطاطأ رضوى دونها وثبير
وصولة فتاك هزبر تطاولت * به رتب عنها السماك قصير
اذا استل مابين السماطين سيفه * ترى الهام فوق الهام منه يطير
وان هز أعطاف القناة بكفه * ترى ذلة الشجعان كيف تصير
حليف المعالى ربها وامامها * السخليق بها والمدعون كثير
فتى لايؤم المجد غير جنابه * ونحو سواه المجد ليس يسير

مليك سرير العز حاكمه الذى * له النصر جند والفخار وزير

(وله أيضا)

ان فى الشاروخ معنى * لذوى الألباب عبره
ان تعالى فهو فرد * أو تدلى فهو كثره

قلت والشاروخ لفظة مصرية وهى نوع من ملاعب النيران معروف وله أيضا

خليلى اما جئتما حى قاتلى * فقولا له مضناك ملتمس نظره
فان تريا فى الوجه ماء بشاشة * فانى لا أخشى خليلى ما أكره

(وله أيضا)

انظر الى ثمر الخيار الشنبر * كالغيد تخطر فى قباء أخضر
أكمامهن معصفرات أسدلت * للرقص فى روض الجنان المزهر

وقال من قصيدة يتشوق بها الى الكعبة المشرفة

أودعتك الله سلاما على * وجه سلمى أيها البرقع
فلت اذا أدعو وقد شط بى * عنها مزارى للدعا تسمع
استغفر الله لقد أنعمت * بما أرجيه وما أطمع
حتى بذكرى حولها دائما * حمائم فى حيها تسجع

وقال من قصيدة اخرى

ان قلت فالدر الثمين قلائدى * شرفت به الأعناق والأطواق
أو قلت فى شرح الغيوب فاننى * ثمر القلوب وغيرى الأوراق
هذا لسان محمد الجد الذى * من وصفه تتعلم الأخلاق

(وله أيضا)

أأكون وافد ساحتك * ونزيل دار كرامتك
ويصيبنى أدنى أذى * كلا وحق سيادتك

(وقال أيضا)

صوح النبت فاسقه * قطرة من سحائبك
وأغننا فاننا * فى ترجى مواهبك

(وله أيضا)

بين أهل القلوب والحق حال * وهو سر يدق عنه المقال

مالشخص الى علاهم طريق * بل ولا فى ميدانهم ذا مجال
احذرا حذرا أهل القلوب وسلم * أمرهم انهم فحول رجال
لا يكن منك ذرة بنكير * فسيوف الاحوال فيها صقال
فاذا مارأيت نكرا فأوّل * ليزول الانكار والاشكال
لاترد وسعة المقال بحال * رب حال يضيق عنها المقال
لوترى القوم فى الدياجى سكارى * وعليهم أديرت الجريال
كل بسط من بسطهم مستفاد * كل عطف بسكرهم ميال
شاهدوا الحق من مرايا نفوس * جل عن كشفها الرفيع المثال
انما العين بالحقيقة للعين * تجلت فما هناك خيال
تحت استار عزة وجلال * ماسواها جميعها أسمال
يالقومى من سكرة بمدام * ما العقل الندمان منها خبال
هاتها هاتها على كل حال * واسقنيها فما عليك وبال
كل ذنب لشاربيها مباح * وعثار لمحتسيها يقال
لا تبالى بعاذل فى هواها * لم يذقها فقوله بطال
فشمال والكأس فيها يمين * ويمين لم يخل منها شمال

*(وله أيضا)

سر بى الى حبهم ودعنى * فى أى طور فلا أبالى
فان مولى الكرام منهم * فابشروا أيها الموالى

(وله أيضا)

حدثنا نفح عبير الخزام * عن وجنة الوردة ذات الكمام
عن عذبات الرند مسدولة * عن قامة الغصن رشيق القوام
عن ناظر الاعين من نرجس * عن ضاحك الزهر بدمع الغمام
عن سائل الجدول فى روضة * بدوحها الاملد غنى الحمام
عن قينات لحن وقت الضحى * فنادت الشمس هبوا الى لثام
عن نعس الأعين مكحولة * عن لعس فوق حباب المدام
أن سليمى اسعفت بالمنى * واسعدتنى ببلوغ المرام

(وله أيضا)

ألا قل لربات الربا والمعالم * عقائل خدر الحى من آل هاشم
أيا ساكنات المنحنى من أضالعى * هوا كن حرزى فى الورى وتمائمى
فلا افتتحت الا بكن فواتحى * ولا ختمت الا بكن خواتمى

وله أيضا من قصيدة

أزال من نوره حجب الجفا وجلا * من بعد ماذبت من ذاك الجفا وجلا
كم عاذل قد لحانى فى محبته * ومادرى اننى لم أسمع العذلا
تالله ماخطر السلوان فى خلدى * أعيذ بالله قلبى أن يقال سلا
وبى مليح كغصن البان ذو هيف * سقيته الدمع حتى اثمر القبلا
أهوى هواه ولوذقت الهوان به * وكيف والعزيهوى من به اشتغلا

وله من اخرى

جريح ظبا تلك العيون النواعس * طعين قنا تلك القدود الموائس
تزايد فى لبى هواه وبشه * فصير قيسا ضحكة فى المجالس
رأى والهوى يولى الفتى كل محنة * شموسا تجلت فى رواق الحنادس
دمى صانها عز الجلال توشحت * برود جمال من أرق الملابس

القسم الرابع فى ذكر الروم وما اتفق لى فيها وذكر من لقيته بها من رؤسائها وعلمائها وبقية دهمائها

لما رأيت الدنيا ميدانا والاجساد فيها خيل عتاق * والمسابقة فيها الى الخيرات من أجل السباق * والله الملك الجواد المجازى كما قال تعالى والذين يسارعون فى الخيرات وبدء ونثار غبارا ورهبا ونبت بى الأوطان * وعادانى الزمان * والارض واسعة ان ضاقت صدور الرجال * ولا يصلح النفس ان كانت مصرفة الا التنقل من حال الى حال

واقسم ان لم يحظنى الدهر بالغنى * لأمتطين الصبر اذ حرن الدهر

ثنيت لعنان العزم ثانيا والامل خادى * وارتحلت للروم والقضاء والقدر سائقى لى وهادى * وقلت اذا كان أصلى من تراب فكل الانام أقاربى وكل البلاد بلادى * فان ضاق على ناقتى مرعى الغضى * فزمامها بيدى وما ضاق الفضا * وان ضاق الفضا على الركاب * فلله سفن تجرى وبحر عباب * فلم يكفنى البين حتى ابتليت بالبين والغراب

وقالوا ركبت البحر شرقا ومغربا * وقاسيت فى الأسفار هول قيامة
فحدث بما لاقيته من عجائب * وأغرب مالاقيت قلت سلامتى

وهو مركب كثير المعاطب * والانسان مخلوق من طين والطين فى الماء ذائب * ولكن الله تعالى منّ علينا بالسلامه * وأنعم بلا كدر للوصول لدار الاقامه * فرأيت فيها من العلماء والأشراف * ماتنقطع دون بيانه النعوت والأوصاف * فنافنتهم فى مدارسة العلوم * واستفدت منهم ماتسهر لمسامرته عيون النجوم * لاسيما العلوم الطبيعية والرياضية * ومقاطع الأنظار المنطقية والكلامية * فظفرت ولله الحمد بما حمدت به عقبى السرى * وربحت فيما أنفقته من رأس مال العمر أنفس مشترى * وقلت نور على نور * وتجارة لن تبور * فكان ممن لاقيته * وأدرت معه كؤوس المذاكرة فعاطانى وعاطيته * على بن الحناءى وهم بيت علم وأدب * فيه شرف نسب على حسب * وعماد ذلك البيت * الذى ليس فيه لو وليت * ﴿على بن الحناءى بن أمر الله الحميدى﴾ كامل أخلاقه توأم نسيم السحر * وعيون آثاره منازل عيون النوار غب المطر * فهى فى مذاق النهى ألذ من الأمل * وأحلى من الحياة المقتنصة من يد الأجل * واشعاره بالألسنة الثلاثة فى وجوه الطروس تفضح اللمى والحور * وتجذب بأيادى لطفها عنان الفؤاد والبصر * تشابهت معانيه الدقيقة * بكاسات كلماته الرقيقة * فسر الدهر ذكره * وعطر برد الوجود نشره

وأرى الحجيج اذا أرادوا ليلة * ذكراه أخرج فدية من أحرما

أدار فى الروم من الأدب كأس حمياه * ونشر بأرجائها أرج أنفاسه حتى تعطرت برياه * ببراعة يضف لسان يراعها نفثات السحر * وفضائل أرخصت ضنائعها بضائع الشعر * وعلو قدر يعم هامة الراسيات * وسوابق عزم تقف دون مداه أصناف الصافنات * تشرف قضاء العسكرين بحكم أحكامه * ونشرت على أعلام تلك الأقطار خافقات أعلامه * وله رحلة لمصر ألبس فيها أعطاف مجده برودا * ونظم بها من الشعر العربى فى جيد الدهر عقودا * فما صدحت به حمائم فصاحته على قضب اليراع * وتلت ألسن براعته ماتثنى اليه أعنة الأبصار والاسماع * قوله

على بن الحناءى بن أمر الله الحميدى

أرى فى صدغك المعوج دالا * عليها نقطة من مسك خالك
فصارت داله بالنقط ذالا * فها أنا هائم من أجل ذلك

وهو أحسن من قول الخوارزمى

وأرالك خده ولاح عليهما * صدغان ذوخال واخر خالى
فكأن ذا ذال خلت من نقطة * وكان ذا دال ونقطة خال

ومن قول أبى بكر الزوزنى

نقطت صدغك دالا * فالويل من شكل ذلك
لو أن ذالك ذالى * سجدت شكرا لذلك

(وله أيضا)

أسروه من ثغر العدو فأصبحوا * أسرى بمبسمه الشهى وثغره
أسروه كى يمسى أسير جمالة * فهو الذى ملك الفؤاد بأسره

(وله أيضا)

قالوا تبدى وجه من أحببته * فى عارض بخيال وجهك قارضى
شمس الجمال تسترت فى عارض * دع عنك دمعا مثل بحر فائض
فاجبتهم يا قوم أن محبتى * ذاتية ليست تزول بعارض

وهو كقول أبى حيان

راض حبيبى عارض قد بدا * يا حسنه من عارض رائض
فظن قوم أن قلبى سلا * والاصل لا يفقد بالعارض

(وله أيضا)

ولائم لام فى حبى لذى غنج * لما رأى فى حواشى خده لاما
فقلت ذى لام تعليل بوجنته * تبين عله من فى حبه لاما

وهو كقول ابن نباتة

لام العذار أطالت فيك تسهيدى * كأنها الغرامى لام توكيد

وقول ابن رشيق

يارب أحور أحوى فى مراشفه * لو جاد لى بارتشاف برؤ أسقامى
خط العذار له لاما بعارضه * من أجلها يستغيث الناس باللام

وله وان لم يكن مما نحن فيه

لك تدريس ولكن * عين تدريسك لام

ولصاحب الترجمة

وافى وأنفاسى تصعد من جوى * فقال امن كأس الصبابة تغتبق
وهل تحت رق الحب قلبك فى لظى * فقلت أجل ان القلوب لتحترق

ونحوه لابن المبلط

يا ناثما وقنــــه * من فوقه كفحل جن
يحققــه عبا ئــه * مالى أراك تحتقن

وللشهاب المنصورى

قلبى بحبك قد علق * فامنن له وصلا ورق
يامن يحمل مهجتى * فى حبه مالم تطق
ها قد ملكت جوانحى * فانظر تجدها تحت رق
عيناك تسترق الحشا * ولكل حر تسترق

واغلى الحناءى فى شرح الكشاف للسعد

لقـد قلت لما أن تملكت نسخة * لفاضل تفتازان من شرح كشاف
عليك سلام الله ياسعد انما * تداوى عليل الجهل من شرحك الشافى

وله من قصيدة اخرى

سقى الله عيشا فى ظلال ربوعهم * خلا ذكره فى الذوق وهو مدام
ليال لنا فى مصر وصل كأنها * على وجنة الدهـر الممنع شام
يحين حمامى من حنينى ولوعتى * اذا ناح فوق الايكتين حمام

وتشبيه الليالى بالشامات هنا لا بأس به ولكن أين هـذا من قولى لمن لا داعيه وله اذن واعيه

سقى الغمام وحيا صفو منته * عصرا تقضى مع الأحباب ألوانا
سود الليالى به شامات لو ظهرت * فى حسن وجه زمانى كن خيلانا

وله رسالة قلمية منها

لك الحمد يامن أكرم الناس بعدما * هداهـم الى التقوى وعلم بالقلم
يؤلف بين الكاف والنون آمرا * وينقش لوح الكون من ذلك الرقم
وسحب من التسليم يسكب وبلها * على من قد فيه المروءة والكرم

تجافى عن الأقلام طرف بنانه * وقد نسخت من دونه كتب الامم
صلات الصلاة والسلام * عليه وعلى آله الكرام * وصحبه العظام *
مالاحت علائم الأعلام * فى وجوه الأماثل * وناحت حمائم الأقلام
من غصون الأنامل (وبعد) فان بعض الموصوفين بالبراعة * اعتنى
بوصف البراعة * وأحرز قصبات السبق فى مضماره * وحرم على مصليه
أن يؤم شق غباره * ورسم بدائع المعانى على لوح البيان * فصار ما سطرته
أنامله يشار اليه بالبنان * وهذا نسج على منواله * ونسج على منواله *
وشتان بين من اذا ركب القلم أنامله * خضعت رقاب الأنام له * وبين من
يكتب فيلغى * ويقول فلا يصغى * والله المستعان * وعليه التكلان *
ياسائلى عن صفة القلم * انه فى العالم علم * علم يتراءى فى بيداء النور *
والطور وكتاب مسطور * فى رق منشور * يعجز عن بيان غزر وصفه بنان
الافهام * ولو أن مافى الارض من شجرة أقلام * ذو اللسانين واللسن *
والبيان العذب الحسن * فقيه فائق سرح فى رياض الهمة * فاقتطف شقائق
النعمان * حكيم حاذق جلس على خوان الحكمة * فالتقم حقائق لقمان *
درس العلوم الرسمية فهو المعلم الاول * وجدد مادرس منها وماعلى رسم
دارس من معول * مد باعه فى العلوم وقده قيد شبر * حبر ماهر اذا رأيت
أثره تقول ما أحسن هذا الحبر * قادر على تحرير العلم وتحبيره * يتكلم فيذر
على الكافور عنبرا فيا حسن تعبيره * اذا أنشأ أغرب * واذا أنشد
أطرب * واذا أعجم أعرب * واذا أشكل رفع الاشكال * واذا قيد
أطلق العقول من العقال * يترجم عن الوحى والالهام * واذا رفعه
الابهام رفع الابهام * مزن منه شآبيب العلوم واكفه * غصن عليه
طيور النهى عاكفه * طالما جال وجاب * وسأل وأجاب * فأبدى
العجب العجاب * طورا يشرب من كؤوس المحابر * فيتمايل كشارب ثمل *
وطورا يخطب على رؤس المنابر * فتراه كشيخ عبراته تنهمل * وتارة يجلس
فى الدست مثل الكرام الصيد * ويبيت على كهف المحبرة باسط كفيه
بالوصيد * متجرد خلى نفسه للتزهد * متعبد رافع أصبعه للتشهد *
يحدث بأحاديث الليالى للأنام * ويظهر ماجرى على لسانه فى صفحات

الأيام * كأنما يتنزه فى مراتع الطرب * ويتبختر فى ملابس القصب * اذا نشطه داره * فشط عنه مزاره * فهو يبكى كالغمامة * وينوح كالحمامة * يتذكر لداته واترابه * ويحن الى أول أرض مس جلده ترابه

ينوح على رسوم دارسات * كنوح حمامة بالرقتين

وقد ينعى الى أهل التصابى * نوى الاحباب مثل غراب بين

ضربوا عنقه فطال عناؤه * وشجوا رأسه فسال دماؤه * أولج نفسه فى المهالك * وأدلج فى ظلام حالك * فارتعد من خوف ذلك * صب ناحل منى بليل الفراق فترنح ولها * أوكريم اجتداه معدم ماحل فهو يهتز لها * على منبر الأصابع خطيب مصقع * ألف تراه تارة فى الدواة واخرى على الاصبع * بث مصونات السرائر فاشير اليه بالسيف والنطع * وسرق مخزونات الضمائر فحكم عليه بالقطع * يصبر مثل ايوب على البوسى * ويصير كلما اذا مر على رأسه موسى * غريب هجر هنده وواسطه * وصار بين الهند والروم واسطه * يقوم فى خدمة الناس * فاذا قلت له اجر يقول على الراس * يتعيش بكسب يمينه * ويقتات من عرق جبينه

أرضعه الجدول من بعدما * رباه فى منزلة شطه

ما ظهر الشعر على وجهه * فأعجب له كيف بدا وخطه

يوسع كالاحرار جودا وطولا * ورقبته كالعبيد فى يد المولى * فهو على ما يقاسيه من الحزن والكآبه * لا يطلب من مولاه الا الكتابه * مداح لكنه لا يفارق الهجا * يستتر طرة الصبح تحت أذيال الدجى * معدل معروف بالاستقامة أمين * مجرد لا يميل الى اليسار فهو من أصحاب اليمين * بطل يطأ فى الطعان على الرؤس * علم يأتيه الفتح والظفر وهو منكوس * رمح من رماح الخط * مارس الطعن وما انفك عنه قط * طرف يجرى فى الميدان وهو معقود * اذا قصدته لا يحصل المقصود * وسهم فى الاغراض مصيب * وليس له منها سهم ولا نصيب * ثعبان لا يزال يحرق ما مر عليه بأنفاسه * تمشى الثعابين على بطونها وهذا يمشى على راسه * أرقم يلدغ الأساود * أدهم تقيد به الأوابد * حية تنغمس فى بحر رنق الماء * وتخرج منها وفى فيها دودة سوداء * يلدغ الاكباد كأنه عسال

ذابل * ويشفى الفؤاد كأن فيه أريا اشتارته أيدعواسل * أكمل أمره في السباحة * وأفنى عمره في السياحة * يقطع الفيافى * وهو رجلان حافى * تارة يخرج الفرائد من البحور * ويجعلها قلائد بيض النحور * عليه من السواد عمامه * كأنه عباسى طالب للامامه * سفاح ذو خلاعة ومجون * رشيد أمين الا أن طغيانه غير مأمون * يجر من الهنود جحفلا كالبحر ماجت راياته * ولا تنقطع عن ممالك الروم دقائقه وماجرياته * يرتب الكتائب فى المصاف * ويصدر عنه بارح الرعاف * شاد اذا غنى شفى المنؤود * كأنه اوتى مزمارا من مزامير داود * أشقر يحب أن يخب فى المرج * ألف القطع الا انه لا يثبت فى الدرج * ألف اذا فارق النون فهو صاد * حرف نفى كل دال عن عينه الرقاد * مطلق لا يعتريه الأسر * مرفوع الا انه يدخل عليه الكسر * يستعمل مفردا ويجمع ويكسر على قلة * أجوف ويعد ناقصا اذا كان فى حرفه علة * ثلاثى عينه لام * صحيح الا ان فاءه عين السقام * مشتق يصدر من حرفه الأفعال * عامل اذا كسر يبطل عن العمل فى الحال * لسانه ذلق * وقلبه ملق * لفظوا باسمه فصيحا وهو محرف * وأراد ان يصحفوه فلم يصحف * ميزاب عين الحكمة منه نابع * مقياس يمصر العلم عليه بالأصابع * أخرس لكن لسانه قارى * يتكلم بعد ما جز رأسه وهذه حكمة البارى * تتعجب من أمره العقول * ويسأل عنه الملغز ويقول

ما أمرد منه القوام مقوم * والرأس منكوس كشيخ فانى
أبصرته فرأيت منه عجائبا * حدث ترعرع سنه اثنان

كفى من رتبه ان الله أقسم به جل * لولم يكن قدره أجل * لما قبل يد المولى الهمام * ولما طوقت أياديه رقبة الحمام * مولى عيون ذوى الانظار الى مرود قلمه ميل * وذرور تربة قدمه يجلو جفون أولى الأبصار من رأس ميل * اذا سح سحاب كماله ترى سحبان فى روض الفصاحة باقلا * واذا افاض معين أفضاله ترى معنا لحوض السماحة مادرا باخلا * اذا نثر نثر الدرر * واذا نظم نظم الغرر * حرف من ذلك البنان * وطرف من سحر البيان * سطر من تلك الأنامل * وشطر من حقائق المسائل *

فى طرفه أدهم يجرى على سنن * من رأس أصبعه الغراء غرته

أبو العلاء اذا أضحى بعارضه * يبين عنه وقد بانت معرّته

اذا ألقى الدروس * يحيي رباع العلوم بعد الدروس * واذا تعب براحته قلم الفتيا * تصل الى كل راحة الدنيا * وتعلو كلمة الله العليا * قلمه فى بنانه المدرار * كأنه قضيب نبت فى الانهار * يسعى قدم العلم فى مداد محاسنه وهو كسير * وينقلب بصر البصيرة خاسئا وهو حسير * وانى وان أعمل صوارم البراعة ومضاها * وأبلغ من مسالك البراعة مداها * وألمح من غرف الابداع غوانى المغانى * واصمى بنطى الأقلام ظباء المعانى * لو رمت تعديد نجوم بروج فضائله التى تتنافس بها الاماثل وتتباهى * وتتناهى الأيام وهى لا تتناهى * لعرفت أنى محصور فى غير محصور * ولاعترفت بانى من جنان مدائحه فى قصور * لقد غدا سابقا فى حلبة العلياء أمثاله * اذا تناولت الأقلام راحته تقول ماقصبات السبق الاله * لازالت خمائل الفضائل برشحات أقلامه مخضلة * ونسائم الأصائل بنسمات أنفاسه معتلة * ولابرحت تضحك ببكاء أقلامه الطروس * ويرى فى صورة خطوطه حظوظ النفوس * ماتغنت الأقلام بصريرها * والأنهار بخريرها * وضحكت الأسحار بشروقه * والأمطار ببروقه * بحرمة من لولاه لم يخلق اللوح والقلم * ولم يعلم الانسان مالم يعلم (وله رسالة سيفية) منها وبعد فان السيف فى حنادس الوقائع شهاب ساطع * والى ممالك المعالى صراط واسع * وعلى مسائل العزائم بيان قاطع * وان كان فى أواسط الناس بالتقليد مشهورا * فأردت أن أرصعه بجواهر التوصيف * وأحليه بعلائق التعريف * ومنها

يعرف ضروبا من فنون الحرب * وهو مجدّ فى كل كرّ وكرب * اذا شهر يشرق النور من غربه فهو المشهور بالشرق والغرب * ذو علائق لكن اذا جرّد يكون من أصحاب اليمين * وقد يعتكف فى خلوة القراب فيكون من المقربين * جدول رعا يشق من الدروع بحرا امواجا * بفتح باب النصر فترى الناس يدخلون فى دين الله أفواجا * ذو وجهين له طبع حديد * وبأس شديد * جدول ماهبّ عليه نسيم النصر * شعلة نار ترمى بشرر كالقصر * نار يوجه ضاربه * ماء يغص به شاربه * نهر ملآن * تسقى

به حمى الأبدان * فيجعلها حدائق * ذات ورد وشقائق * عالم لا ينظر الى متن الا ويشرحه * حاكم لا يحضره شاهد الا ويجرحه * شارح له متن متين * يملي في صحائفه سورة الفتح المبين * حده ذاتي وقوله قول شارح * يبين بدقائق فرقه وجلي شرحه مشكلات المطارح * عالم في الضرب والتفريق * ماهر في العلوم القطعية على التحقيق * اذا طلب منه شرح الخفايا ينشرح لها ويهتز * طالما طبق المفصل في الابانة وأصاب المحز * مرآة ينطبع عليها صورة الحتف ومنها

شروق غربه يسفر عن فجر يوم الحرب * كأنه جدول ماء جرى في ساحة روض فظهر منه رؤس نباته * أولمعة ضياء دخلت من كوة بيت فبدت على صورة ذاته * النبل له كالخدم * والرمح يقوم في خدمته على القدم * بل الرمح من حبه ذابل * فهو كالملك الجليل والرمح له عامل * اذا رآه القوس يقول مالي من جنس بسالتك سهم * واذا لاقاه الدرع يدخل حلقه بعضها في بعض من الوهم * نهر من بحر الحرب تسقى به قصبات الرماح * لم تبد على غدير الدرع أمواجه حتى هبت من شطيه للنصر رياح * ذكر له حيضه * طائر يقع على البيضه * أغرق اطلال وجود العدا بسيل أقطار السهام وأنهار الصفاح * ونزح حياة أرواحهم بدلاء المغافر وارشاء الرماح * يجري بحارا من العساكر * فيها أمواج الدروع وفواقع المغافر * ومنها لازالت ألف سهمه مع نون قوسه المشددة * بجلة خبر بسالته واياالته مؤكدة * ولا برح شكل دبوسه همزة لقطع الآجال * وسين سيفه مقربة عمر العدو من الاستقبال الى الحال * ومنها

هذه جواهر مدح ترصع بها هذه السفينة * وحمائل تشد في جيد الجبة الأدبية (ومما يحسن هنا ايراده الرسالة السكينية) وهي لابن حجة

يقبل الارض التي قامت حدود مكارمها * وقطعت عنا مكروه الفقر بمسنون عزائمها * وينهي وصول السكين التي قطع المملوك بها أوصال الجفا * واضافها الى الأدوية تحصل بها البرء والشفا * زرقاء كم شاهدت البيض منها ألوان * خرساء ومن العجائب انها لسان لكل عنوان * ماشاهدها موسى الا سجد في محراب النصاب * وذل بعد ماخضعت له الرؤس والرقاب *

كم أيقظت طرف القلم بعد ما خط * وعلى الحقيقة ما روى مثلها قط * كم وجد بها الصاحب فى المضائق نفعا * وأحكم بحسن صحبتها قطعا * ماضية العزم قاطعة السن فيها حدة الشباب من وجهين * لانها بالناب والنصاب معلمة الطرفين * أنملة صبح تقنعت بسواد الدجا * فعوذتها بالضحى والليل اذا سجا * ولسان برقت لمعته فى لهوات الليل * فتنكرت أشعة الانجم حتى ما عرف منها سهيل * هذا وتقطيعها موزون اذا لم يتجاوز فى عروض ضربها الحد * ومعلوم أن السيف والرمح لم يعرفا غير الجزر والمد

من أجلنا تدخل فى مضائق * ليس لسيف قط فيها مدخل

وكلما تفعله توجزه * والرمح فى تعقيده يطول

ان هجعت بجفنها كانت أمضى من الطيف * وكم لها من خاصة جازت بها الحد على السيف * تنسى حلاوة العسال فلا يظهر لطوله طائل * وتغنى عن آلة الحرب بايقاع ضربها الداخل * ان مرت بشكلها المحلى تركت المعادن عاطله * ولم يسمع للحديد فى هذه الواقعة مجادله * شهد الرمح بعدالته انها أقرب منه الى الصواب * وحكم بصحة ذلك قبل أن تتكمل لها النصاب * ماطال فى رأس القلم شعرة الاسرحتها باحسان * ولا طالعت كتابا الا أزالت غلطه بالكشط من رأس اللسان * تعقد عليها الخناصر لانها عمدة من العدد وعده * وتالله ما وقعت فى قبضة الابطال لسانها وكلمت بحده * ان دخلت الى القراب كانت قد سبكت على الدخول * أو أبرزت من عمة كان على طلعتها الهلالية قبول * تطرف بأشعتها الباهرة عين الشمس * وباقامتها الحد حافظت الاقلام على الخمس * وكم لها من عجائب تركت جدول السيف فى بحر الغمد وهو غريق * ولو سمع بها من قبل ضربه ما حل التطريق * فلو عاصرها الكمال لعرك من فرسه الاذنين * وقال له جحدت رسالتك يا ذا القرنين * فان جذبت الى مقاومتها وكان لك يد تمتد * وصلت السكين الى العظم وصار عليك قطع وانتهى أمرك الى هذا الحد * وهل تعاند السكين صورة ليس لها من تركيب النظم * الا ما حملت ظهورها أو الحوايا أو ما اختلط بعظم * ولو لمحها الفاضل لحقق قوله أن خاطر سكينه كل * أو أدركها ابن نباتة لما أقر برسالة السيف وفل * وقال لقلم رسالته اطلق

لسانك بشكر مواليك * واخلاص الطاعة لباريك * ولم يقصد المملوك الايجاز فى رسالة السكين ونظمها * الا لتكون مختصرة لحجمها * لا زالت صدقات مهديها تتحف بما يذبح نحر فقرى * وتأتى فى كل حين بما يشفى داء الفقر و يبرى * بمنه وكرمه (تتمة) قوله بنان الافهام استعارة ركيكة فيها لكنة رومية والطبع نزاع ولما قال الشاعر

نوائب غالتنى فأبدت فضائلى * فكانت وكنت النار والعنبر الوردا

فلولا علاء عشت دهرى كله * وكيس كلامى لا أحل له عقدا

قال ابن بسام كيس الكلام يضحك من برده ماء الملام * وقد قال الصاحب كنا نعجب من ماء الملام فى بيت أبى تمام حتى عذب عندنا بحلواء البنين فى قول المتنبى

وقد ذقت حلواء البنين على الصبا * فلا تحسبنى قلت ما قلت عن جهل

فكيف لو سمع استعارات هذا العصر كقوله (بقراط حسنك لا يرنو الى عللى) وقول المصيصى

اذا كانت جفانك من لجين * فلا شك الغنى فيها ثريد

وقول ابن برد

ياشاعر الحسن بى ترفق * لا تقتلنى كذا بديها

وابن عمار وان تبعه فقد ضعفه فى قوله

روى ليضرب وابتدهت بضربة * ان الطعان بداية الفرسان

انتهى وقوله حتى يتوارى بعضها فى بعض هو كقول الآخر فى كرسى المصحف

حملت على ضعفى الذى كلماته * لهيبتها ينصدع الجبل الراسى

تداخل منى البعض فى البعض هيبة * لان كتاب الله أضحى على راسى

ولظافر الحداد

انظر بعينك فى بديع صنائعى * وعجيب تركيبى وحكمة صانعى

فكأنما كفا محب شبكت * يوم الفراق أصابعا بأصابع

ونحوه قول ابن رشيق فى الدرع

كلما دارت بها أبصارنا * صورت فيها امثال الحدق

قوله حتى يتوارى الخ الذى تقدم حتى يدخل الخ اه

أوجست فى الحرب من وخز القنا * فتبوارت حلقا فى حلق

وعكسه قوله فى سبحة

ومنظومة الشمل يخلو بها اللبيب فيجمع من همته

اذا ذكر الله جل اسمه * عليها تفرق من هيبته

ولابن عبد الظاهر فيها

وسبحة أناملى * قد شغفت بحبها

مثل مناقير غدت * ملتقطات حبها

وأما ذكره الحيض مع الذكورة فمعنى مشهور قديم كقوله

ومن العجائب أن بيض سيوفهم * تلد المنايا السود وهى ذكور

وممن تشرفت به متنبى ذلك الزمان

عبد الباقى

﴿عبد الباقى﴾ ربيع مجد هطلت سحائب فضله * وبحر شعر استخرج جواهره غواص ذكائه ونبله * مشحوذ أسل العزمات * مصقول حد همة تكل عندها أسنة المرهفات * تضيق عن جيد معانيه عقود التفاصيل والجمل * ويلاقى ظامئ المسامع منه وردا عذبا لا يسأمه العلل والنهل * وهو معجزة تحدى بها آل يافث * وساحر ألقى العصا لكل من كان فى عقد البيان نافث * أخلاقه تفضح نسيم الصبا فى الصباح * وتسكر بنشأة شمولها أرواح الأقداح * فيضحك حبابها على ثغور الكؤس المملوءة برضاب الراح * وهمته لم تغمد صوارمها الا فى اجياد المطالب * ولم تطأ أقدام أقدامه وعزائمه الا على هامات المناصب

قد حكى الصارم المحلى سوى أن حلاه جواهر الآداب

وكان فى عنفوان عمره يحسن صناعة السروج وهو رخى اللبب * طلق العنان لا يمسه فى مضمارها الغب * حتى رمقه ناظر السعد * وابتسمت له مباسم المعالى والجد * فتشرف بخدمة خاتمة المفسرين أبى السعود * فرنا اليه الدهر بعين الرضى وعيون الخطب رقود * فانتبه طرف سعده من نومة الخمول وتيقظ * وقال الدهر انظر الى البخت والحظ * فى قصة شرحها مطول * وعلى الجد بعد معونة الله المعول * فأظهرت ضمائر الايام ما كانت تنويه * وصرفت له الجدود العاثرة كل رفعة وتنويه * حتى تولى قضاء العساكر *

وراقت له من مشارب آماله الموارد والمصادر * ولله فى تصريف الدهر ما يجعل الآمال أموالا * ويقلب الامور حالا وحالا * وكنت لما ألقيت بسدة الملك عصا التسيار * ونفضت عن وجه الهمة قتير الأسفار * رأيته وقد أحالت الليالى بنفسجه ياسمينا * وبدلت سبج شعره المسود لجينا

صبغة الله الذى جل ومن * يصبغ المسود مبيضا سواه

وأنا بالروم أسير * وفى قيود الغربة أمرح وأسير

ملاعب جنة لو سار فيها * سليمان لسار بترجمان

وبها من الشعراء كل مصقول أطراف الحديث مشحوذ شبا اللسان * اذا تليت لطائفه سجد لها اليراع وركع البنان * مما هو أشهر من الأمثال السائره * وأزهى من عيون أنوار الرياض الساهره * عيون ناضرة الى ربها ناظرة * ممن لبست بمسامرته حلل المسرة * وأخرجت بفاكهة العشرة من العسرة * ثم انقشعت تلك الغمامة وانجلت * وتلى لسان الدهر تلك امة قد خلت

ان الكرام قصيرة * اعمارهم مثل الشباب
وارى اللئام تجاوزت * أعمارهم حد الحساب
ياليتهم اذ يمرضوا * شمع تجسد فى التهاب
فاذا اعترتهم مرضة * فشفاؤها ضرب الرقاب

والديار مملوءة بالفضلاء والاشراف * معمورة الاقطار بالأعيان والاطراف * ومن أجلهم استاذى زبدة المحققين * ونتيجة مقدمات البراهين

فخر الزمان سعد الدين بن حسن خان

(فخر الزمان سعد الدين بن حسن خان) كانت أيامه ربيع الأفاضل * وسدته محط رحال الآمال وسابلة المسائل * تلقى عنده عصا التسيار * وتنزل بحرم سعادته قوافل الأسفار والأسفار * فهى قرارة ماء سالت به الاباطح * وميعاد تلاقى كل سانح وبارح * وقد جمع فيه من الكمال ما ليس له مثال * وان ضربت به الامثال * أما خطه فابن مقلة بعينه * وأما فصاحة لغاته فالابن دريد بجمهرته والخليل بعينه * فلو رآه قس بن ساعدة * والأسود رابضة لديه ألقى له يد التسليم وساعده * أيامه تواريخ النعم * ومواسم الفضل والكرم * فهو مجموعة عطارد * ونسخة

محاسنه التى قيد فيها غرر الأوابد * جمع له من زهرة الدنيا من المال والبنين ماملأ الملا * والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا * فاجتمع فيه وفى نسله مالم تكتحل بمثله العيون * حتى تلا الم غلبت الروم فى أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون * فهم ختام مسك العلوم والآداب (رب خير يجئ فى الخاتمات) ومقدمات هى نتائج العقول والألباب * فهو مثل السلام فى الصلوات ختم به وبنيه السعد حتى أصابتهم عين الكمال * ونزلت نجوم سعدهم من سماء المعالى الى حضيض الزوال * ففاجأتهم أم قشعم بغتة بلا اعتدال * فقلت فى ذلك وهو معنى لم أسبق اليه

مات من كان يستحيي الدهر منه * وله المسعد خادم فى المنازل
والمنايا تهابه فلهــــــذا * جاءه الموت بجاة وهو غافل

وكان ممن أخذ عن المولى أبى السعود بن محمد بن مصطفى العمادى الاسكليبى ولد بقرية قرب القسطنطينية سنة ثمان وتسعين وتسعمائة ودفن بجوار أبى ايوب الانصارى وكان طويل القامة خفيف العارضين وتربى فى حجر والده يرضعه در فضله * ويسقيه من منهل كماله حتى علا فرعه على أصله * حتى رقى لرتبة الافتاء بعد قضاء العسكرين فتزين الدهر برشحات أقلامه * واثمرت رياض الفضل بثمرات أرقامه * وعيون سعده ناظره * ورياض مجده ناضره * الا انه أفرط فى محبة المال والجاه * قائلا فى ظلى الملك وبارد هواه * بين نخلات تساقطت عليه رطبا جنيا * وتناثرت نضير نضارها مليا * وهو أول من جعل تقديم الاطفال سنه * فبقيت تلك السيرة كاسنه * فصارت سببا لانطفاء نبراس العلم ودروسه * وتعطيل أطلال رسومه ودروسه * مع افتتانه بآثاره * وروايع كتبه وأشعاره

والمرء يفتن بابنه وبشعره * لكن ذلك فتنة العقلاء

على انه لو قيل انه أشعر أهل جلدته * فالرايد لا يكذب أهله فانه أدرى بشعاب حلته * فمن جزرسده * الذى رواه طالع سعده * قصيدته الميمية التى عارض بها المعرى (وأين الثريا من يد المتناول) وهيهات هيهات العقيق من صم الجنادل * وأولها (أبعد سليمى مطلب ومرام) وستأتى ان شاء الله تعالى بتمامها

عبد الكريم بن سنان

ومن صحبته بالروم ابان الشباب فكان عونا لى على الزمان

﴿عبد الكريم بن سنان﴾ فكنا نتراضع ثدى الكؤس * ونتجاذب أهداب الأنس فى الدروس * وهو اذذاك ناشر أردية الفضل والكرم * وعامر ابنية الآداب والحكم * فكان كما قلت فى خطابه * مثنيا على غرر آدابه

وأنت الذى عرّفتنى طرق العلا * وأنت الذى أهديتنى كل مقصدى
وأنت الذى بلغتنى كل رتبة * مشيت اليها فوق أعناق حسدى

وكان ينظم وينثر بالألسنه * ويكتب من الخط المنسوب أحسنه * وله رسائل مشهوره * وكلمات على لسان الدهر مأثوره * منها قوله فى ذى بطنه * أخمدت نار الفطنه * فلان ضاعت أوقاته * وغلبت على حسناته سيئاته * متمحصا للفحص عن أحوال الناس وأخبارهم * متفرغا لنبش خبايا أسرارهم * يسأل كل داخل عن الحوادث * ويكثر من البحث عن الناس وفيه مباحث * فليته يعرف أن من غربل الناس نخلوه * وان من أظهر لهم الصعوبة ذللوه * فلهفى على اضاعة أوقاته فى حديث غث * وكلام بارد رث * تمجه نفس السامع * وتتلوث به المسامع * ولوأكل لقمان عاد نجسا من التخم * وألقاه الى حيث ألقت رحلها أم قشعم * وله اخوان تخالهم كلاب * أو ذئاب عليها ثياب * وكان يتحرش بى حين سخنت عينه * وحان حينه * وقد قيل اذا جاء أجل البعير * حام حول البير

يا سالكا بين الأسنة والظبا * انى أشم عليك رائحة الدم

السيد محمد بن برهان الحيدى

ومن صحبته بالروم

﴿السيد محمد بن برهان الحيدى﴾ كان أخى شقيق * وصنو روحى ورفيق * فاضل حماه للمجد حرم * وكريم يجلى بغرته صدأ الخطوب وتكشف الظلم * وكان يوما بمنزلى مع الاخوان * فأرادوا الجرى على العادة فى الدخان * فأبى ذلك لانه يراه من منكرات الزمان * فقلت له بديها

فديتك جد باذن للندامى * ليأتوا بالدخان بلا توانى
تريد مهذبا لا عيب فيه * وهل عود يفوح بلا دخان

فقال

فقال بديهاً وأجاد

اذا شرب الدخان فلا تلمنى * على لومى لابناء الزمان
من الاخوان أهوى طيب خلق * كمثل المسك فاح بلا دخان

*(بيان أحوال الروم وانقراض علمائها * ونشر الظلم والعدوان بين امرائها)

لما انهدم من الفضل بنيانه * وانقضت عمده وأركانه * وقوضت خيامه * واندرست رسومه وأعلامه * وصار أمر الفتوى والقضاء والمناصب العلميه * بعد العلامة شيخ الاسلام أسعد ملعبة وشعبذة وسخريه * والمدارس مأوى الحمير * وقلد القضاء من ليس فى العير ولا فى النفير * ظهرت اشراط القيامة * ولبس لباس الجهل من النعل الى العمامة * وولى الامارة الفجار الاشرار * فصاروا أقسى من الحجارة وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار * وقد قال افلاطون اذا تسامح فى القضاة والاطباء دولة فقد أدبرت وقرب انحلالها قلت وكذا كثرة العزل و النصب وقد قيل آخر الدور سماحى فما حدث بها لما سجد الزمان فارتفع كل أسفل * واتبعت نتيجة هذه الدولة الاخس الارذل أن فوضت صدارة العلماء * وتوجهت قيادة الفضلاء * لشخص ملقب بأسود الخى * يفنى دون عدد معايبه الرمل والحصى * نجرت بينى وبينه مخاصمة * أدت الى المكابرة والمحاكمة * فقلت فى وصفه مقامة هذه صورتها

اللهم انى أعوذ بك من الخبث والخبائث * وألوذ بك يا نور النور اذا دجت ظلمات الحوادث * يوم تبيض وجوه وتسود وجوه * ويبين كل منقوص حتى يفر منه أبوه وأخوه * فانه مما صب من المصائب * أن حل على كاهل الدهر عيبة المعائب * نسخة القبائح * مسودة الفحش والفضائح * جريدة العيوب * تمثال السيئات والذنوب * اكسير الفساد * وشماتة الاعداء والحساد * أنموذج الهموم * أظلم من ليل المرض والغموم * قحط الرجال * قائد جيش الدجال * قبيح الفعل والقول * اذا اعتذر عن اساءته غسل الغائط بالبول * لئيم غير ملوم * أجور من قاضى سدوم فصدارته هجو الزمان * واظهار لعداوة الاحرار والاعيان * فلو لم يخسف بأهاليه * لما ارتفعت أسافله على أعاليه

كالبحر ترسب فى أسافله * درر وتعلو فوقه جيفه

جعل فى بستان مزبل * اذا اثمرت البساتين حنظل * ان لاح انسان جهل فهو لعينه * او ابليس تلبيس فذاك استاذه وقرينه * فلو عاين أحمد * خداعه لحياه وأنشد

فلما نظرت الى عقله * رأيت النهى كلها فى الخصا

ريقه الزقوم * وأنفاسه السموم * فهو لعين الدهر قذى * لا ينطق بغير فحش وأذى * الجهل رداؤه * والجذام حليته وبهاؤه * والجنون مجنة له من الاعداء * فذاته المكروهة عين السوداء * ليس فى خلقه من الحكم والاغراض * الا أن تقف الاطباء على ما جهل من الامراض * وتتضح به دقائق التشريح * ويكثر رائيه من الاستعاذة والتسبيح * تحترق منه الجسد * فكله عيون تنظر من الحسد * عرضه دنس مشقق * ووجهه كقرطاس الرماة مخرق * أقبح من عسر بعد يسر * لا يعرف انه انسان الا انه فى خسر * كله متن الافاه فاستثنه بخلا * وكله بلاء لو سئل عنه ابليس لقال بلى * يغلب بسلاح الوقاحة فى المبارزه * ويظن ان الرشوة مباحة لانها تسمى جائزة * ويزعم لنفوذ أمره فى الأنام * ان القول ماقالت جذام لا ماقالت حذام * أشأم من طويس * وأثقل فى السمع من ليس * ومعنى يحمل لحية التيس * ياعين الشوم * وخليفة البوم * وسلحة الزمان * ونجاسة الديوان * ألم يدر من صدرك * ولم يخش عجزك وبجرك * ان زوال الدول * باصطناع السفل

ومن يكن الغراب له دليلا * يمر به على جيف الكلاب

ياخيبة الأمل * ومجمع السفل * ونتيجة السقم * وضنء اليتم والعقم * وعدو الأدب * وأسود اللقب * أما استحى زمان حل فى صدره الخصى * وأصبح لقدر العلم والمعالى مرخصا * مادر لديه حاتم * والحجاج أعدل حاكم

لو كان يدرى حده انه * يخرج من احليله لاختصى

قربه أقبح من الحرمان * وبعده ألذ من وصل الحور الحسان * قد نجس الارض نجاسة لا يطهرها الطوفان * قرة عين أبى جهل فهو ينشد له بكل لسان

تعلاى أطهر منه * والكلاب أطهر منى

لا يهتدى الى صواب * حتى يشيب الغراب * أو يستضىء شيطان بشهاب * سفيه الذم حلية فيه * وكل اناء يرشح بما فيه * أسجد من هدهد فى خلوته * خبير بأن يجنى العصا السائر خدمته * نحوى كم نصب وجر * وداوم على مذاكرة مشتقة من الذكر * رئيس ليس له صيت وسمعه * لم يبت الا وفى دهليزه شمعه * انف بالعجب فى السماء * واست من الابنة فى الماء

كأنه فرعون الا أنه * من جانب الوجعاء ذو الأوتاد

كذاب فانظر وجهه وسواده * كأنما ألبس الدين به حداده * عار على السلف والخلف * أكذب ما يكون اذا حلف * حراقة فساد * قدح شرر شره فساد * فان كان أصله النار فهذا الخلف رماد * مفلس من دينه وعقله * يقول ابليس انما ترك السجود لآدم لانه من نسله * أقبح من النقم * وأسوأ من زوال النعم * أزنى من ظلمه * وأمر من غمة على غمه * لم يزل يبدى بانتقاصه الافاضل غرضا * لانه من قوم فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا * لا خير فيه الا أنه لا يأثم له مغتاب * بل يحمد ويجازى بجزيل الثواب * لم يثلب وهو بهجر القول مغرم صب * ومن ذا يعض الكلب اذا عضه الكلب

ان تهجه تهج من فى الارض قاطبة * لانه من مياه الخلق قد جمعا

فان كان ذم الناس جل مناه * فما الناس الا هو لا سواه * لم تبقه لصحة مزاجه السنون * وانما ذلك لانه عافته المنون * وقد رفع عن هذه الامة المسخ فما باله عاد ممسوخا * وتناهى النسخ للشرع فما باله عاد بصدارته منسوخا * قاض لم يدرجه فما أحوجه الى الصك * وجوده غلط فى صحف الدهر مفتقر الى المحو والحك * نور به المانوية الكلام * على أن موجد الشر هو الظلام * والتناسخى البيان * على أن روح الحيوان تحل فى الانسان * فلو لم ينقرض نسل آدم * لما حكم هذا القرد فى العالم

فان لقبوه بالرئيس سفاهة * فان الخصى تدعى رئيسا من الاعضا

واذا كان من الدين * اعلان النصيحة لعامة المسلمين * فعليك بالرأى الاسد * فر من المجذوم فرارك من الاسد * لانه محروم مجذوم * ليس فيه من صفات العلماء الا أن لحمه مسموم * حمى الله مزاج العصر من سارى

قوله ازنى من ظلمة بالكسر والذى فى القاموس أقود من ظلمة وانظر قصتها فيه اه مصحح

مرضه * وصان جوهر هذا الدهر عن عرضه * وأنار بالزوال كسوفه وصرف بيد نقاد المنية زيوفه (والسلام)

(فصل) وقد أدى تصدر هذا وأمثاله الى اختلال فى الملك وفتن * وكان ما كان حتى تضعضع الزمان ووهن * وآل ذلك الى حصاد العلم والدين * وان ورد فى الحديث لا تكرهوا الفتن فان فيها حصاد المنافقين * فظهرت اشراط الساعه * وصارت كلمة الفحش والشح مطاعه * وفشا العجب والغرور * وتقدمت أطفال صدرتهم اعجازهم فى الصدور * واختلطت الاحساب والأنساب * وعمر ربوع المعالى ذوو العقول الخراب * ووسدت تكرمة الشرع للاطباء وأهل النجوم * وصاد الصقور الضارية الغراب والبوم * وصار شيخ السلوك طبيبا يحقن من أتاه * والطبيب شيخا يقرب من أتاه الى الله * وعلت الجند المنابر والكراسى * وقال العبد للحر رأسك كراسى * وولدت الامة ربتها * وحاضت الدولة بعد اليأس فقضت عدتها * وصار من فدى دينه * يعبد العجل الذى حرث فداد ينه * واستترت الأقطاب والأبدال والنجبا * واغترب أرباب العلماء واتخذوا سبيلهم فى البحر عجبا * واعتمد بقية منهم الى ركن شديد اليه آوى * وزكت القرود الشهود لما تولى القضاء ابن آوى

اذا ابتليت بسلطان يرى حسنا * عبادة العجل قدم نحوه العلفا

(عجيبة) لما نام الرأى والهوى يقظان * ووسد الأمر لغير أهله تصدر امرؤ رطب العجان

كالاقحوان غداة غب سمائه * جفت أعاليه وأسفله ندى

فولى ابنه قضاء التخت واذا انفتح الحانوت بان العطار من البيطار * وقال للملك اذا سأله عنه نعم القاضى قاضى جبول فانه من السادة الأخيار * وقد كانوا يشددون على القضاة فى اثبات غرة رمضان * ولا يبالون فى غيره بزيادة ولا نقصان * فلما هل شعبان وانقضى رجب * خالف المثل وقال فى شعبان ترى العجب * فامر الناس بالامساك والصيام * وقدم الغرة على المستهل بأيام * ولم يكتف بذلك حتى أثبت غرة رمضان * بشهود زور وبهتان * فحار الناس فى أمره * وسكتوا لخوفهم من شر أبيه ومكره *

فكتبت

فكتبت فى ذلك قصة رفعت للملك فى قصره وهى على لسان شهر رمضان

قصتى قد أتت اماماهماما * تشتكى الظلم حين صرت مضاما
رقعة فى يد الهلال طواها * ليراها المليك فى العز داما
أنا شوال الفقير الذى قد * خص بالعيد والصلاة مداما
بعد شهر الصيام قد زرت قوما * جائعا أبتغى لهم اكراما
ولى العيد حله وهلالى * لى طوق من فوق جيدى تسامى
رمضان اعتدى على وأمسى * سارقا ذاك لا يخاف ملاما
أتقاضى ما كان شعبان منه * سارقا فاعتدى على انتقاما
أختشى ذبحه بنصل هلالى * ثم سلخاله وتركى المقاما
ان دعوا الطول قيل ذا بركات * أنا شهر مبارك صرت عاما
غرقوا زورق الهلال بشهرى * وبحبر الدجا لقد كان عاما
لا تضيع حقى بشاهد زور * هو أعمى بصيرة أو تعامى
جبهة الشاهدا كوها فهو وسم * لكذوب عن زوره ما تحامى
ان كى الخسوف للشمس ظلم * وكذا الدهر لم يزل ظلاما
دمت فى مطلع السعادة بدرا * يمحق الظلم نوره والظلاما

وكتبت بعد هذا

ياسيدا أضحى الزما * ن بانسه منه ربيعا
أيام دهرك لم تزل * للناس أعيادا جميعا
حتى لأوشك بعدها * عيد الحقيقة أن يضيعا

أسبغ الله ظل الخلافة حتى يأوى اليها كل مظلوم * وينتصف هلال شوال من رمضان فيعطيه حقه وينقده دنانير النجوم * فان ما جرى عليه فى هذا العام * ما سمعت بمثله الليالى والأيام * ولكنه ما جار واعتدى * وانما القاضى المنقوص أتى ببدل غلط ظنه بدل بدا * وقد أساء عليه كما أساء ابن الرومى فى قوله لما ضل وما اهتدى

شهر الصيام وان عظمت حرمته * شهر طويل ثقيل الظل والحركه
يمشى الهوينا فأما حين يطلبنا * فلا السليك يدانيه ولا السلكه
كأنه طالب ثارا على فرس * أجد فى اثر مطلوب على رمكه

قوله على لسان شهر رمضان كذا فى النسخ والمذكور فى القصة ان المشتكى شهر شوال فتأمل اه مصحح

قوله قيل هو على حذف الفاء العاطفة التفسيرية لقوله دعوا بمعنى سمعوا يعرف هذا المعنى من قول ابن الرومى الآتى اه مصحح

أذمه غير وقت فيه أحمده * من العشاء الى أن تصدح الديكه
يا صدق من قال أيام مباركة * ان كان يكنى عن اسم الطول بالبركه
لو كان مولى وكنا كالعبيد له * لكان مولى بخيلا سيئ الملكه

ولبعض الظرفاء

أترى القاضى أعمى * أم تراه يتعامى
سرق العيد كأن العيد أموال اليتامى

(وقلت)

سرق النجم والهلال اناس * فشكى الناس فرط جور القضاة
رب سلم شمس النهار فان هم * سرقوها تتيه فى الظلمات

وكانت هذه سببا لهلاكه وهلاك أبيه * ووقع بعدها حريق اشتعل به الدهر وشابت نواصيه * وعم ذلك بيوت علمائها * فلم ينتبهوا من نوم الغفلة فى ظلمة بلائها * وكم قرع لهم الدهر العصا * وأمطرت السماء عليهم حجارة البلا * وصب عليهم ربهم سوط عذاب * فما رجع أحد منهم ولا تاب * كما قلت

لعمرك قد عم الحريق بلدة * بها علماء السوء والجهل أظلما
ومن مالك وافى رسول حريقهم * دعاهم الى نار الجحيم جهنما
فقال اقتلوها واقبضوا اجرة لها * فان هدمت يبنى الذى قد تهدما
فطالبهم خزانها بوقودها * وما صرفوه فى زمان تقدما
فقال لهم رأس الضلال ضمانه * عليهم وان الغرم قد صار مغنما
ومن كثرة الدين المحيط بمالهم * أباح رشا قد كان ربى حرما

(فصل) من طرف الأخبار * وتحف هذه الديار * التى لم ير مثلها أبو العجب وهو الفلك الدوار * ماجرى على النسب العلوى من البلية * وما عم من دخول أولاد النصارى فى فروع هذه الشجرة العلية * من كل مكروه غير مكره * أمه معرفة وأبوه نكره * غراب خرج من عش بلبل * علوى صح نسبه عن الدلدل * على انه وحرمة البيت لو صح هذا الشرف * لم يتم سرورى على هذا النسب الطاهر من الأسف * وكنت أتجاوز عن قولهم مولى القوم منهم * فاقول حمار القوم منهم * ولله در بشار فما أبصره مع

عماه * اذ قال فى دعى نسب ادعاه

ان عمرا فاعرفوه * عربى من زجاج
مظلم النسبة لا * يعرف الا بالسراج

(وله أيضا)

ارفق بنسبة عمرو حين تنسبه * فانه عربى من قوارير
مازال فى كير حداد يردده * حتى تداعى بناء مظلم النور

(وله أيضا)

هم قعدوا فانتقوا لهم حسبا * يدخل بعد العشاء فى العرب
حتى اذا ما الصباح لاح لهم * بين زيف لهم من الذهب
والناس قد أصبحوا صيارفة * أعلم شئ بزايف النسب

وأغرب ما فى هذا أن هذه الأنساب المجهولة * والدعاوى التى لا تقوم عليها أدلة مقبولة * كان منشأها من القرى * وقد قيل لأهلها اطرقوا كرا * ووظفت عليهم الوظائف السلطانية * وقد عم هذا سائر الناس الا العصابة العلية العلويه * فالهرب من هذه الغرامه * تعصبوا بهذه العصابة والعلامه * والعلامة شأن من لم يشهر * ونور النبوة يغنى الشريف عن الطراز الأخضر * وأكثر هؤلاء الاتراك لو طلب منهم الحسن والحسين درهما ما أعطوه وتبرأوا من نسبه * وقطعوا سببهم من سببه

وحق لمن قد صح تمييز عقله * اذا ما رأى الدينار أن يترك الفلسا

وقد جعلوا خضرة العمامه * علامة للسيادة المستلزمة للتقدم والامامه * وربما جعلوا فيها شطفه * تدل على أن فيهم من النبوة والرسالة نطفه * وقد يفرقون بين أولاد البنين والبنات * ولم يفهموا مشاركة حطب الأغصان لهم والنبات * ولم يدروا انه حجة للنواصب * وعدة لمصائب الدهر والنوائب

كان الله لم يخلقه الا * لتنعطف القلوب على يزيد

وقد قال أصحاب التواريخ ان أول حدوث هذه العلامة كان فى سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة بأمر الملك الأشرف بمصر أن يميز الأشراف عن الناس بعصائب خضر فى العمائم فقال فيه عبد الله بن جابر الاندلسى

جعلوا لأبناء الرسول علامة * ان العلامة شان من لم يشهر
نور النبوة فى كريم وجوههم * يغنى الشريف عن الطراز الاخضر

وقال شمس الدين بن المزين

أطراف تيجان أتت من سندس * خضر باعلام على الأشراف
والأشرف السلطان خصهم بها * شرفا ليمتازوا من الأطراف

وفى الطبقات الكبرى للامام السبكى ان من أئمة الشافعية أحمد بن عيسى شارح التنبيه استنبط من قوله تعالى يا أيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين ان مايفعله علماء هذا الزمان فى ملابسهم من سعة الاكمام والعمة ولبس الطيلسان حسن وان لم يفعله السلف لان فيه تميزا لهم وبذلك يعرفون فيلتفت الى فتاويهم وأقوالهم اه ومنه يعلم أن تميز الأشراف بعلامة آخر مشروع أيضا لما سمعته آنفا أقول فيه أمران الاول أن قولهم ان أول ماجعل لباس الاخضر شعارا للعلويين فى زمن الملك الأشرف يرد عليه مانقله السخاوى فى كتابه مناقب العباس من أن عليا الرضى بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد بن على زين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنه عهد له الخليفة العباسى وجعله ولى عهده بعده وبويع فغير لباس العباسيين وهو السواد بلبس الاخضر فساء ذلك العباسيين ولكنه عوجل فانه مات سنة ثلاث ومائتين فى حياة المأمون وعد ذلك من الألطاف لما فيه من سد باب الفتنة انتهى الثانى مانقل من أن زى العلماء والأشراف سنة رده ابن الحاج فى المدخل بأنه مخالف لزيهم فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم وزمن الخلفاء الراشدين ومن بعدهم من خير القرون فان قيل انهم به يعرفون قيل انهم لو بقوا على الزى الاول عرفوا به أيضا لمخالفته لما عليه غيرهم الآن وأطال فى انكار ماقالوه وقد يجاب عنه فتأمل فيه (تنبيه) العلامة التى توضع فى العمامة تسمى شطفة وهو لفظ محدث لم يذكره أهل اللغة وكأنه بمعنى خرقة صغيرة من قولهم فى شطف من العيش أى فى قلة وضيق فاعرفه فانى لم أر من تعرض له

(فصل) فى أمراء الدولة وحكامها * وما انتهى اليه حالها * فى عهد السلطان مراد فاعلم أن قسطنطينية بها حصون عالية البنيان * محفوفة

بالبساتين الزاهية والجنان * والحب ذو العصف والريحان * والأوصاف
التي تمزق برود الامكان * وقصور عالية البناء فيها الناس على مراتب الهمم *
مضمخة بعبير الثناء يفيض منها مياه الكرم * وتجعل بشائر البشر للجود أتم
سلم * وحولها أنهار جاريه * ومعادن بأنواع الجواهر حاليه * ذات
غور وأخاديد * وأرحام حامله أطفال الفلزات والمواليد * تنبت اللجين
والنضار * وتبعث خواتيم الله في أرضه لأخذ كل درهم ودينار * الا أن بها
أسدا ضاريا غير مقلم الأظفار * يمنع يد كل جان من قطف تلك الأزهار *
والتفكه بما في جنانها من لذيذ الثمار * ويحمي من تلك المساكن * من أن يحوم
حول جواهر المعادن * الا اذا عنت فرصة لبعض شطارها * على حين غفلة
من الاسد اذا ذهب لبعض أقطارها * اذا رام اقتناص الصيد أو ورد غير
أنهارها * فيختلس من تلك الجواهر * ويقتطف من أيادي الروض غض
الثمر والأزاهر * فبينما هم على تلك الحال * واقفين بين الآمال
والأهوال * رجفت الراجفه * وجاءت سحابة تسوقها ريح عاصفه *
فيها وعيد ووعود * غامرة بالبروق منادية بالرعود * فقدت ستائر السحاب
* وصبت على الأرض سوط عذاب * وظلت بالرعد صاعقه * ورمت
ذلك الضيغم بأعظم صاعقه * فانشبت المنية فيه أظفارها * وأخذت
الأيام منه ثارها * فلم يزل جاثما بغنائها * باركا في حومة فنائها *
والناس تهابه كلما عاينت جثته * وتهرب منه وتخاف سطوته * فلما رأوه
وقد طال جثومه وقعوده * طال انتظارهم لضيه اصيده وما كان يروده *
فدنوا منه قليلا قليلا * فلم يروا له حركة تنفرهم فدنوا منه فرأوه قتيلا * فجاسوا
خلال الديار * ووردوا الأنهار * واقتطفوا الزهور والثمار * وأخذوا
نفيس الجواهر والأحجار * ومكث شطارهم زمنا طويلا يأخذون
تلك المغانم * آمنين من بطش الأسود الضراغم * فلما علم ذلك من
بالحصن من دهماء الأراذل * لكثرة ترددهم آمنين في هاتيك المنازل *
خرجوا جميعا لتلك الرياض * واستولوا على البساتين والمعادن والغياض *
فاقتطفوا جميع أزهارها * وتجاوزوا عن اجتناء ثمارها لقطع أشجارها *
وكان ما كان * ان لم يدل على الحوادث ففيها النقصان * ولله الأمر

من قبل ومن بعد * واذا استولى النحس على قطرنى السعد * فما قام للدين عمود * ولا أخضرّ للايمان عود * فبدت أهوال المحشر * وقال قائلهم انما أكلت يوم أكل الثور الأحمر

من حلقت لحية جارله * فليسكب الماء على لحيته

ولما مرض التخث * وكان الطبيب يهوديا واليوم يوم سبت * قلت

عنك فؤادى وحقك ارتحلا * وكان بالقصر قبل ذا نزلا
ياعادلا عن رضاء خالقه * صدقت ان قلت انه عدلا
لست لعذل أصيخ مرتقبا * أن يسبق السيف عنده العذلا
فانه قد أتى به مثل * ولست ممن يكذب المثلا
سررت من دولة ظفرت بها * ومن سرور النفوس ماقتلا
مات مراد الورى ومالكهم * تبا لدهر بمثله بخلا
أبعده زهرة الحياة زهت * أو أثمرت فى رياضها أملا
قالوا الليالى حبلى فقلت لهم * قد وضعت بومة ببيت خلا
ما بال مولاى فى وزارته * يرفع فوق الافاضل السفلا
يأذن لى حاجب بسدته * وهو لباب الدخول قد قفلا
ولى انصراف عنه بلاسبب * خاله قد تكلف العللا
مودة تشتهى مزورة * عنها احتمى ذا المريض حين قلى
كم جنب كنت قبل تخدمه * عادته اليوم ما الذى فعلا
ان أجنب الملك اذ دعاك الى * خدمته هل أراه مغتسلا

ولما انتهت الرحله * وساق الأمل الى الوطن رحله * غفرت ما جناه على الزمان * وعلمت أن الدهر قدهم بالاحسان * وعملت بقول أبى العلاء المعرى أما فساد الزمان والناس فاحلف ما حلم الأديم * وان ذلك لداء قديم * والهرة بنت النمرة * والسمرة اخت السمرة * وبقول البديع لما شكى له ابن فارس فى رسالة له * الاستاذ يقول فسد الزمان وأنا أقول متى كان صالحا فى الدولة العباسية وقد رأينا آخرها * وسمعنا أولها * أم فى الدولة المروانية وفى أخبارها * لاتكسع الشول باغبارها * أم فى السنين الحربية والسيف يغمد فى الطلا * والرمح يركز فى الكلا * والحرتان وكربلا

أم فى الهاشمية والعشرة تراس * من بنى فراس * والامام والبعير فى الحجاز * والبعوث على الأعجاز * أم فى الامارة العدوية * وصاحبها يقول هل بعد الركوب الا النزول * أم فى الخلافة التيمية * وهو يقول طوبى لمن بات فى نأنأة الاسلام * أم على عهد الرسالة ويوم الفتح قيل اسكنى يافلانه * فقد ذهبت الامانه * أم فى الجاهلية ولبيد يقول

ذهب الذين يعاش فى أكنافهم * وبقيت فى خلف كجلد الأجرب

أم قبل ذلك وأخو عاد يقول

بلاد بها كنا ونحن من اهلها * اذ الناس ناس والزمان زمان

أم قبل ذلك وقد يروى عن آدم

تغيرت البلاد ومن عليها * فوجه الارض مغبر قبيح

أم قبل ذلك وقد قالت الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء * ما فسد الناس * وانما أطرد القياس * وما أظلمت الأيام * وانما امتد الظلام * وهل يفسد الشئ الا بعد الصلاح * ويمسى المرء الا عند الاصباح * وهذا مأخوذ من قول على كرم الله وجهه فى بعض خطبه أيها الذام للدنيا المغتر بغرورها * تذمها وأنت المتجرم عليها * أم هى المتجرمة عليك * متى استهوتك * أم متى غرتك * أبمصارع أبائك من البلى * أم بمضاجع امهاتك تحت الثرى * كم علّلت بكفيك * ومرضت بيديك * ان الدنيا دار صدق لمن صدقها * ودار عافية لمن فهم عنها * ودار غنى لمن تزود منها * ودار موعظة لمن اتعظ بها * مسجد عباد الله * ومهبط ملائكة الله * ومتجر أولياء الله * اكتسبوا فيها الرحمة * وربحوا بها الجنة * فمن ذا يذمها وقد آذنت ببينها * ونادت لفراقها * ونعت نفسها وأهلها * فمثلت لهم ببلائها البلى * وشوقتهم بسرورها الى السرور * وهى خطبة طويلة وقد حذا هذا الحذو صاحبنا الفاضل الكامل * جامع شمل الفضائل * القاضى أويس الرومى فانه لما ظهر الخوارج فى زمن السلطان أحمد سلاه كتب له رؤيا واقعة باللغة التركية ولكونها ليست على شرطنا تركناها (تنبيه) قولى مزورة هى اسم طعام يطبخ من غير لحم للمريض الذى يحتمى ولهذا تظرف كشاجم فى هجو من ادعى الشرف فقال

شيخ لنا من مشايخ الكوفه * نسبته للمريض موصوفه
لو مسخ الله تاســه غنما * لم يعط منها السائل صوفه

فقوله نسبته الخ كناية فيها نكايه

(سانحة) سميت هذه الرحلة ريحانة الندماء * وشمامة الادباء الظرفاء * وفاكهة الاعيان والفضلاء * لانى ذكرت فيها الأحباب ممن هو موجود فكأنى بذكره * أستنشق بالآذان طيب عطره * وممن هو مفقود فبالثناء عليه والدعاء كأنى أهدى له ريحانا * وأضع فى القلوب من طيب أحواله طيبا * لان قلوب الأحرار * قبور الأسرار * بل قبور الأخيار * لانهم سر من أسرار الله وفى كلام بعض الكبار اذا تحيرتم فى الامور * فاستعينوا باصحاب القبور * وليس بحديث كما زعمه ابن كمال باشا فى أربعينياته وفيها موضوعات اخر فلا تغفل عنه لجهلة الأروام وقد قال لى بعض من رأيتــه من أرباب الأحوال المراد بالقبور فيه القلوب لما مر وانما خصصتها بالريحانة لانها يشبه بها المحبوب وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم فى الحسن والحسين هما ريحانتاى وسأل أبرويز بعض ندمائه عن روائح الرياحين فقال رائحة النرجس كرائحة الشباب * ورائحة الورد كرائحة الأحباب * ورائحة الريحان كرائحة الأولاد * ورائحة المنثور كرائحة الأصدقاء * وانما خص هؤلاء بالريحان لان الله أنبته نباتا حسنا غضا طريا سريع الزوال ولا يتمتع به كغيره فاذن أقول (أمن ريحانة الداعى السميع) أو أقول قول محمد بن المعتدل

من يهد ريحانا فانى مهدى * ريحانة الحمد لأهل الحمد

أو كقوله

وريحان النبات يعيش يوما * وليس يموت ريحان المقال
فلا تك موثرا ريحان شم * على ريحان أسماع الرجال

(تتمة) لم يزل الناس على وضع الريحان ونحوه من الخضر على القبور وقد ورد هذا فى الحديث وفى الاشعار كقول العتبى فى مرثية ابن له

كان ريحانى فأمسى * وهو ريحان القبور
غرسته فى بساتين البلى أيدى الدهور

وعليه عمل الناس الى الآن حتى وقفوا لذلك أوقافا وأنكره ابن الحاج فى المدخل والخطابى فقال شق النبى صلى الله عليه وسلم له والقاؤه على القبر

وقوله لعله يخفف عنهما مالم ييبسا كما فى البخارى وغيره انما هو ببركة مس يده له وجعل بقاء الرطوبة حدا لما وقع به المسألة من تخفيف العذاب لان فى الجريد الرطب معنى ليس فى اليابس والعامة يفرشون الخوص على القبور فكأنهم ذهبوا الى هذا ليس له وجه انتهى ورده العلامة ابن حجر فى شرح البخارى فقال انه عليه الصلاة والسلام أخذ جريدة رطبة فشقها نصفين فغرز فى كل قبر واحدة الى آخره وأنكره الخطابى وغيره وقال انما هو ببركة يده أو لأمر مغيب علل فى قوله ليعذبان الى آخره ولا يلزم من كوننا لا نعلم تعذيبه وغيره انا لا نتسبب فى أمر يخفف عذابه كأن ندعو اله بالرحمة ولم يصرح فى الحديث بمسه له وقد تأسى به بريدة الصحابى فأوصى بوضع الجريد على قبره وهو أولى أن يتأسى به انتهى ولك أن تقول انه معقول المعنى أيضا ومما قلت فى هذا

غصن من الريحان رطب اذا * عاينته حزت نعيم الصفا
ولو على قبر امرء عاشق * مر لاضحى قائما واشتفى
كذا رطيب الغصن من غرسه * يرى عذاب القبر قد خففا

وأنشد ابن عربى فى المسامرة ما يدل لما قلناه وهو قوله

فى القبر أسرار يراها الذى * عنه غطاء الحسن مكشوف
عاينت قوما عذبوا فى الصدى * كان لهم نقص وتطفيف
فهل لغصن البان من غارس * بقبرهم اذ فيه تخفيف
مادام رطبا يانعا أخضرا * ولم يعم الغصن تجفيف
وفى تأسينا به عصمة * منجية منه وتشريف

وفى هذا تأييد لما قاله ابن حجر تغمده الله برحمته

(فصل) عزم عزمى على شد الرحال * وزم مطى الامانى والآمال * والهجرة عن مصر لما فقد فيها الدين والدنيا والكمال * فثبطنى قول عبد المحسن الصورى لاحمد الفخرى لما كتب اليه

اعبد المحسن المرجو لم قد * جثمت جثوم منهاض كسير
فان قلت العيالة أقعدتنى * على مضض وعاقت عن مسيرى
فهذا البحر يحمل هضب رضوى * ويستثنى بركن من ثبير
اذا استحيا أخوك ولا كظلما * فمثل أخيك موجود النظير
ففارقه لكى تلقى كريما * تزول بقربه احن الضمير

فما كل البرية من تراه * وما كل البلاد بلاد صور

(فاجابه)

جزاك الله عن ذا النصح خيرا * ولكن جاء فى الزمن الأخير
وقد حدت لى السبعون حدا * نهى عما أمرت من الامور
ومذ صارت نفوس الناس حولى * قصارا عدت بالأمل القصير

فقلت لما حل العقل مبرم عقاله * وقطع العزم شكالى أشكاله * لست برجل قصعة وثريد * ولا حلسا يمهد للعجائز والعبيد * وهذا رأى فطير * والارض واسعة ولست بعاجز ولا كسير * ومن النواسخ ليت ولعل * وكل كنتى يمل * وقد قلت

ترحلت عن أرض يهان بها العلا * فقالت أبعد الشيب تنأى عن الاهل
فقلت مشيبى موقد فوق هامتى * مشاعل أسفارى وقد قربت رحلى
فان خفت طعن السن فالطعن قاتل * لفقرى محى للمآثر والفضل

فستعلم النجائب انى على طى آفاته لجسور * وسيدرى الدهر انى على كثرة مكايده صبور * ألم تسمع قول البرقعى

رأت عزماتى وطول انكماشى * وطول التململ فوق الفراش
وقالت أراك أخا همة * ستبلغها فترى ذا انتعاش
فهلا أقمت ولم تغترب * فقلت القناعة طبع المواشى

(فصل) لما بنى بهذه الدولة المدارس الجليلة * ورتبت الوظائف والعوائد الجميلة * ليرتفع منار العلم والدين * وتشرق شمس الفضل من مطالع اليقين * قالت الدنيا الدنيه * عكس القضية قضيه * فكان ذلك سبب اندراس معالم العلوم * ومحو آثار اطلالها والرسوم * ودروس الدروس * وتقدم الجهلة بشفاعة الرهبان والقسوس * حتى آلت الى الاطفال والعبيد * لما انتصب للتميز كل جبار عنيد * حتى تولى قضاء العسكرين بعض العلوج * وقام على رؤس الرؤس الموالى والزنوج

ولو كان عبد الله مولى هجوته * ولكن عبد الله مولى مواليا

فكان اذا مر فى الطرقات قالوا عبد لبس ثياب مولاه * فلو رآه مولاه أوجعه سبا ونفاه * فتذكرت بهذا قول على بن محمد يهجو العباس بن الحسن

لما تولى الوزاره

وزارة العباس من نحسها * تستقلع الدولة من اسها
شبهته حين بدا مقبلا * فى خلع تخجل من ابسها
جارية الكسوة قد قدرت * ثياب مولاها على نفسها

وفى تاريخ الاندلس فى اختلال دولة المنصور بن أبى عامر وقد تربص اعداؤه فى كل مركز أن تدور عليه الدوائر * وظل سعده مقعدا بعدما كان المثل السائر * ان بعض الشعراء هجا دولته وجدها المدبر عاثر * فقال

اقترب الوعد وحان الهلاك * وكل ما تحذره قد أتاك
خليفة يلعب فى مكتب * وامه حبلى وقاض ينـاك

حتى آلت الخلافة الى ببغاء فى قفص * اذا رأى نقد الرشا نهق ورقص * ولم يدر انه من بنى اساس داره أعلاه * قصارى قصره أن يهوى به فى الهاوية مابناه * حتى تجبر وطغا * وقال أنا ربكم الاعلى * فأهلكه الله أشد الهلاك * وأنزله الى حضيض المذلة بعد ماسما السماك * ورد غربته فى دنياه * الى الهاوية التى هى مقره ومأواه * وخذل من كان اغواه * كما قلت

ياعلماء السوء لى مشكل * بقادح الاحزان يرديني
مالذة الكفر فترضونه * لاجل شهوات الشياطين
وغربة الدين كما قد بدا * وفقده الآن يعنينى
ومدة المفقود قد كملت * فرحمة الله على الدين

ونقلت من خط خاتمة العلماء الأعلام نور الدين العسيلى مما أنشدنيه غير واحد من أعيان الفضلاء وفضلاء الأعيان * قصيدة واحد الزمان انسان العين وعين الانسان * خاتمة المحققين * ومسك ختام المدققين * مولانا خوجا چلبى افندى مفتى الممالك الرومية * وقاضى العساكر الاسلامية * المترجم من قبل استاذنا جوهر الكمال المكنون * وعالم الربع المسكون * العلامة شمس الدين محمد المقوسى التونسى بسماعى منه غير مرة بما لفظه * ما أحسب أن بعد السيد الجرجانى مثله * وناهيك بمثل هذا التقريظ الغالى * من مثل هذا الجناب العالى * ولعمرى انه بمثل ذلك لجدير * وانه على ذلك لقدير * وهذه الميمية من أدل دليل على صحة هذا المدعى * وأوضح سبيل لسلوك هذا المبتغى * اذ مثل

هذا النفس الذى لووقع لمثل المتنبى لاقر الناس بعجزنه * أو لابى تمام ما أمكن لحاسديه الحاق النقص برتبته * أو للبحترى لتبصر الاعمى خطأه من وسم شعره بعبث الوليد * ولما عده غير لبيد * أو لو أخطأه عبيد * لما عد مع حر الكلام الامع العبيد * خصوصا من لم يسلك ديار العرب * ولا أظله بيت شعر ولا شرق ولا غرب * ولا مضغ شيحها وقيصومها * ولا اجتنى أراكها وتنومها * أوضح برهان على رسوخ القدم فى فنون الأدب * وابين تبيان على بذل الجد والدأب * حتى انقاد الابى * ودنى القصى * وأطاع العصى

وليس على الله بمستنكر * أن يجمع العالم فى واحد

وهذه الميمية المشار اليها

أبعد سليمى مطلب ومرام * وغير هواها لوعة وغرام
وفوق حماها ملجأ ومثابة * ودون ذراها موقف ومقام
وهيهات أن يثنى الى غير بابها * عنان المطايا أو يشد حزام
هى الغاية القصوى فان فات نيلها * فكل من الدنيا على حرام
سلا النفس عنها واطمأنت لنأيها * سلو رضيع قد عراه فطام
وصب سقاه الدهر سلوان رشده * فأمسى وما فى القلب منه هيام
صحا عن سلاف الغى بعد انهماكه * عليه فبان الكأس عنه وجام
محوت نقوش الجاه عن لوح خاطرى * فأضحى كأن لم يجر فيه قلام
كدأب ديار قد عفتها يد البلى * فلم يبق فيها أرسم وعلام
نسيت أساطير الفخار كأنها * حديث ليال قد محاه عيام
أنست ببلأواء الزمان وذله * فيا عزة الدنيا عليك سلام
الى كم أعانى تيهها ودلالها * ألم يأن عنها سلوة وسآم
وقد أخلق الأيام خلعة حسنها * فأضحت وديباج البهاء رمام
على حين شيب قد ألم بمفرقى * وعاد دهام الشعر وهو ثغام
طلائع ضعف قد أغارت على القوى * وثار بميدان المزاج قتام
فلا هى فى برج الجمال مقيمة * ولا أنا فى عهد المجون مدام
تقطعت الاسباب بينى وبينها * ولم يبق فينا نسبة ولثام
وعادت قلوص العزم عنها كليلة * وقد جب منها غارب وسنام

كأنى بها والقلب زمت ركابه * وقوض أبيات له وخيام
وسيقت الى دار الخمول حموله * يحن اليها والدموع رهام
حنين عجول غرّها البوّ فانثنت * اليه وفيها أنة وبغام
وما مستهام تاه فى تيه حيرة * فلم يستبن خلف له وامام
غريب عن الأوطان ناء عن الورى * مباءته عرض الفلا واكام
يروح ويغدو فى دموع وغصة * وليس سواها مشرب وطعام
بأقطع حالا منه ان بلاءه * عظيم جسيم لا يطاق عقام
يسيح بتيماء التحير مفردا * ولى مع صحبى عشرة وندام
اعاشرهم والقلب ليس بحاضر * وهل هو الا محنة وغرام
فكم عشرة ما أورثت غير عبرة * ورب كلام فى القلوب كلام
لقد تمت ازمان المسرة وانقضت * لكل زمان غاية وتمام
فسرعان ما زالت وولت وليتها * تدوم ولكن ما لهن دوام
عصور واحقاب تمر وتنقضى * وليس لها فى الانقضاء نظام
دهور تقضت بالمسرة ساعة * وان تولى بالمساءة عام
فلله در الغم حيث أمدنى * بطول حياتى والغموم سمام
أرى عمر نوح كل آن يمر بى * وما حام حول ذاك وسام
فعاشت لا أنسى حقوق صنيعه * وهيهات أن ينسى لدى ذمام
كما اعتاد أبناء الزمان وأجمعت * عليه فئام اثر ذاك فئام
تبدلت الأوطار وانحل عقدها * وزال عن ادوار الزمان نظام
وراح عن الأيام نور ورونق * وطبق أكناف البلاد ظلام
خبت نار أعلام المعارف والهدى * وشب لنيران الضلال ضرام
وكان سريرالعلم صرحا ممردا * يناغى القباب السبع وهى عظام
متينا رفيعا لا يطار غرابه * عزيزا منيعا لا يكاد يرام
مهيبا ويحمى للحريم وأهله * أعزة أهل العالمين فخام
محط رحال للأجلة قبلة * لكل امام يقتديه امام
مطافا لأرباب الفضائل والعلا * فهم جثوم حوله وقيام
يلوح سنا برق الهدى من بروجه * كبرق بدا بين السحاب بشام

له شرف قد جل عن أن يناله * غوائل أيدى الحادثات قدام
فخرت عليه الراسيات ذيولها * فخرت عروش منه ثم دعام
محى الذاريات الهوج آيات حسنه * فلم يبق منها آية ووسام
وسيق الى دار المهانة أهله * مساق أسير لا يزال يضام
كذا تحكم الأيام بين الورى على * طرائق منها جائر وقوام
فما كل قيل قيل علم وحكمة * وما كل أفراد الحديد حسام
فللدهر تارات تمر على الورى * نعيم وبوس صحة وسقام
ومن يك فى الدنيا فلا يعتبنها * فليس عليها معتب وملام
أجدك ما الدنيا وماذا متاعها * وماذا الذى تبغيه وهو حطام
وما هى الا زحمة ومشقة * ولم يرفيها راحة وجمام
تشكل فيها كل شئ بشكل ما * يعانده والناس عنه نيام
فعز بهون والهوان بعزة * تنبه فما تبك الحياة منام
وجانب عن اللذات واهجر زلالها * وأيقن بأن الرى منه أوام
يرى النقص فى زى الكمال كأنما * على رأس ربات الجمال عمام
ولو زاحت استار الحقائق لانجلت * لديهم كنور أبرزته كمام
وظلوا حيارى قارعى سن نادم * على ما مضى والغافلون ندام
فما كان فيها غب مامر وانقضى * حلوم أراها للنيام نيام
وما هو عند السالكين الى الهدى * حقيقا بأن يلوى اليه زمام
فدعها وما فيها هنيئا لأهلها * ولا يك فيها رغبة وسوام
يعاف العرانين السماط على الطوى * اذا ما تصدى للطعام طغام
على انها لا يستطاع منالها * لما ليس فيها عروة وعصام
ولو أنت تسعى اثرها ألف حجة * وقد جاوز الطبيين منك حزام
رجعت وقد ضلت مساعيك كلها * بخفى حنين لا تزال تلام
هب ان مقاليد الامور ملكتها * ودانت لك الدنيا وأنت همام
جبيت خراج الخافقين بسطوة * وفزت بما لم يستطعه امام
وتمتعت باللذات دهرا بغبطة * أليس بحتم بعد ذاك حمام
فبين البرايا والخلود تباين * وبين المنايا والنفوس لزام

قضية انقياد الأنام لحكمها * وما حاد عنها سيد وغلام
ضرورية تقضي العقول بصدقها * سل ان كان فيها مرية وخصام
سل الارض عن حال الملوك التي خلت * لهم فوق فرق الفرقدين مقام
أساطين معروفون في كل مشهد * صناديد عز حاكمون كرام
مشاهير في الآفاق شرقا ومغربا * يشير اليهم حاجب وبنام
بأبوابهم للوافدين تراكم * بأعتابهم للعاكفين زحام
لديهم الوف من خميس عرمرم * له شوكة تسبي النهى وعرام
ترد عيون الناظرين كليلة * وان كان فيها حدة وزعام
فهل هم على ماهم عليه وحولهم * من العز جند محضرون لهام
ومابال ذي الأوتاد ماخطب قومه * وما صنعت عاد وأين ارام
وماشاد شداد فهل هو خالد * بجنته والعيش منه مدام
وطف ببلاد خف عنها قطينها * فأوطانها بوم يصيح وهام
وناد قصورا قد عفت غرفاتها * كأن بقايا رسمهن رجام
تجيبك عن اسرار الشؤون التي جرت * عليهم جوابا ليس فيه كلام
بأن المنايا أقصدتهم نبالها * وماطاش مرميا لهن سهام
فسيقوا مساق الغابرين الى الردى * فاقفر عنهم منزل ومقام
وحلوا محلا غير مايعهدونه * وليس لهم حتى القيام قيام
ألم بهم ريب المنون فغالهم * فهم تحت أطباق الرغام رغام
وأمسوا أحاديثا وأصبح ملكهم * هباء وباد التاج ثم وهام
فسبحان رب العرش ليس لملكه * تناه وحد مبدأ وختام

*(بيان حالي في خبر المبتدا * وسبب اقتدائي بالهجرة النبوية وماعدا فيما بدا)*

سألتني أعزك الله عن ابتداء حالي * ومآل اليه أمري مما لم يجر على أمثالي * ولولا الالحاح في طلب الجواب * لما كان لهذه الجملة محل من الاعراب * فها أنا رافع اليك القصه * ومسيغ بماء البشر هذه الغصه * ولابد من شكوى الى ذي مروءة * يواسيك أويسليك أويتوجع
فقد كنت بعد سن التمييز * في مغرس طيب النبات عزيز * في حجر والدي * متعاهدا خاطر طريفي وتالدي * مربي بغذاء على الظاهر والباطن *

فى النعيم المقيم بأرفع المساكن * ومقام والدى غنى عن المدح * والورق بأوكارها لا تعلم الصدح * فلما درجت من عشى قرأت على خالى سيبويه زمانه علوم العربية فجثوت بين يديه على الركب * ونافست اخوانى فى الجد والطلب * ثم ترقيت فقرأت المعانى والمنطق وبقية علوم الأدب الاثنى عشر ونظرت كتب المذهبين * مذهب أبى حنيفة والشافعى مؤسسا على الأصلين * من مشايخ العصر * متنزها فى حدائق السحر * موشحا الادابى بحلل النظم والنثر

فلولا الشعر بالعلماء يزرى * لكنت الآن أشعر من لبيد

أشياخ المؤلف

ومن أجل من أخذت عنه شيخ الاسلام ابن شيخ الاسلام الشمس الرملى حضرت دروسه الفرعية وقرأت عليه شيأ من مسلم فأجازنى بذلك وبجميع مؤلفاته ومروياته بروايته عن شيخ الاسلام القاضى زكريا الانصارى وعن والده وجلالة قدره أشهر من الشمس كما قلت فيه

فضائله عد الرمال ومن يكن * ليحصر معشار الذى فيه من فضل
فقل لفتى قد رام احصاء مجده * تربت استرح من جهد عدك للرمل

ومنهم شافعى زمانه القطب العارف بالله تعالى الشيخ نور الدين الزيادى زاد الله حسناته حضرت دروسه زمانا طويلا وهو كما قلت فيه

لنور الدين فضل ليس يخفى * تضىء به الليالى المدلهمه
يريد الحاسدون ليطفئوه * ويأبى الله الا أن يتمه

ومنهم العلامة فى سائر الفنون على بن غانم المقدسى الحنفى حضرت دروسه وقرأت عليه الحديث وكتب لى اجازة بخطه ومنهم العلامة الفهامة خاتمة حفاظ المحدثين ابراهيم العلقمى قرأت عليه الشفاء بتمامه وأجازنى به وبغيره وشملنى نظره وبركة دعائه لى وغير ذلك مما لا يعد وممن أخذت عنه الأدب والشعر شيخنا العلامة أحمد العلقمى والعلامة محمد الصالحى الشامى والعناياتى وممن أخذت عنه العروض الشيخ محمد المغربى المعروف بركروك وممن أخذت عنه الطب الشيخ داود البصير ثم ارتحلت مع والدى للحرمين الشريفين وقرأت ثمة على الشيخ على بن جار الله وعلى حفيد العصام وغيره ثم ارتحلت الى القسطنطينية فتشرفت بمن فيها من الفضلاء والمصنفين

واستفدت منهم وتخرجت عليهم وهى اذذاك مشحونة بالفضلاء الاذكياء كابن عبد الغنى ومصطفى بن عربى والحبر داود وهو ممن أخذت عنه الرياضات وقرأت عليه أقليدس وغيره وأجلهم اذذاك استاذى سعد الملة والدين ابن حسن ولما توفى قام مقامه صنع الله ثم ولداه ثم انقرضوا الى مدة يسيرة فلم يبق بها عين ولا أثر وصار الدين ملعبة وسخرية وآل الأمر الى اجتراء السلاطين والوزراء بقتل العلماء واهانتهم ولما عدت اليها ثانيا بعد ما توليت قضاء العساكر بمصر رأيت تفاقم الأمر وغلبة الجهل فذكرت ذلك للوزير ظنا بأن النصح يفيد فاذا هو كما قيل

هو الوزير ولا أزر يشد به * مثل العروض له بحر بلا ماء

فكان ذلك سببا لعزلى وأمرى بالخروج من تلك المدينة واظهار العداوة ممن هو فى زى العلماء مع انه لم يبق بها أحد يحسن قراءة الفاتحة وفى اثناء ذلك بعد ان من الله تعالى على بالسلامة من كيدهم ومكرهم كتبت رسالة لبعض رؤسائها وهذه صورتها

رأيت الدهر يرفع كل وغد * ويخفض كل ذى شيم شريفه
كمثل البحر يغرق فيه حى * ولا ينفك تطفو فيه جيفه
أو الميزان يخفض كل واف * ويرفع كل ذى زنة خفيفه

الحمد لله الذى جعل الدنيا الخافضة الرافعة للسفل الأنذال * لا تستقر على حال فتسلم من الفناء والزوال * والصلاة والسلام على من لم يرض بشئ منها يصطفيه * وعلى آله وصحبه الذين اقتدوا به فى كل ما يرتضيه * وقد قيل ان الدهر معلم اذا لم يتعلم منه عقب * واذا تعلم أدب وهذب * ولم نر معلما أحسن تعليما من زمان * ولا متعلما أسوء تعلما من انسان * وكم أدبنى وقرع لى العصا * فغشنى رائد الأمل وعصى * وانسانى عظته أمراض لا تحس * وعلل نبضها ببنان البيان لا يجس * حتى لزمت حمية الحمية * ولا زمت الازم عن ذوق نعمها الشهية * ولكل شئ حمية فحسن الاعتقاد حمية الجنان * ولزوم الصمت حمية اللسان * كما أن التوقى من الطعام والشراب حمية الأبدان * فان أكثر العلل والأوصاب * يكون من الطعام والشراب

ومن يلق ما لاقيت فى كل مجتنى * من الشوك يزهد فى الثمار الاطائب

والاخدان والخلان * وان كانوا فاكهة الزمان * فهى سريعة الاستحاله * شديدة الضرر لامحاله * ومما يعين على الداء * الذى لا ينفع معه الدواء * البعد عن الارض الوخيم الهواء * كالمدينة البخراء * معدن البلاء والاسواء * وكم كنت أتمنى البعد عنها * وأود الخلاص من أهلها ومنها * حتى اتصلت بمولى أمتن بالحرمان * وقد كان الناس يمنون بروائع الاحسان * فعاقبنى بالبعد عن سدته * ولم يدر أن من أعظم المنن عدم رؤيته * ولم أر مثلى ومثله الامثل اعرابى بواسط بال فيها * فحبسه لذلك الحجاج مع مجرميها * فلما انطلق خرج منها وقال بديها

اذا نحن جاوزنا مدينة واسط * خرئنا وبلنا لا نخاف عقابا

ومؤمل النفع من اللئام * كزارع السمسم فى الحمام * وكنت منتفعا من دولته انتفاع ناكح عروس فى الأحلام * هب من نومه بجنابة واجرة الحمام * فكأنى لم أسمع قول القائل

اذا ما الليالى جاورتك بناقص * وقدرك مرفوع فعنه تحوّل

ألم تر ما لاقاه فى جنب جاره * كبير اناس فى بجاد مزمل

فكما أن الكامل بصحبة الناقص ينقص (بجيرانها تغلوا الديار وترخص) ولكن الذى غر آمالى * فى الترقى والصعود لرتب المعالى * ما عهدناه من الشرف الباذخ فى صميم الموالى * من كل صحيح النسب * فسيح الأدب * من أى أقطاره أتيت انثنى اليك بكرم المقال * وحسن الفعال

جميل المحيا والفعال كأنما * تمتنه أم المجد لما تمخضت

من ركب مطايا الأمل لشكره * رأى وراءه حاديا من بره * ظاهر الفضل والآداب * سالم من دنس الجهل ووسخ الاحساب * وقد كان هذا اذا أوعد * وقعقع سنه وأبرق وأرعد * أقول برق خلب و(سحابة صيف عن قريب تقشع) وما كل ذنب تسمع اعذاره * ولا كل مجنون تصيب أحجاره * وان كان قيل

واذا ما المجنون قال سأرميـ * ـك فهى للرأس منك عصابه

وقد سمع النحاة الأوائل * يقولون اذا اجتمع فى لفظ عاقل وغير عاقل غلب العاقل * فانتقضت الأحكام * حتى فى الكلام

وتغلب غير العقلاء من الجهله * وارتفع العدل مع السلسله * وعلا قطاع الطريق * وملك السيد الرفيق * وصار الرعاة ذئابا * والغنم والشياه كلابا * وقد كان بعض الحكماء قال لسلطان لو جعلت حكماءك وزراءك ووزراءك حكماءك أصبت لان حكماءك يحكمون القتل ووزراءك لا يقدرون على ذلك وبرأى هذا الحكيم عمل الناس الآن فجعل المنجمون والحكماء حكام شريعة المصطفى * وطرد رئيسهم العلماء ونفى *

انفوا المؤذن من بلادكم * ان كان ينفى كل من صدقا

فصار المدعى ينظر فى قارورته فان صفت قبل قوله * وقيل ان القول الأصح فى مسألة الخنثى أن يحكم بوله * وكان الشاهد يسأل عن الصلاة والقنوت والواجبات * فصار يسأل عن القضايا والمختلطات * فاذا زكى امرؤ بدعوة الجن * سئل عنه من الجن والبن * وكان الامتحان من كتب التفسير وشروح الهداية * فصار بالزايرجة السبتية ونقاية الحكيم الكندى للغواية * وكان القانون يرجع فيه الى الطغراى مغنيه * فصار أمره لكل بناء وغواص سفيه * وقيل لمن قرأ عيون الحقائق * فى صنعة الدلء والطرائق * محقق أدرك السلف * ومسخ الله به علم الخلف * ونقب لهسد يأجوج ومأجوج * فقرأ فى داخله على الأكراد والزنوج * فنقض القواعد * وجدد رسوم الأوابد * وكذب أهل المعانى فى أن الصدق مطابقة الاعتقاد أو الواقع * وقال هو مطابقة النفاق ورأى الأمر القاطع * وعاب قصائد امرئ القيس * وجهل فى النجوم بطليموس * وفى مجربات الطب جالينوس * وقال بالشعوبيه * وفضل اللغة النبطية على العربيه * وزهد فى الحسن البصرى والابدال السائحين بالباديه * وقال لو كانت رابعة زوجتى طلقتها ثلاثا ولم أرضها جاريه * وجدد رصد الطعام بالديوان * وبنى مدرسة ينكح فيها الغلمان * وقال الدرس العام * لا يعرفه غير العوام * وشرح ديوان المتنبى باعجاز اللغة الكرديه * وشرح لطافة اللغة الفارسية بالنوبيه * وزاد فى اشكال اقليدس على الشكل الحمارى الشكل البغلى * وصحح نسب السادات بالانتهاء للدلدل لا لعلى * وزاد فى براهين المجسطى وعلم المناظر والمرايا * وزاد زاوية رابعة وكم خبايا فى الزوايا *

وادعى أن الجذر الأصم منطق * وقال الارثماطيقى ومساحة جغرافيا حساب يستخرج من الزئبق * وحكمة الاشراق وهيئات افلاطون والمريخ تؤخذ من كتاب سيبويه وخاطريات ابن جنى ومقتضب المبرد وزاد فى العروض ضروبا وأعاريض لم يعرفها الخليل وحكم فى المسألة الزنبورية بين سيبويه والكسائى فطرد نحلها * وفرق على الاكراد عسلها * وسأل عن مسألة الكحل العميان * وسأل عن المناسخة وطرقها الثلاث حسان * وفضل الصحابة بقول الحجاج * وقرأ تهذيب المنطق على العجاج * وخطأ الاطباء فقال اذا مرضت الامعاء السبعة يحقن الغلام * كما انه اذا اضرط المقتدى فسدت صلاة الامام * وقال ما يسر الله هذا كله الا ببقاء المولى أطال الله عمره * وبنى نهيه وأعرب أمره * وطلب من عزرائيل حجة شرعية * على طول الأجل ودين المنيه * فعجز عن الاثبات وقال له انك من المنظرين * فعمل له دعوة وضيافة قرب له فيها أرواح الضعفاء والمساكين * فحمده على ما أولاه * ومدحه على أن خلصه من تعبه وعناه * وأنشده

قد شاب رأس الزمان واكتهل الدّهر وأثواب عمره جدد
فقل له ان رأيت طلعته * قد ضج من طول عمرك الأبد
يا بكر حواء كم تعيش وكم * تسحب ذيل الحياة يا لبد
قد أصبحت دار آدم خربة * وأنت فيها كأنك الوتد
تسأل غربانها اذا نعبت * كيف يكون الصداع والرمد

وجاءته ملائكة العذاب * وقالت له استرحنا وأغلقنا الأبواب * وأنشدته

معمر كأنه * صالح صرف النوب
قد انقضى الدهر وما * كان به من عجب
فالناس جسم واحد * وأنت عجب الذنب

ثم جاءه الملكان * وقالا له أنت دليل من قال بقدم الزمان * وقالا لا كور بعد الحور * تحكم بصحة التسلسل والدور * فالحمد لله الذى حمانا من سؤالك * وأقر أعيننا بسماع شعرك وضروب أمثالك * وأنشداه قول الخوارزمى

لم أره الا خشيت الردى * وقلت يا روح عليك السلام

يبقى ويفنى الناس من شؤمه * قوموا انظروا كيف تموت الكرام
كيف نراه سالما بيننا * يا ملك الموت الى كم تنام

فقلت له ليس بطول الاعمار * يتم الشرف والافتخار * فقد سمعنا عن سادة الناس وأوائلها * نجاح الامور وسعادتها بأوائلها * وفى امثال العامة ليلة العيد من العصر ما تخفى واليوم المبارك من أوله يبين والديك الفصيح * من البيضة يصيح * قال باهل

اذا بلغ الفتى عشرين عاما * ولم يفخر فليس له افتخار

فدع الجدال * وكثرة القيل والقال * فان حياة الفاجر فضيحة الدهر * وعاق الغثاء غير ضائر للنهر * ولكل حزن سهل * ولكل أحمد أبو جهل * وما كنت أظن الشمس تخفى * وان مثلي ينفى * ويهان ويجفى * حتى تجاوز الدهر الحد * وتمم تعريفى بالعكس والطرد * فبعدا وسحقا * لدار لا أجد فيها للمعالى طرقا * ولا يلمع فيها جوها للفضل برقا

وكل امرء يولى الجميل محبب * وكل مكان ينبت العز طيب

وقد ما قيل الرفيق قبل الطريق والجار ثم الدار ولذا قالت آسية رب ابن لى عندك بيتا فى الجنه * فقدمت عندك لهذه المنه * وقال صلى الله عليه وسلم اذ رأى الدار الآخرة به أولى * اللهم فى الرفيق الاعلى * فطاب الرفيق فى الجنان * فانما الدار بالسكان * ثم بعد السكان بالجيران

وليس بعار ان أهان وانما على الدهر عارى والعلا والمناصب
ولا خير فى دار مهان كريمها * ولم يرعونا من خليل وصاحب
بها الاسد الضرغام فى غابه اختشي * كلابا قد اعتادت بصيد الثعالب

(تمت الرسالة)

مؤلفات المصنف

وها أنا اتمم الجواب فان أردت مالى من المآثر فن تأليفى الرسائل الاربعون وحاشية تفسير القاضى فى مجلدات وحاشية شرح الفرائض وشرح الدرة وطراز المجالس وحديقة السحر وكتاب السوانح والرحلة وحواشى الرضي والجامي وشرح الشفاء وغير ذلك ولى من النظم ما هو مسطور فى ديوانى فلا حاجة لذكره وقد مر منه كثير فى هذا الكتاب ومن المنثور رسائل ومكاتيب لم أجمعها وها أنا أذكر لك منها هنا الفصول القصار والمقامة الرومية التى ذكرت فيها أحوال أهل الروم وعلمائها وهي هذه.

المقامة الرومية

أنبأنا النعمان بن ماء السماء عن شقيق * وقد نظمني واياه سلك المحجة بوادي العقيق * قال خرجت مختبطا ورق الكرم * وقد صوّح ربيع الآمال والهمم * حتى عز الحطيم * ورعى الهشيم * فطوحتني الطوائح بأرجوحة الاماني * وهزتني الاشعبية الى ماجد يبارز الزمن الجاني * سمح السجية بسام العشيات * رحب النادي اذا ضاق لبب العيش والتقت حلقتا المليات * جناه ليد الأمل داني * اذا اقتطف ثمر اللهو وريحان التهاني * نزهة النفس * وشمامة الأنس * تعصر من شمائله شمول الفرح * على رغم انف الابريق والقدح * فما روض الجمال الرائع * وماورد الخدود في أكمام البراقع * وماجآذر الاعاريب * وشمس الحسن في سحب الجلابيب

ولقد دعوت ندا الكرام فلم يجب * فلأشكرن ندا أجاب ومادعي

فلم أزل أدأب في الاسآد والاعناق * وأقلد خلافة الخضر ومساحة الآفاق * ولا أبرح في ملاعب الفضاء * كرة لصولجان القدر والقضاء

يخيل لي أن البلاد مسامع * وأني فيها ما تقول العواذل

أقدح بيد الجياد زند عزم واري * وأذرع شقة المهامه بأيدي المهاري * أتلفع برود الأسحار والاصائل * واشمر عن ساق الجد لخوض بحر دجى ماله غير الفجر ساحل * على أن يفتح عينه عما تثني عليه الحقائب * ويتبسم فم الافق عن صبح وعد صادق أو كاذب

قيل لي ترضا بوعد كاذب * قلت ان لم يك شحم فخرق

ولما بعدت شقة الالتماس * وعميت عيون الاخبار تابعت جواسيس الحواس * تقفوا أثر بريد الانتظار فاتى جهينة خبرها بعد حين * من سبأ بنبأ يقين * رافعا عقيرة نذير عريان * ساحبا ذيلي برد وحرمان * صائحا ارتحلت الاظعان * وأقفرت الديار من السكان والجيران * والكرم أفل نجمه * وركدت ريحه وقل عزمه * وتضعضع ركنه * فما ثم انيس * ولا اليعافير ولا العيس * ولم يبق من أثافيها * الا ثلاث نقط يشكل الشك فيها

خلت الديار فلا كريم يرتجى * منه النوال ولا مليح يعشق

فخلانا عقدة الحزم بأضراس الندم عن الجياد * واستطينا غارب العزم ومالنا غير المنى ماء وزاد * ما بين ثمل من خمر السرى * وراكع وساجد في تهجد البكرى * مختبر بمسبار عصا التسيار غور الاطلال والرسوم * حتى حطت رحال الترحال بقسطنطينية الروم * لما قالوا جاور ملكا أو بحرا * وهما ما خبرا وخبرا * والبحر قدمد لعناقها ساعديه * والأمواج تقبل الارض بين يديه * فاسمت في رياضها سوامى النظر * واجلت في حلبة الذهن قداح الفكر * فاذا هي جنة ملئت بالحور والولدان * وحفت بالشهوات اذ حفت بالمكاره الجنان * من كل شادن سرق التفاته الغزال * وتسلات لترى اطفه الصبا والشمال * لولا خوف الوشاة والعدا * تساقطت القبل على ورد خده سقوط الندا * جرى فيه ماء النعيم والهيف * وحار فيه الرأى فلو رآه سيل تلعة لوقف * فاق ذكاء سنا وسناء * فلو حاكته حازت الشرف صيفا وشتاء * اذا جاده صيب الحياء والخجل * أنبت وردا يجتنى بأنامل أهداب المقل * في كتيبة حسن ان غزا القلوب كمينها * (هزوا القدود وارهفوا الاجفانا) وان هجمت على الصب عيونها * (فاطلب لنفسك ان قدرت أمانا) يوسف حسن ودلال * ليس له أخ يحسده على الجمال

ما قدّ فيه القميص من دبر * بل قدّ فيه الفؤاد من قبل
ان قطع النسوة الاكف فقد * قطع قلبي بطرفه الكحلي

يستعير منه الورد خدا استعارة مرشحة بالندا * والسيف منه فتكا استعارة مجردة للردى * ومن وراء تلك الظباء العين * ملائكة من الكرام الكاتبين * غاليتهم المداد * وعبير نشرهم يفوح على جمر الذكاء الوقاد * اذا راشوا بالبنان سهام اليراعه * أصابت قراطيس البلاغة والبراعه * واذا افتخرت الرماح السمهريه * انتسبت الى أقلامهم السمر فكانت خطيه وفرسان هم احلاس الجياد * وغصون رباها اذا حمى وطيس الجلاد * كم ولجوا لجج الغمرات على زوارق سروج السوابح * التي هي قيد أوابد البوارح والسوانح * سيل ينحط من صبب * سيفه العنان وقور اللبب * ان صعد فمستجاب دعاء * أو هبط فمبرم قضاء * يسبق لمح البصر * وبكل دونه حديد

النظر * اذا جرى على مهله * لم يسابقه غير ظله

ويكاد يخرج سرعة من ظله * لو كان يرغب فى فراق رفيق

أسود غاب الرماح * بدور غمام القتام وبروق الصفاح * ما ترفع بطل عن انم أعتابهم * الابادر رأسه لتقبيل ترابهم * نبلهم رسل المنون * وبيضهم بأيدى النصر مفاتيح الحصون * وسمر الرماح أرشية لا تمتاح * من قلب الأبدان غير الأرواح * وسادة متصوفه * عن الصدق متعففه * حرفتهم بيع الزهادة * وحانوت تجارتهم السجادة * من كل متكبر كان يد الثريا له نشير * فيه شر طويل تحت ذيل قصير * لا يمس زهدا أوانى الفضة والذهب * ولو وجدها فى خلوة بلعها وكم مضغها منه فم الطلب * له جند كالبراغيث أكل ورقص ودب

مشوا على الخبز ومن عادة الزهاد أن يمشوا على الماء

ثم عجت على معاهد ذلك الحى * فاذا دساكر وقصور وهى سلم السما * وقباب قناديلها الزهر الدرارى * فقلت لعل هنا بدورا يهتدى بها فى ظلم الخطوب السارى * هى من الكرام بقايا * فكم فى الزوايا خبايا * فاذا فى تلك المعالم برود وعمائم وأذيال تقبل التراب * بين لدات جهل واتراب * والدهر قد أرخص كل غالى * وقال كل من ضرب العبر لنا موالى * فقلت فتى ولا كمالك * وماء ولا كصداء * ومرعى ولا كالسعدان * وفاف نادت كل رائد لا قرية وراء عبادان * فالشاشية قبة على قبر مائم * والحلة غطاء ميت جهل خلفه مأتم * من كل سفلة لوبات حلس داره أقفر منه المنزل والجوف * وأذاقه الله لباس الجوع والخوف * لا يخشى لومة نصيح ولائم * ضحكة أعراس وقطرب ولائم * كأمر الله يدخل كل دار حتى يصير قتيل اضراسه * شهيد قصعته وكاسه * وعند جهينة منه الخبر اليقين * وفى الصحن له أياد عند القدور تستبين * يسرنا منه الفراق * سرور زورة صب على يأس من التلاق * اذ هو أمر من البين * وفى ثقل الروح ثانى اثنين

يهودى بلا مال * وأعمى ماله صوت

اذا سلم على أهل نادر فيع * فتحيته ضرب وجيع * تستعذب الأيدى مذاقة صفعه المكرر * حتى كأن قذاله من سكر * غضب الله على المشاهد

والمجالس * لامشخص له غيرجنس البرود وفضل القلانس * حمار على فرس * له من تقعير المخارج جرس * كأنما كلامه دعوة الكواكب * أورقية الحيات والعقارب

برذونه صائم حكى فرس الشطرنج والصدق غيرملتبس
فكل يوم عليه يدرس منصوبة عند البيوت بالفرس

وأطفال كأنما زينوا الجنان * أولاستقبال دهقان سدوم اذ كان لهم مع الملائكة ما كان * مولود تقول قوابله * هذا مالم يسم فاعله * لودرى الحكماء ان ماهيتهم على ذلك مجبولة * ما وقع بينهم اختلاف فى أن الماهيات مجعولة * وقالوا ان الهيولى والصورة يتبادلان * وان العناصر متناكحة قبل حلول الأبدان * وان الكيفيات مابين فاعل ومفعول * ولولاه كان تركيب الأمزجة غير معقول * ولذا كان ميزان الخليل * بين فاعل ومفاعيل

فان زماننا من قوم لوط * له ولع بتقديم الصغار

وشبان وكهول * فيهم بلا فضل فضول * جفاة أجلاف * بنوعلات وأخياف * ورثوا علم السلف والخلف * فأوصى لهم بتراث العربية سيبويه وخلف

خاطر يصفع الفرزدق فى الشعر ونحو ينيك أم الكسائى

ومشايخ فى الطراز الآخر من السفل * كم فيهم من نادرة المريخ وزحل * كأنما يحمل غاشيته دارا * وزحل أشرف الكواكب دارا * لوقارنه السعد الأكبر فى أعلى عليين * حملته بنات نعش الى أسفل سافلين * أعمى البصيرة والبصر * عار على آدم أبى البشر * انما خلق اعتذارا لابليس فى ترك السجود * وانى يقبل له عذر وهو كفور جحود * وهو أول من حسد * والحسد داء وأداء فى الجسد * داحس والبسوس ان نسبا اشومه * براق يتبرك بسعادة قدمه وقدومه * والبوم وابن دأية الأعور * يتيمن بسوانحها ولا يتطير * والزقوم عنده يهزأ بالسكر المكرر

قلت له لم هوالك فى سفل الناس وشر الامور سافلها
قال وجدت الكعوب من قصب السكر مختارها أسافلها

فريثما يضئ لمح البصر * اذا دار قوراء يسافر فيها المنظر * يردها الناس أفواجا أفواجا * هى برج نور لا يرضى الشمس والقمر سراجا * فى جنة عاليه * قطوفها غير دانيه * يجرى فيها سلسبيل معين * كدموع اليتامى فى عهده والمساكين * تفتحت عيون أنوارها وهى الى ربها ناظره * وامتدت أوراق أشجارها داعية على من أعاد صفقة الدين خاسره * يمرض فى كل يوم سنه * ويرجو عيادة مزمنه * مقعد أعدى زمانه بالزمانه * وسطيح نام فى عهده شق عن السحر والكهانه * مشؤم منحوس * اذا علا نسبه انتهى للمجوس * فبيته بيت نار * تعبده الفجار والأشرار

غدا عالما يؤتى فيأتى بحجة * على ذاك من أخبار علم وآيات
تقول له الاسلام يعلو ولم يكن * ليعلى فقال العلم يؤتى ولا يأتى

فلما من الله على شمسه بالزوال * عاد لمحله من هو أسوأ منه فى الأقوال والأفعال * فى قوم يعرف مالهم موصول من الفضول * بما على رؤس الحمر وأعجاز الخيول * كما يعرف الطبيب صحة الأبدان * بما فى قارورة البول من الألوان

لو بال هذا الدهر فى قارورة * بان الذى يشكوه للمتطبب

كأنما أوحى الله اليه والى ذويه تمتعوا بأيامكم * فانما خلقت متاعا لكم ولأنعامكم * فاجتثت عروق النسب مبدأ ومنتهى * فالطحلب عنده سدرة المنتهى * فرفعته بلا طائل * وعلو قدره له قائل

لقد خرئ الزمان عليك حتى * علوت وكنت أسفل سافلينا
كرقم كان فى الأعداد فردا * بذرق ذبابة أضحى مئينا

فلو درى الكافر اذ حلت به الندامة وقد سيرت الجبال فكانت سرابا * انه خلق من تراب لاستحى أن يقول لأهل القيامة ياليتنى كنت ترابا * فما أحسنه فى زوال النعم * وأقبحه اذا قضى له الدهر بدولة وحكم * فكم سعد له رفيق * بحجة وبرهان لزنديق * ان ذكر له الفقه والحديث ومافيه من الغريب * اهتز عجبا وأجاب بغزل رائق ونسيب * أو أنشد له حوليات زهير وقلائد المتنبى وزهديات أبى العتاهية * نظر فى خزانة الفتوى والخلاصة وقال تلك أمة خالية

هو فى الفقه شاعر لايبارى * وهو فى الشعر أوحد الفقهاء
لاالى هؤلاء ان نسبوه * وجدوه ولا الى هؤلاء

فكأن الله أمره بتقديم الأجهل فالأجهل اذ قال ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها * وكأن الرسول وكله أن جعل الدين ملعبة بنسخ الشريعة فرعها وأصلها

قل لى أما ترهب رب الورى * ولست تستحيى من المصطفى

اذا لم تستح فاصنع ماشئت قدمات من كنت منه تستحى وأهيل عليه التراب * ليجد الدهر ماضاع من جواهره فى غابر الأحقاب * (ومات من لا عمره ماتا) وقد سئمت عتاب الدهر والشكوى * ونفضت جراب الطمع عما جنف من زاد المن والسلوى * فلا يلام من أودع كيسه عند طرار * ولا يركب من سأل عن البراق الحمار * فأنصح السائل بغشه * واجعله دارجا فى عشه * وبدل سعود مبالنحوس * فان نقشه نقش الفصوص صحيحها المعكوس * وقد أخرسنى العجز فما أفتح فما * أفغير الله أبتغى حكما * (اذا كان خصمى حاكمى كيف أصنع) وقد قنعت من صبغ الادام * بعض السلامى والسلام * فحتى متى أنا من سكرة الحيرة لا أستفيق * كأننى مصحف فى بيت زنديق

فان تسألانى ما دواءى فاننى * بمنزلة أعيا الطبيب سقامها

بحرذ بسنى يوسف فى دار ذى متربه * يأكل بالقرض لازما ربضه فاذا نفد القرض وسد اليأس مذهبه * (أكلت كتبى كأننى أرضه) * رضيت من الغنيمة بالاياب * وعدت الى طلب تمائم لى ضيعها الشباب * بين العذيب وبارق (مجر العوالى ومجرى السوابق) وقلت نعللا اذا سئمت الشيم * وترفعت من حضيض المذلة الى أوج الشمم

ان جيدا سقطت من عقده * درة مثلى حقيق بالعطل

وعقدت أهداب النية بأهداب الظعن * اذ هتف بى شق الكهانة (أصم أم تسمع غطريف اليمن) لما تجاذبت الآمال الداعية للنفس الى حب الوطن * قانعا بأحسن الراحتين * وان عدت بخفى حنين

وان من أصعب مامربى * شماتة الحاسد والجاهل

فقلت لأمل غير مستريح * أنا بأنبائك شق وسطيح * فدع كل لو وعسى وليت * وتمسك بأذيال الهمم تمسك الزوار بأستار البيت * ولا تكن كمن أرانى عذب الشراب * لما تراءى له لمع السراب * فقال شكر الله مسعاك * وجعل أبى وامى فداك * الكريم يغتر ويخدع * ولست بأول ذى حلم له العصا تقرع * وتنفيس الأعمار غنيمة * فانه قد يهدى لعلم اليقين * فمن انغمس فى ماء حياته * طهر من أحداث شبهاته * والعلم نعمة من نشرها شكرها * ومن كتمها عن أهلها كفرها * وكم من ذنب عقابه فيه * وكم عبد أبق من مواليه * ثم آب ملتفتا بمستتر ضميره * من غيابة غيبته لحضوره * فعج على سدة مخصبة للرواد * ونزل فى ظل كرمها تظفر بكل مراد

وقلما أملت عيناك من رجل * الا ومعناه ان فتشت فى لقبه

فناهيك به من ملك ينقاد له السعد والاسعاد * وتهوى الافئدة طائعة خاضعة له قبل الاجساد * فسدته كعبة الآمال ومقصد الهمم * فاذا جئت لها الامانى تلاقت فى أمن حرم * عمرى الذات والصفات * فاروق حكمه درياق السموم والآفات

أرى الدهر ان يبطش فنك يمينه * وان تبسم الدنيا فأنت لها ثغر

عطاء ولا من وحكم ولا هوى * وحلم ولا عجز وعز ولا كبر

فورده عذب نمير * وبشره ونداه روضة وغدير * بشاشته الروض الأنيق * ورفيف الغصن الوريق * وكم له سجيه * وهزة أريحيه * وثبات ووقار خيم فيه الحلم والسداد * تود الراسيات انها لخيامه أوتاد * ومساواة احساب وانساب * تتحير فيها المعانى لمساواة الايجاز والاطناب * وطيب اصول وفروع زكى طيبها ونشرها * قد فطمت عن النقائص بعد رضاع لبان المعالى فلله درها * رقيق حواشيه نسيج وحده * من الطراز الاول معلم برده * نسخة مجده مقابلة الاصول * منمنمة الطراز بنتائج العقول * فذلكة مناقب السلاطين * حامى حمى الحرمين جامع شمل الدين * فاذا نزلت بى كربة سئمها القلب وملها * قلت ان الذى عقد عقدة المكاره يحسن حلها * ولعلها ان تنجلى بهبوب رياح اقباله ولعلها

قوله وقلما البيت فى نسخة اخرى ابصرت بدل أملت وحققت بدل فتشت اه مصحح

ماقد قضى سيكون فاصطبرن له * ولك الامان من الذى لم يقدر

وها أنا ذا أحمد فى صباح الظفر السرى * وانبه حظى من رقدة الخمول لا سنة الكرى * بعدما وقفت على حبه فؤادى * ورتبت فى جامع أمانيه وظائف ودادى * ولست لنداه مستميحا * ولا لنيل نوال أهدى مديحا * فسكاب طبعى لا يباع ولا يعار * ولو نقدت له دراهم النجوم بكف الثريا فهو خسر وبوار * على مذهب أبى الطيب فى قوله

ومارغبتى فى عسجد أستفيده * ولكنها فى مفخر استجده

ومذهب الطائى حيث قال

ومن خدم الاقوام يرجو نوالهم * فانى لم أخدمك الا لأخدما

فالحمد لله الذى أذهب عنا الحزن * بمن أقرلنا عين المنى وأخذلنا الثار من الزمن * تمت المقامة المسماة بعتاب الزمان * فى سبب حجب بنى الأعيان * حجب حرمان ونقصان * واستفباء الكرام * فى مشكل الليالى والأيام *

(وهذه فصول فيها حكم ونصائح سميتها بالفصول القصار * فى نتائج الأعمار) منسوجة على منوال ابن المعتز فى فصوله وهى هذه اقدار الله العبد على حمده وشكر احسانه * من جملة انعامه على عبده وامتنانه * شكر المنعم من الكرم * لانه قرى لضيف النعم * ساعد زينته بسوار المنائح * حرى بأن يمرى لك ضروع الثناء والمدائح * من كان وارف الظلال * تقبل عنده القلوب والآمال * نعم بها الألسن تقر * بها العيون والقلوب تقر * رب موقد نار بها يحترق * ومحسن للسبح فى اللجة غرق * خلك أحلى من عسل غيرك * كم طرق دون هضاب * بلغت السماء وارتدت حلل السحاب * اذا ملك زار البلاد * ألبسها برودا من القتام مزرورة بالجياد * مشدودة العرى بيد الحزم والسداد * طلع البدر من ازاره * ولم يعلق الوزر بأزراره * كيف ينجو من ظلمة الجهل المداهمة * ويجنى نسل الفضل والحكمة * من كان قعد العزم عقيم الطلب عنين الهمة * فلان أخلق الدهر قشيب ديباجته وشرب البأس من ماء بشاشته * شجاعة الملوك الثبات * وشجاعة الجند اقدام وثبات * أخلاق الخلطاء ساريه * والعادة طبيعة ثانيه * الكيس يفتح الكيس كما يكسر الدين الدين * فى اغماض العين واغماد اللسان عقاب

الفصول القصار

العقلاء * وبلسانى السوط والسيف عتاب السفها * سلوة الاحزان * تسليم مقاليد الامور للديان * وقد روينا فى حديث حسن * الايمان بالقدر يذهب الهم والحزن * الشروع ملزم * ومن تطوع لزمه أن يتم * المعالى تملى المعانى بأفصح لسان * والندى ينبت الشكر فى حدائق الأذهان * ذنب الجزالى ليال مدت اليه يدها وساعدها * ذنب صدار ثكلى فقدت واحدها * كيف لا يشق مطرفى سفر * والسفر بنقطه سقر * هل أنا فى الأعمال السلطانية الدارس رسمها * الا كالجزر نسخت منافعها وبقى خمارها واثمها * أو الحالم رأى انه خرئ لثقل ما حل من العين * فلما انتبه وجد روثه ولم يجد لسواه أثرا ولا عين * أو كداخل بعروس فى المنام * لزمته فى السحر جنابة واجرة الحمام * ما الربيع الاحسنا فى حلة خضراء فتحت يد الشمال أزرار زهورها * لتشاهد عيون الأنوار من الغدران حسن ترائبها وبياض صدورها * الصديق والسكن * من تأنس به انس العين بالوسن * شتان بين من عنوان أخلاقه يصدق مخائله * وصحيفة احسابه الصحيحة مقابله * وبين لئيم اذا نظرت الى أحسابه * فالطحلب أعرق من انسابه * من أمثال العامة حمار نزلت عنه لا تبال بمن يركبه * وشهر لا خير لك فيه لا تعد أيامه * قلت

وكل شهر لا خير فيه * عدك أيامه جنون

فلان لو تغنى لاهل الجحيم * اصارت نار ابراهيم * كثرة الاتباع عز ومن يكن منفردا يحقر * ولذا قال النحاة ان الجمع لا يصغر * ما كل جندب يدعى لحيس * ولا كل مهاجر مهاجر أم قيس * اياك أن تطلب عزيز الوجود * فان الجود بذل الموجود * وضيف السقاء * انما يكرم بالماء * وقد قيل ان حمار القصار ان جاع شرب * وان عطش شرب * قال خليل لى خليل قبيح مؤاجر * خير من مليح خلف الستائر * وشتان بين درهم النقد * ودينار الوعد * اذا اضطربت أمواج المقادير * لم تنفع سباحة رأى وتدبير * فمن غارض تيارها بالسباحه * لم يصل لساحل سلامة ولا قرار راحه * فى الاثر * مداومة أكل اللحم عشية وغدوه * تورث القلب غلظة وقسوه * وفلان يأكل ليلا من ابور الغلمان * ونهارا بغيبة الاخوان *

قوله وكل شهر البيت هكذا فى النسخ وشطره الاخير من مخلع البسيط وشطره الاول مكسور ولو قال بدله مثلا شهرا أتى ليس فيه خير * لسلم من ذلك اه مصحح

انطلاق ألسن البرايا * جاسوس النوائب والمنايا * احذر أيدى الدعاء * اذا قرعت أبواب السماء * فلان مع بخله شقيق ابليس اللعين * وان المبذرين كانوا اخوان الشياطين * لكل قلب هوى كما أن لكل داء دواء * فما اعتلال نسيم الصبا * الالحب زهور الربا * الغنى مسك لا يكتم شذاه * فلان احتضر * وامسى له مع الملائكة شان مستمر * اسلمته ملائكة الموت لمنكر ونكير * وهما أديا أمانتهما الى مالك خازن السعير * كتاب تنفس خطه عن بنفسج البطاح * ولفظه عن رياحين الارواح * ومعناه عن سر الراح * فى ضمائر الاقداح * فلولا ذبوله بحبس يد الدهر * وحلاوة ذوقه خلتنى منه نشوان بين روض ونهر * ان دعت الضرورة الى مدح غير ذى شرف * فالشعر بحور لا تكدرها الجيف * اذا خلت ضمائر الاكياس * خلت من المسرة قلوب الاكياس * اذا رفت أهداب النبات واختلجت عيون الأزهار * بشرتنا بقدوم نسمات الاسحار * ان كان الابط مزبلة الباطن فاللسان مزبلة القلب * كم أخليت فؤاد القنانى * فأخلت فؤادى من اخوانى * لله كرم زمان أقرضت أسحاره والآصال * هواجره برد النسيم على يد الشمال * اذا جر ذيل الفناء على القباب والبيوت * تساوت قصور الجنان وبيوت العنكبوت * انا فى مفارقة من اريد وصحبة من لم أرد * كواجد مالا يشتهى ومشتهٍ مالم يجد * أنعم بسارق رعود يتلوه وابل جود * فالمع وأشرق * حتى اخضر الأمل وأورق * كريم جعل الله طول عمره * لحياة ذكره وشكره * وعمر أعاديه * كعمر مواعيد أياديه * رطب عود الدهر بماله من الآثار * حتى كادت تجرى الصخور والأحجار * لوهم الفلك برفعة ماجد فى الابد * ما قدم الثور فى منازله على الأسد * من باع الجزع بالاصطبار * فله على الزمن الاختيار * نصح البليد * عناء لا يفيد

وصقل السيوف بلا جوهر * يبين من عيبها ما خفى

من قال الشر بالشر يطفا * فكأنه عطر النار بالحلفا * لابد لكل امرىء من صديق * وسالك بادية العمر لا يستغنى عن الرفيق * الصديق شريك عنان * فى حالتى السرور والاحزان

بقدر المثوبة عند الرضى * تكون العقوبة عند السخط
من لم يعرف زمانه * عد الجول زمانه * ما سمي الزمن زمنا الا لانه يقول لك
اقعد * كم فرخ من بيضه بلد * ورماد بان خلف الجمر وقد وقد * ما أنصف
الشيب من ستر وقاره * فسود وجهه وأطفأ أنواره * الدهر خصم ألد *
وبلوغ الاشد البلاء الاشد * أتبنى بالاساس علو الدار * وترقع الجيب
بأذيال الازار * الفحل البازل * لا يفزع من صوت الجلاجل *
والحوت لا يهدد بالغرق * والبحر لا يخاف من الشرق * ظن المرء قطعة
من عقله * ومحسن الرمي أدرى بمواقع نبله * السعد من غير دوام نحوس *
والضحك من غير سرور عبوس * السهم لا يجود التقية * وقطع سهم
المؤلفة شهرة عمرية * من سلم عنان اختياره للقدير * انقاد له الدهر بزمام
التقدير * وصرف الدهر قد يدل الباء سيما فيتحد التدبير والتدمير * انا
في شرط الوفاء للاخوان * وهم في جزم جزائه بالهوان * كالواو والنون
صانتا الاسم عن التكسير * نخصهما من بين حروفه بالنقص والتغيير *
هدايا اللئام تجاره * وقبولها منهم خساره * المعروف والصنيعه
عند الأحرار وديعه * أول هراش الخيل شمام * وأول الحرب كلام *
كمان ود الائام * مقدمة الخصام * أيادي الاحسان * تحل عقد
الاضغان * من الشتم نصح غير الاكفاء * وربما كان أمر من الداء الدواء *
من الامراض روائح العقاقير لا شرب الدواء * وطول جلوس العواد
والثقلاء * الحكماء الجهال * رسل عزرائيل للاستعجال * المطل طليعة جيش
الحرمان * وسوء التدبير كمين الخسران * وسع الله على الأيام حتى تقضي
دين المكارم * وتنجز عدات تكفل بها الدهر والكفيل غارم * الحر اذا
استدان جميلا قضاه * فالسهم طار بريش الطيور فأطعمها قتلاه * ليس
الصديق من اذا رآك قام * بل من اذا أقعدك الحظ أقام * من كان فصيح
الشيم * بليغ الكرم * أوجز مقاله * وأطنب أفعاله * طرفا البحر بر *
فهو كاسمه بر * انا من قوارض اللوم سليم * ولولا الصبر أخلق الأديم *
اذا افترت الغزالة الى كناس المغارب * ألقت في سرور البطاح مسك
الغياهب * من كان بغير نفع في نفيس الملابس * كان كالصور المنقوشة في

الكائس * تسر الفجار * وتسوء عقلاء الابرار

ياساترا للمشيب اذخضبه * هلاخضبت الذيول والهدبه

المحجوب مسجون ذنبه وجوده * فحاجبه يأذن لمن يريده ويحجب من لايريده * ليس باتحاد الاسما * تتحد ذات المسمى * فحمرة الخد جمال * وحمرة العين اعتلال * قد يحتجب الحزلقلة اليسار * كما احتجب البدر عند السرار

وقد يكره الضيف لاضنة * ولكن مخافة سوء القرى

من كان دليله الغراب * رضى بالمنزل الخراب * ومن كان طباخه الجعل * فلا يسأل عما أكل * من كان خياطه الخنافس * كيف يكون حال الملابس * اعتبر باسم البشر * فان أكثره شر * فى الترك غنى بلا من * والحمية دواء بلا ثمن

(فصـــــل) أتحفتنى بتحفة ابن جرموز وبئست التحفة * فهو أهون من ضرطة عنز بالجحفة * فلوطحنت لى حبوب النجوم الزاهرة * برحا الأفلاك الدائرة * وخبزت منها قرص الشمس وشويت لى جدى البروج وحملها * وقرنت نورها وفرشت بساط كسرى منزلها * لم أجب دعوتك * ولم أتحمل ثقلك ورؤيتك * الاغترار بفاكهة الحياة جهاله * وشم زهرة الدنيا ضلاله * فان الزهرة سريعة الذبول والفواكه سريعة الاستحاله * اذا تمشيخ الصبى ضاع * واستعجل الفطام قبل الرضاع * لايقوم مقعد الأيام * الا بمساعدة ايادى الكرام * عنوان اللئيم خادمه وصاحبه * والعقرب بواب الضب وحاجبه

اعتبر الارض باسمائها * واختبر الصاحب بالصاحب

تعريف البخل عين اللئيم الواضع * لانه الجامع المانع * من لى بجليل همة أترك له كل حقير * وأصرف الناس به صرف الفلوس بالدنانير * مضى السابقون الى منازل العدم * فظن المتخلفون ان السبق فى مضمار الكرم * ومن جرى وحده مغرور * وكل من يجرى بالخلاء مسرور * سمات اللطف تفتح أبواب المنى بأيادى احسانها * كما تفتح عيون الأزهار بلطف الشمائل قبل أوانها * الالحاح فى الامور * ربح تجارة لن تبور * ترك الجماعة عقوق

للمؤمنين * وقطع لرحم وصلة الدين * اذا نزلت أرضا فلا تمدح زهرها * حتى تشم رائحتها وعطرها * انا فى زمانى يتيم * حضر مايدة جبار لئيم * الجاه زكاة الشرف * ومن أحسن لمن أساء اليه فقد انتصف * مقابلة من لا تقاومه خرف * ولولا مقابلة القمر للشمس ما انكسف * اذا جن أميرك فتذ كيره بالحجارة عطب * وان عبد النار فقدم له الحطب

(فصـــــل) قالوا الحركة بركة وهذا اذا رافقها السعد * وهذا ها رائد الجد * والا فهى حركة النشوان وقتال الجبال وبنى اسرائيل فى التيه

قالوا ارتحل تظفر بفضل المنى * وأينما سافرت حظى معى

الكرم حبله رخيم * والظلم مرتعه وخيم

(فصـــــل) ماذا أقول لقوم اجتنوا منى ثمار مقال دانية القطاف * وقالوا انى ظلال الرأفة والالطاف * فاذا عطف الدهر وهو لهم مساعد * كنت لديهم ككف بغير ساعد * فحالى معهم فى المبرة * كحال الناس والابرة

كست قيصرا ثوب الجمال وتبعا * وكسرى وباتت وهى عارية الجسم

وكنت اعيب على الخوارزمى قوله

كفى حزنا أن لا صديق ولا أخ * يفيد غنى الا تداخله كبر

فما نال فوق القوت مثقال ذرة * صديق ولا وافى على عسره اليسر

وما ذاك الا رغبة فى وصاله * والاحذار أن يميل به الدهر

ظنا منى انه يدل على خبث الطويه * وفساد العقيدة والنيه * فاذا هو قد حلب الدهر أشطره * وذاق بلسان التجربة حلوه ومره * فلله دره ما أخبره

(فصـــــل) رب معنى سار * بلباس آخر ضار * فهذا الرشيد رأى فى منامه انه قلعت جميع أسنانه فطلب لها معبرا فقال ترى مصيبة فى جميع أهلك وموت أحبابك فأمر بنزع جميع اسنانه * واستدعى آخر وقص ذلك عليه فقال عمر الخليفة أطال الله بقاه * أطول من عمر كل من يلوذ به ويهواه * فقال املأ واقاه درا * وخلع عليه خلعا أكسبته فخرا * ولما جعل أحد أبنائه وهو طفل ولى عهده * وفوض اليه الخلافة من بعده * جلس للتهنئة فقال له رجل مهنئا أقر الله عين كل عزيز * بخلافة من لم يبلغ سن التمييز * فساءه

ذلك

ذلك فقام أبو يوسف بعده مهنئا وقال الحمد لله الذى شرفنا بخليفة لم يكتب عليه شئ من الاوزار * ولم يتعب كاتب أعماله بليل ولا نهار * فأكرمه وأدناه * وتهلل بالبشر محياه * وقال هلا أحسنت اذ خاطبتني العباره * واحترست عما يكدر مشرب السياره * ألا ترى أن من قال لآخر أطال الله عمره * أعجبه ذلك وسره * ولو قال له أذهب الله شبابك وجعلك شيخا متغير الهيئة والقوى ساءه ذلك وقال أبو العيناء لم أر أحسن أدبا من ابن أبى دؤاد كنت اذا انصرفت من عند غيره يقول يا غلام خذ بيده فاذا قمت من مجلسه يقول يا فتى امض معه فكان مما يعجبني من حسن أدبه وهكذا يحسن المعنى ويقبح كثيرا فى المركبات والمفردات كما ستراه ان شاء الله تعالى

وقد اقتديت فى ذكر أحوالى بابن الخطيب فى الاحاطة اذ ترجم نفسه فى آخره وقد أعجبني قوله فى ذلك لما فرغت من تأليفه التفت اليه فراقنى منه صنوان درر ومطلع غرر خلد مآثرهم بعد ذهاب أعيانهم * ونشر مفاخرهم بعد انطواء زمانهم * فنافستهم فى اقتحام تلك الابواب * وقنعت باجتماع الشمل معهم ولو فى الكتاب * وحرصت على أن أنال منهم قربا فجريت على عقبهم أدبا وحبا * كما قيل ساقى القوم آخرهم شربا * انتهى قوله قنعت باجتماع الشمل معهم ولو فى الكتاب معنى لطيف قريب من قول الآخر

فاتنى أن أرى الديار بطرفى * فلعلى أرى الديار بسمعى

وقلت أنا فى معناه

ذهب الكرام وجلدتى الحزب الاولى من قبل عهد القارظين تغيرا
فاذا دعا داعى الغرام لقربهم * فى ظل أنس بالسرور تأزرا
أرضى تلاقى ذكرنا مع ذكرهم * فى روض طرس بالمعانى أثمرا

ويوجد هنا فى بعض النسخ زيادة لا باس بها وهى

صورة ما كتبه مؤلفه من الاجازة لعبد القادر المذكور فيه تبارك اسم ربك ذى الجلال والاكرام * المحيى مآثر الاعيان بنشر ثناءهم المخلد فى صحف الأيام * والصلاة والسلام على أفضل الرسل الكرام * وعلى آله وصحبه ما طرز البرق برود الغمام * أما بعد فان الفاضل الاريب * والماجد المهذب الأديب * خليل روحى الشقيق * ومن هو فى سبيل

قوله ذهب الكرام وجلدتى الحزبة الخ هكذا فى نسخ وفى اخرى الحرب الخ وليس متلائم الالفاظ ولا المعانى فلعله محرف ومصحف عن قوله
ذهب الكرام وجاءنى الجرب الذى * البيت وحرر اهـ مصحح

الطلب سمير ورفيق * حاوى المفاخر * الأخ الأعز عبد القادر * لما قرأ على كتاب الرحلة * وغيره مما سودت به وجه الصحف وأخذته عن الأجلة * وسمنى بسمة العلم ولست أهله

اذا كان الزمان زمان سوء * فيوم صالح منه غنيمة

فأجزته بمالى من التآليف والآثار * وما رويته عن مشايخى الأخيار * صانه الله عن عين الكمال وحماه * وقلد جيد مجده بفرائد حلاه

(فصــــل) هذه ورقة من رياحين الألباب * طارت بأجنحة النسيم من وكر رياض الآداب * فاهدت لنا سنا نفحة ذكية * عرفتها من بين أصحابى وهزت معاطف الاريحية * فأعادت على غصن شبابى فما كان أعطر تلك الصبا * وأندى معاطف قضب تلك الربا * فذكرنا بقديم العهود * من قدم علينا من الوفود * فأتى من سبا اليأس بنبا * وحديث يحل بيد النشاط الحبا * ونقدم بين يدى هذه الهمة السنية * مقامات نسجت على منوال المقامات الحريرية * فنها مقامة الغربه * المسماة بدفع الكربه * بسلوة العزبه * حدثنا الربيع بن ريان * عن شقيق بن النعمان * قال لما هزتنى أريحية الشباب * الى اقتعاد سنام الارض على غارب الاغتراب * وقد أجدبت الارض من كل ماجد * يجتنى جنى الحمد وتجنى له ثمار المحامد * وتعطلت من كريم تلتف عليه المحافل * وتسير فى ظلال أعلامه الجحافل * وتبدلت بانسها وحشا * فلا ترى غير جائع يتجشا * أقسمت ببيت سالت ببطحائه أعناق المطايا * وتمل ركبانه بكأس السرى فى الغدايا والعشايا * لاغترين غربة قارظية يخفق منها قلب الخافقين * وتدبغ أديم الجسد على ممر الجديدين * وتنسى صخرة السؤال عن حصين * وتنسى غطفان * غربة سنان * فقال لى خبير الأيام * الهجرة من سنن الكرام * كما فر موسى حين هم به القبط وقد كنت قرأت فى بعض الأسفار * اذا أراد الله سعة رزق عبد حبب له الأسفار * ورويت فى حديث حسن * انه صلى الله عليه وسلم كان يحب الفأل الحسن * فزجرت السانح والبارح * والطائر الغادى والرائح * حتى رأيت الصبح انبلج * ومر بى طائر أغر من البلج * فمسكت بذيل الحزم * وصممت على العزم * وقلت

مقامة الغربة

بقولك طه سافروا تغنموا لقد * بدالى فأل فى المطالب رابح

فما خط فى رمل ولا طرق الحصى * كأيدى جياد فى السراب سوابح

وجنبت الجياد الى المهارى * ولبست حلة دجا مزررة بالدرارى * مع صقور على متون أعوجيات وركاب * باقدام أقدام ترف بين غرز وركاب * على سفن ذود وزوارق * وسروج سوابح فى بحار السراب غوارق * فلم يزل يرفعنا الآل * بين رفاق صحب وآل * على عيس مالها غير النصب عقال * وظهور سوابح مالها غير الكلال شكال * حتى نزلنا على الخورنق والسدير * وانخنا مطايا العزم بين روضة وغدير * فسألنا عن بيضة البلد * وطودها الذى له بسفحها أرفع سند * فقالوا هو النضر بن كنانه * المقرطس سهام آرائه من أعز كنانه * شيخ لبس عمائم دهره الثلاث * فهى على هامة همته ثلاث * من شجرة مورقة النسب * مثمرة بيانع ثمار الحسب * جاهه عريض طويل * فائض على العدو والخليل * وطيب شمائله فى كل ناد انتشر * فنعمة روضات تزدرى الزهر * هيجها نفح من نضح السحر * فقلت بخ بخ الجاه زكاة الشرف * ومن أحسن الى من أساء اليه فقد انتصف * ومن تردى بساطع الأنوار * واحتبى بحباء الوقار * ولم يبق له ليل يصبح بجانبيه نهار * فالسعادة له شعار ودثار * فقالوا ان فيه عيبة اعرابية * ولوثة عنجهية * قد تعربد نفسه الأبية * فقلت مقاومة من لا تقدر عليه خرف * ولولا مقابلة البدر للشمس ما انكسف * واذا جن أميرك فشد كبره بالحجارة عطب * وان عبد النار فقدم له الحطب * وسأفيض له وعلى أجل ردا * واذهب اليه فى رفقتى غدا * فلما عطس الصباح * وشمتته كل ذات جناح * ورفعت ذكاء رأسها من مشرق الأنوار * فأشرقت على عالم الكون والفساد لتشاهد ما فيه من الأسرار * أتيت داره * فرأيت بدورا لها المنازل داره * دار يسافر بها النظر * ويتسابق فى محاسنها السمع والبصر * داخلها بهو وقصور * وسرادق لا يعرف كماله القصور * فى صدرها همام خلفه وساده * أحدق به وجوه أعيان وساده * يتنفسون بأنفاس النعامى * بين أوراق ريحان وخزامى

قطفوا الحلم من شماريخ رضوى * وجنوا اللين من قنا الخيزران

حذا عبركه صفت كأخلاق أودائه * وعذبت عذوبة خدمه وندمائه

لو انصفوه لقاموا فى مجالسه * على الرؤس قيام الظل فى الماء

فقلت له حياك الله وبياك * ولازالت مشكاة انسك مشرقة بمحياك * فرد التحية بأحسن منها أو ماردها * وأمدها بطلاقة بشر كانت سلبا لكرامة أعيدها * وحوله من حواشيه فئام * وأغصان غلمان بناديه قيام *

كأن على رؤسهم الطير * يتهلل بشرهم بكل خير ومير * فى روض ناد مثمر مورق * عليه مخائل جود جود مغدق * فتجاذبنا أهداب الحديث * وأتى بنوادر حارة من كل تليد وحديث * حتى فاض المقال الى السؤال * عن الداعى اشد رحال الترحال * فقلت قحط الديار من الأعيان * وعتو الدهر وكلب الزمان * وفقد كل خل رقت شمائله * ان سألته يتهلل حتى (كأنك تعطيه الذى أنت سائله)

انا لفى زمن ترك القبيح به * من أكثر الناس احسان واقبال

فلما صحا القلب وأقصر باطله (وعرى افراس الصبا ورواحله) وقوض بنيان المكارم * وقعقع منه العمد والدعائم * قلت لم يقل الله ان أرضى واسعه * الالتسير فى مناكبها الى حرم الدين والدعه * وفى المثل اذا ضربتم فى الارض أميالا * وجدتم بلالا * فدعا بالدواة والقلم * وأنعم بجزيل النعم * حتى سد طرق الآمال والمطالب * وملأ المنازل والحقائب

فلو كانت له الدنيا * لأعطاها وما بالى

فأغنى عن السؤال وأراح الامانى والآمال * ثم تأوه أهبة الحزين * وأجاب نفثة المصدور منه الحنين * وقال هذه نائبة نابت * ومصيبة عمت وماطابت * وسيوف الله ما أزمت أفواه أغمادها * وخيل الله اذا قيل لها اركبى يركب سابق جيادها * وكم بين عودين كمين نار * يورى بالقدح ويبدو له أوار * وقد يأتى من الأحرار * من يقول النار ولا العار * الأأن خوف المنيه * قد يدفع صدر الامنيه * وربما أطفأ نار الحمية * أما ترى عمرا لما بارز عليا وجدلت شعوب * كشف سوءته ولبس عارا شق عليه الجيوب * كما قال أبو فراس

ولا خير فى رد الردى بمساءة * كما ردها يوما بسوءته عمرو

وأصابه جرة داء الذرب * فاستناب عنه خارجة ففاجأته المنية لقضاء وجب * كما قال

وليتها اذ فدت عمرا بخارجة * فدت عليا بما شاءت من البشر

وثالثة الأثافى ما فى الاستيعاب * من أن بسر بن أرطاة وهو من ابطال الأصحاب * كان مع معاوية بصفين * وعليه تدور رحا حربها كل حين * فقال له لو بارزت عليا * وسقيته كأس الحمام نلت مقاما عليا * وصار يعده ويمنيه * ويدليه بحبل الغرور فى قليب أمانيه * حتى صرعه أبو تراب فى تراب تربته * ولم ينج منه الا كما نجى عمرو بكشف سوأته * فأعرض ضاحكا من فضيحته * وقال فيه الحرث بن النضر السهمى

أفى كل يوم فارس ليس ينتهى * وعورته وسط العجاجة باديه
يكف بها عنه على سنانه * ويضحك منها فى الخلاء معاويه
بدت أمس من عمرو فقنع رأسه * وعورة بسر مثلها حذو حاذيه
فقولا لعمرو ثم بسر الا انظرا * سبيلكما لا تلقيا الليث ثانيه
ولا تحمدا الا الحيا وخصاكما * هما كانتا والله للنفس واقيه
ولولاهما لم تنجوا من سنانه * وتلك بما فيها عن العود ناهيه
متى تلقيا الخيل المشيحة صبحة * وفيها على فاتركا الخيل ناحيه
وكونا بعيدا حيث لا تبلغ القنا * نحوركما ان التجارب كافيه

فلما قصصت عليه القصص * سقاه ماء بشر يسيغ جريض الغصص * ثم قال لى لو حدثتنى بحديثك مع الشيخ النجدى بدار الندوه * وصعوده متوكئا على عصا رأيه كل ربوه * فقلت هذا وقع فلتة وقانا الله خوف شرها * وقضى بليل من كيد طائفة وقع كيدها فى نحرها * رأى ظن انه جذيله المحكك وعذيقه المرجب * فلم ينتج له صوابا فتصعد فيه وتصوب * فسولت له نفسه كل أمر غريب * تارة يخطئ وتارة لا يصيب * وغره سن علا * فنزل أسفل سافلين ولم يقل أنا ابن جلا * فلما عزت منه الحيل * قلت لله جنود منها العسل * وهو وان أظهر العداوة فالقلب مع هواه * وهو حبيب تشفع له الود حتى ترضاه * فلما خضنا لجة الحديث ووقفت الاقلام *

على ساحل التمام * قال لى هات من هناتك * وأنشدلى ما قلته من أبياتك * فأنشدته منها

عقارب منكم لا تزال لنا تسرى * تدب ولا تدرى بانى بها أدرى
وتاكل لحمالم يكن تم نضجه * على نار حقد لا تنى بها قدرى
وعندى نعل قد أعدت لمثلها * تعاهدها أن لا تدب الى الجشر
ولى همة لا ترتضى دفع شدة * بكشفى سوآتى تحل سوى صبرى
كعمرو طليق السوءتين وماله * سبيل الى غير السبيلين من شكر
وما أزمت منه سيوف بها المرتدى * أبو حسن والخارجون من مصر
اذا اعتقلوا الخطى من فوق لامهم * ترى غصنا الدنا على شاطئ النهر
أو الحية الرقشاء ألقت قشيها * بمعترك حامى الوطيس على بدر
وما طلقاء الفتح مثل الذى اغتدى * رضيعا بدر الوحى من محكم الذكر
وليس بطيب العرف من ظر بانه اذا ما اصطلى بالعنبر الرطب فى الشحر
أبا حسن قد طبت حيا وميتا وفى نجف أشرقت كالكوكب الدرى
فاجدث طافت ملائكة الرضى * به وله الزوار تسعى مدى الدهر
كمثل ضريح ليس يعرفه امرء * وليس سوى زيد النحاة به يدرى
فيا صاح لا تذكر أوابد معشر * اذا ذكرت فاضت دموعى على صدرى
وقل لابن هند من لسان مهند * أآكلة الاكباد أغرتك بالوتر
وريحانة الزهراء قد فاح عرفها * وهبت بها النفحات طيبة النشر
عليهم سلام الله ما طنبت على * مضاجعهم سحب تحل عرى القطر
فحبهم فى منزل القلب جارهم ومن جاور الاشراف لم يخش من ضر
ومن كان خير الخلق فى ملجأ المنى * له فرطا يظفر بآماله الغر

فلما ارتوى الحديث من أعذب الموارد والمصادر * ورجع الحوار حار النوادر بارد البوادر * قال لافض الله فاك * ولا أقض فى مهد الهنا مثواك * فقد تركت بنيات الطريق * وجلوت خرائد فكرك فى معرض أنيق * ولم تنثر درر المدامع * الا من در مودع فى صدف المسامع * ما أقصر الليل على الراقد * وأهون السقم على العائد * وقد أصبت دار المقامه * فأنت جار أبى داود بدار الكرامه * فالزمه لزوم

الطوق جيد الحمامة * فيا مالك لا نظمأ بهذا المقام * وكيف يظمأ من كان جار الغمام

ما بين عصر سابق متلفت * شوقا اليك ولاحق يتطلع

(فصل) فى فوائد تتعلق بهذه المقامة قوله سنام الارض هو خصيبها كما فى اساس البلاغة قوله غربة قارظية الى آخره كان ناس فى الجاهلية تغربوا ففقدوا ولم يسمع لهم بخبر منهم القارظى خرج ليأتى بقرظ الدباغة ففقد وضرب به المثل ومنهم سنان بن حارثة الغطفانى من بنى مرة وفى المثل أضل من سنان ولا أفعل كذا حتى ترجع ضالة غطفان واياه عنى زهير بقوله

ان الرزيئة لا رزيئة مثلها * ما تبتغى غطفان يوم أضلت

قوله أغرّ من البلج هو طائر يتيمن به يقال له بالفارسية هماى وتمثاله ظله كذا فى الاساس قوله غرز بغين معجمة وراء مهملة وزاى معجمة هو للابل كالركاب للخيل قوله بيضة البلد رئيسها قوله عمائم دهره الثلاث هى سواد شعر اللمة والرأس ثم اختلاطه بالبياض ثم بياضه كله قال

يا من لشيخ قد تجرد لحمه * أفنى ثلاث عمائم ألوانا

سوداء حالكة وسحق مفوف * واجد لونا بعد ذا الهجانا

والموت ياتى بعد ذلك كله * وكأنما يعنى بذا الانسانا

قوله ولم يبق له ليل يصبح الى آخره هو حل لقول الفرزدق

والشيب ينهض فى السواد كأنه * ليل يصيح بجانبيه نهار

قال ابن السيد فى شرح أدب الكاتب الليل هنا بمعناه المعروف وقيل الليل فرخ الكروان والنهار الحبارى وهو وان كان صحيحا لغة غير مناسب هنا وهو مجاز لانه جعل الليل كمنهزم يصيح خلفه من يهزمه كما جعله المتنبى قتيلا فى قوله

لقيت بدرب القلة الليل لقية * شفت كبدى والليل فيه قتيل

وأحسن منه قول ابن هانئ المغربى

خليلى هبا فانصراها على الدجا * كتائب حتى يهزم الليل هازم

وحتى نرى الجوزاء تنثر عقدها * وتسقط من كف الثريا الخواتم

وسهله سبق الشماخ فى قوله

قوله قارظية الذى فى القاموس والقارظان يذكر بن عنزة وعامر بن رهم وكلاهما من عنزة خرجا فى طلب القرظ فلم يرجعا فقالوا لا آتيك او يؤب القارظان اهـ مصحح

ولاقت بأرجاء البسيطة أبلقا * من الصبح لما صاح بالليل نفرا

قوله كأنما على رؤسهم الطير تمثيل لسكونهم بمن على رأسه طائر يريد أن يأخذه وقيل انهم شبهوا بأصحاب نبي الله سليمان الذين كانوا معه يظلهم الطير قوله لو أنصفوه لقاموا الى آخره هو معنى بديع من قول البحترى

قل للامام أبى محمد الرضى * قول امرئ أبلاه حسن بلاء

من حول بركتك الشهية سادة العلماء والفضلاء والرؤساء

لو أنصفوك وهم قيام أشبهت * أشخاصهم أمثالها فى الماء

ومنه أخذ الارجانى قوله

هذا الزمان على ما فيه من كدر * يحكى انقلاب لياليه باهليه

غدير ماء تراءى فى أسافله * خيال قوم تمشوا فى نواحيه

فالرجل ينظر مرفوعا أسافلها * والرأس ينظر منكوسا أعاليه

قوله ولم تنثر درر المدامع * الا من در مودع فى صدف المسامع * معنى بديع أصله قول الزمخشرى يرثى شيخه أبا مضر

وقائلة ما هذه الدرر التى * تساقطها عيناك سمطين سمطين

فقلت لها الدر الذى كان قد حشا * أبو مضر أذنى تساقط من عينى

وتوارد معه الارجانى فى قوله

لم يبكنى الاحديث فراقهم * لما أسر به الى مودعى

هو ذلك الدر الذى أودعتم * فى مسمعى ألقيته من مدمعى

ومما قلته مما نسجته على هذا المنوال

ما انس لا انس روض الانس والسمر * فعن حديثى به سل نسمة السحر

وقائل قال ما للشهب قد غربت * أمن حياء لما فى الحى من غرر

فقلت غاصت بنهر الفجر حين جرى * حتى طلعن بروض الانس فى الزهر

ولما قلت هذا رأيت فى شعر ابن اللبان الاندلسى ما يناسبه وهو قوله

أديراها على الروض المندى * وحكم الصبح فى الظلماء ماض

وكأس الراح تنظر من حباب * تنوب به عن الحدق المراض

وما غربت نجوم الافق لكن * نقلن من السماء الى الرياض

وقد وقع مثله فى الشعر الفارسى الا انى لم أر أحدا من علماء الادب بين وجه

لطافته مع انه من المعانى البديعة فلما أمعنت النظر فيه رأيته مبنيا على تشبيه البليغ أو استعارة لانه جعل ماسمعه من أبى مضر دررا ذات نظم فائق * وجعل ماجرى من دموعه أيضا دررا فى نسق رائق * وهو كثير فى كلامهم مشهور الا انه بنى عليه ماصيره بديعا مستغربا حيث صير الدر الذى كان مودعا فى صدف الآذان لرقته دمعا جرى من العيون والأجفان * وتصرف فيه تصرفا آخر أخرجه من باب آخر وهذا هو المحتاج للبيان * فالظاهر انه من قلب الأعيان الجوهرية * كقلب عصا موسى حية * فلنسمه سحر الشعراء وقلب اعيان المعانى ومنه قولى فى بعض الفتوحات العجمية (فصل) لما أتى عمر كنوز كسرى وجواهر النوبهار * لم يعبأ بما فيها من زخارف الكفار * فكأن درها حن لأوطانه فأتاه لانه أعظم البحار * بل مدائحه والثناء عليه فى سائر الأقطار * صارت مجسمة فصيرها نثارا على خرائد الحصون والامصار * فتمثلت لتقبل ثرى أقدامه بتلك الديار

مخلد فخرها اذ تلك قد فنيت * لا الدر در ولا الاحجار أحجار

وفى معناه ماقلت فيمن أهدى له سبحة مرجان ودر

أحبب بسبحة مرجان مفصلة * بالدر تلثم بحر الجود أحيانا

كانت جواهر مدح فيك قد نظمت * والآن قد جسمت درا ومرجانا

كيما تقبل كفا فيه بحر ندى * والحر يشتاق بعد النأى أوطانا

ومثله وقع فى شعر فارسى المقامة الساسانية

المقامة الساسانية

حدثنا مالك بن دينار * عن مسافر بن يسار * قال كنت والشباب غرابه لايطار * وثمرانه الجنية تجنى من رياض الاخبار * أهوى السياحة والناس ناس والديار ديار * والدهر غر لم يفطن لتلون الليل والنهار

ولم أر يوما فى ظلام مفارقى * شهاب مشيب لاح فى الاثر منقضا

لقول الله (سيروا فى الارض) لنظر آثار رحمته * وأرى ماثر الطراز الاول فى اعلام حلته * فان من جد وجد * ومن توانى فقد فقد * رافعا عصا التسيار * على كاهل الاعتبار * رافض الاستراحة فى مهد الدعه * مشيعا قلبا فارق حبيبا ودعه * فاظما أملا عن در انس ارتضعه * لابن الرومى

ظالما التفت الى الصبح له ساق بساق

فى نقاب ورداء * من لئام وعشاق

أضرب كرة الارض بصولجان الهمه * لا أعبا بقامة غير قائمة وهمة همه * أتدرع برد الليل * لانه أخفى للويل * وأشق أديم النهار للسير * ولم أقل ليس للعصاسير * كهشيم ترفعه أعاصير ريح تدور * وورق جف فالوت به الصبا والدبور * كأننى على غصن بانة خضل تثنيه ريح الصبا هنا وهنا أو قذى فى عيون البلاد * أو عير شرود ترميه الروابى للوهاد * أو عذل وامق فى مسامع صب شرقت بماء الوداد

كأنى من الوجناء فى متن موجة * رمت بى بحار مالهن سواحل

حتى أتيت كورة خراسان * فاذا بها قيل نصب عرضه استهام الهوان * مقلدا فى ترجيح البخل مذهب سهل بن هارون * كأنه لم يسمع قوله ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون * فطويت حديثه على غره * وأتيته لأقف على جلية أمره * فلما جست خلال ايوانه * قرأت عنوان حاله على وجوه غلمانه * وسمعته يقول لمن امترى اخلاف درته * وشبع من خلته وحضه برؤية جرته * ياهذا اصناعتنا واحده * لولم تدرج من عشك كانت الراحة فائده * ألم تسمع نصح ناصح * ولم تزجر سانح وبارح

قال الحكيم فى قديم العهد * سواء السلطان ثم المكدى

كلاهما يطلب أموال الورى * لكن ذا بقهره والجند

وذا بألطاف الدعا ضارعا * لما يرجيه بمخض الزبد

فلما رأى الناس أغلق باب الرجا * وسده سد ابن بيض بناقته مسالك الارجا *

أتى بجفينة لاخير فيها * فأجلسها بمائدة الكلام

ثم قال لى أى البلاد تهدى سلامها * وأى زهرة تحية فتحت لك النسمات أكمامها * قلت الكنانة المعزيه * والخطة التى هى فى حضانة نيلها محميه * رياضها تحيى بانهاره * وأصابعه تشير لكنوز خصب تستخرج من معادن أقطاره * الا أن أصابع الناس فى الراحة والايادى * وفى أصابعه أياد وراحة لكل حاضر وبادى * فان سألت عن حالى * ففؤادى بها فؤاد أم موسى فارغ من آمالى * وما حال وردة فارقت نسمات القبول * فخداها السموم وقادها الذبول *

فتأمل كيف يغشى * مقلة المجد نعاس

فأما حال سكانها * ومن ألقى جرانه بأعطانها * فقد ذهب أرباب الهمم العاليه * ولم يبق الا من يفتخر بالرمم الباليه * روح الشوم * ونتيجة اللوم * وخليفة البوم * وبعين الله ما يصنع الليل والنهار * ويستر الثوب والجدار * وما يستتر فى ضمائر البيوت * وان طال التحمل والسكوت * فكم بكت السماء أرضا فقدت حبيبا * وساعدتها سحب انتحبت بها نحيبا

ولطمت الخدود بها بروق * وشققت الرعود بها جيوبا

فقل لمن افتخر بالعظام * ماوراءك يا عصام

اذا ما افتخرت بفضل الجدود * وما فيك شئ يسر النفوسا

فكل ما حواه كنيف الكرام * فقد كان أمس طعاما نفيسا

ولنعطف على هذا النسق * لبيان من بقى منهم طبق على طبق * من أصناف لا تعد * وأجناس لا ترسم ولا تحد * كرعاع بنى درزه بن ساسان * كلاب سلوقية تصيد منح كل جعد البنان * من كل سائل بالالحاح التحف * أوذاربزمار ودف * أو تغنى بأنكر الاصوات * فنهق اذ رأى شيطانا يدعى الكرامات * يقيم به المعتزلى دليل انكار الكرامة * ويقول هل على بعد هذا ملامة * أو حامل راية وعلم * جعل القناعة علما لسقوط الهمم * ومنهم من كبر وتكسرت قواريره * وخبا نوره حين هبت أعاصيره * وأعظمهم جرما * وأقلهم دينا وحزما * حجر مستنفره * يقرأون القرآن فى بقاع مستقذره * بين رهط لا يتدبرون ولا يستمعون * ولا يمتثلون قول الله واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون * وتجار رأس مالهم الافلاس * يضربون الاخماس فى الاسداس * يزكون كذبهم بالايمان الفاجرة * فيربحون خسارة الدنيا والآخرة * ان خاشنت أحدهم فى تقاضيه * بادر بالحلف على دينه فيقضيه

يقول استمع حلفتى كاذبا * اذا ما اضطررت وفى الحال ضيق

وهل من جناح على مسلم * يدافع بالله ما لا يطيق

ورؤساء الفقهاء والكتاب * الراضين من الغنيمة بالاياب * وسعوا الاكمام وطولوا الذيول * ومشوا فى ظلمات الجهل والعلم مصباح العقول * قباب عمائمهم على قبور الاجسام * دنيات منكوسة اهراقت الالباب والافهام *

أثقل من الامانة التى أبى حملها الجبال * من خوف سقوطها لم يدن منهم كاتب الشمال * حتى كاد لا يجد لاحصاء عمله سبيلا * وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا * اتخذوا سعة الاكمام * زنبيلا للخزى والملام * وطول الذيول * مكانس لطرق الغلول * اذا جلسوا يلقون دروسا * رأيت عنز الاخفش تقابل تيوسا * فيبدى ويعيد ثم يقول * من يحلب التيس عليه يبول * فاذا كبروا كسرت قواريره * هبت لتخريب الاوقاف دبوره وأعاصيره * اذا صام عن الخبز أفطر باكل أموالها * وتهجد ببيع أحجارها واستبدالها * انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر * لا من كان ضب العشيات وحرباء الظهائر * وقضاة بلغ سيل الظلم بهم الزبى * وشرقت أفواه التلاع والربا * من كل منقوص لا يظهر رفعه * اذرق دينه وجفا طبعه * أحول عقله يرى الواحد مع الرشا اثنين * ويبيع دينه نسيئة بالدين * ويستفتى فرعون فى قسمة الاحياء قبل الاموات * يحكى أبا جهل علما لو كان له بقليب بدر عظام رفات * ويفوق قاضى معز الدولة الملقب بفسوة الكلب فى الهوان * وقد أحسن ابن شرف فى هجوه غاية الاحسان * فقال

انا الى الله راجعون فقد * هان على الله أهل ذا البلد
وفسوة الكلب صار قاضينا * فكيف لو كان ضرطة الأسد

فكم ركب بحر الاهوال * حتى وصل الى ساحل الضلال * وأمعن السير فى تيهه فلم يجد للهداية طرقا * والمنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى * وفقيه تحت ابطه أجزاء رثة بها أفطر الجرذان * وتعشت العثة أعمى العين والجنان * وأبازير العمى ثم الصنان * له أوراق تفرقت أيدى سبا برا وبحرا * ومنتن صنانه سماه تأبط شرا * لئيم اذا شبع من النعم * بات غرثانا من الكرم * فهو ينادى * بكل حى ونادى

هى كتبى فليس تصلح من بعـ * ـدى لغير العطار والاسكاف
هى أما مزاود للعقاقيـ * ـر وأما بطاين للخفاف

وقد فقد العلم لولا انعمة انس من نفر بقايا * فتح الله بهم خزائن كنوز هى خبايا فى الزوايا * من كل نقى العرض أبيض السجايا * اذا تدنست الاعراض

فاعراضهم من العار عرايا

أبدت ما ثرهم نقص الزمان فهي * خد الربيع طلوع الورد من خجل

حمت شوكتهم رياضا في ربا الدين العوالي * وأحيى الله بأنفاسهم العيسوية موات المعالي * ولما شرح الله بهم صدر الدين * وفتح بصائرهم عين اليقين * أيدهم بأبناء الاعيان من امرائها * فقالت الخلافة تحت أفياء لوائها * حتى حموهم من نوائب الحتوف * وزهت جنة مثواهم تحت ظلال السيوف * فصارت بهم الأطراف * من منازه منازل الأشراف * ولهذا يشير البديع * بقوله في معنى بديع

قيل لي لم جلست في طرف القو * م وأنت البديع رب القوافي

قلت آثرته لان المنادي * ل يرى طرزها على الأطراف

وكفاني من المفاخر اني * نازل في منازل الأشراف

فعروا من ذلك الظل الى ركن معتمد * ونزلوا فيه بين العلياء والسند * متعنا الله بهذه الدولة وجعلها أطول الدول عمرا * وأرفعها منارا وأعظمها قدرا * سماء مجدهم مكللة بنجوم تهتدي بها الاماني * ويستقر رجاء كل قلب عاني * والدهر اسعدهم من الخدم * وفيض أياديهم يغني عن الديم * وسحبهم مغدقة على الراجين بالكرم

قلت للبرق اذ تألق فيها * يازناد السماء من أورالك

ان تشبهت بالكرام وما قد * كان من جودهم فلست هنالك

ومدعي لسان برقهم الخلب وقال لا خلابه * وكادت دهم الأقلام من المثنى في الكتابه * شكرت مشيها على الرؤس * وقالت لا عطر بعد عروس * فقد جف القلم * وكل شئ بلغ الحد انتهى وتم

مقامة عارضت بها مقامة الوطواط وهي هذه

حدثنا مبارك بن سعد العشيره * وكان حسن السيرة سليم السريره * قال لما هزتني الاريحية * ودعتني دواعي الهم والحمية * الى تقلد صوارم الأعمال * وجهت وجه الطلب الى قبلة الآمال * سدة الوزاره * ومسند ظهور الصداره * فأتيت المآرب من بابها * وقبلت الحجر المكرم من أعتابها * فلم أجد المقاليد * بيد حر رشيد * فزاغ البصر * وقال

كلا لا وزر

من آلة الدست ماعند الوزير سوى * تحـــريك لحيتـه فى حال ايماء
فهو الوزير ولا ازر يشـــدبه * مثـل العـروض له بحـر بلا ماء

ثم حللت عقدة من لسانى * ومددت حبل بيانى * قائلا لم تؤد الامانات الى أهاليـها * وترم سهام الاغراض نحو مراميها * ألم تدر أن زوال الدول * باصطناع السفل * هلا وليت قارّها * من تولى حارّها * فاعتذر بابرام التشفيع * ودعوى اسـتحقاق من قلده الصنيع * وان كانوا أنعاما بلا أذناب * لم يعرف انهم من النـاس حتى علاهم التراب.

ومن الجد كيمياء اذاما * مس كلبا أحاله انسانا

ثم احتج فى المحافل لمن قدمه من الاراذل * بأن قصب السكر أحلاه كعوب الأسافل * وماعلى المحسنين من سبيل * قلت لابس ثوبين او مكشوف السبيل * ومامثلى ومثلك الاكمثل فاتك أمير الحرم * والنعمان هاتك الحرم * لجمعه بين الرجال والنساء * فى عكاظ الفجور صباحا ومساء * فلما سمع ماوشوا به أحضره * ونفاه بعـد ماهـدده وزجره * فذهب لوادى الاراك * وأقام مليا هناك * ثم أتى لزيارة البيت والمقام * فلقى من كان يرضع معه ثدى المدام * فتذاكر مع ذلك النديم * عهد انسه القديم * ثم قال ان أردت أعدتها جذعة بدرهـمين * فى أحسـن نزهة وقرة عين * كما قلت

ياصاح قد زار الربيع فقم الى * صفو المدام ونزهة الابصار
فلقد دعاك الى الرياض وطيبها * سجع البلابل دعوة الاسحار

فاسـتحسـن ذلك المقال * وأجاب دعوة اللهو فى الحال * مقيما لسوق الفسوق * قائلا من فرص اللصوص ضجة السوق * فاعلم به الامير ثانيا * فحمله على الأدهم بخلاف خيل الرجال حاليا * وأبرق له وأرعد * وأنذره صواعق عقابه الاشد * فأنكر وطاب منه بينه * أوحجة على ماقالوا بينه * وقال الانكار * من حصون الفجار * ثم قال قائل للأمير * ارسـل بواديه الحمير * فان أتت داره * لم تسمع انكاره * فلما سمعوا ذلك فاتكا * تبسم ثغر القبول ضاحكا * فقلت للوزير * قبول هذه الشفاعة كقبول

الأمير شهادة الجير * فترك دقيق الاراء لرأى فطير * وأراق ماء سقائه لما رأى السراب * وأطفأ السراج لما رأى بوارق السحاب * ومن كان كذلك لا أقبل له عملا * ولا اوجه نحو سدته أملا * فقد استراح الأمل * ومل اليأس من الملل * ونام العمل فى مهد البطالة * واهتدى سارى الطلب بالضلالة

لا خيل عندك تهديها ولا مال * فليسعد النطق ان لم تسعد الحال

وهذا مما نسجته على منوال رسالة رشيد الدين محمد بن محمد العمرى المعروف بالوطواط التى عملها الكاتب كان يزاحمه فى أداته ودواته (وهى هذه) عذلتنى أدام الله بهجتك * وحرس مهجتك * على اعتكافى فى الزاويه * والتجافى بالعافيه * وقلت لم تركت الاعمال وفوائدها * والاشغال وعوائدها * فاعلم أدام الله سعادتك * وزين بالكرم عادتك * انى ماطلقت منافع الديوان * ولا ودعت مجامع الاخوان * الا هربا من الحافك فى الاستماحه * وضجرا من اسرافك فى الوقاحه * كم أصبر على نهبك دواتى وقلمى * واستهزائك بحاشيتى وخدمى * أيها الكاتب أين دواتك وقلمك * بل أيها الغاصب أين حياؤك وكرمك * لاشئ أقبح من ذى صناعة لا تكون معه أداته * ولا خزى أفضح من ذى كتابة لا يصحبه قلمه ودواته * سمعت فيما بلغنى من النوادر المطربه * والحكايات المضحكه * انه كان بنيسابور مكار يعرف بأبى سعيد المعتوه كثير الجنون * قليل السكون * يغضب من الذباب اذ يطير * ويضجر من الشرار المستطير * وله حمار كحمار قبان بل أضعف قوة * وأنحف بنيه * أضناه مس الآفات * وأفناه قطع المسافات * لم يبق من لحمه الا اليسير * ومن عظمه الا الكسير * فاتفق انه اكترى حماره هذا بعض التجار القاسية قلوبهم * والفاشية عيوبهم * الى بغداد وحمله من أصناف بضائعه * وأنواع بدائعه * حملا ثقيلا تفرق الجمال من ثقله * وتشفق الجبال من حمله * ثم علق على أحد جانبيه مطهرة مملوءة بالماء * ومن الجانب الآخر سفرة محشوة بالخبز والحلواء * وألقى عليه فروة ولباده * وحشية ووساده * ولا تسل عن القدر والمغرفه * والفاس والجرفه * والنخ الذى يفرشه اذا نام *

والخف الذى يلبسه اذا قام * وغير ذلك مما يحتاج اليه التاجر لمرمة أحواله * ويفتقر اليه المسافر فى حله وترحاله * ثم بعد هذا كله استوى التاجر عليه * وأدلى منه رجليه * كأنه أصاب ملك تفليس * أو استوى على عرش بلقيس * والحمار تحت هذه الاثقال لا يمكنه السير * ولا يرجى منه الخير * اذا ضرب ضرط * واذا حرك سقط * والمكارى يبكى طول الطريق دما * ويتنفس الصعداء ندما * ويقاسى من وعثاء السفر * ولأواء الخطر * وجور المكترى وجفائه * وتكدر العيش بعد صفائه * ما يطيل العنا * ويزيل الهنا * الى ان وصل بمهجته الحزينه * وحشاشته المسكينة * بعد اللتيا والتى الى بغداد ودخلها وقت السحر وطلب محلة يسكنها طوائف التجار * وينزلها الواردون من الاقطار * تحط فيها الرحال * وتطرح الاحمال * وشد الحمار * ونفض عن عطفيه الغبار * وتوضأ فى الساعه * وصلى مع الجماعه * وما أرغب الملهوف فى الصلوات * وأحرص المظلوم على الدعوات * فلما فرغ من صلاته ودعائه * وهدأ من تضرعه وبكائه * وهم بالخروج من المسجد سمع صيحة هائلة من ناحية درب المحلة كادت تنعط لهولها الجيوب * وتنشق من فزعها القلوب * فعمد الى الدرب ليسأل عن المهم * والأمر الملم * فاذا المحتسب عند باب الدرب بدرته * وصاحب الشرطة لابس ثوب شرته * والعامة أكثر من أن يحصى عددهم * والنظارة أزيد من أن يستقصى مددهم * فقال المكارى ماذا حدث فقالوا فى هذه المحلة تاجر قد أخذ البارحة مع غلام الخطيب * كالغصن الرطيب * يشرب المدام * وينيك الغلام * فانتزعوا التاجر من داره * واستخرجوه من وجاره * وتضاعفت عليه الصفعات المعممه * والجلدات المدميه * وسودوا محياه * وطلبوا حمارا يركبونه اياه * ليطاف به حول البلده * للنكال والعبره * وكان حمار المكارى بمرأى من عيون العامة فتغادوا اليه * وأجلسوا التاجر عليه * والمكارى يعدو ويصيح حيث لا ينفع الصياح وقامت القيامة فى السوق * واللعن على أهل الفسوق * والعامة يرمون التاجر بالبعره * ويشيعونه بالنعره * الى ان طيف به فى جميع محال البلد والبلد بلد بغداد فلما حان وقت المساء * وانسدل

سجف الظلماء تخلى عن التاجر وردّ الحمار الى المكارى ساغبا لاغبا جائعا يكاد يسلمه الطوى * الى التوى * ويسوقه الصدا * الى الردا * فأخذه المكارى أخذ المترحم ومدّ اذنيه * ومسح عينيه * وقرأ فاتحة الكتاب وتفل عليه * وزاد فى علفه * خوفا من تلفه * وبات تلك الليلة كما قال النابغة

فبت كأنى ساورتنى ضئيلة * من الرقش فى أنيابها السم ناقع

فلم يفرغ سحابة الليل * من الحرب والويل * فلما نعر ديك الصباح وصاح * وزهر كوكب الصباح ولاح * قام المكارى من مهجعه * ووثب من مضجعه * وكاد يشتغل بالوضوء اذ قرعت سمعه صيحة أشدّ من الصيحة الامسية فترك الوضوء وأسرع الى الدرب ليفتش عن الأمر الحادث * والخطب الكارث * فاذا المحتسب بالباب * وصاحب الشرطة كاشر الأنياب * والعامّة أشدّ هجمة * وأكثر وجه * مما كانوا بالامس فقال المكارى ماذا وقع قالوا ذلك التاجر اخذ كرّة اخرى مع غلام للقاضى * كالسيف الماضى * يشرب القهوة * ويصعد الجهوة * فقال المكارى انا لله وانا اليه راجعون قطع الله أيره * وأزال خيره * ورزقنا جارا غيره * ثم عدا الى حماره * ليواريه فى بيت جاره * فسبقه بعض العامّة اليه * وأجلسوا التاجر عليه * فشق المكارى جيبه * ولطم وجهه * وشج رأسه * وتمرغ فى التراب * من فرط الحزن والاكتئاب * وقال لا مرحبا بهذه السفرة المنحوسة * والحركة المعكوسة * فما أشدّ عجمها للعود * وأبعد نجمها عن السعود * وكان على هذه الصفة الى أن مدّ الليل رواقه * وضرب الظلام طراقه * تخلى عن التاجر وردّ الحمار الى المكارى وقد تمزق اهابه * واسترخت أعصابه * وصار لا يقدر على الحراك * وأتى وقد انشبت به اظفار الهلاك * فأخذه المكارى كالمجنون ونحى برذعته واكافه * ومرخ أعضاءه وأطرافه * وسقاه الماء * وترك بين يديه الاناء * وكان من صدر الليل الى عجزه مستلب القرار * فى مداواة الحمار * فلما انتشرت أعلام الضوء فى أقطار الجو أصاب اذنه صيحة أهول من الصيحتين الاولين فوثب من مرقده ليتفحص عن الحال * والداء العضال *

فاذا المحتسب عند الدرب * وصاحب الشرطة مشمر للضرب *
والعامة مجتمعة * والأصوات مرتفعة * فقال المكارى ماذا طرى
قالوا ذلك التاجر أخذ كرة ثالثة مع غلام للرئيس * كالدر النفيس *
يشرب الخمر * ويفعل ذلك الأمر * فقال المكارى استأصل الله شافته *
ودفع عنا آفته * وقفز اليه * وعض الانملة عليه * وأخذ باحدى يديه
فلببه ولكمه بالاخرى لكمة ضعضعت أركانه * وقعقعت أسنانه * وقال
بقلب حنق * وصوت مختنق * يا خبيث الفرج ان كنت لا تتوب من هذه
الحالة القبيحة * ولا ترجع عن هذه الخصلة الشنيعة الفضيحة * فاشتر حمارا
تركبه أوقات النكال * وساعة الوبال فى هذه الأفعال * فقد أهلكت
حمارى * وأزلت قرارى * فها أنا أقول لسيدنا قول المكارى للتاجر
الفاجر ان كنت كاتب الملك فهيئ الطرس والنقس * والا فالزم البيت والعرس
* فقد أفسدت دواتى وقلمى * وأطلت عناءى وألمى

(المقامة المغربية)

حدثنا مؤنس عن زعيم تونس * بأحاديث تسلى الكئيب وتؤنس * وتهزأ
بالمقامة المغربية * وتدعها لا شرقية ولا غربية * لركاكة مبانيها *
وغور معين معانيها * فمنها قوله تعاطينا كأس المنافثة * وقد حنا زند
المباحثة * كقولى نازعناه كأس الحوار * فأسكرتنا بلا صداع ولا خمار *
وقد حنا زند الأفكار * فاضاءت أنوارها بغير نار * وظننا أن الفضل
والأدب المجتب * شالت نعامته وطارت به عنقاء مغرب * وحنظلة بن
صفوان لم يرله عقاب عزم منجب * وشمس الهدى طلعت من مغاربها *
وباب التوبة أغلق وقد ضاعت مفاتيح مطالبها * حتى لاحت من جانب
الغرب قافلة * وفيها قبسة لباب التوبة غير قافلة * صدقت حديث لا تزال
طائفة من أهل الغرب * تصدر الرعاء بعدما استقوا بكل سجال وغرب *
وفيهم عيسى الجزرى * أتى بكل وشى عبقرى * الا أنه لما أطال بوهم
الملال * فانه كان كما يقال

كلما نذكر شيأ * قال املوه علينا

فلما بلغه تلك الأخبار * بادر الى الاستعطاف والاعتذار * وكتب دام

سعد المولى فى صعوده * وجده فى شرف سعوده * وشهابه فى اشراق أضوائه * وسحابه فى اغزار انوائه * وان مماروى أبو سعيد الخدرى فى الوصية بطالب العلم حديثه المشهور فى بابه * وأنتم أهله وأولى به * ثم قال

عياذا بصفو الحلم من كدر العتب * وغوثا بانواء الشهاب من الجدب
لقد قرع الآذان منا ملمة * تضاعف من مأثورها ألم الكرب
مقالة ان العبد فرق جمعه * ونكر من عرف وأبعد من قرب
فيا أيها البحر الخضم ومن غدا * يتيه به الشرق المنير على الغرب
حنانا ورفقا بالخويدم انه * ليضعف عما حملته يد العتب
فان أك قد قارفت ذنبا فذمتى * بمولاى ماتنفك تمحو قذى الذنب
فما زال ضوء للشهاب مجليا * ومابرحت أنواء نعماه فى سكب

وحديث نضر الله أمرا لايعزب عن ذكر المولى * وهو بتبليغ الوافد الغريب أحق وأولى * ففهمت مقاله وقبلت عذره * وقلت لله دره

تلك المكارم لاقعبان من لبن * شيبا بماء فصارا بعد ابوالا

ولو سمع الحريرى قول شامة الشام * فيما أتى به فى الغرب من الجناس التام * ماحوقل واسترجع * وأنشد من قلب موجع

سل الزمان على عضبه * ليروعنى وأحد غربه — حده
واستل من جفنى كرا * ه مراغما واسأل غربه — مجرى الدمع
وأجالنى فى الافق أطـ * ـوى شرقه وأجوب غربه — مغربه
فبكل جو طلعة * فى كل يوم لى وغربه — غروبه
وكذا المغرب شخصه * متغرب ونواه غربه — بعيده

وسياتى من معانى الغرب * ماتعلم أن بينه وبين هذا كما بين الشرق والغرب * وانه قنع من الكثير بقليل ماقاله * عملا بالمثل لم يحرم من فزدله * ولولا أن الحظ لبى دعاءه * ومرى من اخلاف المزن انواءه * ماتهادته الركبان * ولا شكر صنيعة صنعته الزمان * ولكن النظم والنثر توأمان * قد تراضعا بلبان * وتربيا فى حضانة الحسن والاحسان * فانهما ديوان العرب * الذى لم يزل يحفظ به الحسب والنسب * ونؤثر به القبائح والمحاسن *

وترفرف أهداب ريحانه على ماء غيراسن * وله طبقات على مر السنين * جاهلية ومخضرمين واسلاميين * ومولدين ومحدثين ومتأخرين * لحقوا حلبة الجالين والمصلين * وكلهم استقوا بماء الكرم المعين * من المكارم ضالته التى تنشد * والمحامد غنية تجبى له من اتهم وأنجد * ولم يكثر بنكهة ذى قربى ولا بحقاد * والا ان قد اندرس النسب * وذبحت الدجاجة التى كانت تبيض الذهب * والليالى التى كانت حبالى ترجى ولادتها عقيم * ولا أرض منبتة حتى يرعى الهشيم * وقد صم الندا * وخرس الصدا * ومن عرف ما بين الصحابة جرى * وذهب به دم الفاروق هدرا * ولم يتناطح عنزين * اذ طل دم ذى النورين * فمن يسمع شكاية الزمان * وقول بديع الزمان * الخلق النفيس * لا يساعده الكيس * ولا قرابة بين الذهب والادب * وقد قامت الايام بين جمادى ورجب * فصارت كلها عجائب فلا يسمع من يقول لها عجب * وقالوا اذا ظهر السبب بطل العجب * وأنا أقول اذا دام العجب * صار عين السبب * ومن أتى بعد الطبقة العاليه * شرب من عين صافيه * واستعار منهم حلل المبانى * والحلى شغل أدله أن يعار وصاغ من نضارهم زخرف المعانى * فصار عجلا له خوار وأغار عليهم فسبا ماسبا * وساق سائمة قالت فى كناس الظبى * ألم تسمع بقصة الحاتمى مع أبى الطيب * وظلامة أبى تمام التى تميز الخبيث من الطيب * ولله در أبى اسحاق * فيما شنع به على السراق

قالوا تركت الشعر قلت ضرورة * باب الدواعى والبواعث مغلق
خلت الديار فلا كريم يرتجى * منه النوال ولا مليح يعشق
ومن العجائب انه لا يشترى * ويخان فيه مع الكساد ويسرق

على انا نقول ان خابت الظنون * ففى المثل الحديث شجون * والمطامع لا تمل خائنة العيون * ولنا فى الغيب آمال * لا تمل الانتظار والسؤال * والسلام (فصـــل) فى بيان ما فى هذه المقامة من الفوائد قوله حنظلة بن صفوان هو نبى الرس الذى أهلك عنقاء مغرب لما اختطفت الصبيان قوله روى أبو سعيد الخدرى هو الصحابى المشهور وما ذكر اشارة الى الحديث الذى رواه السانى فى معجمه مسندا لابى سعيد الخدرى انه قال

قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الناس لكم تبع وانه سيأتيكم رجال من أقطار الارض يتفقهون فاذا أتوكم فاستوصوا بهم خيرا * رواه عنه أبو هارون العبدى وقال كنا اذا أتينا أبا سعيد الخدرى يقول لنا مرحبا بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم سلوا ماشئتم انتهى قوله شامة الشام هو صاحبنا أبو المعالى درويش محمد الطالوى أديب الشام والأبيات المذكورة هى للحريرى فى مقاماته أتى فيها بمعانى الغرب وأظهر فيها اطلاعه على اللغة وهى قطرة من غدير * وزهرة من روض نضير * عارضها صاحبنا الطالوى بقصيدة أبدع فيها وهى قوله

أمن رسم دار كاد يشجيك غربه	* نزحت ركى الدمع اذ فاض غربه	موق العين
عفا آيه نسج الشمائل والصبا	* وكل هزيم الودق اذ فاض غربه	ذهابه ومجيئه
به النوء عفى شطره فكأنه	* هلال خلال الدار يجلوه غربه	محل الغروب
وقفت بها صحبى أسائل رسمه	* بحاجة صب طال بالدار غربه	التمادى
على طلل يحكى وقوفا برسمه	* على مثلها والجفن يذرف غربه	الدمع
أقول وقد أرسى الفنا بعراصه	* وأزف أهليه البعاد وغربه	النوى
سقى ربعك المعهود ريعان عارض	* يسح على سحم الاثافى غربه	درره
وليل كيوم البين ملق رواقه	* على وقد جلى الكواكب غربه	اوله
أراعى به زهر النجوم سوابحا	* بحر من الظلماء قد جاش غربه	اعالى الماء
يراقب طرفى السائرات كأنما	* لطول دوام نيط بالشهب غربه	مقدم العين
كان جناحى نسره قص منهما	* قوادم حتى ماتزايل غربه	التنحى
ذكرت به لقيا الحبيب وبيننا	* أهاضيب أعلام الحجاز وغربه	شجره
فهاج لى التذكار نار صبابة	* لها الجفن أضحى يقذف الدمع غربه	مسيل الدمع
الى أن نضا كف الصباح حسامه	* وأغمد من سيف المجرة غربه	جده
وولت نجوم الليل صرعى كأنما	* أريق عليها من فم الكأس غربه	خمره
وأقبل جيش الليل يغمد سيفه	* بنحر الدجى والليل يركض غربه	الفرس الكثير الجرى
وزمزم فوق الايك قمرى بانة	* بروض كفاه عن ندى السحب غربه	يوم السقى
فهب يدير الراح بدر يزينه	* اذا قام يجلوها على الشرب غربه	ساقه
من الروم خوطى القوام بثغره	* سلاسل راح يبرئ السقم غربه	سلافة الريق
بخد أسيل يجرح اللب طرفه	* وطرف كحيل ينفث السحر غربه	عينه

الزبور
كثرة الريق
المدى
بعده
منقع الريق
حدة الجرى
انهلال الدمع
الفيضة من الدمع
المغرب

يريك نظيم الدر منه منضدا * كمنطق داود اذا صال غربه
فتى قد كساه الفضل ثوب بهائه * اذا خصمه قد شن بالفم غربه
فيامن رقى هام المعالى وفكره * لدى البحث أمضى من شبا الليث غربه
اليك أتت تفلى الفلا بدوية * ولم ينضها طول المسير وغربه
أرق من الصهباء فاعجب بسيبها * وأعذب من ثغر حوى الشهد غربه
اذا ما جرت فى حلبة الشعر لم يك الـ * كميت يدانيها وان زاد غربه
ولو عرضت يوما لغيلان لم يكن * باطلال مى يغرق الجفن غربه
فدونكها لا زلت تسمو الى العلا * مدى الدهر ما صب سقى الدار غربه
وما غردت ورق الحمائم بالضحى * وأشرق وجه الكون وانجاب غربه

قوله لم يحرم من فزد له هذا مثل يضرب لمن طلب شيأ لم يتيسر له وقيل له اقنع بما تيسر من القليل وأصله أن الضيف فى زمن القحط يؤمل أن من نزل عليه ينحر له فيفصد رب الدار راحلته ويجعل الدم فى المصارين ونشوى وتقدم للضيف ويقال اقنع بهذا فانى لا أقدر على أكثر منه وأصله فصد بضم الفاء وكسر الصاد فسكنت للتخفيف وحينئذ يجوز ابقاؤه على أصله وابدال صاده زايا أو يشم وهى لغة فصيحة فى الصاد بشرط سكونها سكونا أصليا أو عارضا كما هنا وفى كتب العربية ان هناك شرطا ثانيا وهو أن يكون بعدها دال وبه قرئ فى نحو قاصدع وفيه نظر لانه قرئ به فى صراط ومصيطر ولا دال فيه فلعله شرط لما هو مطرد مقيس قوله بنهكة ذى قربى ولا بحقلد هذا اشارة الى قول زهير فى قصيدة له أولها

غشيت الديار بالبقيع فثهمد * دوارس قد أقوين من أم معبد

(ومنها)

اذا ابتدرت قيس بن عيلان غاية * من المجد من يسبق اليها يسود
سبقت اليها كل طلق مبرز * سبوق الى الغايات غير مجلد
كفضل جواد الخيل يسبق عفوه السراع وان يجهد ويجهد فيبعد
نقى تقى لم يكثر غنيمة * بنهكة ذى قربى ولا بحقلد
سوى ربع لم يأت فيها مخانة * ولا رهقا من عابد متهود

ومعنى قوله نقى تقى الى آخره انه نقى فى ذاته نقى فى عرضه لم يكثر مال الغنائم بجور

وغارة على من يقرب منه من القبائل وقوله حقلد بفتح الحاء المهملة والقاف وفتح اللام المشددة ورواه أبو عبيدة بفاء بدل القاف والمشهور الأول ومعناه السيئ الخلق لا يؤمن شره والطلق السخي المطلق كفه بالعطايا وغير مجلد أي يسبق من غير جلد بسوط ولا زجر والنهكة الجور بما ينهك ويضعف والربع جمع ربعة وهو من يعطى ربع الغنيمة كما كانوا يعطون الرئيس الربع أو هو مفرد بزنة خمس ومتود بمعنى متخشع والخيانة الخيانة والظلم وبحقلد عطف على متوهم أي ليس بمتكثر ولا بحقلد فهو معطوف على مجرور بباء زائدة متوهم كما ذهبوا اليه والمعنى انه براء من النقص ولم يكتف بما يغنمه ممن يغير عليه وينهكه ويضعفه بأخذ ماله وانما يأخذ ما كانت الملوك تأخذه فى الجاهلية ولك أن تقول انه معطوف على بنهكة من غير تأويل بما قالوه والمعنى انه لم يكثر مال غنائمه بجوره على أقربائه ومن بجواره ولا بأخلاقه السيئة من الشح وجوره على من بجواره فتدبر واختر لنفسك ما يحلو قوله الدجاجة التى كانت تبيض الذهب تلميح لمثل عامى فى قصة وهو أن بعضهم كان يرسل لانسان فى كل سنة ذهبا على هيئة بيضة ثم قطعه عنه فلما طلبه منه قال له الدجاجة التى كانت تبيض الذهب بعناها يضرب لكل من طلب شيأ بعد فوات زمنه ونظمه الثعالبى بقوله

من كان ينفعه الأدب * ويحله أعلى الرتب

فلقد خسرت عليه ما * ورثت من أم وأب

كم ضيعة كانت تصو * ن الوجه عن ذل الطلب

أتلفتها لا فى القيا * ن ولا هوى بنت العنب

بل فى الحوادث والحوا * ئج والشوائب والنوب

كم قلت لما بعتها * وحصلت فى أسر الكرب

ذهبت دجاجتنا التى * كانت تبيض لنا الذهب

قوله بين جمادى ورجب اشارة الى الكلام المشهور وهو بين جمادى ورجب ترى العجب وهذا مثل ذكره الجاحظ فى كتاب الاضداد فقال أول من قال كل العجب بين جمادى ورجب عاصم بن المقشعر الضبى وذلك أن الخنيس بن الخشرم كان أغير أهل زمانه وأشجعهم وكان لعاصم أخ اسمه عبيدة عزيزا فى قومه فهوى امرأة عند الخنيس فلما بلغه ذلك ركب اليه فرآه راجعا من عندها

قوله فتدبر تدبرناه فوجدنا فيه ما فيه أولا وآخرا فتأمل

فقتله فلما بلغ أخاه عاصما خرج اليه فى أواخر جمادى قبيل رجب لانهم كانوا
لا يقاتلون فيه فانطلق حتى أتى باب خنس ليلا وناداه أجب المرهوق فقال
لماذا فقال انى دخيل من ضبة والعجب كل العجب بين جمادى ورجب غصب
أخ لى امرأة قد ذهبت استنقذها فقتل وقد عجزت عن قاتله فخرج الخنيس له
راكبا فرسه معتقلا رمحه وهو مغضب فلما دنا منه قنعه السيف فابان رأسه
وفى معناه المثل الآخر وهو سبق السيف العذل وقائله ضمضم بن عمرو اللخمى
انتهى قوله بقصة الحاتمى مع أبى الطيب الى آخره أما قصة الحاتمى فهو كما قال ان
المتنبى لما دخل بغداد صعر خده ونأى بجانبه يرفل فى برد التيه * ولا يلقى أحدا
الا يرد ربه * يخيل له ان العلم مقصور عليه والشعر بحر لا يغترف الا منه ونور
روض لم يجنه غيره فتوخيت أن يجمعنى واياه مجلس يعرف فيه منا السابق من
المسبوق فلما لم يتفق لى ذلك قصدته فاذا هو على فرش بالية قد أكلها الدهر فهى
رسوم خافيه فلما رآنى نهض الى بيت بازائه حتى جلست فاقبل وعليه سبعة
أقبية كل منها بلون فى أشد ما يكون من الحسن يحفها افضل اللباس فوفيته
حق السلام غير مشاح له فى القيام مع علمى انه لم يدخل المخدع الا لئلا ينهض
عند موافاتى فلما جلس أعرض عنى ساعة طويلة لا يعيرنى طرفه ولا يسألنى
عما قصدت له فكدت أحرم من الغيظ ولمت نفسى على قصده واستخففت رأيى
فى زيارة مثله وهو مقبل على جماعة يقرأون عليه شيأ من شعره وكل منهم يوقظه
ويغمزه ويومى اليه بما يجب عليه أن يفعله ويعرفه مكانى وهو لا يزداد
الا ازورارا ونفارا ثم ثنى بصره الى وقال أى شئ خبرك فقلت خير لولا ما جنيته
من قصد مثلك وكلفت قدمى فى المشى اليك ثم تحدرت عليه تحدر السيل وقلت
ابن لى عافاك الله ما الذى أوجب ما أنت عليه هل لك نسب فى الابطح تبحبحت
به بحبوحة الشرف * وتوسطت به واسطة السلف * أو علم أصبحت به علما يومى
اليه * وتقف الهمم عليه * هل أنت الا وتد بقاع وانى لاسمع جعجعة ولا أرى
طحنا فسقط فى يديه وقال لى لم أعرفك فقلت له هب الأمر كذلك أما رأيت
تحتى بغلة رائعة وبين يدى غلمان عدة أما شممت نشرى أما شاهدت لباسى أما
راعك من أمرى ما أتميز به عندك عن غيرى فقال لى خفض عليك فاعرضت
عنه ساعة ثم قلت له عندى أشياء تختلج فى صدرى من شعرك أحببت ان

اراجعك فيها فقال ماهى قلت اخبرنى عن قولك

اذا كان بعض الناس سيفا لدولة * ففى الناس بوقات لها وطبول

أهكذا تمدح الملوك واخبرنى عن قولك

ولا من فى جنازتها تجار * يكون وداعها نفض النعال

أهكذا ترثى أم ملك أما والله لو قلت هذا فى أدنى عبيدها لكان قبيحا واخبرنى عن قولك فى صفة كلب

فصارنا فى جلده للمرجل * ولم يضرنا بعد قصد الاجدل

أترى أعجبك من هذا عذوبة لفظه أولطف معناه واخبرنى عن قولك فى هجاء ابن كيغلغ

واذا أشار محدثا فكأنه * قرد يقهقه أو عجوز تلطم

أما فى أفانين الهجاء التى أبدعها الشعراء مندوحة عن هذا الكلام الرذل الذى يمجه كل سمع ويعافه كل طبع أما قرأت رجز الحسن بن هانئ وطرديات ابن المعتز أما فى غرر الالفاظ ما تتشاغل به عن بنيات صدرك فاقبل على وقال أين أنت من قولى فى وصف جيش

فى فيلق من حديد لو قذفت به * صرف الزمان لما دارت دوائره

ومن قولى

كأن الهام فى الهيجا عيون * وقد طبعت سيوفك من رقاد

وقد صغت الأسنة من هموم * فما يخطرن الا فى فؤاد

(وقولى)

ما كنت آمل قبل نعشك أن أرى * رضوى على أيدى الرجال تسير

أما يكفيك احسانى فى هذه عن اساءتى فى تلك فقلت ما أعرف لك احسانا فيما ذكرت وانما أنت سارق متبع وآخذ مقصر أما قولك كأن الهام الخ فأخوذ من قول منصور النميرى

وكأن موقعه بجمجمة الفتى * حذر المنية أو نعاس الهاجع

وأما قولك فى فيلق من حديد فأخوذ من قول ارسطو فى آخر مقالته قد تكلمت بكلام لو مدحت به الدهر لما دارت على صروفه واما قولك ما كنت آمل البيت فأخوذ من قول ابن المعتز

قد ذهب الناس ومات الكمال * وصاح صرف الدهر أين الرجال
هذا أبو العباس في نعشه * قوموا انظروا كيف تسير الجبال

فقال أحد من حضر ما أحسن قوله (قوموا انظروا الخ) فقال المتنبي اسكت ما فيه حسن انما أخذه من قول النابغة الذبياني

يقولون حصن ثم تأبى نفوسهم * فكيف بحصن والجبال جنوح

فقلت ان أخذه فقد أحسن المأخذ وأخفاه وأما قولك أنت فمأخوذ من قول أبي تمام فقال من أبو تمام فقلت الذي سرقت منه ونجسته بقولك

شرف ينطح السماء بروقيـ * ـه وعز يقلقل الاجبالا

فجعلت شرفه قرنه لان الروق القرن فقال انها استعارة فقلت لكنها خبيثة فقال اقسم بالله ما رأيت شعره أليس هو القائل

سبعون ألفا من الاتراك قد نضجت * جلودهم قبل نضج التين والعنب

(والقائل)

كانوا رداء زمانهم فتصدعوا * فكأنما لبس الزمان الصوفا

فقلت له من الدليل على قراءتك شعره تتبعك مساويه فقال أكثرت علي من ذكر أبي تمام لا قدس الله روحه فقلت لا قدس الله روح السارق منه والواقع فيه ولكن ما الفرق في كلام العرب بين التقديس والقداس والقادس فقال وأي شيء غرضك فقلت المذاكرة فقال لا بل المهاترة ثم فكر ساعة وقال التقديس التطهير وكل هذه الالفاظ تؤول اليه فقلت له ما أحسبك أمعنت النظر في اللغة ولو عرفتها ما جمعت بين هذه المعاني مع بعد ما بينها القداس حجر يلقى في البئر ليعلم كثرة مائها من قلته والقادس السفينة فلما علوته بالكلام قال يا هذا أنا أسلم لك أمر اللغة فقلت أتسلمها وأنت ابن بجدتها ثم سكت عنه لما علمت أن الزيادة على هذا ضرب من الاشر وكان في نفسي شيء بلغته ثم قمت فقام معي مشيعا فأقسمت عليه حتى رجع ثم وفدت عليه بعد ذلك فرأيت من فصاحته وحسن عبارته ما حداني على عمل الحاتمية * وأما ظلامة أبي تمام التي صنفها الخالدي فهي قال اني مخبركم عن سري سريتها ومنام رأيته * وكلام حفظته فيه لخضرته * طال به الليل حتى تجانف عن قصره * ومال به القول عن مواقف حصره * فبت في عثاره غاليا * وقد تعتري الاحلام من كان نائيا

ومن حق تأويله أن يقال (خيراً رأيت وخيراً يكون) وهو انى رأيت فيما يراه الحالم الراءى * أبا تمام بن اوس الطائى * فى صورة رجل كهل كاس من الفضل * عار عن الجهل * العربية تعرب عن شمائله * والالمعية تلمع من مخائله * فجعل يرمقنى فى اعراض * ويستتب لمقتى عن اعتراض * ثم سعى الىّ بأقدام الاقدام على معرفتى بنفسه * بعد ان عرفنى بثاقب حدسه

فقمت للزور مرتاعا فارقنى * حقا أرى شخصه أم عادنى حلم

فلما سلم علىّ وحيا * وجاورت منه كريم المحيا * قال ألست ابن نصر * شاعر العصر * وغارماء وجهه ونضب * وآثار حقده على الغضب * وقال يا معشر الادباء * الفضلاء الالباء * متى أهملت بينكم الحقوق * وحدث فيكم هذا العقوق * واضيعت عندكم حرمة السلف * وخلف فيكم هذا الخلف * أأنهب وتغضون * ويغار علىّ وترضون * ألست أول من شرع لكم البديع * وأنبع لكم عيون التقسيم والتصريع والترصيع * وعلمكم شن الغارات * على ماسن من سنن عجائب الاستعارات * وأراكم دون الناس * غرائب أنواع الجناس * وكل شاعر بعدى وان أغرب * وزين أبكاره فأعرب * فلا بد له من الاعتراف بأساليبى * والاغتراف من ينابيع قليبى * وهذا حق لى على من بعدى * لا يسقطه موتى ولا بعدى

ومن الحزامة لو تكون حزامة * أن لا تؤخر من به تتقدم

قال فلما ملكتنى سورة دعواه * وحركتنى فورة شكواه * قلت أيها الشيخ الاجل * سلبت المهل وألبست الخجل * فماذا الذى من ذاك قال كنت بحضرة القدس * ومستقر الانس * اذ جاءنى عبدان * لم يكن لى بهما يدان * فأزفانى الى مقر الخلفاء * وأوقفانى بين يدى الائمة الاكفاء * فاذا لديهم جماعة الوزراء والقضاه * ومن كنت أمتدحهم أيام الحياه * فأوفوا بالدعوى علىّ الى ابن ابى دؤاد وكان علىّ شديد الانقاد * سديد سهام الاحقاد * فحكم علىّ برد صلاتى * والفدية بجميع ضومحى وصلاتى * فقلت قول المدل الواثق * عائذا بالمأمون والمعتصم والواثق * يا أمير المؤمنين ماهذه المؤاخذة بعد الرضى * وقد مضى لى

فى خدمتكم مامضى * فقال المأمون * وقد صمت الباقون * يا ابن اوس انك مدحتنا والناس بأشعار منحوله * وقصائد مقولة منقوله * وكلام مختلق سرقته من قائله قبل أن يخلق فلما آن أوانه * واتسق زمانه * استرد ودائعه منك * وهو غير راض عنك * فقلت ومن الذى أعدمنى بعد الوجود * وعاضنى العدم بالجود * وملك على فنى * وأصبح أحق به منى * فقال كأنك لا تعرف الواعظ الموصلى البلاد * الحوصلى الولاد * الغريب العمة * القريب الهمة * البعبعى الايراد * اللوذعى الانشاد

كأنما بين خياشيمه * مفكر يضرب بالطبل

الذى انتزعك مدائحه * وارتجعك منائحه * واستقبلك بقلائده * واحتلبك بقصائده * بعدما كنت تغير أسماها * وتحلى بغير نجومها سماها * فأصبح يتقرب الى ملوك عصره بما كنت تدعيه * ويبغى منك مالم تكن تعيه * نازعا عن وجهها ستور النقب * واضعا هنا ها مواضع النقب * قد جعل اليه عقدها وحلها * وكان أحق بها وأهلها * فقلت خاب الساعون * انا لله وانا اليه راجعون * قد كان عهدى بهذا الرجل فارضا * فتى أصبح فارضا * وأعرفه يتستر بالحشويه * فتى بين البديهة والرويه * وكان ذا طبع جافى * عن التعرض لنظم القوافى * وقد كان أخرج من الموصل * وليس معه قوت يوصل * فاشتغل بترهات القصاص * نصبا على ذوات الاعين من وراء الخصاص

وعاش يظن نثر الافك وعظا * وينصب محرما شرك الشباك

وأين منابذة الوعاظ * من جهابذة الالفاظ * بل أين اشعار الكراس * من قولى ما فى وقوفك ساعة من باس * والعبد يسأل الامراء عنه ليتلطفوا فى ارتجاع ما انتزع منه * فقال اذهب واتنى بيقين * وادفع عنك بوادر الظنون * وبادر فى النصرة وانتصح * واستعن بقومك وصح

يا آل جلهمة تدارك انما * اشعار عبدك ذا بل ومهند

قلت قد بدت بينى وبين قومى جراح * فأتيتهم شاكى السلاح * جادين فى الحاق الحكيك * بصاحب الشويك * وقد بدأوا بكسر رجله

قوله تدارك البيت هو هكذا بضمير المخاطب المفرد فى جميع النسخ التى بايدينا مع أن المنادى وهو آل مما يستعمل استعمال الجمع اه

وكنت اذا قومى غزونى غزوتهم * فهل أنا فى ذا آل همدان ظالم
وقد كان بلغنى انه امتدح فى ذا العام * شكرا لبعض سوابغ الانعام * بعض الرؤساء بقصيدة تليق بالحال * وتأنف من تلفيق المحال * أنشدت من ابتدائها * بعد الثناء على افتتاحها *

كيف لا آمن العدا وكريم الملك لى من نوائب الدهر جار
ماجد حل فى سماء المعالى * غاية لا تنالها الابصار
فاذا رامت الجياد مداه * صدها عنه عثير وعثار
أريحى اذا احتذاه الامانى * صغرت عين نداه وهى كبار
تتغادى من فيض راحته السحب وتستار من يديه البحار
ويرى ما له بعين جواد * لم يفتها نزاهة واحتقار
عجب الناس اذ رأوا لك صدرا * يسع الارض كيف تحويه دار
أى دار نعتز فيها المعالى * حلبة فهى للعلا مضمار
كل يوم بحافتيها من العلم بحار لفيضها تيار
ومناجيد فى مناهبة الفضل اذا ما تناظروا النظار
وربيع من ربعه زهرات الروض فيها البهاء والاعتبار
ولآى القرآن فيها مجال * يقتضيه الاعذار والانذار
والتقى والاناة والجد والسو * دد والمال والنهى والوقار
مجلس فيه من مناقبك الغر جلال عن عزة واقتدار
منزل الفضل منك منزلة الاهل تحامى بربعه وتغار
قد غرست المعروف فى كل كف * فاجتن الحمد باهنالك الثمار
ومن مدح بهذا الشعر النفيس * فما حاجته الى المدح البئيس *
ومن بنى بهذه الابكار * مل سمعه غيرها من الاذكار
والحمد لا يشترى الا له ثمن * مما يضن به الاقوام معلوم

فقلت يا أبا تمام ان سيدنا الرئيس قد أصبح له محاسن جعلها موسما لاعلاق الثنا * وميسماله بأعناق المنى * وسوقا لكل شاكر وحامد * محفوفا بربيع المناقب فيه والمحامد * مجلوبا اليه نفائس الافهام * مجلوا عليه عرائس الاقلام * وليس بهذا المجلس ولا فيه * الا من أوجب الشكر لصاحبه على فيه * فبكلهم قد أغناه عن الدهر * وأفقره الى الشكر * وما كان

المنظوم انبه ذكرا * والموزون أنبل شكرا * وما كل أحد يسلك النظر سبيله * وما علمناه الشعر وما ينبغي له * عدل المقل الى المكثر * وعول المحتاج على المؤسر * ورجع اليك فى النفقه * وما نقص مال من صدقه

وان امرءا قد ضن عنى بمنطق * يسد به فقر امرء لضنين

فقال اسمع * ما لا يدفع * اذا كان الأمر على ما ذكرت * ووقع اعترافك على ما أنكرت * فلم وقع هذا الذنب على بختى * وكيف لم يسكن غير ملابس تختى * ولم خصنى بازالة مصونى * وحفنى بتحيف غصونى * وهلا قصد فى النهب * لمدائح ابن وهب * وهما غماما الزمن الجديب * وهما اما اليوم العصيب * وما هذا الانفراد ببناتى * والانخضاد لناضر حياتى * والانقضاض على قصائدى * والاقتناص من حبائل مصائدى

صرفات منى خصوصا فهلا * من عدو أو صاحب أو بجار

ولم لم يعدل عن شعرى * الى شعر ابن الرومى * وهلا كان بجترى * فى مثل هذا على البحترى * وكيف آثر قربى * على قرب المتنبى * وليته قنع ورضى * بشعر الشريف الرضى * أو استدرك مافاته من شعر أبى تمام أو انتضل المختار * من شعر مهيار * على أن مثل هؤلاء الفضلاء لا تجب عليهم الزكاة وليس فى الشعر نصاب * حتى تجب فيه الزكاة وليس على فكرتى اغتصاب

وان أتصدق به حسبة * فان المساكين أولى به

فقلت له ان هذا الرجل لم يكن للقريض باص * ولكنه قريب عهد بحمص * وكان أقام بها جامح العنان * طامح العينان * ولو أضاف قلائد النحور اليه * لم يجد من ينكر عليه * فهو يقول ما شا * من غير أن يتحاشا

لانهم أهل حمص لا عقول لهم * بهائم أفرغوا فى قالب الناس

ولم يزل حتى انتدب له من سراة جندها من بحث عنه ونقب * فخرج منها خائفا يترقب * ولما ورد دمشق * رمى فى اغراضها بذلك الرشق

وما يستوى المصران حمص وجلق * ولا حمص جيرون بها والخورنق

وكانت قادة حمص وسادة دمشق تروعه حتى كوشف وقوشف ورجع به القهقرى * ودفع فى صدره الى ورا * وقيل أين يذهب بك *

وما

وما هذه الشقشقة فى مجلس * أفى مجلس هذا الشريف * المنيف قدره * العالى ذكره * الغالى شكره * تبهرج لباس الايام * وتبرج عوانس الغلام * وتطوى من القوافى ما خلق ورث * وتورى فيما أنهكه العث * ولم تزل تضطره كثرة التوبيخ * وقلة الناصر والصريخ * الى أن أشهد على نفسه منذ ليالى * بالبراءة من أناشيده الخوالى والتوالى * وأذعن بالاقرار * بما دافعت عنه يد الانكار

ومذهب ما زال مستهجنا * فى الحرب أن يقتل مستسلم

وأزيدك * فيما أفيدك * ان هذا الرجل من الانحراف عن شعرك على شفا * وكأنك به عنك قد انكفا * لعلمه انه أخلق منه ماجد * والى متى يتغزل هذا اللكع المرتد * وقد كان طالبنى منذ أيام باعادة شعر ابن المعتز * مطالبة مضطر اليه ملتز * وقد استرحت من شره وضيره * والسعيد من كفى بغيره

رب أمر أتاك لا تحمد الفعال فيه وتحمد الافعالا

فقال ان كان الامر على ما شرحت * فقد أشرت بالرأى ونصحت * ولكن متى انجاز هذا الوعد * والخلف منوط بخلق هذا الوغد * فانه يقول ويحول * وأنت تعرف ما تلى فردوه الى الله والرسول * ولو أمكن اقامة هذا الامر المتأد * بحضرة ابن أبى دؤاد * أبرأت عند الجمهور ساحتى * وعدت من أمر الله تعالى الى مستقر باحتى * ولكن دون الوصول الى الحاكم عقبة كؤود * ولا حاجة بنا الى الاضرار بالشهود * واذ قد ضمنت عنه ما ضمنت * وأمنت منه على ما أمنت * فلا حاجة اليك * وما أريد أن أشق عليك * وهو أن تعدل بيننا فى القضيه * والحالة المرضيه * وتتفضل على * بيد تسديها الى * وتأذن لى فى انشاد أبيات مدحت بها هذا الرئيس قلتها خدمة له وقربة اليه لعل أن تكون الجائزة خروج الامر العالى باخراج الخصم * الى مجلس الحكم * وأن يوكل به من اجلاد الساهره * من يسيره معى الى الدار الآخره * لا برأ باقراره لى عند قاضى القضاه * بما شهدت به هذه المقاضاه * وايسلم عند الخلفاء الراشدين عرضى * ويحسن على الرب الكريم عرضى * ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام فضمنت له عن سيدنا ما اشتهى * وانتهيت من اقتراحه الى

حيث انتهى * ولم يزل يكرر على أبياته حتى وعيتها فرب قائل ماهى وقائل هاهى

يامعمل المعملات فى ظعنه * سرى وسيرا مقارنى قرنه
يجوز جوز الفلا به أمل * جافى جفون الوسنان عن وسنه
لايمتطى ساكن المطى ولا * يبيت طيف الخيال من سكنه
اذا استكن السراب خادعه * عاد بفيض الندا على سننه
وان أجن الظلام مقلته * أمسى صباح النجاح من جننه
يبيت عرف الكرام فى يده * ينسيه عرف الجنان فى اذنه
ان باعدته الارزاق قربه * جود ابن عبد الرزاق من منته
ففز بنحل العلا وقل كرم الشملك مقال البديع فى لسنه
يامشترى الفاخر النفيس من السمعد بأغلى العطاء من ثمنه
عمرت ربع الندا الرائد * بعد وقوف الرجاء فى دمنه
يثنى لسان الثناء نحوك ما * أحييت من فرضه ومن سننه
خلقا وخلقا قد أتعبا فكرى * مابين احسانه الى حسنه
يحكى معد الندا لوارده * لايحوج المستقى الى شطنه
فرع سماء نبت أنجمها * تلوح لوح الثمار فى غصنه
اذا جنته أيدى العفاة رأت * أقرب من ظله الى فننه
ينافس الوشى فى جلالته * منه ثياب التقى على بدنه
يرى بعينى قلب له يقظ * مستقبل الكائنات فى زمنه
أروع يبدو منه مهذبة * ماأتعب الالمعى من فطنه
مقتبل الوالدين بورك فى * ميلاده والصريح من لبنه
فاحتل هذه الرياستين وقد * أفصح فيه القريض عن لقنه
واستغن من لبه بغانية * تغنيك عن لهوه وعن ودنه
والبس لباس الثناء مقتبلا * يسحب من ذيله ومن ردنه
برد علا ليس من معادنه * صناع صنعائه ولا عدنه
تأنف ان تنتمى الى يمن الارض وان كان من ذوى يمنه
وأفاك ضاحى الجلباب من دنس الظنة صافى الاديم من درنه

فاسلم لدار العلاء تعمرها * ماحن ذو غربة الى وطنه

وشعر المعرى فى معنى المثل المذكور وفى الاغانى قال لما أسر الشنفرى قالوا له أنشدنا فقال انما النشيد على المسرة فذهبت مثلا انتهى

(خاتمة) لما تمسكت بذيل التمام * أردت أن أعطره بمسك الختام * من فوائد سنيه * ومسائل علمية وأدبيه * منها انا تجاذبنا فى بعض الايام أردان المذاكره * وتنازعنا قضب ريحان المحاوره * فى اختلاف وجوه القرآت * وما وقع فيها من محاسن التوجيهات * فذكر لنا ان قالون همز النبى حيث وقع الا فى موضعين من سورة الاحزاب فى قوله عز وجل لا تدخلوا بيوت النبى الا أن يؤذن لكم وقوله وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبى فأبدلها ياء فى الوصل وهمزها فى الوقف كما ذكره الشاطبى الا أن الشاطبى لم يصرح باختصاصه بحال الوصل وكان عليه أن يذكره وبذلك اعترض عليه النويرى فى شرحه للطيبه وسلم له جماعة فظنوه واردا عليه فقلت انه لم يهمله الا أن المعترض لم يتنبه له فانه يعلم من قوله مبدلا فان ابدال الهمزة اما لسكونها وتحرك ماقبلها فتبدل من جنس حركة ماقبلها لزوما كما فى آدم أو جوازا كما فى يومنون ونحوه أو لاجتماع همزتين كما فى أيمه على الاصح ففهم من ذكره الابدال انه اجتمع فيه همزتان وذلك لا يكون الا فى الوصل فلذلك رجع الى أصله فى الوقف لعدم السبب فيه وهو أظهر من الشمس فان قلت فلم لم يسهلها كما سهل غيرها قلت لما رأى الابدال هنا جاريا على القياس فيه رجحه لموافقته لغيره ولانه أفصح من التسهيل ولذلك أنكر على من قال يانبىء الله بالهمز وهذا مما لاغبار عليه وقد نظمت ذلك فقلت

همز النبى لقالون كما نقلا * فى غير موضعى الاحزاب ان وصلا
لا الوقف اذ لم يكن فيه له سبب * بجمع همزين حتى يوجب البدلا
موافقا لسواه فهو أرجح من * تسهيلها ولهذا عنه قد عدلا

فلله در التنزيل * وما فيه من دقائق التأويل * فان الحسن وقف عليها * والسحر اذا شاهدها آمن بها ورمى حباله لديها * فنادته حى على الفلاح * فما لساحر لدى فلاح ولا نجاح * فان كل رسول أرسل الى قومه بماله فى سوقهم رواج * ورعى سائمتهم ليظفر منها بالنتاج * ألا ترى أن عيسى لما بعث لقوم فيهم الحكمه * أحيى الموتى وأبرأ الابرص والاكمه * ونبينا صلى الله

عليه وسلم لما ظهر من العرب * وهم فازوا من البسالة والبلاغة باعلى الرتب *
وقاموا بين أظهرهم بالشعر والخطب * كان أعظم معجزاته الفرقان * الذى
أخرس شقاشق البيان * فتحداهم باعجازه * فضلوا فى تيه الحيرة ولم يهتدوا
لحقيقة مجازه * فرأوا حنين الجذع وهم خشب مسنده * لم تورق ولم
تثمر فهم حطب النار الموقده * فسحقا لاصحاب السعير * الذين رجع بصر
بصيرتهم خاسئا وهو حسير

(فصــــــل) اعلم أن البلغاء طبقاتهم العلية الجاهلية الاولون ثم
المخضرمون ثم الاسلاميون ثم المولدون ثم المحدثون ثم المتأخرون والعصريون
فهذه الطبقات الست ثلاث منها حازوا قصب السبق فى حلبة الرهان معرفة
كلامهم فرض كفاية فى الاسلام * لانه يستدل به على الكلام العربى الذى
يستنبط منه أحكام الحلال والحرام * وألحق به بعضهم ما بعده كاثبات لطائف
المعانى * دون الالفاظ المحكمة المبانى * ومن حققه * لم يكن منه على ثقه *
واذا أصخت لما تلوناه عليك فاعلم أن فى الشعر دقائق لم يكشف عنها الغطا * وها
أنا ألقى السلك مالم تهتد له الها القطا * مقلدا جيد الذهن منها فرائد توأما *
ولو ترك القطا ليلا لناما * فمنها أن أهل المعانى قالوا ان التعقيد
المعنوى واللفظى ينافى الفصاحة فقال بعض المتأخرين ان الالغاز كلها
غير فصيحة لما فيها من التعقيد المعنوى وليس كما قال لان ابن هلال العسكرى
قال فى كتاب الصناعتين انها فصيحة وان التعقيد انما يكره اذا لم يقصد فان
قصد فهو فصيح ومما يؤيده ان الاسنوى قال فى كتابه طراز المحافل ان من
السنة أن يلقى الالغاز على من فى مجلسه لتشحيذ الاذهان لما رواه البخارى
عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من الاشجار شجرة لا يسقط
ورقها وانها صنو المسلم فحدثونى ما هى فوقع الناس فى شجر البوادى قال
ابن عمر فوقع فى نفسى انها النخلة واستحييت فقالوا ما هى يا رسول الله قال
النخلة انتهى قال ابن هلال ومنه نوع بديع سميته شبه الالغاز وهو أن
يوصف شئ بصفات تساق على نهج اللغز وليس المقصود الالغاز كقول
القاضى ناصح الدين الارجانى لبعض الوزراء يطلب منه خيمة

فيا شمس بل يا وبل هل أنت منقذى * ومنقذ صحبى من يد الشمس والوبل

بحدباء ان ثورت خرت لوجهها * سريعا وان نوخت قامت على رجل
من البلق يعلو ظهرها هام أهلها * وفى السير تعلو أظهر الخيل والابل
وتصلح عند الناس للضرب وحده * تضرب بها مادمت فى الحزن والسهل
ومن عجب ان لم تقم قط قومة * اذا هى لم تربط بشئ من الشكل

وهذا وان كان فارسى الاصل له طبيعة عربيه * وروية من ماء الفصاحة رويه * وورد من الفصاحة عذب المشرب * ومذهب بزخرف البراعة مذهب * كقوله من قصيدة أولها

رأيت الطريق الى الوصل وعرا * فقدمت رجلا وأخرت اخرى

(ومنها)

عليك بتفريغ قلب الودود * لكى يجد الود فيه مقرا
وسر غير ملتفت انما * الى الله تخطو من العمر جسرا
لك الشهب والدهم مخلوقة * فاحسن بهن اليه المفرا

(وله أيضا)

تذم زمان السوء يا صدر أهله * ولولا زمان السوء لم تتصدر

(طبقات الشعراء)

اعلم أن معجزة كل نبى على وفق زمانه وقومه ولما كان أشرف الخلق العرب وأعظم ما عندهم الشجاعة والفصاحة والكرم كان أعظم معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم القرآن المعجز بفصاحته وبلاغته ولما كان خاتم الرسل ولا نبى بعده جعل له معجزة باقية الى القيامة لا تزال تتلى * وجديدة على كثرة الترداد لا تخلق ولا تبلى * وقال ابن دريد بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس مع الصحابة اذ نشأت سحابة فقالوا يا رسول الله هذه سحابة فقال كيف ترون قواعدها قالوا ما أحسنها وأشد تمكنها قال كيف ترون رحاها قالوا ما أحسنها وأشد استدارتها قال كيف ترون بواسقها قالوا ما أحسنها وأشد استقامتها قال كيف ترون برقها أوميضا أم خفيا أم يشق شقا قالوا بل يشق شقا قال كيف ترون جونها قالوا ما أحسنه وأشد سواده فقال الحيا فقالوا يا رسول الله ما رأينا أفصح منك قال ما يمنعنى وانما انزل القرآن على بلسان عربى مبين قال القالى القواعد الاسافل جمع قاعدة والقواعد من النساء التى لا تلد جمع

قاعدة ورحاها وسطها ومعظمها رحا الحرب وبواسقها ماعلا وارتفع ومنه بسق اذا شرف وكرم ووميض البرق لمعه الخفى ومنه أومض اذا غمز والخفى البرق الضعيف والجون الاسود والابيض وهو من الاضداد والحيا بالقصر الغيث وجمعه أحياء بالمد * وبلغاء العرب فى الشعر والخطب على ست طبقات الجاهلية الاولى من قوم عاد وقحطان والمخضرمون وهم من أدرك الجاهلية والاسلام والاسلاميون والمولدون والمحدثون والمتاخرون ومن ألحق بهم من العصريين والثلاث الاول هم ماهم فى البلاغة والجزالة ومعرفة شعرهم رواية ودراية عند فقهاء الاسلام فرض كفاية لانه به تثبت قواعد العربية التى بها يعلم الكتاب والسنة المتوقف على معرفتهما الاحكام التى يتميز بها الحلال والحرام وكلامهم وان جاز فيه الخطأ فى المعانى لايجوز فيه الخطأ فى الالفاظ وتركيب المبانى اذا عرفت هذا فاعلم أن الطبقات الثلاث الاول جمعوا أشعارهم فى كتب كثيرة غير الدواوين كالحماسة والمفضليات واشعار هذيل وغيرها من الكتب المفيدة وها أنا أورد منها ماتقر به عيون الادب * وتنشرح به صدور الطلاب * من كل مايدخل الاذن بغير اذن وأورد من نثرهم مايكون نثارا على عرائس الافكار * وعقدا فى جيد البصائر والابصار * من عهد عاد وقحطان وملوك حمير وعبد مدان الى فوارس الارباع الى ذى فايش الحميرى قال القالى كان ذو فايش يحب اصطناع سادات العرب ويقرب مجالسهم ويكرم مجالسهم فجاءه علية وكان شاعرا حدثا فقال له ألا تحدثنى عن أبيك وأعمامك فقال بلى أيها الملك هم أربعة زياد ومالك وعمرو ومسهر ولذلك قيل لهم الارباع فاما زياد فما استل سيفه مذ ملكت يده قائمه الا أغمده فى جثمان بطل * أوشوامت جمل * وكان اذا حملوا النجيد * وصلصل الحديد * وبلغت النفس الوريد * اعتصمت بحقوته الابطال * اعتصام العصم بذرى القلال * قد ذادتهم الابطال * ذياد القروم عن الاشوال * وأما مالك * فكان عصمة الهوالك * اذا شبهت الاعجاز بالحوارك * يفرى الرعيل * فرى الاديم بالازميل * ويخبط البهم خبط الذئب نقاد الغنم * وأما عمرو فكان اذا عصبت الافواه * وذبلت الشفاه * وتفادت الكماه * خاض ظلام العجاج * وأطفأ نار الهياج * وألوى بالاعراج * وأردف كل طفلة معياج *

ذات بدن رجراج * ثم قال لاصحابه عليكم النهاب * والاموال الرغاب * معطاء لا ضيق شكس * ولا حقلد عكس * وأما مسهر فكان الذعاف الممقر * والليث المخدر * يجيء الحرب فيسعر * و يبيح النهب فيكثر * ولا يحتجز فيستأثر * فقال له لله أبوك مثلك من يصف أسرته وهنا فوائد قال أبو علي الحدث بالضم الحسن الحديث * والحديث بكسر فتشديد الكثير الحديث * والحدث الشاب والجثمان الشخص والجسمان جماعة الجسم والنجيد الجمائل وصلصل بمعنى صوت والوريد حبل العاتق والاشوال جمع شول وهو جمع شائلة بمعنى ناقة ارتفع لبنها والرعيل جماعة الخيل والازميل بزاي معجمة الشفرة والعيهمة التامة الخلق أو السريعة وينتحي بمعنى يعتمد والصرف صبغ أحمر والبهم جمع بهمة وهو الشجاع الذي لا يدري من أين يؤتى والمصمت الذي لا اصداع فيه والنقاد جمع نقد وهي صغار الغنم وعصب بمعنى غاظ ريقه واصق بفمه وتفادت استتر بعضهم ببعض وألوى بمعنى ذهب والاعراج جمع عرج من الابل نحو خمسمائة والطفلة الناعمة والحقلد السيء الخلق كما قاله يعقوب والعكس والعكص بالسين والصاد العسر الاخلاق والذعاف سم سريع القتل والممقر الشديد المرارة أو الحموضة ويحتجز بمعنى يختفي والحقلد لغة يمانية وقعت في شعر زهير بن أبي سلمى في قصيدته التي مدح بها هرم بن سنان أولها

غشيت الديار بالنقيع فثهمد * دوارس قد أقوين من أم معبد
أربت بها الارواح كل عشية * فلم يبق الا آل خيم منضد

(ومنها)

اذا ابتدرت قيس بن عيلان غاية * من المجد لم تسبق اليها وسود
أليس بفياض نداه غمامة * ثمال اليتامى في السنين محمد
سبقت اليها كل طلق مبرز * سبوق الى الغايات غير مجلد

(ومنها)

تقي نقي لم يكثر غنيمة * بنهكة ذي قربى ولا بحقلد

وهذا مما يسأل عنه وعن اعرابه ومعناه تقدم وقد قيل انه من عطف التوهم وتقديره ليس بمكثر غنائمه بالغارة على أقاربه أو من هو بجواره فعطف بحقلد على بمكثر المتوهم ولو قيل انه معطوف على قوله بنهكة وفسر بالخلق السيء

قوله والعيهمة الخ كذا في النسخ والذي في القاموس ان العيهمة السريعة وهذه الكلمة وقوله ينتحي وقوله والصرف وقوله والمصمت لم يتقدم لها ذكر في كلام علية الشاعر فانظر هل هي ساقطة من كلامه وحرر اه مصحح

والمراد انه لم يكثر غنائمه بجوره على أقربائه وجيرانه ولا بسوء خلق يحمله على التعسف والشح لم يبعد من غير تكلف وفى لسان العرب بجفلد بالفاء والمشهور خلافه * ومن قصيدة لعمرو بن حسان أخى بنى الحارث بن همام ذكر فيها الاكاسرة وآل المنذر

ألا يا ام قيس لا تلومى * وأبقى انما ذا الناس هام
أجدك هل رأيت أبا قبيس * أطال حياته النعم الركام
وكسرى اذ تقسمه بنوه * بأسياف كما اقتسم اللحام
تمخضت المنون له بيوم * أنى ولكل حاملة تمام

قال التبريزى فى تهذيب الاصلاح يقول لعاذلته لا تلومى فان المصير الى الموت وهام بمعنى موتى يقال فلان هامة اليوم أو غد والركام الكثير وقبيس تصغير قابوس تصغير ترخيم وهو النعمان وقوله وكسرى الخ يشير الى قتل ابنه شيرويه له وقوله تمخضت من المخاض وهو الطلق والماخض الحامل جعل المنون حاملة على التشبيه وجعل يوم موته ولد المنية وكل حامل تنتهى الى وقت تضع فيه حملها فكذلك المنية تنتظره كانتظار وضع الحامل والمنون مفرد وجمع قال

من رأيت المنون عدّين أم من * ذا عليه من أن يضام خفير

وأنى وآن بمعنى حان وقال بعض الاعراب

قوم اذا اشتجر القنا * جعلوا القلوب لها مسالك
اللابسين قلوبهم * فوق الدروع لدفع ذلك

انظر لبس القلوب على الدروع وما فيه من المبالغة التى لا يوجد مثلها وفى معناه قلت

اذا لم تكن فوق الدروع قلوبنا * فما الدرع الاسجن من هو حامله
لها أعين ان حدّقت فى الوغى ترى * بمخنقها الخطى هزت مفاصله

وقال أدباء الكوفة لامرء قلن لم يروقول الكلابى

سقى الله دهرا قد تولت غياطله * وفارقنا الا الحشاشة باطله
ليالى خدنى كل أبيض ماجد * يطيع هوى الصابى وتعصى عواذله
وفى دهرنا اذ ذاك والعيش غرة * ألا ليت ذاك الدهر تثنى أوائله

بما قد غنينا والصباح همنا * بما يلنا ريعانه وغمائله
وجرّ لنا أذياله الدهر حقبة * يطاولنا في غيه ونطاوله
فسقياله من صاحب خذلت بنا * مطيتنا عنه وولت رواحله
أصدّ عن البيت الذي فيه قاتلي * واهجره حتى كأني قاتله

والغياطل جمع غيطلة وهي الظلمة والاصوات المختلطة والشجر الملتف وأنشد المبرّد في الكامل وثعلب في أماليه لسلم بن غزية

عريت من الشباب وكان غضا * كما يعرى من الورق القضيب
ونحت على الشباب بدمع عيني * ومنتحبا فما أغنى النحيب
فيا أسفا أسفت على شباب * نعاه الشيب والرأس الخضيب
فياليت الشباب يعود يوما * فأخبره بما فعل المشيب

قوله ومنتحبا بالنصب كذا في النسخ التي بايدينا وانظر ما وجهه

وفي الشيب اشعار كثيرة ومعان بديعة واشعار المولدين فيها عقود درر * واوضاح غرر * كقول الاشجع في قصيدة مدح بها الرشيد

قصر عليه تحية وسلام * ألقت عليه جمالها الايام
قصر سقوف المزن حول سقوفه * فيه لاعلام الهدى اعلام

* (منها) *

تثنى على أيامك الاسلام * والشاهدان الحل والاحرام
وعلى عدوك يا ابن عم محمد * رصدان ضوء الصبح والاظلام
فاذا تنبه رعته واذا غفا * سلت عليه سيوفك الاحلام

وهذا معنى بديع أخذه من كلام الاخطل مشهور ومن فصيح كلامهم قول بعض شعراء المغاربة يمدح من جاء من البحر

ان امرء قذفت البحر به * في البحر بعض مراكب البحر
تجرى الرياح به فتحمله * وتكف احيانا فلا تجرى
ويرى المنية كلما عصفت * ريح به للهول والذعر
لمستحق أن تزوده * كتب الامان له من الفقر

ونحوه ما كتبه الحصري لابن عباد

أمرتني بركوب البحر مغتربا * عليك غيري فامره بذا الراءى
ما أنت نوح فتنجيني سفينته * ولست عيسى أنا أمشي على الماء

ومن أمثال المولدين (المورد العذب كثير الزحام) وهو من قول بعض بني تميم

(ان الندا حيث ترى الضغاطا) ومنه أخذ بشار قوله

يسقط الطير حيث يلتقط الحب ويغشى منازل الكرماء

وفى معناه قولى

وفود الكريم الخيم حجاب بابه * وهم منعوا منه دخول المعائب
وليس عليه حاجب يحجب الورى * سوى انه أغناهم بالمواهب

وقال أبو العتاهية

من سابق الدهر كبا كبوة * لم يستقلها من خطا الدهر
فاخط مع الدهر اذا ما خطا * واجر مع الدهر كما يجرى
ليس لمن ليس له حيلة * موجودة خير من الصبر

ومن شعراء الجاهلية زياد بن زيد فمن شعره قوله من قصيدة

رأيتك من ليلى كذى الداء لم يجد * طبيبا يداوى ما به فتطببا
فلما اشتفى من دائه كر طبعه * على نفسه من طول ما كان جربا

وقال المبرد فى الكامل كان العباس أجهر الناس وأشدهم صوتا ولذا قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين لما ولوا عن القتال أصرخ بالناس فصاح مرة فاسقطت الحوامل وقد طعن الناس فى قول النابغة

زجر أبى عروة السباع اذا * أشفق أن يختلطن بالغنم

بانه اذا كان هذا فى السباع مع شدتها فما حال الغنم واجيب بانها أنست بصوته لكثرة سماعها له بخلاف السباع وقيل انه من أكاذيب العرب انتهى قلت أبو عروة هذا ليس كنية العباس كما فى شرح الكشاف للطيبى فاعرفه وقال الجاحظ ان أبا عفيف البصرى كانت الحبالى تسقط من صوته وفيه يقول أبو ربيعة

فاسقط احبال النساء بصوته * عفيف وقد نادى بصوت مطردا

وكتب الابيوردى للطغراى

ألا يا صفى الملك هل أنت سامع * نداء عليه للحفيظة ميسم
أتاك غلام من امية يرتدى * بظلك فانظر من أتاك ومن هم
وقد لفت الشم الغطاريف عرقه * بعرقك فالارحام ترعى وتكرم
أينبذ مثلى بالعراء ومارنى * بما أتوقاه من الذل يحطم

ومن يحتلب درّ الغنى بضراعة * فللمجد أسعى حيث يحتلب الدم
فهل لك فى شكر تحدث مفرقا * بما راق من ألفاظه الغرّ ينسم
ولولا ارتفاع الصيت لم يطلب الغنى وأنت بما يبقى لك الذكر أعلم
فاجابه بقوله
فديتك قد أسمعتنى متحرجا * نداء عليه للحفيظة ميسم
وان همامامن امية ضامنى * لتعفو عن الجانى المسىء وتحلم
فمالى فى جود بجرم محجب * على بابه الاملاك لولا التجرم
أعد نظرا فيما أقول ولم أكن كذى العرّ يكوى غيره وهو يبسم
أعيذك بالحلم الذى أنت أهله * وانك أولى بالجميل وأكرم
فهب لى مالم أجنه متكرما * فأنت بعذرى ان تأملت أعلم
فثق فى اعتقادى فى ولائك وارع لى * امام العلا انى بحبلك معصم
ومن البديع التضمين ولابن تميم فيه طريق لم يسبق اليها كتضمينه قول المتنبى فى الناقة
ويغيرنى جذب الزمام لقلبها * فمها اليك كطالب تقبيلا
فقال وقد استعاره عباءة فردها ديباجة فى وردة اهديت اليه قبل أوانها
سبقت اليك من الحدائق وردة * وأتتك قبل أوانها تطفيلا
طمعت بلثمك اذ رأتك فجمعت * فمها اليك كطالب تقبيلا .
ولو قال طمعت بلثم يديك حتى جمعت كما لا يخفى على من له المام بالادب كان أحسن ومما يشبه هذا المعنى ما حكى أن أبا العلاء صاعد بن الحسن امام أهل اللغة فى عصره كان ينادم المنصور بن أبى عامر سلطان المغرب فجىء اليه بوردة فى مجلس من مجالس أنسه فى أول ظهور الورد فقال أبو العلاء صاعد بديهة
أتتك أبا عامر وردة * يحاكى شذا المسك أنفاسها
كعذراء أبصرها مبصر * فغطت بأكمامها رأسها
فاستحسنه المنصور وكل أهل مجلسه فحسده أبو القاسم بن العريف وكان حاضرا فقال انهما من شعر لعباس بن الاحنف وقد أنشدنيهما بعض البغداديين بمصر وهما عندى على ظهر كتاب بخطه فقال المنصور أرنيه فخرج ابن العريف وركب وجعل يحث حتى أتى مجلس ابن بدر وكان أحسن أهل وقته

بديهة فوصف له ماجرى فقال أبياتا ودس فيها بيتي صاعد وأتى قبل انقضاء المجلس وهي

عدوت الى قصر عباسة * وقد جدّل النوم حرّاسها
فألفيتها وهي في خدرها * وقد صرع السكر آناسها
فقالت أسار على هجعة * فقلت بلى فرمت كاسها
ومدّت الى وردة كفها * يحاكي شذا المسك أنفاسها
كعذراء أبصرها مبصر * فغطت بأكمامها رأسها
وقالت خف الله لا تفضحن في ابنة عمك عباسها
فوليت عنها على غفلة * وما خنت ناسي ولا ناسها

فحلف صاعد انه ما رآها فلم يصدقوه وانصرفوا وهم على اعتقاد أنه سرقها فطار ابن العريف وتحيل على ان علقها على ظهر كتاب بخط مصري وتحيل حتى غير المداد ودخل بها على المنصور فلما رآها اشتد غيظه على صاعد وقال للحاضرين غدا امتحنه فان فضحه الامتحان لم يبق في موضع لي فيه سلطان فلما أصبح وجه اليه فحضر وأحضر جميع الندماء فدخل بهم وبه الى مجلس حفل قد أعد فيه طبقا عظيما جعل فيه سفائف مصنوعة من جميع النواوير وصنع على السفائف مركبا من ياسمين في شكل الجواري وتحت السفائف بركة ماء قد ألقي فيها اللؤلؤ مثل الحصباء وفي البركة حية تسبح فلما دخل صاعد ورأى الطبق قال له المنصور هذا يوم اما أن تسعد فيه معنا واما أن تشقى بالضد عندنا لانه قد زعم قوم أن كلما تأتي به دعوى وقد وقفت على حقيقة من ذلك وهذا طبق ما توهمت انه حضر بين يدي ملك قبلي شكله فصفه بجميع ما فيه فقال صاعد بديهة

أبا عامر هل غير جدواك واكف * وهل غير من عاداك في الناس خائف
يسوق اليك الدهر كل غريبة * وأغرب ما يلقاه عندك واصف
وشايع نور صاغها صيب الحيا * عليها فمنها عبقر ورفارف
ولما تناهى الحسن فيها تقابلت * عليها بأنواع الملاهي الوصائف
كمثل الظباء المستكنة كنسا * يظللها بالياسمين السفائف
وأعجب منها انهن نواظر * الى بركة ضمت اليها الطرائف
حصاها اللآلي سابح في عبابها * من الرقش مسموم الثعابين راجف

ترى ماتشاء العين فى جنباتها * من الوحش حتى بينهن السلاحف
فاستغربت له يومئذ تلك البديهة فى مثل ذلك الموضع وكتبها المنصور بخطه وكان الى ناحية تلك السفائف سفينة فيها جارية من النوار تجدف بمجاديف من ذهب لم يرها صاعد فقال له المنصور أجدت الا انك لم تصف هذه الجارية فقال للوقت

وأعجب منها غادة فى سفينة * مكللة يهفو اليها المهاتف
اذا راعها موج من الماء تتقى * بسكانها ما أنذرته العواصف
متى كانت الحسناء ربان مركب * تصرف فى يمنى يديها المجادف
ولم ترعينى فى البلاد حديقة * ينقلها فى الراحتين الوصائف
ولا غرو أن ساقت معاليك روضة * وشتها ازاهير الربى والزخارف
فأنت امرؤ لو رمت نقل متالع * ورضوى ذرتها من سطاك العواصف
اذا قلت قولا أو بدهت بديهة * فكلنى لها انى لمجدك واصف

فامر له المنصور بألف دينار ومائة ثوب واجرى عليه فى كل شهر ثلاثين دينارا وألحقه بديوان الندماء

واعلم أن المتأخرين وان تأخر زمانهم عن المتقدمين فقد زاحموهم بالركب * وكادوا أن يرقوا الى أعلى الرتب * لاسيما شعراء المغرب فقد أتوا بمعان بديعه * وارتقوا الى مرتبة رفيعه * كيزيد بن خالد الاشبيلى له فى وصف السفن بمعانى لم يسبق اليها كقوله

اذا نشرت فى الجو أجنحة لها * رأيت بها روضا ونورا مكمما
وان لم تهجه الريح جاء مصافحا * فمد له كفا خضيبا ومعصما
مجاديف كالحيات مدت رؤسها * على وجل فى الماء كى تروى الظما
كما أسرعت عدا أنامل حاسب * بقبض وبسط يقبض العين والفما
هى الهدب فى أجفان أكحل أوطف * فهل صبغت من عندم أو بكت دما

وفى معناه قول أبى الحسن بن حريف

وكأنما سكن الاراقم جوفها * من عهد نوح خشية الطوفان
فاذا رأين الماء يطفح نضنضت * من كل خرق حية بلسان

ومن شعرائهم ابن خفاجة وقرأت فى ديوانه قصيدة رائية لم يطن على أذان

قوله وان لم تهجه ذكر الضمير هنا باعتبار انها مركب وانثه فى قوله اذا نشرت باعتبار انه سفينة اه

الدهر مثلها وهى

أما والتفات الروض عن أزرق النهر * واشراق جيد الغصن فى حلية الزهر
وقد نسمت ريح النعامى فنبهت * عيون الندامى تحت ريحانة الفجر
وخدر فتاة قد طرقت وانما * أبحت به وكر الحمامة للصقر
وما قد خلعت البرد عنه وانما * نشرت به طى الصحيفة عن سطر
لقد جبت دون الحى كل تنوفه * يحوم بها نسر السماء على وكر
وخضت ظلام الليل يسود فحمة * ودست عرين الليث ينظر عن جمر
وجئت ديار الحى والليل مطرف * منمنم ثوب الافق بالانجم الزهر
أشيم به برق الحديد وربما * عثرت بأطراف الردينية السمر
فلم ألق الا صعدة فوق لامة * فقلت قضيب قد أطل على نهر
ولا شمت الا غرة فوق أشقر * فقلت حباب يستدير على خمر
ودون طروق الحى خوضة فتكة * مورسة السربال دامية الظفر
تطلع فى فرع من النقع أسود * وتسفر عن خد من السيف محمر
فسرت وقلب الليل يخفق غيرة * هناك وعين النجم تنظر عن شزر
فطار الشهابى جناح صبابة * وطار بها عنى جناح من الذعر
فقلت رويدا لا تراعى فاننا * لنطوى ضلوع الليل منا على سر
وسكنت من نفس بجيش مروعة * ومسحت عن عطف تمايل مزور
ومزقت جيب الليل عنها وانما * رفعت جناح النسر عن بيضة الخدر
وقبلت ما بين المحيا الى الطلى * وعانقت ما بين التراقى الى الخصر
وأطرب سجع الحلى من خيزرانة * تميل بها ريح الشبيبة والسكر
غزالية الالحاظ ريمية الطلى * مدامية الالمى حبابية الثغر
ترجح فى موشية ذهبية * كما اشتبكت زهر النجوم على البدر
تلاقى نسيبى فى هواها وأدمعى * فمن لؤلؤ نظم ومن لؤلؤ نثر
وقد خلعت ليلا علينا يد الهوى * رداء عناق مزقته يد الفجر
ولما تجلى ضوء صبح كأنه * مشيب بفود الليل طالع عن قطر
وحط رداء الغيم عن منكب الصبا * ونم على ذيل الدجى نفس الزهر
صددت ودون الحى ستر غمامة * يشف كما شف الرماد عن الجمر

ولا ليل الا بالثوبة أقمر * تنفس فيه السكر عن نفحة الشكر
ولا كف الا للامير كريمة * تبسم فيها النصل عن مبسم النصر

ولعمرى ان هذا سحر يصلب له هاروت وماروت * وبلاغة قسية تتبعها الاوصاف وتنقطع دونها النعوت * تهز المرء هز أريحية الصبا * وهز قدود الغصون بيد الشمال والصبا * فتتعثر الافهام * بأذيال لوعة وغرام * كما قال

وعقد جمان فى حديث علاقة * يهز اليه الشيخ عطف غلام
اذا ما استخفتنى لها أريحية * عثرت بذيلى لوعة وغرام
لقد هزنى فى ريطة الشيب هزة * أرتنى ورائى فى الشباب أمامى

وفى تذكرة العلامة أحمد بن مكتوم تلميذ أبى حيان قال أنشدنى أبو جعفر بن الزبير قال أنشدنى القاضى الاديب أبو العباس بن خليل قال أنشدنى أبو جعفر عمر بن عبد الله الحكمى قال أهديت لى جارية فتبين لى انى قد ملكت أمها ووطئتها فرددتها لمن أهداها وكتبت معها أبياتا ضمنت فيها بيت عنترة فى معلقته وهى

يا مهدى الرشا الذى ألحاظه * تركت فؤادى نصب تلك الاسهم
ريحانة كل المنى فى شمها * لولا المهيمن فى اجتناب المحرم
ما عن قلى صرفت اليك وانما * صيد الغزالة لم يبح للمحرم
يا ويح عنترة يقول وشفه * ما شفنى وجرى وان لم أكتم
يا شاة ما قنص لمن حلت له * حرمت على وليتها لم تحرم

وعلى ذكر الهديه * نهدى اليك فائدة سنيه * كان صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية ولا يقبل الصدقة وأهدى اليه اعرابى هدية فقبلها فجاءه وقال يا رسول الله انى كنت اهديت هدية فأعطاه عطية فذهب ثم أتاه مرة فاعطاه ثم أتى مرة اخرى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى عزمت أن لا أقبل هدية الا من قرشى أو ثقفى فقال حسان رضى الله عنه

ان الهدايا تجارات اللئام وما * يرجو الكرام لما يهدون من ثمن

وكان عمر رضى الله عنه لا يقبل هدية العمال * واذا قبلها وضعها فى بيت المال * فقيل له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقبل الهدية فقال انها كانت

هدية وهى الآن رشوة ولذا قال الزاهد بن عمران

توق وحاذر من قبول هدية * وان جاءنا فيها حديث مرغب
فقد حدثت بعد الرسول حوادث * تحذرنا عنها وعنها ترغب
وكانت هدايا فى الاوائل قبلنا * تؤلف فيما بينهم وتحبب
فعادت بلايا يسرع المن بعدها * تفرق فيما بيننا وتجنب

ولم تزل بحور الشعر تقذف عنبرا * وتعطى من غاص فيها دررا * ومن كان ذا فطرة سليمه * علم أن أم المعانى غير عقيمه * ألا ترى قول ابن الصفار فى مرثية غريق

يا أيها الرشأ المكحول ناظره * بالسحر حسبك قد أحرقت احشاءى
ان انغماسك فى التيار حقق ان الشمس تغرب فى عين من الماء

وقوله فى غريق أيضا

غريق كأن الموت رق لحسنه * ولان له فى صفحة الماء جانبه
أبى الله أن ينساه قلبى فانه * توفاه فى الماء الذى أنا شاربه

وقال عمران الطوالقى

ألا أيها الشخص المغيب شكله * بمثلك هذا الدهر يبخل عن مثلى
كان صفاء الماء شاكل جسمه * فجاذبه فانقاد شكل الى شكل
نأى عن تراب الارض نور بهائه * ولو كان من ترب لعاد الى الاصل

ولما أنشد فى الدمية قول أبى جعفر البجاءى فى غريق

ولما لم يسعه البر قبرا * غدا البحر المحيط له ضريحا

قال أما أنا فقد عجبت اذ سمعت أن بحرا قد أغرق بحرا فقلت أنا فى معناه

لا تعجبن لبحر * اذ كان أغرق مثله
لانه غار لما * لم يحك فى الناس فضله

قوله قال اى صاحب الدمية اه

ومما أبدع فيه ابن تميم قوله فى غريق

قالوا أيلبسه الغدير مفاضة * منه ويهلكه مقالا باطلا
فأجبتهم ان الحمام اذا أتى * طبع الدروع أسنة ومناصلا

وأجاد الوزير أبو القاسم فى قوله فى مليح يسبح فى الخليج

انى رضيت من الحيا * ة باسرها نظرى اليه

وعرفت أسباب النعيـ * ـم بقبلة فى عارضيه
ولقد أراه فى الخليج يشقه من جانبيه
والماء مثل السيف وهـ * ـو فرنده فى صفحتيه
وكأنه فى الماء قلـ * ـبى بين اشواق اليه
لا تشربوا من مائه * أبدا ولا تردوا عليه
قد ذاب فيه السحر من * حركاته أو مقلتيه
صبغت بياض الماء صبـ * ـغة حمرة فى وجنتيه

وقال الادباء بدئ الشعر بملك وختم بملك * والاول امرء القيس فانه أول من هلهل الشعر وهذبه * ونسج نسيبه ورتبه * والثانى ابن المعتز فانه من أوتى جوامع الكلم نظما ونثرا * وانشاء وشعرا * والعامة تقول كلام الملوك ملوك الكلام وقيل أبو فراس * والاول أقرب الى القياس * اما ابن المعتز فهو كما فى كتاب الورقة للصورى شاعر مفلق واسع الفكر فى العلم والنظم والنثر من شعراء بنى هاشم وعلمائهم وكان اماما فى الادب * ومعرفة كلام العرب * وكان المبرد يجله ويسعى اليه ويستفيد منه الا انه كان له هنات فى حب بنى هاشم والغلو فى تقديمهم على غيرهم وله فى ذلك قصايد ثم رجع عن ذلك وقال ما يناقضه وكان ثعلب يقدمه ويقول هو أشعر أهل عصره وكان يحب لقاء أحمد بن يحيى فكتب اليه عن ترك اتيانه أبياتا منها

ماوجد صاد فى الحبال موثق * بماء مزن بارد مصفق
بالريح لم يطرق ولم يزلق * جادبه أخلاف دجن مطبق
صريح غيث خالص لم يمذق * الا كوجدى بك لكن اتقى
يافاتحا لكل علم مغلق * وصيرفيا ناقدا للمنطق
انا على البعاد والتفرق * لنلتقى بالذكران لم نلتق

(وله)

يارب اخوان صحبتهم * لا يملكون لسلوة قلبا
لو نستطيع نفوسهم فقدت * أجسادها وتعانقت حبا

(وله)

عرف الدار رخيا وباحا * بعد ما كان صحا واستراحا

ظل يلحاه العذول ويأبى * فى عنان العذل الاجماحا

(ومنها)

من رأى برقا يضىء السماحا * ثقب الليل سناه فلاحا
وكأن البرق مصحف قار * فانطباقا مرة وانفتاحا

(وله من اخرى)

قد دست كيدا له يخفى مسالكه * يقظان يسرى اذا كيد العدا هجعا

وكتب لابن وهب

يا جوهر الاخوان * وحلية الزمان
ودولة المعانى * وروضة الامانى
عش لى كعمر شكرى * فيك فقد كفانى
أريت عين ودى * معاتب الاخوان

(وله)

كما طريق الحج فى كل منهل * يذم على ما كان منه ويشرب

(وله)

كم حاسد حنق على بلا * جرم وليس يضرنى الحنق
متضاحكا نحوى كما ضحكت * نار الذبالة وهى تحترق

وله من معانيه الغريبة

يا بخيلا ليس يدرى ما الكرم * حرم اليوم على فيه نعم
حدثونى عنه فى العيد بما * سرنى من لفظه حين حكم
قال لا قربت الا بدنى * ذاك خير من اضاحى الغنم
فاستخار الله فى كربته * ثم ضحى بفتاه واحتجم

(وله)

لى صاحب مختلف الالوان * متهم الغيب على الاخوان
منقلب الود مع الزمان * يسرق عرضى حيث لا يلقانى
حتى اذا القيته أرضانى * فليته دام على الهجران

وله من قصيدته المشهورة

ألا رب ألسنة كالسيوف * تقطع أعناق أصحابها

(ومنها)

وما ينقص من شباب الرجال * يزد فى نهاها والبابها

(ومنها)

دعوا الاسد تفرس ثم اشبعوا * بما يترك الاسد فى غابها

وله من قصيدة

شجتك لهند دمنة فديار * خلاء كما شاء الفراق قفار

ولو شئت أوقرت البلاد حوافرا * وسأات وراءى هاشم ونذار

وعم السماء النقع حتى كأنه * دخان وأطراف الرماح شرار

وله من اخرى

أيا ويحه ماذنبه ان تذكرا * سوالف أيام سبقن أواخرا

(ومنها)

وقالوا كبرت وانتضيت من الصبا * فقلت لهم ماعشت الا لاكبرا

لبست أخلاء الهوى فنزعتهم * وما كنت أهوى بعدهم أن أعمرا

فاخلوا همومى من سواهم واطبقوا * جفونى فما أهوى من العين منظرا

(ومنها)

كأن الصبا تهدى اليه اذا سرت * على تربها مسكا فتيتا وعنبرا

سقتها السوارى والغوادى قطارها * فجاء كما شاء القطار ونورا

ومن اخرى له

ومهمه كرداء الوشى مشتبه * قطعته والدجى والفجر خيطان

والريح تجذب أطراف الرداء كما * أفضى الشقيق الى تنبيه وسنان

ومن اخرى له

شفع يد الساقى وطيب زمانه * فى السكر كل عشية وغداة

فالريح قد نمت بأسرار الربا * وتنفس الريحان فى الجنات

وله فى الارضة

لم أبك ربعا مقفرا ولا طلل * ولا شبابا خان وذى وارتحل

بل دفترا فيه حديث وغزل * ماعابنى ولا رأى منى زلل

قد دب فيهن دبيبا من أكل * عصا سليمان وظل منجدل
يا أكل أثمار العقول لا أكل

ومن قصيدة له

ومليح الدل ذى غنج * لابس للحسن جلبابا
أثمرت أغصان راحته * لجنان الحسن عنابا

(ومنها)

خضبت رأسى فقلت لها * فاخضبى قلبى فقد شابا

قلت عندى أثمرت وقد أنكره صاحب الدمية وله

ودونكه موشى نمنمه * وحاكته الانامل أى حوك
بشكل يأخذ القدح المعلى * كأن سطوره أغصان شوك

(وله)

يا نفس صبرا لعل الخير عقباك * خانتك بعد لذيذ العيش دنياك
مرت بنا سحرا طير فقلت لها * طوباك يا ليتنا اياك طوباك
لكن هو الدهر فالقيه على حذر * فرب مسك به والحب اشراك

ومن نثره قوله * قلبى نجى ذكرك * ولسانى خادم شكرك * وله فى مريض اذن الله فى شفائك * وتلافى ذلك بقائك * ومسح بيد العافيه * ووجه اليك وافد السلامه * وجعل علتك ماحية لذنوبك * ومضاعفة فى ثوابك * وله فى العفو * لا تشن حسن الظفر بقبح الانتقام وتجاوز عن مذنب لم يسلك باقراره طريقا * حتى اتخذ من رجائك رفيقا * ولم يسر ميلا * حتى اتخذ حسن الظن دليلا * ومن فقره * المعروف رق * والمكافاة عتق * الحاسد مغتاظ على من لا ذنب له بخيل بما لا يملك طالب لما لا يجد

(خاتمة) تشبيه ابن المعتز السطور بالاغصان والشكل بالشوك صحيح لكنه قبيح وعجيب من مثله كيف خفى عليه ركاكته فانظره بعين الانصاف مع قولى فى معناه

بعثت كتبى الى الاحباب نائبة * عن العيون اذا اشتاقت الى النظر
فالخط فى الطرس والالحاظ ناظرة * صنوان فى شبه المعنى وفى الصور
فان هذا سواد فى البياض له * شكل كاهداب أجفان من الشعر

وانظر

قوله دنياك كذا فى النسخ والذى [فى] حاشية أبى الطيب الفاسى على [ا]لقاموس عقباك وذكر انه بمعنى [ا]لعقاب فانظره فى ع ق ب ان [ثبـ]ت اه مصحح

وانظر موقع الشوك فى قولى

اذا نكبات الدهر واقتك فاصطبر * تراها تجات فالزمان أبو الغير
اذا مزق الورد النسيم سحيرة * ترى فى أيادى القضب من شوكه ابر

ومما عابوه عليه قوله طوبالك قالوا صوابه طوبى لك وفيه نظر عندى فانه اذا استعمل لفظ فى كلامهم على وجه من وجوه الكلام ثم استعمل على وجه آخر جار على قواعد العربية مؤد لذلك المعنى كيف يعد خطأ فان اللام هنا مقدرة والمقدر فى حكم الملفوظ فما الفرق بين طوبى لك وطوبالك حتى يقال ان الثانى لحن وهذا كما قيل ان كافة لا تكون الا نكرة منصوبة حالا كما ذكره الحريرى وقال ان غيره لحن كقول الزمخشرى بكافة الابواب وهو غير مسلم ولم أر من تعرض له من المتقدمين * وأما الامير أبو فراس بن حمدان فهو فارس الهيجاء * وواحد البلغاء والفصحاء * وهو من الذين هم فى الفصاحة والشجاعة والصباحة لا يدانيهم مدانى * ولا يبارزهم مدانى * ومن طالع ديوانه * عرف فى البلاغة مكانه * ألا ترى قوله

علونا جوشنا بأشد منه * وأثبت عند مشتجر الرماح
بجيش جاش بالفرسان حتى * ظننت البر بحرا من سلاح
وألسنة من العذبات حمر * تخاطبنا بأفواه الرماح

(وقوله)

غيرى يغيره الفعال الجافى * ويحول عن شيم الكريم الوافى
لا أرتضى ودا اذا هو لم يدم * عند الجفاء وقلة الانصاف
تعس الحريص وقلما يأتى به * عوضا عن الالحاح والالحاف
ان الغنى هو الغنى بنفسه * ولو انه عارى المناكب حافى
ما كل مافوق البسيطة كافيا * واذا قنعت فكل شئ كافى
وتعاف لى طمع الحريص أبوتى * ومروءتى وقناعتى وكفافى
ومكارمى عدد النجوم ومنزلى * مأوى الكرام ومنزل الاضياف
لا أقتنى لصروف دهرى عدة * حتى كأن صروفه أحلافى
شيم عرفت بهن اذا انا يافع * ولقد عرفت بمثلها اسلافى

وسمع وهو أسير سجع حمامة فقال

أقول وقد ناحت بقربي حمامة * أيا جارتي هل بات حالك حالي
معاذ الهوى ماذقت طارقة النوى ولا خطرت منك الهموم ببالي
أتحمل محزون الفؤاد قوادم * على غصن نائي المسافة عالي
أيا جارتي ما أنصف الدهر بيننا * تعالي أقاسمك الهموم تعالي
تعالي ترى روحا لدي ضعيفة * تردد في جسم يعذب بالي
أيضحك مأسور وتبكي طليقة * ويسكت محزون ويندب سالي
لقد كنت أولى منك بالدمع مقلة * ولكن دمعي في الحوادث غالي

وقد لحن في قوله تعالي اذ كان حقه فتح اللام لان أصله تعاليي بيائين ياء مفتوحة وياء ساكنة فاعلت الاولى وحذفت لالتقاء الساكنين وممن ذكر هذا ابن هشام في شرح الشذور من غير خلاف فيه بين أهل العربية أقول هذا هو المعروف بين أهل العربية وعندي انه غير مسلم فان قتادة روى عن الحسن البصري انه قرأ قل تعالوا بضم اللام كما ذكره ابن جني في المحتسب وقال وجهه انه حذف لام تعاليت استحسانا تخفيفا فلما زالت لام الكلمة ضمت اللام لوقوع الواو بعدها كقولك تقدموا وتأخروا ونظيره ما باليت به بالة وأصله بالية كالعافية والعاقبة ثم حذفت كما تقول اسعوا أمرا من سعى ونظير ما نحن فيه ما قاله الكسائي في آية على أن أصله آيية زنة فاعلة ونظير ما نحن فيه قراءة الحسن أيضا في قوله عز وجل الا من هو صال الجحيم بضم اللام حدثنا بذلك أبو علي وذهب الى ماذكرناه من حذف اللام استخفافا والى انه يجوز أن يكون أراد صالون الجحيم فحذف النون للاضافة وحذف الواو التي هي علم الجمع لفظا لالتقاء الساكنين واستعمل لفظا حملا على المعنى كقوله ومنهم من يستمعون اليك وأما حديث تعال والقول على ماضيه وتصريفه ومن أين جاز استعمال لفظ العلو في التقدم فأمر يحتاج الى فضل قول كما ذكرناه في غير هذا الموضع الا أن من جملته انهم استعملوا لفظ التقدم والارتفاع على طريق واحد من ذلك قولهم قدمته الى الحاكم وهو كقولك ترافعنا الى الحاكم فكذلك قولك للرجل تعال كقولك له تقدم وأصله أن التقدم تعال والتأخر انخفاض وتراخ فافهم أقول ان تعال استعملوه على وجهين أحدهما وهو الفصيح المشهور أن تحذف الياء التي هي لام الكلمة لالتقاء الساكنين بعد قلبها ألفا

فتبقى اللام التى قبلها على فتحها لان المحذوف لعلة كالموجود والثانى أن تحذف ابتداء للتخفيف نسيامنسيافيبقى ماقبلها آخر الكلمة فيحرك بحركة تجانس الضمير المتصل بهافيقال تعال بكسر اللام كقطام وبه قرئ فى الشواذ الا أن الظاهر انه غير مقيس فهل يقال ان التكلم بمثله فى تركيب آخر لحن وخطأ أولا محل نظر وهذا جار فيما قاله أبو فراس ثم انه أشار الى أن تعال أمر بالعلو أريد به الحضور والتقدم وشاع حتى صار حقيقة فيه وهو تحقيق نفيس ينبغى حفظه فى خزائن الإذهان وفى الدر المصون استثقلت الضمة على الياء فحذفت ثم حذفت الياء لالتقاء الساكنين أو قلبت لتحركها وانفتاح ماقبلها ألفا وحذفت لالتقاء الساكنين وقرأ الحسن وأبو واقد بضم اللام ووجهت بأن الضمة استثقلت على الياء فنقلت الى اللام بعد حذف حركتها وعندى انهم تناسوا المحذوف حتى توهموا انها بنيت كذلك وان اللام آخرها حقيقة حتى ضمت مع الواو وكسرت مع الياء كما قالوا لم أبل وقال الزمخشرى وعلى هذا قول الحمدانى وعاب هذا عليه من قال انه مولد لا يستشهد بكلامه وليس بعيب فانه انما ذكره استئناسا به ولا يعاب عليه ماعرفه ونبه عليه انتهى وكأن هذا الشعر مما قاله لما أسره الروم وله فى ذلك اشعار كثيرة بليغة هي فى ديوانه وأحسن ماقيل فى السجن قول على بن الجهم

قالوا حبست فقلت ليس بضايرى * حبسى وأى مهند لا يغمد
أوما رأيت الليث يألف غيله * كبرا وأوباش السباع تردّد
والبدر يدركه السرار فينجلى * ايامه وكأنه متجدّد
والشمس لولا انها محجوبة * عن ناظريك لما أضاء الفرقد
والنار فى أحجارها مخبوءة * لاتصطلى ان لم تثرها الازند
والزاغبية لايقوم كعوبها * الا الثقاف وجذوة تتوقد
ولكل حال معقب ولربما * أجلى لك المكروه عما يحمد
والحبس ان لم تغشه لدنية * شنعاء نعم المنزل المتودد
بيت يجدّد للكريم كرامة * ويزار فيه ولا يزور ويحمد
لولم يكن فى الحبس الا انه * لا يستذلك بالحجاب الاعبد
كم من عليل قد تخطاه الردى * فنجا ومات طبيبه والعوّد

قوله لايقوم كعوبها الا الثقاف كذا فى النسخ وليس مستقيما فى المعنى فلعل صوابه لا يقوّم كعبها بشد الواو وافراد كعب اه

وكانوا يقولون القيود خلاخيل الرجال ومن بديع قوله فى السحاب

وسارية لا تمل البكى * جرى دمعها فى خدود الثرى
سرت تقدح الصبح فى ليلها * ببرق كهندية تنتضى
فلما دنت جلجلت فى السما * رعدا أجش كصوت الرحا
ضمان عليها ارتداغ البقاع * بأ نوائها واعتجار الربا
فما زال مدمعها باكيا على الترب حتى اكتسى ما اكتسى
فاضحت سواء وجوه البلاد * وجن النبات بها والتقى
وكأس سبقت الى شربها * عذولى كذوب عقيق جرى
يشيربها غصن ناعم * من البان مغرسه فى نقا
اذا شئت علمنى بالجفو * ن من مقلة كحلت بالهوى
له شعر مثل نسج الدروع * وجفن سقيم اذا ما رنا
ويضحك عن اقحوان الرياض * يغسله بالعشى الندا
ومصباحنا قمر مشرق * كترس اللجين يشق الدجى

وأشعاره كلها أوضاح وغرر * وعقود فرائد ودرر * لم نورد منها ما فيه اغراق * لان أكثرها فى طرق الفصاحة مهراق * ألم ترهم عابوا قول أبى نواس

لقد اتقيت الله حق تقاته * وجهدت نفسك فوق جهد المتقى
واخفت أهل الشرك حتى انه * لتخافك النطف التى لم تخلق

كما ذكره أهل المعانى وان اعتذروا عنه بما لا يجدى لانه انما يحسن مثله اذا اقترن بكاد كقوله تعالى يكاد زيتها يضئ الآية ومما عيب منه قول ربيعة بن مهلهل من قصيدة يرثى بها كليبا

ولولا الريح لم أسمع بحجر * صليل البيض تقرع بالذكور

والبيض جمع بيضة وهى المغفر والذكور السيوف وضمنه المهدى بن محمد العكبرى يهجو ابن وهب ونقله لمعنى آخر فقال

وسائلة عن الحسن بن وهب * وعما فيه من كرم وخير
فقلت هو المهذب غير انى * أراه كثير اسبال الستور
وأكثر ما يغنيه فتاه * حسين حين يخلو للسرور

فلولا

فلولا الريح لم أسمع بحجر * صليل البيض تقرع بالذكور

(تتمة وفائدة مهمه) قد عرفت مما ذكره أهل المعانى ان الاغراق غير مقبول مالم يقارن كاد ونحوها وهذا مما شهد به الذوق السليم * وزكى شهادته الطبع المستقيم * وهذا وان سلمه علماء المعانى والبيان * الا انه محتاج الى الايضاح والبيان * فانه قد يعترض عليه بما يعارضه * ويكدره ورود ما يناقضه * كقوله عزوجل واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى الآية فانه بمعناه * اذ اخراج الذرية من الظهور * قبل الخلق والظهور * وأخذ المواثيق والعهود مما يقتضى الترغيب والترهيب وهذا أشد مما فى البيت لانه على سبيل التخييل والتقدير وهذا على سبيل التحقيق وقد ذكر هذا فى حديث الصحيحين المعلوم عند علماء الحديث ولهم فيه طريقات مشهوران وهو مما خفى على كثير من العلماء ولهم فيه كلام محتاج للايضاح فأقول لعلماء التفسير فيه طريقان الاول انه من المتشابه الذى استأثر الله تعالى بعلمه وعلى هذا لا يبقى فيه اشكال * ولا للبحث عنه مجال * الثانى ان له معنى جليل * قام عليه أقوى برهان ودليل * فمنهم من ذهب الى انه استعارة وتمثيل * نزل فيه وضوح الادلة القائمة على توحيده تعالى وصحة أحكام الشريعة المركوزة فى الفطرة السليمة منزلة بروزهم فى الخارج وأخذ العهود منزلة اتباع ما ذكر وتسليمه والعمل بمقتضاه فلا يرد عليه شئ مما ذكر فى الشعر ونحن نقول ان الامر الذى وقع فيه المبالغة لا يخلو اما أن يقع بعد زمان بعيد كالساعة أولا يقع وهو اما محال متعذر الوقوع له نظائر ومشابه اولا الاول مقبول لتنزيل المتحقق الوقوع منزلة الواقع وكذا الثانى لامكان أن يراد مجازا أو كناية والاخير هو محل الكلام والذى عليه أهل المعانى انه مردود مالم يقترن به مسوغ مثل كاد ونحوها والآية ليست من هذا القبيل لاسنادها الله الذى أبرز المعدومات من أرحام العدم * ولا يقتضى قدرته شئ فى القدم * فما علينا الا الايمان بذلك ومالم تصل له افهامنا نكله اليه * ونسأله أن يهدينا للوقوف عليه * وكفى هذا الاحتمال فى مثل هذه الحال * وما بعد الهدى الا الضلال * فان قلت كيف أنكروا على أبى نواس هذا واستحسنوا قوله وقد عشق بعض اولاد الخليفة

انى صب ولا أقول بمن * أخاف من لا يخاف من أحد
اذا تفكرت فى هواى له * أجس رأسى هل طار عن جسدى

مع انه مثله فى المبالغة والاغراق لان الامر الذى خطر بباله * ولم يخطر على لسان مقاله * كيف يخافه ويخشاه * وهو ما تعدى خاطره وتخطاه * ولا فرق بين هذا وذاك * لمن له أدنى ادراك * قلت الفرق مثل الصبح ظاهر * لمن نور الله منه البصر والبصائر * فان النطفة لا ادراك لها أصلا * وهى قبل خلقها أبعد عقلا * فركاكته أظهر من الشمس * وأبعد من أمس * أما ما فى فكره من الامر المهول * فقد تهتدى اليه العقول * لشدة اضطرابه * وقد يظهر على سحنته آثار أوصابه * وقد تدرك الفراسة ما ينطق به لسان الحال * وربما نم عليه لسان المقال * وقد قلت فى معناه ما هو أحسن منه

صار الاعادى من مهابة بطشه * عقمى بلا نسل ولا اعقاب
فكأنما النطف التى قرت ثوت * من خوفها بمفازة الاصلاب

وقد تلطف وأغرب فى قوله أجس رأسى هل طار عن جسدى لجعله ما يترقبه واقعا به حتى فتش عن رأسه وجسها بيده ليعلم هل قطعت أولا وهذا نوع من البديع بديع كقول المنازى فى وصف نهر

يروع حصاه حالية العذارى * فتلمس جانب العقد النظيم

وفيه التعبير عن المقال بالافعال كقوله وتشتم بالافعال قبل التكلم ومثله قول ابن رشيق

قبلنى محتشما شادن * أحوج ما كنت لتقبيله
أومأت اذ جاء بأترجة * عرفت فيها كنه تأويله
لما تطيرت بمعكوسها * ضمت بنانا نحو تقبيله

وقد بسطنا الكلام عليه فى كتاب المجالس وهذا لم أر من ذكره وهو مما استخرجته وسميته نطق الافعال ومنه قولى

ومعذر كتب الجمال بوجهه * هذا طراز الله لاح بطرته
لما بدا فى الورد منه بنفسج * فى الخد أطرق رأسه من خجلته

ولما بلغ عبد الملك أن الحجاج لا يراعى الشعراء نقم ذلك عليه وكتب اليه بسم الله

الرحمن الرحيم من عبدالله عبد الملك الى الحجاج بن يوسف أما بعد فقد بلغنى
عنك أمر كذب فراستى فيك وأخلف ظنى بك من اعراضك عن الشعر
والشعراء فكأنك لا تعرف فضيلة الشعر والشعراء ومواقع سهامهم أوما علمت
يا أخا ثقيف ان بقاء الشعر بقاء الذكر ونماء الفخر وان الشعر طراز الملك وحلى
الدولة وعنوان النعم وتمام الجد ودلائل الكرم وانهم يحضون على الافعال
الجميلة * وينهون عن الاخلاق الذميمة * وانهم سنوا سبل المكارم لطلابها *
ودلوا العفاة على أبوابها * وان الاحسان اليهم كرم * والاعراض عنهم لؤم
وندم * فاستدرك فرط تفريطك * وامح بصوابك وحى أغاليطك * والسلام
وبهذا علمت وقع الشعر عند الملوك * وانه سبيل الى المكارم مسلوك * وان
الشعراء قافلة تحمل الذكر الجميل وان بضائعهم نافقة عند الكرام * كاسدة عند
اللئام * والسلطان سوق تجلب لها الرغائب * وتجبى لها محامد تمتلى بها
الحقائب * ولابى اسحاق الغزى من قصيدة

بجود فضيلة الشعراء نجى * وتفخيم المديح من الرشاد
محت بانت سعاد ذنوب كعب * وأعلت كعبه فى كل ناد
وما افتقر النبى الى قصيد * مشببة بمن من سعاد
ولكن سن اسداء الايادى * وكان الى المكارم خير هاد

هذا تمام ريحانة الالباء * المشتملة على أحاسن الادباء * وصلى الله على
سيدنا محمد وعلى آله والاصحاب * الطيبين الطاهرين الانجاب * ما هبت
نسمة وهنانه * وفاح شذا ريحانه * آمين

يقول مصحح مبانيها * ومحرر أسجاعها ومعانيها * ذو العجز الحقيق * ابراهيم
عبد الغفار الدسوقى * قد بذلت الجهد فى تصحيحها * وأيقظت الفكرة
فى تنقيحها * فأزهرت رياضها * وصفت حياضها * وغدت بحسنها
تتباهى * ولا تباهى زليخاء بفتاها * خدمة لصاحب الدولة السعيديه *
عزيز الديار المصريه * وحامى ثغورها الاسلاميه * محمد المآثر *
سعيد المفاخر * رب السيف والقلم * صاحب الراية والعلم * من تبدد به
جيش المخاوف وتلاشى * سعادة أفندينا محمد سعيد باشا * صاحب

المكارم والعداله * والهبات الجمة والسماله * خلد الله دولته * وأعلى في الخافقين كلمته * هذا وكان طبع هذه الريحانة الادبيه * بمطبعة بولاق مصر المحميه * تحت ادارة على الهمه * المشهور بجودة الرأى فى كل مهمه * من اذا جرد سيف قلمه من غمده * وقف كل بليغ عند حده * أو صلى قلمه بمحراب قرطاس * انساك لذة العود والطاس * بفصاحة تزرى بسحبان * وتجر عليه ذيول النسيان * وذكاء يزيد عن حد القياس * فلا يذكر عنده ذكاء اياس * ولما حبست عن تصحيحها جواد البراعه * انطلق يقرظها فى ميادين البراعه * مثنيا على حسن وضعها * مؤرخا تمام طبعها * فأوجز فى المقال * وقال بلسان الحال

أذوب ياقوت بثغر الحبيب * أم بدر تم فوق غصن رطيب
أم غادة تكاد شمس الضحى * لغيرة من حسنها أن تغيب
أم روضة غناء مذ أزهرت * قام بها الشحرور يوما خطيب
أم تلك ريحانة مولى العلا * ذاك الخفاجى الشهاب الأديب
عناية القاضى له قد قضت * بأنه فى الفضل مغنى اللبيب
شفاؤه للداء منا شفى * يا حبذا هذا الحكيم الطبيب
اذا ادعى ادراكه شبهه * فى لقب فقل له ذا عجيب
بين الثريا والثرى فارق * هل فارغ البندق يحكى الزبيب
ذاك الخفاجى امام التقى * ليس مذموما ولا بالمريب
ذاك شهاب ثاقب لم يكن * رماه محمود بسهم مصيب
أوراق ريحانته قد حلت * بجودة المدح على النسيب
ومذ تبدى حسنها أرخوا * ريحانة الشهاب طيب الاريب

٦٦٩ ٣٣٩ ٢١ ٢٤٤

١٢٧٣

بطبعها صدر العلا قد قضى * محمد المولى السعيد المهيب
انسان عين العدل مرآته * تارك أعمى الظلم مضنى كئيب
مصدر جيش العلم فى سطوة * ومورد الجهل كؤس النحيب
فاتح عين الطب من بعد ما * كادت شموس العلم عنها تغيب

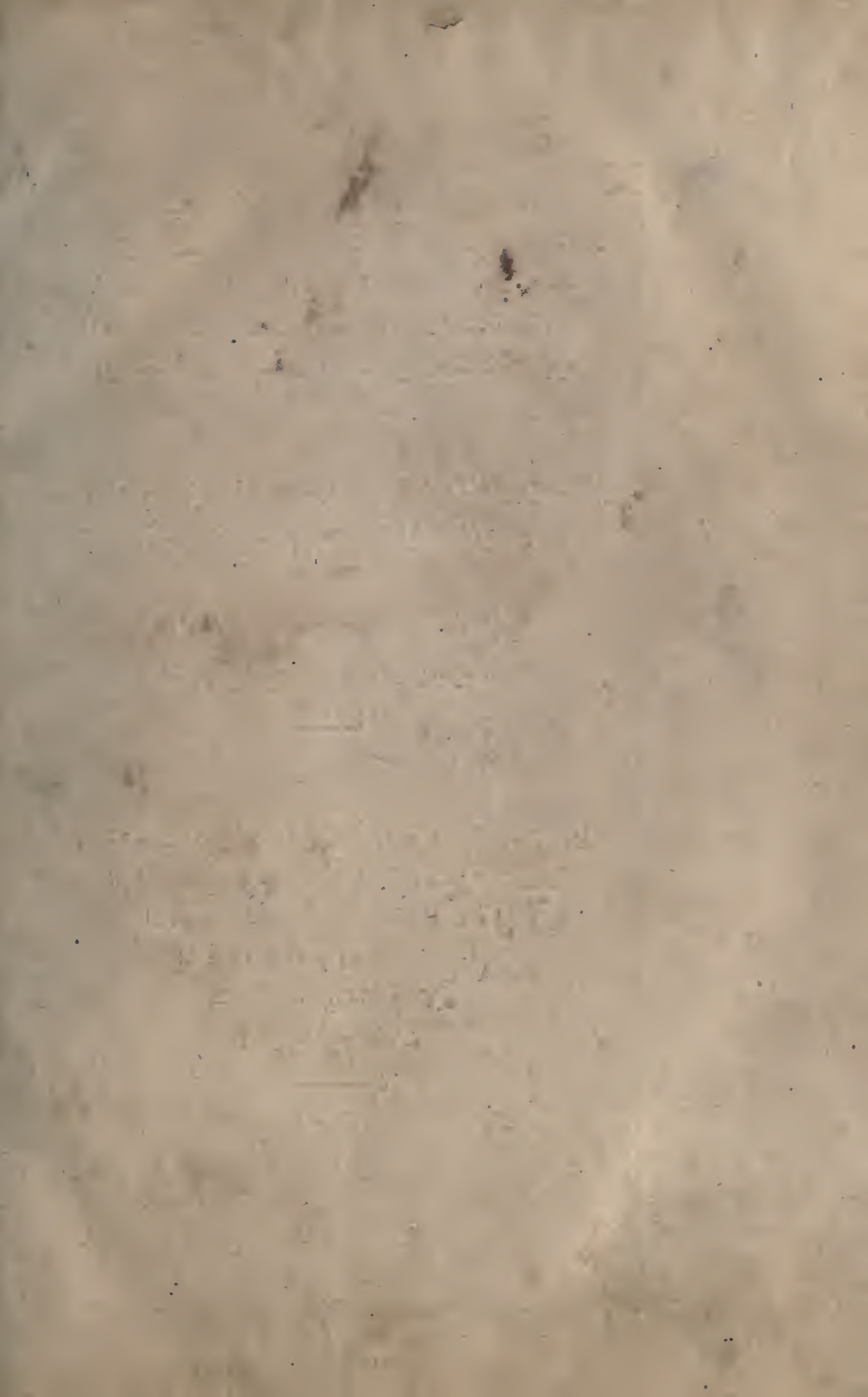
وفاتح

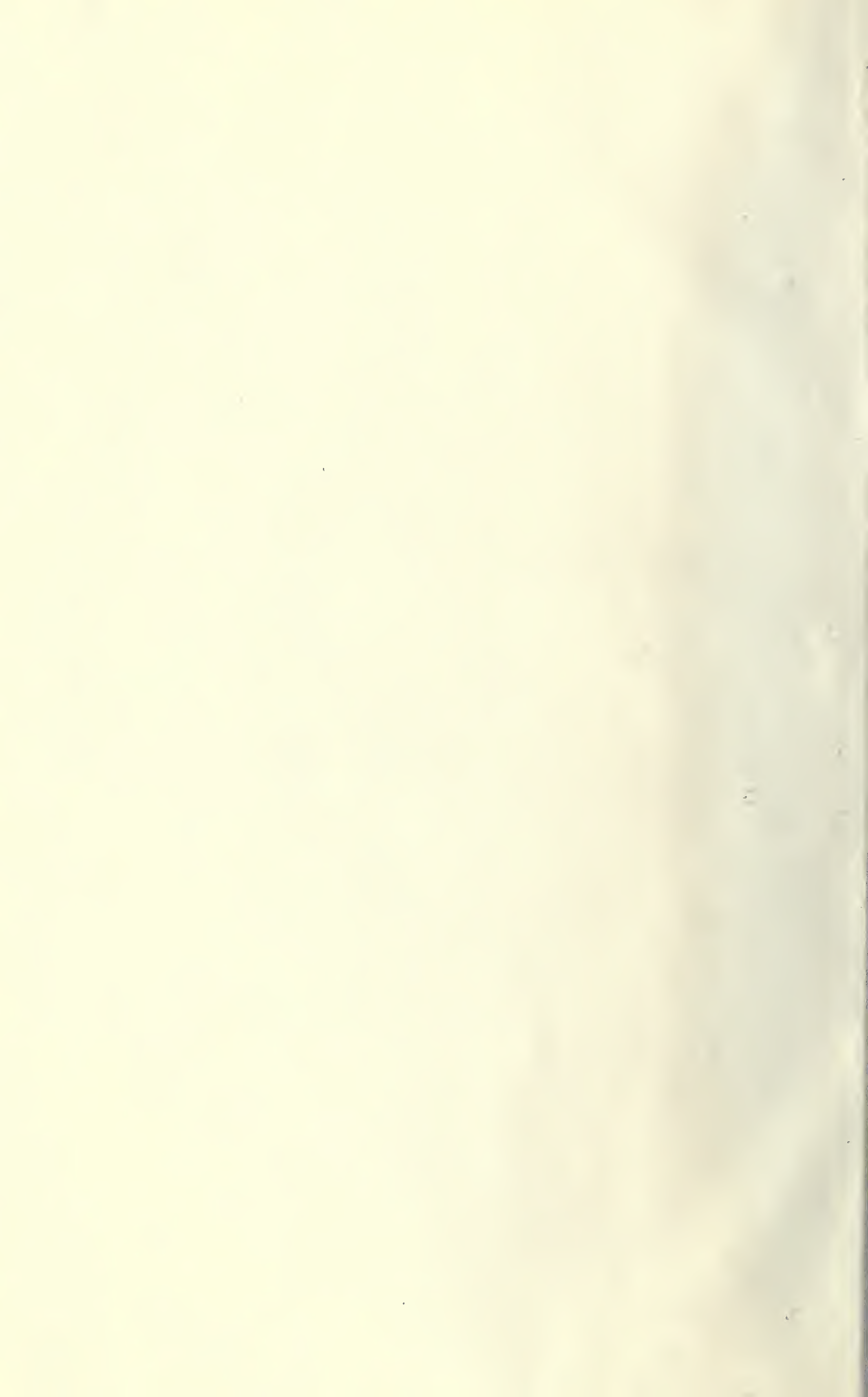
وفاتح الاءاسن من جوده * وغيرها يفتحه عن قريب
ما ترتبقي له بيننا * تثنى عليه بالثناء العجيب
تشهد بالفضل له دائما * شهادة العدل الزكى المصيب
الله يبقيه لنا سالما * يهتز في برد السرور القشيب
ويحفظ المولى له نجله * ماحن للاوطان ناء غريب

مطبعهء عامره نظارتيله مباهى على جودت بندهٔ كمبضاعتك اشبو ريحانة الالبا
كتاب مستطابى ختام طبعنه انشاد ايلديكى تاريخدر

هزار خامه جودت سويلدى مانند كل تاريخ
شقايق كبى ويردى طبع ايله بو كونه ريحانه
سنة ١٢٧٣

وقد تم حسن طبعها * وأينع ثمر طلعها * فى غاية شهر صفر سنة
ثلاث وسبعين الالف والمائتين * من هجرة سيد
الانام * محمد خاتم الرسل الكرام * صلى
الله عليه وعلى آله * وكل ناسج على
منواله * ماهبت النسمات *
وهدأت الحركات
امين
امين
تم



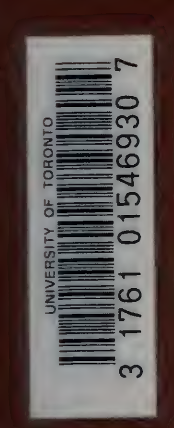











UNIVERSITY OF TORONTO
3 1761 01546930 7